

بسم الله الرحمن الرحيم
المفاهيم القرآنيه من سوره الانعام
المجلد الخامس

المقدمه :-

انه واستشعارا منا بحاجه الناس الي تبسيط وتسهيل ما المراد من النصوص القرآنيه بحيث تصل الي كافه مكونات المجتمع المسلم سواء كانوا متعلمين أو عوام أو مثقفين أو علماء أو غير ذلك فالقران جاء يخاطب كل الناس باختلاف مستوياتهم يطلب منهم أن يشعروا أنهم مخاطبون بكل حرف من حروفه لهذا حاولت أن اساهم في تحقيق هذا الغرض من خلال هذه المحاوله المتوضعه والتي لم اتي بشي من عندي وانما اخذتها من أطروحات العلماء الاجلاء وكل ما قمت به هو صياغه ذلك في قوالب بشكل مفاهيم قرآنيه فارجوا من الله قبول هذا وجعله في ميزان حسناتنا وان ينفع به المسلمين

المحامي /

احمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم

سوره الانعام

هذه السوره مكيه ماعدا الآيات (١٥٣/١٥٢/١٥١/١٤١/١١٤/٩٣/٩١/٢٣/٢٠) فهي مدنيه

فهي وسوره الاعراف من السور المكيه من سور السبع المثاني التي فيها البقيه مدنيه والمعلوم أن السور المكيه تناولت قضيه الالوهيه والعبودية وما بينهما من علاقه فدعوه التوحيد هي ماحملها جميع الرسل الي اقوامهم وقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الي هذه الحقيقه طيله ثلاثه عشر عاما لأنها هي أصل وأساس بناء العقيده الاسلاميه فجميع التشريعات ترتبط بهذه الحقيقه فهي الأساس والأصل الذي يربط الكليات والجزئيات وينظم مجراها ولما كانت سوره المائده قد اختتمت بقوله تعالي (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو علي كل شي قدير) بعد أن عرضت فساد عقائد وتصورات النصاري واليهود والمشركون والمجوس ولهذا فإن أهم اغراض هذه السوره هو

ابطال مذاهب المشركين والمعطلين والملحدين وعرض قضيه التوحيد وادالته ومحاوره العقل البشري ودعوته للإيمان بالله ومعرفته ومحبته وعبادته وتوحيده والدعوه الي الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والرساله و الدعوه للإيمان بالمعاد والجنه والنار والثواب والعقاب ولهذا قال أبو إسحاق عن سوره الانعام بأنها احتوات علي كل قواعد التوحيد وفيها الموعظه للمعرضين عن آيات القرآن والمكذبين بدين الحق وتهديدهم بما يحل بهم مثلما حل بالامم الغابره وفيها ابطال معتقدات الشرك والضلال وإثبات صدق نبوه الرسول وعرض امثله المكذبين وإثبات اسماء الله وصفاته وكماله وقدرته وعطاءه وعلمه وحكمته والاشاره الي الآيات الكونيه التي اهتدي بها ابراهيم عليه السلام

وايضا فإن السوره فيها تربييه المومنين وبناء الشخصية الإيمانية ذلك أن الإنسان يحتاج الي الاجابه عن الاستفسارات التي ترد الي خواطره

كيف جاء الي الأرض والي اين سوف يذهب وماهو دوره في الحياه وكيف يتعامل مع نفسه ومع أسرته ومع بني جنسه في محيطه وفي الأرض وكيف يتعامل مع الكون وماهو مصيره بعد الموت فالإنسان يجد نفسه مضطرا للاجابه عن هذه الأسئلة التي تلح الفطره عليه لطلب الاجابه عنها

ومن هنا فإن العقيده هي أهم عامل في تكوين الشخصية المسلمه فالاجابه عليها يكون الاهتداء الي قوانين التعامل مع نفسه وبني جنسه ومع الحياه والكون واهم شي علاقته مع ربه

فالعقيده تعطي الإنسان الجواب عن قضيه وجوده في الأرض وتدله علي الطريق المستقيم الذي يكون فيه سعاده وليخرج من سجن الذات الي الانس بربه والاحساس بالاتصال بربه لأن النفس اذا لم تتصل بخالقها ومعبودها فإنها تعبد الهوي أو اي شي من المخلوقات

فالإسلام حريص علي تربييه المومنين علي عقيده التوحيد ولهذا نجد أن السوره ابتدأت بقوله تعالي (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وهو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا وأجل مسمي عنده ثم انتم تמתرون وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون)

اولا

أن الابه ابتدأت بالحمد وهو الثناء والمدح فقال تعالى (الحمد لله)

وكما قلنا إنها تعني الثناء الحسن المراد بهذا الثناء والمدح

الأمر الأول (عناصر المدح)

المدح للشئ تعبير لما في في النفس من اعجاب بهذا الشئ واسباب المدح تكون أما أن يكون لذات الشئ لانك تري أن فيه جمالا تمدحه به فمثلا عندما تنظر إلي اللو لو فإنك تعجب بما فيه من صفاء فتمدحه وأما لما تناله منه فتحمده وتقول لما نالني منه أو تحمده لما تطمع أن ينالك أو تحمده للخوف لما له من سلطان وسيطره فأنت واقع تحت قهره فهذه هي عناصر الحمد وبالوقوف علي الابه نجد أنها ذكرت بعد الحمد الذات الإلهية (الله) فهو المحمود بذاته فكأنه بالوهيته يستحق الحمد ف الله في العقيدة الاسلاميه هو اسم رب العالمين سبحانه وتعالى وهو اسم لمن انفراد بالوجود الحقيقي وهو اعظم الاسماء التسعة والتسعين لانه دال علي الذات الجامعه لصفات الأ لوهية لصفات الأوهية كلها اما سائر الاسماء فتدل علي معاني منفردة كالعلم والقدرة وهو أخص الاسماء فلا يطلق علي غيره سبحانه قال ابن القيم فاسمه (الله) دل علي كونه مالوها معبودا ياله الخلائق محبه وتعظيما وخضوعا مفزعا إليه في الحوائج والنوائب فصفات الجلال والجمال أخص باسم الله ولهذا يقول الحق أنه من غير المنطقي أن يساوي العبد المخلوق ب الله فاللازم أن يكون العبد مستغرق القلب والهمة ب الله تعالى لايري غيره ولا يلتفت الي سواه ولا يرجو ولا يخاف الا إياه فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال اصدق بيت قاله العرب قول لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل ولهذا يستغرب الحق أن البعض يساوي بين الله وبين مخلوقاته فقال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

أما العنصر الثاني فهو لفت الإنتباه الي عطاء الله علي الإنسان فقد سخر الكون لخدمه هذا الانسان فقال تعالى (الذي خلق السموات والأرض) ثم ذكر بعدها خلق الانسان وأنه في قبضه الله وسلطانه وأنه راجع الي الله تعالى وهو يحاسبه علي أعماله وهذا فيه

المفهوم الاول

استحضار صفات الأوهية لله وكماله ليحصل للقلوب جلا فهم آياته والسمع بعد النقل والبصر بعد الغشوه والانقياد بعد المعانده فالله يلفت عبادة للإنتباه لآياته المشهوده والتي لاتعد ولا تحصى

فالحق يقول إنه تعالى المستحق للحمد وحده لا شريك له فالإنسان في هذا الكون مغمور بنعم كثيره وقد أنعم الله بها عليه فالواجب الطبيعي علي الإنسان أن يلتفت الي هذا العطاء الذي يأتيه من كل جانب فأنت من ينتفع بهذا العطاء وبالتالي فلا بد أن تتوجه بالشكر لمن يستحق الشكر وهو الله تعالى فوجوب الحمد هو لله وحده فالثناء علي الجميل هو لله لانه مستحق لذلك بذاته وايضا لانه مصدر النعم ولهذا أشار لذلك فقال (الحمد لله الذي خلق السموات والارض)

فأشار الي السموات وما فيها من كواكب ونجوم واجرام سماوية والارض وما فيها من بحار وسهول وادويه وصحاري

مبيناً أنه تعالى جعل الظلمات والنور اي مافيه الكون من ظواهر فكل شئ اوجده الله تعالى

المفهوم الثاني

تبين الابه ان هذه الاداله التي نصبها الحق سبحانه وتعالى في الكون شاهده علي وحدانيه الله وتفردته بالخلق والأ مر والهيمنه والسلطان لا شريك له ف دليل الحدث الكوني يدل أن له خالق حكيم فهذه المعرفه التي لاينكرها أحد من الناس فالمشركون لم يكونوا ينكرون أن الله هو الخالق للكون كله ومع ذلك يعبدون معه غيره ولهذا نجد أن الا

آيات تستغرب أن ينحرف الإنسان بعد مشاهدته الآيات الدالة على وحدانيته الله فالأصل أن ذلك يدفع العبد إلى الحمد والشكر لله الذي خلقه وخلق السموات والأرض

الأمر الثاني

(المواضع التي ابتدأت بقوله الحمد لله)

السور التي افتتحت بقوله تعالى الحمد لله هي في خمس سور

الفتاحه بقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)

وفي سورة فاطر بقوله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض وجعل الملائكة رسل أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء)

وفي سورة الكهف بقوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً)

وفي سورة سبأ بقوله تعالى (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير)

وفي هذه السورة بقوله تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

ولما كان الحمد مدح وثناء متعلق بشي يستحق الحمد سواء تعلق بك أو تعدي ذلك إلي غيرك ومعلوم أن للإنسان مطالب جسديه ماديه ومطالب روحيه كونه مخلوق من طين مادي وروح ولهذا نجد أن السور التي استهلكت بهذا (الحمد لله) أما أن تتكلم في العناصر الماديه أو العناصر الروحيه وأما أن تتكلم في المجموع فالفاتحه تتحدث في المجموع كونها تتحدث عن القيم والمبادئ الروحانيه والماديه وكل ما يتحدث عنه القرآن من التفاصيل هو لما اجمل في فاتحه الكتاب وتربطها بالكليات وباصلاها العقائدي التوحيد فالغايه مرتبطه بالبدايه واخر دعوي المومنين هي الحمد لله فيقول الحق (واخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) فهي الحمد علي النعمه العامه لأن السور بعدها تفصيل لها ولهذا نجد أن سورة سبأ جاء فيها الحمد لله في البدايه وفي الآخرة لانه واقع بعد أن ترجع الا مور كلها اليه تعالى لانه تعالى الأول بلا بدايه والآخر بلا نهايه فمن لم يحظي باعانه الله وتوفيقه تخبط وانحرف فهي فيها تفصيل لما اجمل وابهم في الفاتحه

وكذلك نجد ان سورة الكهف استهل الحمد للعناصر الروحيه الصراف اي الحمد علي النعمه الروحيه القرآن الكريم الذي يربي به المومنين ويصلهم الي الصراط المستقيم

واما في سورة فاطر فقد تضمنت الحمد علي النعمه الماديه والروحيه وهنا في هذه السوره تتكلم عن نعمه العناصر الماديه اي أن منهج الله فيه تربيته الحياه الروحيه والحياه الماديه وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن الإسلام اعتمد علي عده عوامل في بناء الشخصية المسلمه ورسم معالمها من خلال اعتماد منهج يكفل تحقيق الغايه من خلق الانسان من معرفه الله وعبادته ومحبتة والقيام بواجب الخلافه وجعل لذلك منهجين الأول مايصبح العقل فيه من القوه والجله مايستنتج به الادله العقليه الذي يتجنب الخطاء والعتار من خلال الادله التي في الكون ويراهها الإنسان أمامه حيث لو وقفت عليه لتجلت لك قدره الله ووحدانيته فالدليل الأول هو انك تلا حظ أن الله خلق كل مخلوق لغايه وهدف وحكمه يسعي لتحقيقها فقال تعالى (الذي خلق السموات والأرض)

ولهذا استعمل الخلق وهو انشاء والايجاد من العدم لبيان سلطان وقهره وقدرته واستحقاقه وحده الألوهية و الربوبية والعبودية ثم ذكر بعدها (جعل الظلمات والنور)وجعل تستخدم بمعنى الایجاد من العدم بمعنى الخلق وتستخدم بمعنى انشاء شي من شي فأشارت النصوص الي تعاقب الليل والنهار فيه دليل آخر عقلي علي وجود الله وهيمنته علي الكون فاخبرنا أنه جعل نظام دقيق يحكم حركه الكون فالشمس لاتتعدى الحدود المقدره لها ولا القمر فلو لم يكن هنالك مدير ينظم حركه الكون لاختل نظام الكون فهذا الدليل لمن يريد التفكير في هذه الظاهره فهل هذا النظام الضخم يتحرك بهذه الدقه من تلقاء نفسه إن لم يكن هنالك فوقه مهيمن عظيم يتحكم فيه ويدير امره وايضا واما المنهج الثاني فهو المنهج الروحاني وهو الكتب السماوية ولهذا فإن وحده التصور التي تربط بين القيم الماديه والروحانية تجعل كل ما يصدر عن المسلم منسجمه مع بعضها البعض لان هيمنه عقيدة التوحيد تودي الي هذا التوازن وبودي الي الاطمئنان نتيجته الاتصال بالله تعالي ورعايته

المفهوم الثاني

أن الآيات ابتدأت بقوله تعالي (الحمد لله) يأمرنا أن نحمده تعالي وان تقصر الحمد عليه والحمد يقتضي أن يدرك الحامد أوصاف الكمال في المحمود ولهذا ساق بعدها من الادله العقليه علي وجوده وانفراده بالالوهيه والربوبيه و العبودية وحده لا شريك له في هذه الآيات نجد أنه عرض لنا عده اداله علي وجوده لنعرفه تعالي العرفان الصحيح ولنحذر أن نخطئ في اي خطوه في طريق البحث عن المستحق للالوهيه وحده لا شريك له فاخبرنا سبحانه ان المطلوب أن ندعو الله فهو الإله الحق ولهذا ذم من يدعو من دون الله من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا

المفهوم الثالث

أن الحمد انفعال بالنعمة وقد تكون النعمة من الحق مباشرة او بوسائطه ولهذا نجد أن السوره تتناول النعمة الماديه فتراها بوضوح وهي تنقل لنا مشاهد حيه للنعم لتطلع العباد علي احسان الله وحسنه تحمل ايقاعات تغوص في أعماق النفس الداخليه فتحذب القلوب إلي مشاهده قدره الله وجلاله وكماله وعظمته وتدخض أباطيل الشرك و البدع ليحصل الحب والمعرفة لله تعالي ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم نزلت سوره الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والأرض ترتج بهم والرسول يقول سبحان الله العظيم... ف السوره افتتحت بالحمد ثم تناولت النعمة الماديه التي تطلعنا علي احسان وحسن الله تعالي ورعايته وعنايته لأن الحمد لا بد أن يتيقن فيه العلم ولهذا نجد أنه تعالي قصر الحمد علي ذاته سبحانه وتعالى وهو حمد مطلوب من كل الخلائق لأن الله اوجد هذه المخلوقات من العدم ثم جعلها مسخره لهذا الانسان فالكون خلقه الله مجبور عندما قال للسموات والأرض أتيا طوعا أو كرها قلنا اتينا طائعين) فكلمه طائعين يدل علي التسخير وهوانه لاختيار لهن فقد خلق الله النواميس التي تتحرك بها هذه المخلوقات ولخدمه الإنسان فقد جعل الأرض بيتا للإنسان وهو ذو حجم هائل بالنسبه للانسان وهذه الأرض لاتساوي شيئا مقارنه بالكون فهي لاتساوي نقطه ولهذا جمع السموات وافردت الأرض نظرا لان مافي السماء من الآيات الداله علي ابداع الخالق وعظيم سلطانه أعظم واكبر مما في الأرض ولهذا فإن ابراهيم لفت انتباه مافي السموات من اداله فنظر إلي الكواكب والنجوم والشمس حتي عرف ربه وقد جمعت السموات في مائه وخمسين موضع وافردت في مائه وعشرين موضع وأغلب هذا الأفراد متعلق في الاشارة الي العلو للسماء وسفول الأرض كما قال تعالي (والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع) وجمعت السموات والأرض في موضع المماثله في قوله تعالي (الله الذي خلق سبع سنوات ومن الأرض مثلهن) بالعدد ولهذا فإن جمع السموات وأفراد الأرض إنما يكون في مقام عرض جلال الله وعظمته وجماله وقدرته وسلطانه وعلمه ليكون ذلك العرض ما يدعو الي النظر فيها فهي فيها اداله واسعه وأكثر من الأرض اي توجيه الأبصار الي ما وراء هذا الأفق الذي تعيش فيه والمحدد عليك أن تتجاوز موضع قدمك وانظر الي الكون كله فمن المسئول عن هذا الانضباط والدقه في الكون أنه الله فلو كان معه الهه لفسدتا ولاختل نظام الكون ف الله سبحانه يريد من الإنسان أن يتأمل ليعرف الله فهذا الكون يدل علي أنه تعالي الأول بلا بدايه والاخير بلا نهايه والأسباب كلها ترجع إليه ولهذا قال (وجعل الظلمات والنور)

وبالتالي فإن هذا يخرج الإنسان من غربته ومن حيرته وقلقه لأنه يتصل بالله ويطمئن الي رعايته وعنايته ويانس بجوراه فهو سبحانه وتعالى وان احتجبت ذاته المقدسه عن الأنظار فقد اقتضت رحمته أن يكشف للناس طرق التعرف عليه بمنهجان الأول التعرف من خلال هذه الاداله التي توجب الايمان بأن له ربا واحد فيكون معرفه الله وأما الثاني فهو المعرفه عن الله من خلال المنهج الرباني الذي يخبرك عن اسماءه وصفاته وكماله تعالى فلا ولي معرفه توجب الايمان والافتناع وأما الثانيه فهي التي توجب امتثال أمر الله والانصراف إليه تعالى دون سواء فتنفذ امره وان لم يدرك العقل معناه امتثالا لأمر الله وهذا يدل علي استحضر جمال الله وجلاله وكبرياه وعظمته مما يودي الي سلامه النفوس من الأهواء فترى أوامر الله انها جميله وتتلقاها بالقبول والرضي فتكون مطمئنا بما يختار الله لك بعكس الذي يستقبل أمر الله وقلبه خالي من الإيمان فإنه إذا عاش في فقر فإنه يسخط ويتذمر وان حصل له غناء اطمئن ..فهذا يعيش في قلق ينتج عنه الحقد والكراهية والحسد وبالتالي تفسد نظرتة للحياه فهو ينظر إليها من منطلق الجهل والظلمات التي أحاطت به أما المومن فإن رؤيه الاداله الكونيه تولد فيه حب الله والإقبال علي منهج برضا وقناعه تامه لانه يستعلي بالحق ولا ينخدع بالمظاهر الخادعه من المال و الرئاسة والجاه ولهذا فإن هذا العبد يعرف ربه بغناه وجوده وإحسانه وعطاءه ويعرف نفسه بفقره وجهله وضعفه وبالتالي فهو لايتعالي ولايتكبر علي من هم دونه ولا يذل لمن هم فوqe لانه يعرف أن اصله من تراب ويدرك أنه في اختيار وابتلاء فقال تعالى (وجعل الظلمات والنور) لأن المخلوقات الأخرى لم تشهد من صفات الخالق الا القهر والجبروت فهي مجبوره أما الإنسان فقد جعله الله مختارا فلم يتعامل الله معه بالجبر ولو علي الخير فالحق سبحانه وتعالى يقدر حربه الإنسان ويقرر مسؤوليته لم يفرض الايمان علي النفس ولم يمحو الكفر من الوجود انه لاينصر الدين بالخوراق ولايفتي أعداءه بالمعجزات أنه يترك النواميس تعمل عملها في الفرد والجماعه فإن فساد تصور الإنسان يعود إلي ظلمات الجهل ينظر إلي الامور العاجله ولاينظر الي ماخلق الله فإنه لو تأمل لشهد أن الله اكبرمن كل شي وان الإنسان لايساوي شئيا أما ماخلق الله وبالتالي لن يتكبر هذا الإنسان ولن يتعالي لو استحضر عظمه الله وجلاله وكبرياهه فيكون الامتثال لمنهج الله حينها وترى أنها جميله بالنظر الي ذات الله وجماله وعظمته وجلاله وايضا الي عطاءه عليك والطمع لما عنده وهذا يحتاج الي مراقبه الذات وان يكون قمع الأ هواء والاتصال بالله وحده لاشريك له والايمان باليقين انك سوف تبعت وتحاسب فتجمع في نظرتك للأمور ملذات الدنيا والاخره لماذا ؟

لانك جمعت الزميين والاجلين بالنظر الي الدنيا وملذاتها والنظر الي الاخره وملذاتها ولهذا يحصل معرفه الجمال الحقيقي للأمر فتنظر الي ملذات الدنيا أنها لاتساوي شيئا أما م العقوبه في الاخره علي إشباع الرغبه إذا خالفت منهج الله وأنه إذا صبرت وامتثلت فإنك تحصل علي النعيم الدائم ولهذا ذكر الله (وقضي اجلا وأجل مسمي عنده ثم انتم تمترون)

لبيان ان هذا التردد والشك ناتج عن عدم الإيمان بالبعث والتشور حقيقه فلو استحضر الموت وانك سوف تحاسب لكان اسراعك الي الطاعه لكن عدم ايمانك باليقين هو الذي يجعلك تنهاون في تنفيذ أمر الله

ثانيا

بعد إثبات اقتصار المدح والثناء بالله وحده وأنه خالق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور تأتي النصوص بقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

فالايات تبين أنه تعالى قد رتب علي عطاءه عليك وانعامه حقا واحد وهو. التوحيد فيقول الحق كيف لهذا الانسان أن يعيش فوق أرض هي ملك الله وياكل من طعام ساقه الله إليه ويشرب من ماء منحه إياه الله ويتنفس من هواء صنعه الله ثم يشرك بالله

فالإنسان لايملك مثقال ذرة من السموات والأرض ولا احد يدعي أنه شارك الله في ايجاد اي شي من هذه العناصر ف لا يزعم أحد أنه مسئول عن الهواء أو الماء أو الطعام وجميع الخلائق يعيشون علي ماخلق الله تعالى فأنت ايه الإ

إنسان تعيش معتمدا علي احسان الله عليك صحيح أن الإنسان إعطاءه الله عقلا ويمكن أن يحول مياه البحر الي مياه للشرب لكن هذا في نهايه الامر يعود إلي منح الله وانعامه عليك فأنت لم تأتي بشي جديد فالله هو مصدر النعم جل جلاله وهو سبحانه الخالق والمالك والمتصرف في كل شي ولو تعامل مع الإنسان بمنطق العدل لا الرحمه فإن الإنسان لاحقوق له ولكن رحمه الله اقتضت أن لا يحرمهم من انعامه فهو تعالي يسوق النعم للمومن والكافر وقد رتب علي ذلك حقا له تعالي علي عباده وهو التوحيد فقد ورد في الحديث عن معاذ قال كنت راكبا مع الرسول علي حمار فقال لي الرسول صلى الله عليه وسلم أتدري ما هو حق الله علي العباد وحق العباد علي الله قلت الله ورسوله أعلم قال الرسول صلى الله عليه وسلم فإن حق الله علي العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد علي الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا قلت يا رسول الله أفلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلموا)

ف الله قد جعل حقه هو التوحيد وهو تعالي اكبر من ان يجبر أحد علي توحيدة او عبادته فهو تعالي يريد توحيدا نابعا من ارده حره لا إكراه فيها ف الله لا يقبل الا توحيدا نابعا من الحب الخالص لله تعالي

ولهذا يقول لهم انكم تعترفون أن الأرض والسماوات ومن فيهن خلقهم الله ورغم هذه الاعترافات يشركون ب الله سواء بالحب أو الخوف أو العباده فالاصنام سواء كانت اجحارا أو بشرا أو انظمه أو قانونين هي معبودات من دون الله عندما تجعلها مساويه لله في الحب أو الخوف منها أو الخضوع لها فكيف تخضع لغير الله وكيف تتعلق بغير الله بعد ظهور هذه الحجج الباهره وبعد أن تشاهد مخلوقات الله وإبداعه فاستخدم (ثم) للتراخي لوجود مده بعيده

فهي معطوفه علي مساله خلق السماوات والأرض لوجود مده زمنييه بين خلقهم وخلق السماوات والأرض التي خلقت لخدمه الإنسان فقد اعد الله وجهز لادم المسكن من قبل وجودهم علي الارض فاخبرنا الله أنه بسبب كفرهم يميلون عن الحق الي ما سواه من الباطل أو أنها معطوفه علي جملة (الحمد لله... الخ

والمعني أنه تعالي حقيق بالحمد علي ما خلقه وسخره ثم الذين كفروا بربهم يميلون عنه فيكفرون نعمه والعدول هنا التسويه والمعني أنه تعالي خلق الاشياء التي لا يقدر عليها سواه ثم الذين كفروا يعدلون به جماد أو انسان أو غيره من المخلوقات وكلمه (ثم) لاستعباد الشرك مع وضوح الآيات

ثالثا

تبين الآيات ان الحمد أمر مقصور علي الله تعالي فهو الموصوف بصفات الكمال وحده لاشريك له ولهذا اختتم الا اليه بقوله تعالي (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

يتعجب كيف لابن آدم أن ينصرف الي مخلوف ليوصفه بالكمال ويسويه بالخالق معتبرا أن ذلك من الكافر شتم له تعالي فقد ورد في الحديث في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه (يشتمني ابن ادم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذبني وما ينبغي له أما شتمه فقله أن لي ولد وأما تكذيبي فقله ليس يعيدني كما بداني)

فالشتم هو الوصف بما يوحي أنه فيه النقص ولاشك أن دعوه الولد لله هي نقص وكذلك فإن الاشراك ب الله هو نقص في أي مظهر من المظاهر بالدعاء أو التدخل في التشريع ولهذا نجد أن الابه بعدها تعالج مساله إنكار البعث والعوده للحياه بعد الموت في إطار لفت الإنتباه الي النفس والنشاه والحياه فقال تعالي (وهو الذي خلقكم من طين ثم قضي اجلا وأجل مسمي عنده ثم انتم تمتمرون)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

الأمر الأول

افتتحت الابه بقوله تعالى (وهو الذي خلقكم من طين)

فالابه تعرف الإنسان بنفسه وتعرفه بربه فلا ينبغي للإنسان أن يكذب ربه كما ورد في الحديث فأراد الحق بهذا
تصحيح التصورات في الإنسان عن الله وان يغرس فيه الوعي بالله

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى أن أصل الانسان هو التراب الذي توطاه الاقدام فتأمل الي أصل من يستعلي علي
الله وينكره ويجحده كيف له أن يفعل ذلك وأن يتناسي أصله وفصله

فمن التراب أمر الله العظيم أن تقع المعجزاه فإذا نحن أمام كائن جديد هو الانسان كائن شرفته عنايه الله
فسخرت له الكون كله وكرامته الرعايه الربانيه فاسجدت له الأرض ودلتها لعقله كائن وقع عليه اختيار الله أن
يكون خليفه في الأرض وقد ميزك الله بالعقل والوعي الإنساني الذي يختلف عن الملائكه وبقية المخلوقات

فأنت تتساوي مع بقية المخلوقات انك بحاجه الي الله وعدم الاستغناء عن الرب وعدم القيام بنفسك ولهذا جعل
لهذا الانسان عمرا يعيشه في الدنيا واجلا في البرزخ ليكون بعته ومحاسبته علي أعماله في الدنيا ولهذا فإن الفرق
بين المومن والكافر هو أن المومن يدرك بوعيه أنه يحتاج الي رحمه الله وعوده أما الكافر يعيش عاليه علي انعام
الله رغم أنه يجحد المنعم

ولهذا فإذا أردت التميز علي عباده الكائنات في الكون فعليك أن تحافظ علي وعيك الذي تعرف به حقيقه وجودك
في الكون اذا اعترفت واقررت انك سيد ا من صنع الله وعبدا لرحمته وجلاله واذا سقط الوعي صار الإنسان أقل
منزله من الحيوان

الأمر الثاني

يخبرنا الحق أنه منح الإنسان العقل والعمر الذي يعيشه في الأرض ومنحه حريه الاختيار فلم يجبره كما هو حال
الكون المجهور ورتب علي ذلك مسؤوليه الإنسان عن أعماله فقال تعالى (ثم قضي اجلا وأجل مسمي عنده) عمرا
يعيشه في الدنيا.... واجلا مسمي عنده وهو يوم القيامة الذي يكون فيه البعث والحساب والعقاب وبالتالي فمن
غير المعقول أن تذهب الي إنكار واستبعاد البعث والنشور ف الله لم يخلق شيئاً عبثاً فسلسله الأسباب والمسببات
كلها في نظام العالم تنتهي الي الله سبحانه وتعالى فهل يمكن الشك في وجود الله الذي خلق السموات والأرض وا
لإنسان بهذا الشكل ثم هل هناك شك في قدره الله علي اعادةك الي الحياه فمن اوجدك من العدم اقدر علي اعادةك

وهذا فيه

المفهوم الاول

أن علي العاقل الايمان باليقين الجازم بالعقاب علي مخالفه أمر الله لأن الذي يومن بالله واليوم الآخر وأنه مسافر
الي الله والدار الآخرة لابد أن يكون متقين أنه لو ارتكب مخالفه أنه سوف يعاقب ولهذا فإن حالنا اننا ندعي الا
يمان بالثواب والعقاب واليوم الآخر ومع ذلك نرتكب المخالفات ؟

فهذا يدل اننا لم نومن باليقين بالبعث والتشور والحساب لانه لو كنا مومنين بلا شك لما اقترفنا الذنب فمن علم أن
مافي الإناء ماده قاتله من الموكد أنه لن يتناوله ومن علم انه إذا قفز من رأس جبل أنه سوف يموت لن يقفز ومن
يعلم انه اذا دخل الي القفص أنه سيجد وحشا مفترسا يأكله لن يدخل القفص

ولهذا فإن ارتكاب الجرائم التي حرمها الله يعني أن الناس في شك من حقيقه وقوع العذاب باليقين أو في شك
من البعث بذاته ولهذا فاللازم عليك أن تومن بالبعث إيمانا باليقين

المفهوم الثاني

علي العاقل الاجتهاد قبل حلول الأجل التهيؤ للوصول الحسن والتوجيه والعمل فلا يضيع وقته فيما لا منفعه فيه ف العمر محسوب والاجل اذا جاء انتقل الإنسان من دار الامتحان والتكليف الي دار الجزاء

رابعاً

يصف الله نفسه أنه موجود في كل مكان وهو مطلع علي الأقوال والافعال في السر والعلن والأعمال ويجازي عليها أن خيراً فخييراً وان شراً فشرراً فقال تعالي (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون)

فالنصوص فيها تصحيح تصور الإنسان عن الله بأنه ليس كمثل شي ولا يجوز حده بحد فهو في كل مكان ومطلع علي كل اطلاعه احاطه وعلم فالحق يريد أن يغرس في عباده عقيدة التوحيد التي تربط الكليات والجزئيات بهذا الأصل ويبين العلاقة بين فكره التوحيد والعمل علي تغيير الحياه فهو تعالي مطلع علي كل ما تكسبون من أعمال فالصله بين التوحيد والحركه كالصله بين اليقظه والعقل فإذا وجدت اليقظه تحركت تيارات الأفكار في العقل واذا وجد التوحيد تغيير شكل الحياه والمجتمع من سي الي افضل ولهذا فهم المومنون هذه الحقيقه فكان ذلك التغيير الذي أحدث انقلاب في الحياه ولننظر الي شكل المجتمع قبل بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم وشكل الحياه في المدينة المنورة بعد قيام دوله الموحدين فالفرق بين الظلمات والنور كالفرق بين التوحيد والشرك

أن ذلك التغيير كان نتيجة استقرار عقيدة التوحيد في نفوس المومنين وعملها في واقع الحياه فقد عرض الاسلام فكرته بشكل مترابط الكليات والجزئيات وربطها باصلها العقائدي التوحيد وبذلك كان اعاده تشكيل المجتمع المسلم وفق الصورة التي يريدتها الله فكان التوحيد هو المحرك لكل شي في حياه المسلم ينظر قبل أن يتحرك هل فعله موافقاً لمنهج الله ام لا؟

وكذلك إذا وردت خواطر الي نفسه استحضار وجود الله تعالي واطلاعه علي ذلك فحصل تنقيه الضمير ليكون حارساً علي قيم الحق في كل مجالات الحياه بالشعور بسلطان الله وقدرته وعلمه فقدره حق قدره

المقطع الثاني

بعد أن دعا الله العقل البشري للإنتباه الي من حوله والتفكر في الايات الكونيه التي يعرف بها العبد ربه الذي يتجلي علي عباده بالرحمه والقهر والفعال لما يريد فهذا هو الله يعرف من مخلوقاته فالعقل مكلف بالتهوض ومأمور بالبحث في آيات الله المشهوده ومعرفته الحقيقه من تلك الايات فعليك أن تنظر كيف يتحرك هذا الكون ؟

فسوف تشاهد أن له نظام دقيق منضبط في كل حركه يتحركها ؟

فاسأل نفسك من هو المسؤول عن هذه الدقه في الحركه للكون ؟

من اوجد هذه النواميس التي تحكم هذا الكون ؟

كيف هي حياه المخلوقات في هذا الكون من حيوانات وحشرات واسماك وكائنات بحريه انظر الي النظام الدقيق الذي يحكمها وينظم أمورها فاسأل نفسك من الذي اهم تلك الكائنات وزودها بالعواطف المتعلقة بالنوع وتأمل التناسل بينها وكيفيه التفاهم بينها البين

فإن امعان النظر يقتضي أن تعرف عظمه الصانع لهذا الكون ومافيه وأنه سبحانه وتعالى واحد احد فرد صمد لا شريك له وأنه المستحق للالوهيه وحده لا شريك والمستحق للعبوديه

وأنه تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً فهو قد أتقن صنع الكون وأوجد الإنسان المخلوق العجيب من الطين وميزه بالعقل وكرمه باحسن الهيئات ومكنه من الاستمتاع بما أودع الله في الأرض من خيرات وكنوز ولهذا ارسل الرسل وانزل إليهم الكتب السماوية التي تنظم حياه الناس وأحوالهم كي يتحرك الناس وفق نظام دقيق ينسجم مع حركة الكون ودفته أنه منهج الفطره ومع ذلك فإن هولاء المكذبون يعرضوا عن الحق ويجحدون آيات الله فقال تعالى

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انبأوا ما كانوا به يستهزون)

وبالوقوف علي مدلولات الايه

الأمر الأول

(العدول عن الخطاب الي الغيبه)

باعتبار أن الآيات قبلها كانت تتحدث عن أن الكفار يشركون مع الله كان فيه خطاب المتكلم بينما هنا جاء بالغيبه وهذا فيه التفات لغرض التشهير بهم فيقول الحق انه مع وجود الآيات الداله علي وحدانيه الله وأنه المستحق للا لوهيه وحده لاشريك له والمستحق للعبوديه دلالة قاطعه الموجب اتباعه وقبوله فماذا كانت النتيجة أنهم لايبالون بها ولايصغون لها سمعا فقد انصرفت قلوبهم الي غيرها وايضا في هذا الأسلوب تجديد النشاط للسامع بهذا الا لتفات بالخطاب لينظر الي الكفار نظره احتقار وازدراء وقد استعمل كلمه (تأتيهم) وهي فعل مضارع للدلاله علي التجديد وان كان الإتيان ماضيا بقريته المضي بقوله (الا كانوا) فإن هذا فيه أن الأعراض عن الحق صفة ثابتة فيهم فدللت الايه علي الدوام والاستمرار فهم لا يصغون الآيات بل يعرضون مع أن الواجب القبول والاستماع لها وعبر عن المجيء للجائي بالاتيان للتعبير عن البعد النفسي بينهم وبين مجئ الآيات فاستعمل اتي لأنها تستعمل للبعد للدلاله علي كمال مسارعتهم الي الأعراض كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي اولئك ينادون من مكان بعيد) لأن هولاء غير قابلين

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

يحذر الحق عباده من التعصب الذي لايقبل الآخرين فالايه تدم المتعصب للرأي بدون دليل يقتل قوي الإنسان الثلا ته العقل والغضب والحب لأنها تودي الي تعطيل قوي العلم التي ميز الله بها الانسان فعلم ادم الاسماء ليكون ذلك هو سر التفوق الذي ميزه علي المخلوقات وأمرهم أن يسجدوا لادم ليكون قادرا علي ضبط الحركة للوصول للغايه المقصودة من وجوده علي الارض بمعرفه الله وعبادته ومحبتة وتوحيده والقيام بامانه الخلافه وقد أخبرنا الله ان هذا يكون بالتخلص من الجهل والظلم لأن الإنسان كما يقول تعالى (كان ظلوما جهولا)

ولهذا فإن العلم بالماده والعلم بخالق الماده يزيل الجهل والاتصال ب الله يزيل الظلم... ولذلك أقام الله اداله العلم به سبحانه وتعالى في النفس والفطره التي تعرف ربها فكل مخلوق يجد بداخله ما يدفعه نحو حب ربه والرغبه با لاتصال به إذا سلمت من التشويه وكذلك أقام الادله الشاهده علي كماله وإبداعه في الكون فإذا فسدت قوي العلم بخالق الماده فإن هذا يعني نقص العقل وحصول القلق والاضطراب والشبهات والشرك والتقليد والتعصب وسقوط الوعي فيصيب بالشلل العقلي والشلل النفسي الناتج عن فساد قوي الشهوه والغضب حيث يكون إهدار الطاقات فيما لافائده منه فآخبرنا الله أن هولاء عطلو ادوات العلم نتيجة التعصب فلا يقبلون الاستماع أو النظر إلي الادله فطبيعه هذه المجتمعات هو الجمود والانغلاق فعبر الحق عن ذلك بالأعراض اي أنهم يرفضون التأمل والنظر و التفكير في صحه الآيات ويفضلون الأعراض مع توفر الادله القاطعه علي صحه الدعوه فدل هذا أن أعراضهم ليس لغموض الادله ولا لعدم كفاءه الداعيه في عرض الدعوه ولانقص الوسائل القادره علي إيصال المعلومه وانما يعود

إلى عدم الرغبة في قبول الحق فهذا الذي أقعدهم عن النظر والتأمل والتدبر فجاءت كلمه الأعراض للتعبير عن الصد عن القبول بالاداله والإقرار بما تشهد حقيقته نتيجته التعصب للرأي

المفهوم الثاني

تحذر الآيات المومنين من اصدار قرارات قبل أن تتبين حقيقه الحكم فعندما تعرض عليك مساله فاللازم عليك أن تحيط بها علما من جميع جوانبها وان تتمكن من الموضوع وهذا يكون من خلال جمع المعلومات وحسن الفهم ولهذا يذم الحق سبحانه وتعالى المشركون فاخبرنا أن هولاء كذبوا بالحق الذي جاء به القرآن قبل أن يفحصوا الا دله التي عرضت فهم كانوا يرفضون القبول ببحت الادله التي انزالها الله في القران وما يشاهدون من الآيات القاطعه علي وحدانيه الله وقدرته وكماله وصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ويرفضون التفاعل معها ثم يكذبون بالحق دون سماع ماجاء به ودون فهم ما حمله فالايه تحذر من هذا السلوك الذي لا يصدر الا من الحمقي و الجهلاء إذ كيف لعاقل أن يصدر قرارات في قضايا مصيرية مع نقص المعلومه وعدم الاحاطه فمن المؤكد أن مثل هذه القرارات تكون خاطئة

المفهوم الثالث

تبين النصوص إخطار العناد والكبر والإعجاب بالنفس والغرور والتقليد بانها من أسباب عدم الانتفاع بالعلم واليات فهذه الافات تشكل موانع وحواجز مانعه من قبول الحق وتصيب صاحبها بالعمي فلا يري الحقيقه فاخبرنا الله أنه ماينزل علي اهل مكة من القرآن الكريم وما يشاهدون من الآيات القاطعه علي وحدانيه الله وصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالاته لمن كانت فطرته سليمة إلا أن هولاء قد طمست فطرتهم ولهذا فإن تلقي هولاء الآيات هو الأعراض علي وجه التكذيب والاستهزاء مع توفر الاداله والعلامات علي صدق الدعوه الدعيه

الأمر الثاني

(الفرق بين من في قوله (وما تأتيهم من ايه) ومن في قوله (من آيات ربهم)

الاولي فيها النفي لقصد عموم الآيات التي أتت وتأتي واما الثانيه فهي تبعضيه (من آيات ربهم) اي كل دلالة تدل علي انفراد الله بالالهييه ومن ذلك آيات القرآن والاعجاز علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لاتوثر فيهم والا يه تعني علامه وهي أعم من المعجزه والكرامه لأن المعجزه يشترط فيها أن يتحدي بها من بكذبه بأن يقول إن فعلت كذا أتصدق باني صادق أو يقول له من يتحداه لا اصدق حتي تفعل كذا ويشترط في المتحدي به أن يكون مما يعجز عنده البشر في العاده المستمره وقد وقع للنبي صلى الله عليه وسلم النوعان في عده مواطن وسميت المعجزه لعجز من يقع عندهم ذلك من معارضتها فاشهر معجزاته القران ولهذا قال (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباؤا ما كانوا به يستهزون) حيث تحداهم أن ياتوا بمثله ولو بايه وهم أهل الفصاحه واشدهم اقتدرا علي الكلام فتحدهم أن ياتوا ولو بايه من مثله وجزم أنهم لم ولن يفعلوا فقد تحداهم من هذه الحيثيه ووجوه اعجاز القران من جهه حسن تأليفه والتثام كلماته وفصاحته وايجازه وبلاغته وغرابه أسلوبه مع كونه علي خلاف قواعد النظم والنثر الي ما اشتمل عليه من الاخبار عن المغيبيات مما وقع للأمم الماضيه مما كان لايعلمه الا أفرادا من أهل الكتاب والرسول صلى الله عليه وسلم لم يجلس الي معلم قط ولم يجتمع بأحد اجتمع معهم اضافه الي الهييه التي تقع عند سماعه وعدم الاملال والسأمه علي قارئه وسامعه مع تيسير حفظه لمتعلمه وتسهيل سرده لتاليه اضافه للمعجزات العلميه فلا ينكر ذلك إلا احمق جاهل أو مكابر معاند اضافه الي معجزات انشقاق القمر ونبع الماء من بين إصبعه وتكاثر الطعام والتحدي لليهود والنصاري بالمباهله وان يتمنوا الموت ولم يفعلوا لافي زمان الرسل ولا بعده وهم اشد الناس عدواه للإسلام وحرصهم علي افساده والصد عنه ومن ذلك اخبار القران بقصه

كفر ابو لهب وهو أشد الناس عدواه فلو كان القرآن ليس كلام الله كان يكفي ابو لهب أن يقول إنه مسلما ولو كذبا ليثبت أن ما ذكره القرآن غير صحيح فيما أخبر به ان ابو لهب كافر وسوف يموت علي كفره فالمعجزه هي عين المنهج واذاف الرب الي ضميرهم لبيان ان مجئ الآيات فيه المنفعه لهم لأن معجزه القرآن هي عين المنهج هي رحمه بهذه الامه فالحقيقه التي يقدمها القرآن في آياته معجزه بمستويات مختلفه ولها قدره علي إيصال المعلومه وهي تزيد كلما ازداد الإنسان علما فالمتامل فيها والمتدبر لاحكامها يحصل علي العلم النافع وكذلك فإن الذي ينظر نظره رغبه في معرفه الحق واستعداد لقبوله فإنه يتوصل الي الايمان بعظمه قدره ربه ويخشاه ولهذا اذاف الرب الي ضميرهم ليسجل عليهم العقوق لحق العبوديه لأن اللازم أن يأخذ من ربه العلم وينتفع به ويومن برسلك الله ولكن هولاء أعرضوا عن الحق فكل ماساقه الله لا يؤثر بهم فهم يعرضون عن الآيات ولهذا نجد إدغام المتماثلين الميم مع الميم في قوله (وما تأتيهم من) لبيان أنها لا تؤثر فيهم لا الآيات المشهوده ولا المسموعه وان المعجزه هي عين المنهج داخله فيه

الأمر الثالث

يعرض لنا الحق سبحانه وتعالى أسباب عدم انتفاع هولاء بالآيات يخبرنا لماذا لم تؤثر فيهم الآيات رغم أنها واضحه فيخبرنا الحق

أن هولاء منحرفون فقدوا قوه العلم والارده لانهم اردوا تطويع الدين لمصالحهم الذاتيه فالانغلاق واغلاق التعصب مانعه لهم من النهوض فهم لم يستقبلوا الآيات بالاستعظام ولم يقدره الخالق حق قدره رغم وضوح الآيات فذكر أعراضهم لبيان فساد قوه الحب والغضب لأن الأعراض عن الشيء إنما يكون لبغضه إياه لأن اصل الأعراض صرف الوجه عن النظر للشيء وهو يدل علي أن المعرض مكذب للخبر ومعرض عن سماعه وهذا فيه دلالة علي حاله الانغلاق والجمود وان هذه الامه متعصبه تعيش علي افكار الماضي وترفض أن تأخذ بأسباب التقدم والنهضة فهي امه غير قادره علي الخروج من حاله العجز والجمود والتخلف فتتنظر الي تقاليد الأسلاف أنها مصدر القوه وترفض القبول بالعلم فكان الأعراض هنا مجازي في معني آباء العلم والمعرفه فيشمل المعني الحقيقي بالنسبه للآيات المبصره ويشمل ترك الاستماع للقران ويشمل المكابره عن الاعتراف به مع كونه حقا بالنسبه للذين يسمعونه اي القرآن ومع ذلك يكابرون فالقران يصور المعركه بين الحق والباطل بأنها تبدأ بالأعراض ثم تنتقل الي التكذيب ثم الاستهزاء فهذه هي مراحل المعركه بين الحق والباطل فهم يعلمون صدق ما جاء به الحق ولكنهم يعرضون عنه لمنع الإتياع من الاستجابه كما قال تعالي (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

ولهذا تأتي الفاء الفصيحه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم)

اي كونهم كانوا عنها معرضين فإن هذا الأعراض دفعهم الي التكذيب بالحق لمنع الناس من أتباعه فهذا ليس لغموض الأدله ولاتقصير الداعيه وانما هذا عائدا الي المكابره والعناد فالناس فيهم مثل ما في الفراعنه فقد أنكر فرعون مع أنه متأكد من صدقها كما يقول تعالي (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا)

فالأعراض علامه التكذيب وهذا إنما يعود إلي نظرته الي الأمور نظره استعلاء وسوء التقدير للحقائق التي أمامهم وهو مايودي الي الغرور الذي يعمي البصيره ويفقده القدره علي فهم الأمور فهو يرى أن القوه في المال و الجاه والسلطان فيتصور أنه قادر علي مقاومه الحق ويتصور أنه قادر علي دحضه ولهذا فإن هذا طبعه الاستهزاء بالحق

الأمر الرابع

اختتم الايه بالتهديد أن عليهم انتظار العذاب الذي كانوا يستهزون به فالاصل أن الحق يجب اتباعه والشكر لله

علي ذلك وامثاله لكن هولاء قابلوه بالاعراض والتكذيب والاستهزاء ولهذا فقد استحقوا العقاب الشديد لأن هولاء كانوا قد اغتروا بالامهال والانتظار بأنه تعالي لم يؤخذهم في الدنيا بالعذاب فإن هذا لايعني الإهمال بل هو إهمال ولهذا جاء بحرف التسوييف (فسوف) لتأكيد حصوله في المستقبل واستعمل الإتيان هنا بمعنى الاصابه والحصول علي سبيل الاستعمار والانباء جمع الخبر الذي له اهميه لانهم كانوا ينكرون البعث كما قال تعالي في موضع آخر (واقسموا بالله جهد إيمانهم لايبعث الله من يموت بلي وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين)

ولهذا أطلق النبء هنا علي تحقيق مضمون الخبر كما قال تعالي في موضع (ولتعلمن نباوه بعد حين) اي تحقق فيه لأن النبء قد علم من قبل فجاء المد في قوله (انباؤا) تأكيد حصوله وأنه فيه الخبر العظيم وسيكون حصول العلم به علم حق اليقين وان عليهم الانتظار حتي يحل ذلك اليوم والعذاب جاء مجملا فلم يبين ماهو ولا كيف سوف يعذبهم وانما أخبرهم أنه عذاب عظيم ليتركهم يتوقعون حلوله في كل لحظه

الأمر الخامس

أن الحكم باستحقاق العذاب لهؤلاء جاء من جهه متعلق باعراضهم عن الحق وتكذبيهم ومحاربتهم الإسلام و الرسول صلى الله عليه وسلم يقول وجمعهم في الاستهزاء والتهديد بالعذاب مع أن الكفار كما عرفنا كانوا فريقين قله ظالمه هي التي عرقلت التطور ومنعت الناس من اتباع الحق لما لها من نظام سياسي جامد متسلط علي المجتمع لايسمح باي تطور وهي التي كذبت رغم علمها بصدق القران فقال تعالي (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون) وذكر أيضا أن كفر فرعون كان خوفا علي السلطان وان يومن العوام الذين هم الفريق الثاني الطبقة السفلي المهضومه الحقوق وقد شملهم التهديد في الايه وهنا قد يقول قائل لماذا وصفوا جميعا بالاعراض والتكذيب والاستهزاء مع أنهم لم يردوا علوا في الأرض ولافسادا وهم أول من يتضرر من سلوك الطبقة العليا فالجواب ؟

أن الطبقة السفلي قد تنازلت عن كرامتها وادميتها التي كرمها الله تعالي بها فهي ليس لها لا أدبيات ولا افكار وانما تخضع لما تطرح لهم الطبقة العليا من أفكار وأعراف وتقاليد فصارت عابده للطبقة العليا وهي تنفذ ما يصل إليها منها فقد قبلت أن تصدر اردتها وان يسقط وعيها فصارت هي عنصر أساسي تستمد منها الطبقة العليا قوتها في الظلم والاضطهاد والاستبداد والعلو والافساد في الأرض فقد قبلت أن تعيش في الأوهام وان تتحرك في دائره الشرك التي صنعتها الطبقة العليا فالتقليد يقتل روح الإنسان وادميته ويخبل العقل ويولد السفه والعجز عن التميز بين الحق والباطل فقد استطاعت ثقافه الاستبداد أن تغيب عنهم الوعي نتيجة القبول منهم لافكار وتصورات الأكاير فالتهديد شمل الجميع ليغرس فيهم المسؤليه وانهم محاسبون علي أعمالهم فيقول لهم احذروا من طاعه الأكاير وانتبهوا من الامعان في التظاهر بالبغي والتوقف عن مناصبه الله العداء فالنهايه مولمه عذاب عظيم

ثانيا

تمضي سياق النصوص في عرض الاداله وهنا يضع بين المخاطبين وهو خطاب لكل الناس الي يوم القيامة وان كان في خصوص السبب يتوجه الي المشركين في زمن نزول السوره فقال تعالي

(الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في لأرض مالم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأ نهار تجري من تحتها الأنهار فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

انها ابتدأت بالاستفهام الهمزه بعد جمله (فسوف يأتيهم انبأوا ما كانوا به يستهزون)

وهذا فيه استفهام انكاري عليهم من عدم رؤؤيه دليل الحدث التاريخي لما حصل للقرون السابقه من لدن آدم فأهل مكة كانوا يمارسون اعمال التجاره وهم يمرون علي اثار ثوم عاد وثمود وشعيب وقوم سباء وحمير وغيرها من الأمام ويشاهدون ماتبيقي من آثار ترشد الي مصارع الأمم الغابره فأراد الحق بهذا أن يرد علي اولئك الذين استبطؤا وعيده جهلا بأخذه ونهاونا ببطشه فيقول لهم أن عندكم الامثال من بأس الله وقوراعه فالله لم يقص القصص في القران عبثا وانما يريد بذلك الاتعاظ وأخذ العبرة وان الاعتبار لا يتحقق الا اذا قسنا أحوالهم بأموالنا وكاننا مشتركين في مقتضي الحكم فلولا أن في نفوس الناس ما في نفوس المكذبين للرسول مثل فرعون لم يكن بنا حاجه الي الاعتبار بمن لانشبهه قط ولهذا يقول الله أن الأمم الغابره مكناهم الله من أسباب القوه والعز والسلطان أكثر مما إعطاء اهل مكة من القوه والتمكين فما زالت آثارهم تتحدث عن ذلك العطاء فانظروا ما حل بهم من الهلاك والعذاب انظروا ما هي الأسباب التي جعلتهم يهاكون أن هولاء ارتكبوا المعصية ومخالفه أمر الله فاهلكهم الله بسبب هذه الذنوب

فاحذروا من الاستهزاء والتكذيب فيحل بكم ما حل بالامم السابقه

الأمر الثاني

يقول الحق أن فقدان العلم يعود إلي الغفله ولهذا يتوجه بهذا الاستفهام الذي يقرع جرس الانذار علي الاذان ويثير الاحساس وهو تعالي يخبرهم أنه جعل لكل شي سنن وأسباب وقوانين واقدار تحكمه واي خلل في التعامل معها يودي الي الفشل والهلاك ولهذا يقول لهم الحق لاتفتروا بما منحكم الله من أسباب القوه والتمكين بأن جعل مكة في أمن ومدكم بالارزق وهي لاتزرع فعليكم النظر إلي عواقب بطر النعم والتكذيب والاستهزاء بالحق فالله قد جعل لكل شي سنن لايمكن تفسير وقراءه الأحداث في مجالي الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها الا من خلال السنن التي تحكم الحياه فذكر الحق انه اعطي القرون الاولي من أسباب القوه والعز والتمكين في الأرض أكثر مما اعطي اهل مكة وأنه انزل عليهم الأمطار واغدق عليهم بالارزق فقال تعالي (فمكناهم في الأرض مالم نمكن لكم) ليظهر وجوه الفوت في القرون الاولي الماضيه في التمكين بأنه أعظم مما انتم فيه يا اهل مكة فهي اقوي مما انتم عليه ليدركوا أن سنن الله تعالي في اهلاك المكذبين لا تستثنى أحدا

فأراد بهذا التحذير لهم ليكون هذا التفاوت التي تظهره الآيات وسيله علاج لافات حب الرئاسة شهوه المال والجاه والسلطان والقوه لأنها افات وأمراض تخفي حتي صاحبها فلا يشعر أنه مريض لأن التعلق بهذه الأشياء مستلزم للغرور واساءه التقدير للحقائق فهو يري الأمور بصوره مغايره لحقيقتها فلا يفقه أسباب الهلاك ولاينظر الي أن هذه مقدمات توصل الي نتيجته وهي الهلاك ولهذا جاء الاستفهام لإنكار واقعهم كيف يشاهدون مصارع الأمم السابقه و لايستشعرون المسؤوليه ليخرجوا من مرضهم فعليهم استحضار وجود الله وعقاب الله لأن ذلك هو الذي يوقظ الفطره ويخرجها من حاله عدم الوعي

الأمر الثالث

تبيين الابيه أن أول نقطه الانطلاق هو استشعار ابعاد مهمه الخلافه في الأرض وإدراك قانون الخلافه الذي هو سنه من سنن الله ومفتاح المعرفه لقصه الإنسان علي الارض منذو ادم حتي ينشئ الله النشاه الاخره فالله عندما جعل ادم خليفه وسلمه مفتاح الأرض اشترط شرط وهو التوحيد واتباع منهج الله وأخبره أن شرف الخلافه للإنسان يكون بالاتصال بالله واتباع منهج الله وطاعته تعالي فيما ينزل علي رسله من كتب وأن الخروج عن طاعه الله يعني الخروج عن شرف الخلافه ولهذا فإن وجود سلطه لها مظاهر القوه وهم في المعاصي فإن هذه القوه بلا شرف وتكون معرضه للهلاك في كل لحظه لأنها أهون عند الله من بيوت العنكبوت ولهذا فمن يهدر قانون

الخلافه يكون عرضه للهلاك فقال تعالي هنا (فاهلكناهم بذنوبهم)

فالفاء فصيحته تقرر أنه تعالي أهلكنهم بالعذاب بسبب مخالفتهم أوامر الله فالسبب الحقيقي لهلاكهم هو الذنوب

فيقول الحق انظروا الي نهايه ولاتنظروا الي الامهال إذا أردتم أن تفسروا الأحداث فتروا العواقب لافعالكم
فعليكم تصحيح نظرتكم للأشياء فالمقدمات تقتضي النتائج ولايمكن التعامل مع الحياه دون استعياب هذه
السنن فمن لاينظر الي نهايه الطريق الذي يصل إليه من الموكد أنه سوف يسلك طريقا معوجا مظلما لامخرج له
منه فإذا أردت أن تعرف النهايه لطريقك فعليك أن تنظر لسنن الله في الحياه لتعرف نهايه طريقك فسنن الله
ماضيه لاتحابي أحد ولاتبديل لها

الأمر الرابع

يخبر الله عباده ان الاستخلاف امتحان وابتلاء لعباده فعندما يصل العبد الي أسباب القوه والتمكين والعز فعليه أن
يدرك ان عليه الوفاء بالعهد بطاعه الله والقيام بحمل امانه الخلافه وبالتالي أن يحاسب نفسه باستمرار وعليك الإ
نتباه من افات وأمراض اراده العلو في الأرض والفساد لأن هذا يعني الخروج عن شرف الخلافه واستحقاق العذاب
وهذه الأمراض لها وجود في النفس البشريه وهي تحتاج إلي التحصين بالمناعه التي تدفع هذه الآفات وذلك بـ
التطهر منها بالتريبيه والشعور برقابه الله والوسيله الثالثه أن تتردد بالعقوبه التي حلت بالمكذبين من الامم السابقه
ولهذا فإن علي الامه أن تحمي نفسها من خلال المراجعه المستمره وعليها تجديد خلاياها واستئصال الجزء
الخبث الذي يصيب جسدها لتجنب العقوبه من خلال سياده الشرع وقيم ومبادئ الشريعه علي الحكام و
المحكومين فالسعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ بنفسه فلو تذكر قوم عاد ما حل بقوم نوح ونبيهم يذكرهم
بذلك لما اهلكهم وانشاء من بعدهم قوم ثمود وهكذا يكون انشا الأجيال جيلا بعد جيل كما يخبرنا الحق سبحانه
وتعالي فقال (وانشانا من بعدهم قرنا آخرين)

والايه فيها أيضا

١

أن بطر النعم وعدم القيام بواجب الشكر لله المنعم وطاعته توجب سلب النعم وهلاك الامه لأنها استحققت غضب
الله

٢

أن الذنوب عندما تصير ظاهره وثقافه مجتمع فإنها تكون سببا في الهلاك ولهذا يحذر الحق الناس من أن يحل بهم
العذاب في الدنيا قبل الاخره وأنه لاسبيل للنجاه الا بطاعته تعالي فالمعاصي تحبس صاحبها وتمنعه من الصولان
والجولان في فضاء التوحيد وتحرمه من ثمرات ذلك والأعمال الصالحه التي تكون فيها سعاده بالدرين

٣

فيه لفت انتباه المخاطبين أن اهلاك الأمم الكثيره لم ينقص في ملكه تعالي شيئا ولايتعاضم علي هلاكهم فهو
القادر علي خلق مكانهم قوما آخرين يعمرن الأرض

ثالثا

(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيدهم لقال الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين)

الايه معطوفه علي قوله (وما تأتيهم من ايه من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين)

أن القرآن هو المعجزة وعين المنهج وان عجز العرب وأهل الكتاب أمام تحدي القرآن لهم هو أوضح معجزه وغيرها من الآيات التي تشهد علي حقيقه القرآن أنه منزل من عند الله ولهذا أخبرنا الله أنه مع ذلك الاعجاز كذبوا بالحق لما جاءهم.... مبينا أن المعجزة هي عين المنهج القرآن الكريم وان هذا هو الانفع لما وصلت إليه البشريه من النضج فلم تعد المعجزة الماديه ذات جدوي فمن لم ينتفع بهدايه القرآن ومعجزاته لن تنفعه اي معجزات لأن معجزات القرآن واضحه وكافيه ولاينكرها الا معاند واحمق غير قابل للحق فما يطلب هولاء معجزه وانما طلباتهم عائده الي شدة اللجاج والدد في الخصومه وإصرارهم وعنادهم للحق فيقول الحق (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين)

ف الله تبيّن الآتي

الامر الأول

أن أعراضهم ليس لضعف البرهان والمعجزه ولا لغموضه ولا أن العقول تختلف بشأنه فالمشاهد الآيات الكونية فيها الدليل الواضح الذي يغني عن المعجزات الماديه والآيات كلما زاد العلم زاد اكتشاف مافيه من اعجاز كلما تقدمت البشريه توكد صدق القرآن فالذي لايقبل الايمان بما جاء به القرآن يكون شاكا بالمشاهد ه وهذا لاينفع معه حتي لو انزل الله علي رسوله القرآن دفعه واحده مكتوب في صحف يملسونه بأيديهم وليس بمجرد النظر بأعينهم فإن هو لاء لن يومنوا به وسوف يزعمون أن هذا سحر واضح

الأمر الثاني

يحذر الحق من العناد والجدل بالباطل لأجل الجدل لا لأجل معرفه الحقيقه فإن من كان هذا طبعه فإنه يدخل نفق مظلم لايجد له مخرجا ولن تجد دليلا قادرا علي إقناعه لأن العناد يبعدة عن الرشد ولهذا فإن الجدل مع هولاء مضيعه للوقت لانهم إنما يطرحون من مقترحات وافكار لا يهدفون من ذلك ارداه اكتشاف الحقيقه وانما هولاء يريدون التعجيز فهم لايرغبون بالحقيقه ويعيطنا الله مثلا لهذا النموذج القبيح من الناس ما حصل من المكذبين من قريش حيث طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم من السماء كتابا يرونه فقالوا (ولن نومن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا... الخ

ماورد في سوره الاسراء من الطلبات التعجيزيه التي استعانوا باليهود لطرحة علي الرسول قاصدين به التعجيز ومنع الإتياع من الإيمان. وان زعموا أن ذلك شرطا ليومنوا

فأخبر الله أنهم قالوا ذلك لغرض التعجيز وأنه لو استجيب لما طلبوا لما امنوا كما قال تعالي (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلواالي قوله (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورن) وكما قال تعالي (ولو نزلنا اليهم الملائكه وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا .. الخ

وقال تعالي (أن الذين حقت عليهم كلمه ربك لا يومنون ولو جاءتهم بكل ايه) وقال تعالي (وان يروا كل ايه لا يومنون)

فالايه ترسم لنا صوره مذمومه قبيحه لنفوس هولاء بأنها لاتقبل الحق وانهم يستمرون في وضع الحواجز لاعاقه انتشار الدعوه في ابعث صوره فهم لن يقبلوا حتي لو شاهدوا بأعينهم نزول القرآن من السماء ولمسوه بأيديهم فإنهم سوف يغالطون أنفسهم ويغالطون اقوامهم لستر مكابرتهم وسوف يدعون أن هذا سحر واضح فهم يهدفون من ذلك الدعايه الاعلاميه لتضليل الجماهير وتصغير أمر الرسول لصرف الناس عنه

رابعا

تمضي سياق النصوص في نقل جوانب من فساد تصور هولاء وأساليب محاربتهم الاسلام ووسائلهم بأنها لها صور

متعدده وتجدد باستمرار فالآيات ترسم لنا طبيعته المعركه الاعلاميه بين الحق والباطل حيث أنهم يثيرون الشبهات حول شخص الرسول والرساله لتشكك عائقا وحاجزا يمنع الناس من اتباع الحق والايمان بالرسول و الرساله فهم يختلقون جمله من الافتراءات التي تلقي في النفوس الضعيفه الربيه وتحمل علي الاضطراب وعدم الايمان ومن أعظم هذه الشبهات

ادعائهم أن الرسول لا يكون بشرا فلا بد أن يكون من الملائكه وهذه الشبهه وردت علي السن أقوام الرسل كلهم وذلك لأن اول شي يبدأ صاحب الدعوه به أن يبيث أفكاره ومعتقداته بين الناس ساعيا بذلك لتحقيق الاقتناع بشخصه وبما يحمل من فكر ودعوه وهذه المرحله يكون إقناع الناس بشخص الداعي وكسب ثقتهم من أهم المراحل واصعبها واشقها ولهذا فإن أصحاب المصالح ا لظغاه الذين يرون أن

اقتناع الناس بالرسول سوف يجعلهم محل ثقتهم ومحل الصدق الذي لا يرتب ولهذا يلجأ الظغاه الي اختلاق الشبهات للتشكيك بشخص الداعي وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى أن المشركين قالوا (وقالوا لولا انزل عليه ملك)

هذا هو المقترح ولم تبين النصوص ماذا يريدون من انزال الملك المقترح لكن ذكرت نصوص القرآن في مواضع أخرى ما الذي يريدونه من هذا المقترح فقال تعالي (وقالوا ما ل هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لو لا انزل إليه ملك فيكون معه نذيرا)

فقولهم هذا علي سبيل التعنت فهم يرون أن الرساله لاتكون الا علي ايدي الملائكه

ولهذا نجد أن الحق يزيل هذه الشبهات فقال تعالي (ولو انزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون)

الأمر الأول

أن مقترحهم يدل علي جهل هولاء بطبيعته الملائكه وأعمالهم فهم مكلفون بالنزول في حاله العذاب ولو نزلت لكان ذلك فيه هلاكهم فالله يقول (ومانزل الملائكه الا بالحق وما كانوا إذا منظرين)

وان عدم انزلهم وهم علي هذه الحاله من الكفر هو رحمه من الله وامهال لعلهم يتوبون فنزول الملائكه إنما يكون لعذاب الاستئصال فالله يقول في موضع آخر (يوم يرون الملائكه لا بشري يومئذ للمجرمين)

ولهذا جاء هنا (ثم) للتنبيه أنه لو نزلت الملائكه فلن يكون هنالك إمهال اذا لم يؤمنوا وسوف يعجل بالهلاك فمن رحمه الله أن لا يستجيب لمقترحاتهم

الأمر الثاني

تبين النصوص أنه علي قدر واقعيه الرساله يكون نصيبها من النجاح وعلي قدر انسانيه الرسول يكون إدراك الناس لطبيعته الرساله الواقعيه فالناس إنما يعرفون الرساله من خلال شخصية الرسول

فالرسول ليس من الملائكه وانما هو انسان مثلهم إنما يوحى اليه والسماء لاتنزل رسالتها الوحا وقواطيس ولهذا يقول الحق أنه لو انزل ملك فسوف يكون علي هئيه صورته انسان حتي يتمكن من مخاطبتهم وليفهموه لبيان ان واقعيه الرساله أمر مهم ليحصل اقامه الحجه ولهذا فإن الأمر سوف يختلط عليهم مثلما حدث فهولاء لا يريدون اتباع الحق وانما غرضهم اثاره الشبهات قاصدين من ذلك تحطيم مكانه الرسول ومهابته عند الناس لينصرف الناس عن الاقتدي به وان لا يسمع له

خامسا

يقول الحق ان المعجزه الماديه لم تعد ذا جدوي في مرحله النضج البشري لأن الرساله الاخيره ليست مخصصه بقوم وزمان محدد وانما هي لكل الناس في كل زمان ومكان فكانت معجزه القران هي المناسبه لآخر الرسالات ف الله يقول في موضع (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ولقد أتينا ثمود الناقه مبصره فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)

ولهذا فإنه لو انزل الملائكه ولم تومنوا لحل بكم العذاب ولذلك فإن سنه الله اقتضت في هذه المرحله أن يجعل المعجزه هي عين المنهج وهذا من رحمه الله ولذلك اضافها الي الرب فقال (وما تأتيهم من ايه من آيات ربهم)

فقد ورد في الحديث عن عبدالله بن مسعود أنه قال كنا نعد الآيات بركه وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضله ماء فجاوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي علي الطهور المبارك والبركه من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل)

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يوجه الأنظار الي التأمل فيما حل بالامم السابقه لأنها كذبت بعد نزول الايات الماديه فقال تعالى (الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم...الخ

فطبيعه الكفار واحده في التكذيب والاستهزاء بالرسالات والاذيه للرسول فقال تعالى (ولقد استهزي برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون)

ولم يفصل هنا أوجه الاستهزاء بالرسول لكن ذكر هذا في موضع أخري

فقد قال تعالى برد فعل قوم نوح علي دعوته للابيمان (فقال الموت الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكه ماسمعنا بهذا في أباءنا الأولين)

وذكر ما حل بهم فقال تعالى (فاخذهم الطوفان وهم ظالمون)

وذكر الاستهزاء بيهود من قومه فقال تعالى (أن نقول الا اعترك بعض الهتنا بسوء) فقال تعالى (أرسلنا عليهم الريح العقيم)

وذكر ما قال قوم صالح له (يا صالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين)

وقال عن العذاب الذي حل بهم (وأخذت الذين ظلموا الصيحه فأصبحوا في ديارهم جاثمين)

وقال عن استهزاء قوم لوط (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوا ال لوط من قريبتكم)

وقال تعالى عن العقاب (فجعلنا عاليها سافلها)

وقالوا عن شعيب (قالوا إنما أنت من المسحرين)

وخطب فرعون واصفا موسى فقال تعالى عن ذلك (قال أن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون)

فقد كان الكفار يهدفون من هذه الدعايه التي شنوها ضد الرسول عليهم السلام الصد لدين الله وبلغ بهم الأمر أن يطلبوا انزال العذاب الذي يتوعدهم به الانبياء وهذا ما فعله المشركون ولهذا فإن الايه فيه تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ما يسمعه من هولاء ليس أمرا جديدا فقد قالوا ذلك للرسول قبله

المقطع الثالث

بعد أن ذكرت النصوص طبيعه الكفار المتشابهه في التكذيب والاستهزاء بالرسالات والرسول وان ذلك هو منع انزل المعجزات الماديه لانه إنما يكون انزال الآيات تخويفاً لأنها مرتبطه بجيل وبعدها يحل العذاب ولهذا كانت معجزه الرسول صلي الله عليه وسلم يقول هي عين المنهج وهذا من فضل الله أن جعل معرفه الوحي هي سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم

ولهذا يقول الحق بعده (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبه المكذبين قل لمن مافي السموات والأرض قل لله كتب علي نفسه الرحمه ليجمعنكم الي يوم القيامه لاريب فيه

اولا

تبين النصوص المنهج العقلي الاسلامي في تفسير الظواهر الكونية والحوادث في الحياه بأنها لها سنن وقوانين تتحرك علي أساسها وان أي خلل في التعامل مع هذه السنن سيفضي الي الفشل ووقوع الازمات والكوارث فالله يقول في موضع (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

فيقول لنا الحق أن العلم بهذه السنن لايتاتي إلا بمعرفه الوحي واستصحابها كدليل عمل وتعامل للاستدلال علب اطرادها وان التحقق بفاعليتها إنما يتم من خلال السير في الأرض والتوغل في تاريخ الشعوب والأمم وتاريخ النبوه وملاحظه قوانين سقوط ونهوض الحضارات

وان هذه السنن لاتحابي أحد حتي نحن المسلمين فلا بد من استيعاب السنن وأنه لاسبيل للنهوض والبناء الحضاري والوقايه من الازمات الا إذا تميزنا باستيعاب هديه معرفه الوحي الي هذه السنن وحسن تسخيرها وكيفية التعامل معها وفهم قوانين الاشياء الماديه وقوانين الخلق وقوانين الثواب والعقاب لنجمع بين العلم بالماده وخالق الماده فمعرفه الوحي تعطيك تجارب الأمم السابقه كنماذج للتدريب والاقتراء من خلال النظر إلي ماكانت عليه الامم في جانبي الخير والنشر فالإسلام جعل اثار الأمم السابقه ايه من آيات الله الناطقه بما حل بالمكذبين لنحذر الوقوع فيما وقع به المكذبين ولنعرف الأسباب التي حصل النجاه والفوز بها للمومنين ولهذا فإن الناظرون لهذه الآيات نوعان

الأول ما سبق وأن أخبرنا الله به (الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتها.... الخ

فالآيات تذم المشركين لانهم لم يروا نهايه الجحود والتكذيب والاستهزاء بالرسالات والرسول فما السبب أنهم لم ينتفعوا بالدليل التاريخي أن هولاء اساءوا التقدير للحقائق فقراءتهم لم تكن صحيحة لانهم لم ينظروا الي أحوالهم وما فيها من تشابهه مع أحوال المكذبين ولم ينظروا أن تلك المقدمات التي ارتكبها الكفار السابقون هي التي أحدثت النتيجة أو نظروا إليها ولم يتصوروا أنها سنه وقانون تواصل الي نتيجته وهي الهلاك فقد نظروا الي أنفسهم أنهم لديهم من القوه والتمكين ما يمنع عنهم العقاب

ولهذا فإن النظرة التي يأمر الله بها المومنون هي تلك النظرة التي تصطبح هديه الوحي لتنزيل الواقع فالرسول صلي الله عليه وسلم عندما مر وأصحابه بموضع الخسف والعذاب قال (لاتدخلوا علي هولاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم)

أي خشيه ان يصيبكم ما أصابهم من العذاب لماذا لأنها ايه من آيات الله يجب استقبالها بالجد والشعور بالمسؤولية وبخطوره الموقف فالعلم يوجب الخشيه من الله ولهذا أمرهم بالبكاء لانه الباعث علي التفكير والاعتبار فكانه أمرهم بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالي علي اولئك الكفار مع تمكينه لهم في الأرض وامهالهم

مده طويله ثم ايقاع نغمته بهم وشده عذابه وهو سبحانه وتعالى مقلب القلوب فلا يأمن المومن أن تكون عاقبته الي مثل ذلك والتفكير أيضا في مقابله اولئك لنعمه الله عليهم بالكفر واهمالهم اعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به والطاعه له فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارا باحوالهم فقد شابههم في الإهمال ودل علي قساوه قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجره ذلك الي العمل بمثل أعمالهم فيصبه ما أصابهم ومن كان هذا طبعه فلا تنفع معه الادله حتي لو نزل له كتابا في قرطاس فلمسه بيده كما أخبرنا الله تعالى

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الصحابه والمسلمين كيف يكون قراءه الدليل التاريخي وما فيه من آثار عن هلاك تلك الأمم حتي تسترد الامه فاعليتها وترجع الي الصواب فتتنظر الي ما حل بالامم السابقه علي انها ايه تعبر عن نهايه الانحراف والتكذيب والاستهزاء ولهذا فإن من التحريف للآيات المتعلقة بما حل بالمكذبين أن تري البعض يتباهي بتلك الآثار لأنها تدل علي تاريخ أجداده العصاه وما وصلوا إليه من حضاره كما هو حالنا في اليمن ونحن نتعني بآثار أهل سباء بمأرب وحال المصريين وهم يتباهون ويتغنون بآثار الفراعنه بدلا من أن نجعل الناس ينظرون إلي نهايه الكفر والجحود بما حل بهؤلاء ليحذر الناس من أن يسلكوا طريقهم

فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو قد أخبره الله أنه ماكان ليعذب القوم وهو فيهم فقد ذكرت عائشه أنه كان اذا راي مخيله (السحاب التي تأتي فيها المطر) من السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا امطرت السماء سري عنه (أي كشف عنه) فعرفته عائشه ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم مادري لعله كما قال فلما رأوه عارضا مستقبلا اودبتهم)

اي اشار الي أن هذه المواقف تقتضي الخوف ووجوب تذكر ما يذهل المرء عنه مما وقع للامم الخاليه والتحذير من تسلك سبيلهم خشيه في وقوع مثل ما أصابهم

ثانيا

بالوقوف علي الآيات نجد أنها تعطينا حورا بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الكفار حول قضايا اصول التوحيد (الايمان بالله وافراده بالعباده والواحدنيه) والايمان باليوم الآخر والبعث والنشور والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالرساله

حيث ذكرت النصوص الشبهات التي اثارها الكفار ضد رساله الاسلام ضد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان الرد علي تلك الاباطيل مبينا أن مقابله الدعوه بالتكذيب والرسول بالانبي هو طبع الكفار في كل زمان تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم مما لاقاه من المكذبين وهنا تنتقل النصوص الي أسلوب آخر في الحوار مع المشركين أنه اسلوب السؤال والجواب وطلب حضور العقل فقال تعالى (قل لمن مافي السموات والأرض قل لله... الخ

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن علي الداعيه الاهتمام بتنوع الادله والأساليب فلا يكون منه اعتماد أسلوب واحد في عرض فكرته لان ذلك يولد الملل لدي المستمع بعكس التنوع فإنه يولد النشاط لسماح مايلقي وكذلك فإن تعدد الادله وتظايرها علي مطلوب واحد تولد في النفس قوه قبول لما تقول لأن الإسلام لايرغم الناس علي اعتناقه بالقوه بل يقوم علي الاقتناع الذي يكون ثمرته الايمان ولهذا فهو يحاور العقل ويطلب حضوره ومشاركته القضايا التي يطرحها للحوار ولهذا فإن تعدد الاداله وتنوع الأساليب حول المطلوب إقناع الناس به أمر مهم لانه اذا لم يعقل الدليل الاول او لم ينجذب الي ما فيه فإن الأسلوب الثاني يجعله ينيير الطريق له وحينها يبدأ بالبحث في الدليل الاول فيكون ذلك دافعا لمعرفة ما فاتة فيكون ذلك دافعا لاعمال العقل للوصول إلي الاقتناع الذي ثمرته الايمان فالعقيد الاسلاميه هي من أطلقت العنان للفكر للنظر والتأمل في الحياه في كل المسائل دون الغيبات التي لاتثبت الا بالسمع ولهذا

فقد كان من معجزه القرآن اعتماد المنهج العقلي في تفسير الظواهر الكونية من مطر ورعد وبرق وما نشاهد من نجوم وكوكب وشمس وقمر وبحار وانهار وصيف وشتاء تدل علي وحدانيه الله تعالى

الأمر الثاني

عليك أن تفهم عندما تقوم بتعريف الناس بالله وانت تعلن أنه دين التوحيد أن تحرص علي أن تغرس في النفوس نقطه البدء في عقيدة التوحيد ولهذا نجد أنه يقرر للنبي صلي أن يأتي بالجواب عنهم عن السؤال لمن مافي السموات والأرض... فيقول (قل لله) فهم لا ينكرون هذه الحقيقه فأتيان السائل بالجواب يحسن اذا كان ماياتي به هو مايعتقده المسؤل وما يجب عنه لو ترك له أن يجب ف الله قد أخبرنا أن المشركون لم يكونوا ينكرون هذه الحقيقه (لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)

ولهذا فإن قيام السائل بالاجابه التي يسبق إليها المسؤل عنها ليبيني عليه سببا آخر من لوزامه مما يجهله المسؤل عنه اوبغفله ولما كان المشركون لا ينكرون أن الكون ومافيه وما عليه كلها من مخلوقات الله ولكنهم لا يرتبون علي ذلك الاعتراف نتائج منطقيه لأن من لوازم الاعتراف بملكه الله لكل مافي الكون تعني الإقرار بأن له الملك والأمر والسلطان لله علي مخلوقاته فمن خلق يكون له الأمر فالإقرار بأنه اكبر من الكون الظاهر والخفي تعني أن الله اكبر فهذه الصوره التي ينبغي أن تملأ عقل الموحدين بالله وبالتالي فهو المستحق للالوهيه وحده لا شريك والمستحق للعبوديه واللازم أن تقدره حق قدره فهو اكبر من كل شي وفوق كل شي وخالق كل شي

فمن له الخلق فله الأمر (الا له الخلق والأمر)

ولهذا يقول لنا الله إن هذا الكون وماعليه من خلق الله له سنن وقوانين وقواعد يسير عليها ولايرتبط شي منها إلا بتلك السنن الثابته فلا يؤثر فيها أحد ولا يؤثر هي نفسها بأحد لأنها خلق من الله لاتملك من أمر نفسها ولا من أمر سواها شيئا

ولهذا يقول لنا الحق أن كل ما في الكون يتحرك وفق سنن وقوانين وكذلك فإن الانسان والحياء محكوم بسنن ونواميس وقوانين وان الفرق بينهما أن الإنسان مسؤل عن عمله وأقواله وأفعاله بينما الكون مجبور خلقه الله لغايه هي عباده الله وهو تسخيرها لخدمه هذا الانسان وهذا من رحمه الله بهذا الإنسان ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي الاهتداء الي استيعاب هذه السنن ولذلك فإن من رحمه الله أن أرسل الرسل يحملون المنهج الربانيه التي يكون بها الاهتداء الي المطلب الرباني فلم يوكل إليهم الاهتداء لما في فطرتهم من معرفه لربها ولهذا فقد جعل الله معرفه الوحي هي دليل التعامل مع الكون لقيام الإنسان بالعمران علي الأرض ولهذا فعلي الإنسان أن يدرس الظواهر الكونية ويتعامل مع الكون علي أساسها حتي يتمكن من تحقيق الهدف من خلقها وهو تسخيرها للإنسان فالقران لم يهدف إلي تفسير الظواهر فحسب بل هدف الي إيضاح وجود السنن وعلي الإنسان أدركها فهو تعالي خلق الكون لخدمه الإنسان واشتراط عليه عندما سلمه مفتاح الأرض شرط التوحيد وأن يلتزم بالمنهج الرباني الذي يحقق الانسجام بين حركه الإنسان والكون

فقد اعد الله الأرض لتكون سكنا للإنسان قبل أن يخلق الإنسان فقد ورد في الحديث ان الرسول الله صلي الله عليه وسلم قال كان الله ولاشيغييره وكان عرشه علي الماء.... وقال الرسول صلي الله عليه وسلم أيضا لما قضي الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش أن رحمتي سبقت غضبي... الخ

والمراد بكتابه هو اللوح المحفوظ مثلما قال تعالي (كتب الله لاغلبن انا ورسلي)

وكذلك هنا قوله (كتب الله علي نفسه الرحمه ليجمعنكم الي يوم القيامه لاريب فيه)

اي قضي في كتابه أنه تعالي جعل معرفه الوحي هي سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل ليكون الإنسان علي بينه

من أمره وفعله في الشده والرخاء واليسر والعسر كما جعله أمام مسؤوليته عما يفعل بعد أن منحه حريه الاختيار وهذه المسؤوليه فرع تلك الحريه ودليلها

فالله لم يخلق شيئاً عبثاً وانما لحكمه فالنظر الي مخلوقات الله ترشدك الي المعاد فهذا التدبير الدقيق للكون يدل أن له اله حكيم فلا يفعل شيئاً وكذلك فإن هذا يدل علي كمال قدرته وكمال علمه فالاسباب كلها تنتهي الي الله فهو الأول بلا بدايه والاخير بلا نهايه فاخبرنا أن الخاسرون هم الذين يجحدون الثواب والعقاب والبعث و النشور فهولاء يخسرون أنفسهم لانهم لايستعدون لهذا اليوم فالحق يبين أن انزال المنهج وإرسال الرسل هو من رحمته تعالي التي سبقت غضبه فالرحمه مقتضي ذاته المقدسه وأما الغضب فإنه متوقف علي سابق عمل من العبد فقال تعالي (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)

وايضا فإن ذكر الرحمه فيه بيان أن رحمه الله سابقه علي فعل الإنسان فقد خلق الناس ووسع لهم بالارزاق وانما يقع العذاب علي كفرهم فالرحمه تمنح دون استحقاق أما الغضب فيكون نتيجة لمن ارتكاب الآثام فهو يصدر عن الذنوب والمعاصي ولذلك ذكر أن الخساره هي خساره النفس لأنهم رفضوا الايمان

الأمر الثالث

أن الحق سبحانه وتعالى يذكر من صفاته لما يرغب في طاعته فقال تعالي (قل لمن مافي السموات والأرض قل لله كتب علي نفسه الرحمه ليجمعنكم الي يوم القيامه لاريب فيه)

فيقول لنا إذا اقررتم بأن الله له الخلق والملك فاعلموا أنه سبحانه قد كتب علي نفسه الرحمه التزامها واوجبهها علي ذاته تفضلا واحسانا لانه تعالي منزه عن أن يجب عليه شئ حقيقه

ولهذا فمن مقتضي رحمته أن يرسل الرسل يبينوا لكم أنه يجمعكم ليوم القيامه ليجازيكم علي اعمالكم ويحذرونكم عقابه فارسل الرسل رحمه للعالمين ف الله يقول في موضع آخر (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين) باقامه الحججه و يبين لكم الطريق الموصل الي الغايه فالإنسان من لحظه ولادته الي موته يسجل عليه أعماله ولهذا يخبرهم الله انه كتب علي نفسه الرحمه فهو لا يحاسب الإنسان إلا بحدود الأفعال الاختياريه الصادره منه أما الأفعال التي تكون خارج أردته فلا يسأل عليها واتبع ذلك بالقسم (ليجمعنكم الي يوم القيامه لاريب فيه) و الجمع هو البعث للحساب والعقاب

وفي التحذير من هذا اليوم من رحمه الله كونه يودي الي تهذيب النفوس بالخوف من العقاب والعذاب في هذا اليوم فيكون ذلك دافعا الي ترك المعاصي والقضاء علي الظلم

الأمر الرابع

رتب الحق علي عدم الإيمان باليوم الآخر خساره الإنسان لنفسه فقال تعالي (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)

خساره النفس هنا تعطيل أعمال العقل وإفساد قوي العقل الإيمانية المنطقيه للاشعار أنه عدم الإيمان تسبب بخسرتهم لان الايمان باليوم الآخر وما فيها من سعادته دائمه أو شقاء دائم ومعرفة ما فيه من نعيم

للمؤمنين وما فيه من عذاب للمكذبين العصاه يكون الحافز القوي الباعث علي تحمل مشقه الطاعه عندما يدرك أنه مسئول عن ما أودع الله له من عقل وحواس يفقه بها ويميز بها الخير من الشر ولهذا فإن الذي لا يؤمن يخسر عقله ويعطله لانه يعيش للغرائز ويصير كالحيونات يعيش ليأكل فهذا يخسر كرامته ولا يهتدي بما إعطاه الله من الفطره فخرسان النفس مترتبة علي عدم الإيمان لانه لا يجتهد للوصول الي الغايه فلا ينظر أن لحياته قيمه فتكون الدنيا لهذا الخاسر غايه فهو يعمل مجتهدا لتحقيق رغباته وسعادته في الدنيا إما المؤمن فإنه ينظر إلي

الدنيا أنها وسيله للوصول إلي الآخره التي فيها السعاده وهي الغايه وبالتالي فإنه يجتهد من خلال هذه الوسيله للوصول إلي الغايه التي فيها السعاده وفيها يكون أما النجاح أو الفشل ولهذا فإن الخاسر هو الذي لا يومن لانه يخرج عن دائره الرحمه الخاصه

فالإيمان باليوم الآخر يولد قوه ارداه وعزيمه لطاعته تعالي وتحمل المشقه بالفوز والفلاح في الدين والدنيا لا يتم الا بالعلم والعمل فالمعرفه تكون حافظا للعمل سواء كان فردا أو جماعه أو امه

ثالثا

ويخير الله عباده ان له كل ما حل بالليل والنهار بعدما ذكر ملكيته لكل شي في كل مكان (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله) وهنا يذكر ملكيته لكل شي يحل في الزمان (ما سكن بالليل والنهار)

وأنه تعالي يسمع الدعاء ويعلم بأحوال الناس فهم في قبضته وعلمه وهذا للاشاره علي قدرته الجزاء والعقاب وبالعدل وايضا لبيان انه ليس كمثله شي

فهو سبحانه المتفرد باحديته في الوجود والحكم انفرادا لامثيل له في انفراد أحد بالوجود والحكم وله الربوبيه الكامله علي كل ماسكن وتحرك (قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

المبحث الأول

ابتدأت الايه بالأمر الإلهي لنبيه (قل) والرسول صلى الله عليه وسلم يلتزم بامانه البلاغ فيبلغ ما أمره الله تعالي مثلما أمره الله ..والحق يريد بهذا أن يستخرج من الناس الاجابه لانهم لا يحدون ردا غير ما يجيب به الرسول صلى الله عليه وسلم كما علمه ربه

والقول المأمور به لحقه استنكار (اغير الله اتخذ وليا)

وهذا الإنكار يعيظنا الله فيه جوابا الهواجس التي ترد علي الخاطر وتدعوا الإنسان الي طلب الاستنصار والمعونه من مخلوق مثله

وفيه جوابا إنكار علي من يدعوا الآخرين الي الاعتماد علي مخلوق وطلب معونتهم لانهم عاجزون ومعرضون للهلاك والغيار أما الله فهو حي دائم لا يموت وهو القادر علي كل شي فذكر أنه فاطر السموات والأرض بينما المخلوقات قابله للغيار

ولهذا يقول الحق أن المومن اذا وضع له الخيار بين اختيار ولايه الله أو ولايه الناس أو المال أو الجاه والسلطان

فعليه أن يختار الولي الذي يجده في كل وقت عندما يحتاج إليه وفي كل مكان لأن من يتخذ المال وليا فإنه معرض للغيار من الغني الي الفقر ومن اتخذ السلطان وليا من دون الله فإنه يركن الي من هو معرض للغيار ف المومن يعتمد علي الله في نصرته مما يحل به ومعونته فهو الحي الدائم الذي لا يموت ولهذا جاء الإنكار متبوعا بقوله (فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)

اي كيف يكون منكم مشاهده ايات الله وانعامه عليكم ثم يكون الاستعانه وطلب العون والدعاء والاستغاثه ممن لا يخلق شيئا وهو عاجز عن نصرته أو اعانتك بل هو عاجز عن دفع الضرر عن نفسه فهذه الأوثان والاولياء موصوفه بالعجز والضعف وانتفت عنهم الأسباب التي تكون دافعه للدعاء لهم فمن كان بحاجه الي الطعام وغير قائم بنفسه ومحتاج الي من يرزقه وهو مخلوق كيف تتخذه وليا ؟

فمن تحصن بالقوه أو المال أو الجاه أو الرئاسه أو الاحجار أو أي شي من ما ينظر إليها مصدر العز والاستعلاء فإن هذا واهم فهي أو هن من خيوط العنكبوت وانما العزه بولايه الله فهو سبحانه وتعالى يقول (والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير . الخ

ولهذا فإن المومن لا يتخذ وليا الا الله الذي بيده كل شي

والاسلام ينكر علينا أن نتخذ وليا غير الله وهنا قد يقول قائل اننا نجد أن الله يصف المومنين فيقول (بعضهم أولياء بعض) فكيف يكون مع قوله تعالى هنا (اغير الله اتخذ وليا)

أن الحق سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه خلق الكون وسخره للإنسان وأنه تعالى جعل الناس متفاوتون في المواهب والقدرات والفوراق في الكفاءات ليكون التكامل بالحياه بينهم فالمقاول يحتاج إلى العامل البسيط وبدونه لا يستطيع إنجاز العمل وكذلك هو بحاجه الى المهندس الذي يضع التصاميم المعمارية وهكذا فإن هذا التفاوت لأجل التكامل والتعاون بين أفراد المجتمع للقيام بال عمران علي الأرض تنفيذاً لأمر الله ولكن لا يعني هذا النظر إلي أسباب الفوراق أنها هي التي تحقق النفع والضرر

فولايه المومنين هي ولايه لله وفي الله حيث يكون الاشتراك في طاعه الله للعمل في إطار التآخي والتراحم لإرضاء الله فلا يكون ولاء المومنون في الوسائط بل في الغايه لان الأسباب كلها تنتهي الي الله فأنت عندما تطلب من المومنين العون والمساعدة والنصره علي الأعداء والكفار مثلاً فإن هذا لا يعني أنهم أولياء معبودين لانك تنظر إليهم أنهم أسباب يسخرهم الله تعالى فأنت تسلم زمام امورك لله لا غيره وبالتالي فإن ذلك ليس استغاثة بمعني العبوديه التي جاء النهي عنها والتي كان عليها المشركين وهي لاختلاف أنها شرك في الاعتقاد

ولهذا فإن الاستفهام اقوي قوه في إظهار الولاء الخالص لله والثبات عليه حتي تلاقي الله وانت ثابت علي عهدك وتظهر هذه القوه من خلال إنكار مولاه اي شي من غير الله اولاً ثم الإقبال علي مولاته سبحانه ثانياً وفي هذه العمليه اثاره العقل وغرس لعظمه الله في النفوس ومواجهه لمن يدعون من دون الله ومن يستعان بهم من البشر أو الجماد أو الملائكه فالله اكبر من الأنبياء ومن الملائكه ومن الكواكب والنجوم فكل شئ ملكه وفي قبضته حينها يلقي الإنسان بكيانه كله خالصاً لله تعالى الذي له صفات الكمال وليس كمثل شئ

المبحث الثاني

أن المسلم يستعلي بالله وبربوبيته تعالى ويطمئن الي عنايته ورعايته استعلاء المومن الواثق باليقين بربه وأنه له الكمال ولا يعجزه شئ

ولهذا نجد أن الله يعلم نبيه كيف يربي أمتة علي الشعور بكمال الله وقدرته فالإنسان يكون في مواقف أما أن يكون بالاختذ بالاسباب والسنن تجاوزه واحيانا يجد نفسه في مواقف ليس في مكتسب الإنسان وظروفه تجاوز هذه الأحوال كونها خارجه عن نطاق قدرته ولهذا يلجاء الي الله بالدعاء طالباً العون فهو القادر على كل شي . ولهذا نجد أنه يذكر بعدها (فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)

اي أنه تعالى من خلق السموات والأرض وابداعهما علي تلك الصوره المذهله قال ابن عباس ما عرفت معني فاطر السموات والأرض حتي أتاني اعريبان يختصمان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها اي ابتدعتها

ولما كانت الماده التي خلقت منها السموات والأرض كانتا كتله واحده دخانيه ففتق رتقها وفصل منها اجرام السموات والأرض وهذا الشق ضرباً من الفطر فالله يقول (الم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما)

فدل هذا علي قدره الله تعالى وبالتالي فإنه من غير المعقول أن تتوجه الي غير الله طالباً العون والمساعدة فـ

الكون فيه دليل قدرته تعالي وانعامه ف الله استغني بذاته عن سواه وافتقر اليه ما عداه فهو الخالق ومشيئته تنفذ بمجرد توجهها الي الشئ تشاء أردته سبحانه وتعالى الخلق فيأمر الكون بالمثل بين يديه حضورا من العدم طائعين أو كارها فيمثل الكون ساجدا بين يديه للطاعة فقال تعالي في موضع آخر عن فتح السموات والأرض (ثم تستوي الي السماء وهي دخان فقال لها وللأرض اتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين)

وقد شاءت رحمته أن يفيض علي الإنسان أن يجعل الكون مسخرا للإنسان يجد فيها عطاء خالقه ف الله أعطانا قبل أن تسأله ورحمنا قبل أن نتضرع إليه فكيف نسمح لقلوبنا أن يكون فيها سواه فالناظر العارف ب الله عندما ينظر إلي العالم يجدون الحب قانونا حاكما في الوجود يرون عطاء الله سببا في ميلاد الكون والإنسان ويحسون أن رحمه الله نسيج يشف به ثوب الكون علي رحابته وجلاله وهم يرون أن الله قد خلقنا ليتفضل علينا بحبه وخلقنا ليتفضل علينا بأن يسمح لنا بحبه فالمومن يشعر أنه محتاج الي الله وأنه لا يستغني عن ربه ابدأ ف الله غني عن العالمين فهو يقول (يايها الناس انتم الفقراء الي الله والله هو الغني الحميد)

وهنا يقول لنا الله (وهو يطعم ولا يطعم) بأن الله هو الذي يرزق الخلائق وهو الغني المطلق فليس يحتاج الي رزق وهو يقول (وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون أن الله هو الرزق ذو القوة المتين)

ف الله عندما دعانا الي عبادته افهمنا أنه تبارك وتعالى غني عن انتظار الرزق من المخلوقات إنما هو الذي يرزق الناس ويطعمهم وأعظم رزق يسوقه إليهم هو دعوتهم الي عبادته ومحبتة ومعرفته وتوحيده

فتشحب كل انواع الرزق جوار هذا الرزق وتنفذ انواع الرزق ويبقي هذا الرزق رزق يتمثل في الأذن لعباده أن يعرفوه والسماح لهم أن يعبدوه لولا لطفه بالخلق لتركهم يولدون ويهلكون أقل مما تولد الاشياء وتهلك لولا هذا الحنان من لدنه ما عرفنا أن لنا خالقا نتجه إليه ببذل الدعاء ونعرف في الذل مجد العبودية فالعقيدة الاسلاميه تحدثنا أنه تعالي الغني عن عباده العابدين وهو المتعالي عن إنكار المنكرين فلو كفر الانس والجن لن ينقص من ملكه شي وما خدشوا شيئا من حاله ولو عبده كلهم مازاد في ملكه شي فالكون المرئي والمخفي كله يعيش عالي علي الله عز وجل فليس شي في الوجود من يقوم بنفسه من الخلائق ولهذا قال البعض أن المراد بقوله يطعم ولا يطعم.. تعني معني الصمد اي السيد الذي يلجاء إليه عند النوائب والشدائد والحوائج فالعرب تطلق لفظ الصمد علي السيد العظيم وعلي الشئ المصمت الذي لا جوف له

فإذا علمنا هذا فاعلم ان الله هو الصمد الذي يكون الملجاء إليه عند الشدئد أما غيره فهم مخلوقات يحتاجون الي الاطعمه ولا يستطيعون العيش بدون الطعام فالاحري بهم أن لا يتخذون أولياء من غير الله الرزق الفعال لما يريد

المبحث الثالث

بعد ان بينت النصوص أن المومن يحمد الله لذاته فهو سبحانه وتعالى المستحق الحمد والثناء وحده لا شريك له ثم بينت النصوص أمرا آخر نحمد الله عليه وهو اننا نطمع بما عنده من الانعام والعز والنصره والقوه فهو الذي نطلب منه الغوث وازاله الشده والاستنصار علي الأعداء ورفع المكروبات وكذلك نشكره ونحمده علي ما انعم علينا من الانعام.. ونطمع أن ينعم علينا في الاخره راجين أن ندخل الجنة ونحمده خوف عذابه فقال تعالي (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)

والايه احتوت علي الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الايه بكلمه (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم)

فالرسول صلى الله عليه وسلم ينقل للناس ما تأتيه من أوامر ربانيه ليبين لنا أنه لا يدعي لنفسه بشي وإنما هو عبد لله مأمور ينفذ أوامر الله يقول لنا أنه بشر مثلنا لكن الله اختاره لحمل الرساله وهي نعمه من الله

الامر الثاني

يعلن اسلامه وتسليم زمام أموره لله تعالي مخبرا أن أوامر الله ينبغي أن يكون التلقي لها بالتعظيم والرغبه والا متثال دون غصاضه أو تردد ولهذا يعلن أنه أول من يلتزم بأمر الله من امه الاسلام بتحويل النظريات التي تحملها النصوص الي اعمال فالمسلم عليه أن يبيع نفسه لله ليكون لله وحده خاضعا له وحده لاشريك له

الأمر الثالث

يبين لنا الحق أن علي الداعيه أن يكون أول من يلتزم بأمر الله ليكون قدوه فعليه أن يترجم النظرية العلميه الي أفعال تطبيقيه فلا يكون القدوه مجرد منظر... يدعو الناس الي اتباع أو أمر الحق دون أن يسبقهم الي ترجمه ذلك فاللازم عليك أن تبادر الي التطبيق العملي قبل الإلتباع ولهذا يعلن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أول من يلتزم بأمر الله بالاسلام والاندعان وهذا فيه أخباره أنه لا يدعو الي اي شي الا كان أول من ينفذه فهو أول من أسلم من أمته و ليس اول من اسلم من جميع الناس لأن القرآن قد أخبرنا أن إبراهيم امره الله بالإسلام فقال أسلمت كما قال ال تعالي (إذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين)

وقد أخبرنا عن يوسف أنه قال (توفني مسلما والحقني بالصالحين)

واخبرنا عن اسلام لوط وأسرته فقال تعالي (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

ولهذا فإن اسلام الرسول صلى الله عليه وسلم يعني أنه أول من أسلم من امه الاسلام وليس من جميع الناس لأن الإسلام قبله

الأمر الرابع

ينقل الرسول للناس ما أمره ربه أنه امره بالإسلام والخضوع له تعالي والانقياد وهذا في كل أمر فيكون لله خالسا في انقياده ولهذا ذكر بعدها (ولا تكونن من المشركين)

وقال لي ربي لا تكونن من المشركين في أي أمر من الأوامر وهذا يعني الاخلاص فتكون لله خالسا لاتستبقي لنفسك شي من قول أو عمل ولا لمخلوق فكل شيء تتوجه به الي الله تعالي

الأمر الخامس

أن تقديم حثيات اعلان الاستسلام والانقياد لله بأن قال (قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم) ثم أعلن الاسلام الخالص لله (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم) ثم اتبعه بإعلان البراءه و المفاصله مع المشركين وإعلان القطيعه مع الشرك (ولا تكونن من المشركين) فتقديم الحثيات لبيان اهميه الاعتراف بالحقوق وأولها حق الله فأنكر أن يتخذ وليا غير الله وهنا يقول إنه اسلام خالص لله فلا يمكن أن يشرك بالله باي شي لأن هذا ادخال شي يفسد استسلامه وتعطيل لحق الله وهو عبادته ولا تشرك به شيئا ولهذا جاء ل اخبار بصيغه (قل) لبيان انه لا يأتي بشي من عنده وإنما ينفذ أمر الله للتحذير من العمل بالهوي لأن ذلك يعطل الأحكام ويصيب النفوس بأمراض الرياء والكبر وعندها تنعود النفس في تعطيل الحقوق وأفعال الباطل ولا تستوحش لعظم حق تعطل ولا لعظيم باطل فعل ولهذا يعلن الرسول البراءه والمفاصله مع المشركين (ولا تكونن من المشركين) فلا يخاف من رده فعلهم لانه عظم جلال الله في نفسه تمكن وجل موضعه من قلبه فصغر عنده كل ماسوي الله لعظم ذلك الجلال الإلهي وهذا يعود الي تعظيمه نعمه الله عليه وإحساسه بلطف الله وإحسانه فقال

تعالى (وهو يطعم ولا يطعم) فصغر ماسواه فاخلص في اسلامه لله فحق الثناء إنما يكون لله وحده فهو رب العظمه والكبرياء

المبحث الرابع

يستمر الحق بنقل أوامره علي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ومن يصرف عنه عذاب يومئذ فقد رحمه ذلك الفوز العظيم)

تبين النصوص أن من دعائم الايمان الاشفاق بالنظر الي العذاب الذي أعده الله للمتمردين والعصاه والمشركين ف العصيان يوجب العذاب الذي توعد الله به من يعصيه والحديث عن الخوف صادر عن النبي المعصوم من ارتكاب المعاصي فلماذا جاء الأمر له بقول ذلك ؟

الأمر الأول

أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينقل عن ربه للمومنين طريق النجاه ووسائل ذلك فقال لهم في بدايه انه اول من يبادر بالعمل بالعلم الذي عرفه عن ربه أنه المستحق للالوهيه والربوبيه والعبودية وحده لا شريك له فقال تعالى (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)

فهو ينزه ربه عن الشبهات والشرك فلا تشبيه ولا تعطيل فهو يعبد الله وحده ولا يسأل الا الله ولا يدعوا الا الله فهو قد علم من الآيات الكونية من فطر السموات والأرض وما أخبره ربه ما عرف به كمال ربه وأنه المعبود وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته وعلي إثبات ما له تعالى من الصفات والكمال الذي يليق بجلال الله وعظمته إثباتا ب لا تمثيل ولا تشبيه وتنزيها من التعطيل فأخبر الناس بذلك عن تعظيم ربه ومحبه حب اجلال وتعظيم وخضوع كما أخبره ربه فبلغ أمته ف الله اكمل به الدين واتم النعمه فبلغ البلاغ المبين وتلقي الصحابه عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال ونعوته وجلاله فأمنوا به وكان امتثال الرسول لأمر ربه والعمل بما علم بأن انقاد لأمر الله بالصدق والإخلاص واقتدي به الصحابه والتابعين لهم بإحسان الي يوم الدين وان تدعو الله كما قال (ادعوني استجب لكم) وقال (ولله الاسماء الحسنى فادعوه..الخ

الله يقول (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات)

فالتمسك بحبل الله المتين والاستسلام والاذعان والخضوع لأمر الله هو الطريق الوحيد للوصول إلي ولايه الله التي تعني رعايته وعنايته لك

الأمر الثاني

ثم يخبرهم الحق أن الخطوه الثانيه للنجاه بعد العمل بالعلم هو التحرز بالخوف من العاقبه التي انت صائر إليها فيقول (انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم)

اي اطيع الله بالعمل الصالح الذي اقدمه لنفسي حرزا يحفظها من سوء المصير فاللازم أن تكون منشغل بإصلاح ح الي كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فلا تحدثن نفسك بخطيئه ولا تصرن علي صغيره وافزع الي الله عند كل فاقه وافتقر اليه عند كل حال وتوكل عليه في كل أمر

فقول ربنا الله والتخلي عن الالهه الباطله يقتضي الثبات والاستمرار علي الاستقامه الصادقه حتي تلقي الله تعالى وانت علي ذلك لتجد الملائكه نستقبلك بالبشري (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكه الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنه...الخ

الأمر الثالث

يعني أن عليك أن تطع الله في معصيه الناس ولا تطع الناس في معصيه الله وهذا فيه اهميه اصلاح قوي الحب و
البغض بأن يكون الحب لله والبغض في الله

والخوف لا يكون إلا بعد اليقين وهو اربعة انواع الأول خوف المريرين لان من دواعي الايمان الخوف لان الا
يمان التصديق باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ولهذا فإن الايمان الحقيقي بهذا اليوم يشكل قوه خشيه
تدفع الجريمة لان الايمان يجعل المرء يبغض الحرام خوفا من سخط الله وغضبه فهدفه هو أن ينال رضاء الله
ورحمته ولذلك فهو يتقرب إلى الله بالطاعات ويبتعد عن المعاصي فعلاطات خوف الايمان مفارقه المعاصي و
الذنوب الحسيه والمعنويه وخوف العلماء علامته الخشيه والاشفاق والورع فالعلم بيوم القيامه يولد الاشفاق من
النار وهذا يعني الابتعاد عن المعاصي والعلم بما عند الله من النعم يولد الزهد عن الدنيا وهو خوف الفوت ولهذا
يبدل جهده في طلب مرضات الله بوجود الهيئه والاجلال لله وهو خوف الصديقين

والمقام الرابع في الخوف خص الله به الملائكه والأنبياء عليهم السلام وهو خوف الاعظام لانهم امنون في أنفسهم
بامان الله لهم فخوفهم تعبدتهم الله اجلالا واعظاما

الأمر الرابع

تشير الايه الي عدل الله وأنه لامحاباه في هذا اليوم لأحد مهما كان عظيما وأنه لايشفع عند أحد إلا بإذنه فلا
سلطان لأحد الا لله وان هذا اليوم شاق يتطلب الاستعداد له بالأعمال الصالحة والتقرب لله

فإذا كان النبي المعصوم خائفا من العصيان وهو لم يعصي ولن يعصي الله فأراد الحق بهذا أن يأتي بهذا البيان بأن
قساوه القلب وخلوه من الخوف يعني الغفله التي تجعلك لاتنظر إلي عواقب الأمور

فأراد بهذا أن تكون في يقظه ولا تنظر إلي أن اعمالك انها هي التي فيها دخول الجنه والفوز فمن انت مقارنه ب
الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو معصوم ومن جهه أخرى فان الخوف واستحضار الثواب والعقاب يعني أنك
يجب أن تكون ذاكرة الله علي الدوام وطالبا رحمته سبحانه وتعالى فالنجاه لاتكون بالأعمال الصادره منك بل
برحمه الله فأنت عليك أن تبتعد عن المعاصي وان تتقرب الي الله بالطاعات لتنال رحمه الله لأن هنالك قوه
جاذبيه تشد الإنسان الي الماديات والسفول كأنها تضطره اضطرار إلي ما فيه عذابك فالعصيان قوه جذاب تجذب ا
لإنسان الي النار. لأن النار منشأها سخط الله وغضبه وبالتالي فأنت بحاجة الي اليقظه التي تجعلك ذاكرة الله علي
الدوام وتدعوه تعالي أن يشملك برحمته فقال تعالي (ومن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ذلك الفوز العظيم)

١

حيث نجد أنه سم الفاعل (فقد رحمه) وبالتالي فإن المراد بهذا أنه من يبعد الله عنه العذاب يوم القيامه من خلقه
فإن هذا قد حظي برحمه الله وعنايته فكان القراءه بفتح الياء وكسر الراء (ومن يصرف)

هي اولي من القراءه بضم الياء وفتح الراء لانه لو كان ذلك لكان الجواب مبني للمجهول دون تسميه الفاعل ولو
كان ذلك لقال (فقد رحم)

٢

اشار الي أمرين بقوله (ذلك) الأمر الأول صرف الله عنه العذاب أي من يصرف العذاب عنه من خلقه
يوم القيامه والأمر الثاني رحمته إياه بان انجاه من الهلكه كما قال (فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز)

ولهذا فهم ان الفوز الواضح هو دخول الجنة برحمه الله فذكر النعمه يورث المحبه

المبحث الخامس

تبيين النصوص التصور الإسلامي لما يدور في الحياه من أحداث بأن الايمان بالله يستوجب الايمان بقضاه
وقدره فمن صفات الله أنه الفعال لما يريد ولا يكون شي الا بارداته ولا يخرج شي عن مشئته ولا يصدر الا عن
تدبيره خلق الخلق وأفعالهم وقدر اجالهم وارزقهم

وبالتالي فإن المومن هو الذي يعبد الله ويستعين به فلا يفزع علي ما أصابه ولا يجزع علي ما فاته فقال تعالي
(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو علي كل شي قدير وهو القاهر فوق عباده وهو
الحكيم الخبير)

والايه وردت في إطار الدعوه الي ترك التعلق بغير الله في كل أمر فما الذي يدعوا الي التعلق بالمخلوقات وتعرض
النفس للشرك والهلال فهل هذا يعود إلي طلب جلب النفع ودفع الضرر لان المشركون كانوا ينظرون إلي الأصنام وا
لاخبار والجن والملائكه والصالحين ادوات تجلب النفع وتدفع الضرر وهكذا هو حال الكثيرون الذين يتعلقون ب
الناس أما رجاء منفعتهم أو خوف ضررهم ولهذا جاءت الآيات لتصحيح التصورات الفاسده

الأمر الأول

يخاطب الرسول الكفار قائلا كيف لي ان اتخذ وليا غير الله فما الحاجه لذلك وانا اعلم علم اليقين أن ازمه الأمور
بيده ومصادرها من قضاه وبالتالي فاني اجد انسا بالله من كل أليف وان صبت المصائب عليا من كل جهه فالأ
نس بالله والاستغاثه به فهو سبحانه وتعالى اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه فازمه الأمور بيده
ومصادرها من قضاه فما حل بك من مرض أو قحط ومجاعه وفقر وتسلط الأعداء والشده والضيق أو اي
مكروب فإن ذلك مس من الله وكذلك فإن ما يصيبك من رخاء أو رفايه وسعه عيش ومال وجاه وسلطان فإن
هذا ايضا من الله تعالي فهو الفعال لما يريد وانه لا توجد قوه تستطيع أن تصرف عنك الضرر الا الله وحده فهو
الذي يكشف الضرر لأن أسبابها بيده ولهذا فعليك الاستغاثه في طلب ازاله الشده والغوث والنصره لما حل من
مكروب ومصائب بك من الله فإن مفتاح الفرج من هذه الازمات بيد الله لأن مصادرها من قضاه فهو تعالي
وحده القادر علي رفع الضرر عنك ولا يقدر علي ذلك غيره وكذلك فإن أردت أن يستمر النعيم في حياتك أو تطلبها
فإن ذلك بيد الله وحده فعليك أن تطلب ذلك من الله فهو سبحانه وتعالى لا يعجزه شي

وبالتالي فمن الشرك الاستغاثه بغير الله أو تدعوا غيره فالشرك بالدعاء سواء كان دعاء العباده أو دعاء المساله
وكذلك لا يكون الاستعانه بغير الله فلا يوجد مبرر الشرك بالله

الأمر الثاني

أن الحق يريد أن يعلم المومنين عقيدته التوحيد فأخبرهم أنه لا يجوز الاعتقاد بوجود اي شي في الوجود مؤثرا في
الحياه الا الله تعالي فهو بيده كل شي ولهذا جاءت النصوص فيها استعراض لقدره الله وتدبيره بما يتصل بحياه
الناس فأخبرهم أن مصادر الازمات من قضاه تعالي وبالتالي فلا كاشف اي لاصارف لها إلا الله تعالي فهو يكشف
الضرر عن عباده أن اراد وان الأصنام والبشر وكل من في الوجود عاجزون عن دفع الضرر عن أنفسهم أو جلب النفع
فمن كان عاجزا عن نفع نفسه أو منع الضرر عنها كيف يكون طلب النصرة منه أو كشف الضرر أو جلب المنفعة ؟

فهذا دليل آخر علي أنه لا يجوز لعاقل أن يتخذ من غير الله أولياء لانه لا يرفع الضرر الا الله وحده لاشريك له وأنه
أن يعقد عليك بالنعم فهو وحده القادر علي حفظه وادمته فلا يقدر علي ذلك غيره

فاللازم أن تعرف أن ذلك كله من الله تعالي وهو القادر علي الفعل ولا يمتنع عنه شي وغيره عاجز لا ينعف ولا يضر

الأمر الثالث

إذا علمت أن الله تعالى وحده الذي يرفع الضرر ويجلب المنفعة فإن هذا يوجب عليك أن تلجأ الي الله إذا أصابك مكروه فالمومن الصادق يستناصر بالله ليصرف عنه العذاب وحده لا شريك له وهو تعالى يكشفه عنك أما بتوفيقك لفعل الأسباب الكسبيه التي تزيهه أو يكشفه بغير عمل منك بل بلطفه وكرمه فله الحمد والمنة الظاهره و الباطنه وحده لا شريك له

الأمر الرابع

وقوله تعالى (وان يمسسك الله)

كلمه مس أعم من اللمس فيقال مسه السوء والنصب والتعب اي اصابه والشده الالم والخوف وكل ما يقتضي الضرر والسوء

وايضا فإن الخير يعني كل ما فيه منفعه حاضره أو مستقبله والشر ما كان فيه ضرر والإنسان لا يعرف احيانا ما ينفعه ولا مايضره ف الله يقول (وعسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم... الخ

ولهذا فإن المومن يقبل باختيار الله له ولكن لايعني هذا العجز فالرسول صلي الله عليه وسلم حذر من العجز فقال (المومن القوي احب إلي من المومن الضعيف احرص علي ما ينفعك واستعن بالله وان اصابك شي فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل ما قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)

فالرسول صلي الله عليه وسلم بريي المومنين علي الآتي

١

الحرص علي ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وذلك الحرص بالاخذ بالاسباب التي تنفع العبد وبما شرعه الله لعباده من الأسباب المباحه والمستحبه والواجبه

ويكون العبد حال فعله الاسباب مستعينا بالله وحده دون كل ماسواه ليتم له سببه وينفعه

ويكون اعتماده علي الله لأنه خالق الأسباب والمسببات وان لاينظر الي الأسباب أنها هي التي تنفع بل ينظر أنها خاضعه لاراده الله فيكون الاعتماد في فعل السبب علي الله تعالى فيأخذ بالاسباب باعتبارها سنن الله فيرد مرده الي الله تعالى

٢

أن الأمر بالحرص النافع والاستعانة بالله جاء مقرونا بزم العجز وقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم قوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من منح نفسه هواها وتمنى علي الله الأمانى)

ولهذا حذر من الجزع علي مافات وحذر من كلمه لو فقال الرسول (فإن لو تفتح عمل الشيطان)

وبالتالي فالنصوص تضمنت الأمر بالعمل علي الهروب من القدر الي القدر أن كان بمقدرك ذلك فتحرص علي مغالبه القدر بالقدر باللجوء الي الله والأخذ بالاسباب والسنن ولا تعجز فسعاده المومن أن يحرص علي ما ينفعه والحرص يعني بذل الجهد واستغرق الوسع فإذا صادف الحريص علي ما ينتفع به كان حرصه محمودا وكماله قائما علي مجموع هذين الأمرين _ ان يكون حريصا _ ان يكون حرصه علي ما ينفع أو فعل ما ينفعه من حرص

وبالتالي فإن يفوته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك فالحرص يكون علي ما ينفع

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما يحقق النتيجة بمعونه الله وتوفيقه امره تعالى أن يستعين به تعالى فقال تعالى
(اياك نعبد واياك نستعين)

وبالتالي فإن حرص المومن علي ما ينفعه يكون عباده لله تعالى وحده لا شريك له ولا يتم الا بمعونته فأمره بعبادته
والاستعانه به وحده لا شريك له

فالحريص علي ما ينفعه يستعين بالله ضد العجز فهذا ارشاد له قبل أن يقع المقذور الي ما هو من أعظم أسباب
حصوله وهو يحرص عليه مع الاستعانه بالله فإذا فاته مالم يقدر عليه صبر وسأل الله رفع الضرر لان الله لا
يسال عما يفعل فهو القاهر فوق عباده اي الغالب الذي لا يعجزه شي فهو القاهر المذل المستعبد خلقه العالي عليهم
فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه والمراد الفوقيه قدره والقوه والعزه لا من حيث المكان لعلو شأنه تعالى فقد
ورد في الحديث عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يا غلام احفظ يحفظك احفظ الله تجده
تجاهك تعرف الي الله في الرخاء يعرفك في الشده اذا سالت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعين بالله فقد قضي
العلم بما هو كائن ولو جهد الخلائق أن ينفعوك بشي بما لم يعيطه الله لك لم يقدروا ولو جهدوا أن يضروك بما لم
يكتب الله عليك ما قدروا عليه فإن استطعت أن تعملوان لم تستطع فاصبر فإن الصبر علي ما يكره خيرا
كثيرا واعلم أن الظفر مع الصبر وان مع الكرب فرج وان مع العسر يسرا)

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الفزع والجزع عند الشدائد فقال إن لو تفتح عمل الشيطان... فلا فائده
من لو بل هي مفتاح الشر الحزن والسخط والأسف والعجز وهذا كله من عمل الشيطان فنهى عن ذلك الرسول
صلى الله عليه وسلم لأنها افتتاح عمل الشيطان

فالضعف بالعجز والجبن يعني أن هناك ضعف أمام العدو الداخلي والخارجي وهذا نقص ناتج عن عدم الإيمان
الكامل واساءه التقدير للطريق المستقيم الموصل الي الله فالمسلم يستعين بالله وينظر الي القدر فيلاحظ هل
في مقدوره تجاوز الشده بالاستعانة بالله فإن انتفت عنك الأسباب فقل ماشاء الله قدر فعل وصبرت

فالإنسان لايعرف حقائق الأشياء فربما ما يراه ضررا يكون له فيه خيرا كثيرا ولهذا أخبرنا الله أنه الحكيم الخبير
فهو تعالى يعلم ما يصلح لك وخبيرا بما ينفكك فما عليك إلا أن تسأل الله أن يرفع عنك الضرر فهو تعالى وصف
نفسه (القاهر فوق عباده)

فإثبات لنفسه كمال قدره وكمال السلطان والتسخير لجميع عباده والاستعلاء عليهم مع كمال الحكمة والعلم
المحيط بكل شي فهو يدبر الأمر في خلقه

٣

فالشده توجب التضرع الي الله وهو تعالى يعلم ما ينفع عباده فالشده ابتلاء يكون معها منفعة حيث يرجع العبد
الي الله متضرعا أن يرفع عنه الضرر فالله يقول (وإذا مس الإنسان ضرا دعا ربه منيبا إليه

ثم إذا خوله نعمه منه نسي ما كان يدعوا إليه)

والابتلاء في النعم هو ما يخشي عليه من الفتنة به ولهذا فإن الواجب علي كل من انعم الله عليه الحمد والثناء
لله علي النعمه التي انعم بها عليه فلا يستغني بها عن طاعه الله فعليك أن تتذكر أن الله وحده قادرا علي أن
يسلبك النعمه فهو القاهر فوق عباده

والنعمه توجب الشكر لله بالحمد والثناء بالاعتراف بانعام الله ونسبتها الي المنعم علي وجه الخضوع والذل و

المحبه لله يقول ابن القيم وهذا يجعل النعمه أحوال عده

أن الذي لايعرف النعمه وكان جاهلا لها لم يشكرها

وان عرف النعمه ولم يعرف المنعم لها لم يشكرها

عرف النعمه وعرف المنعم ولكنه جحدها كما يجحد المنكر النعمه المنعم فقد كفر بها

عرف النعمه وعرف المنعم ولم يجحدها ولكنه لم يخضع للمنعم ولم يحبه لم يشكره

أما من عرف النعمه وعرف المنعم واقربها وخضع المنعم فهذا هو الشاكر

ولهذا بعد أن عرف بالمنعم أخبر أنه له كمال القدره والسلطان فهو قاهر لعباده

رابعاً

تمضي سياق النصوص في محاوره المشركين في إثبات التوحيد ونبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق

رسالته واليوم الآخر وايضا اعلان المفاصله والتبرو من الشرك وأهله

فقال تعالى (قل اي شي اكبر شهاده قل الله شهيديني وبينكم واوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ءانكم

لتشهدون أن مع الله الهه أخرى قل لا اشهد قل إنما هو إله واحد وأني بري مما تشركون)

الامر الأول:

روي ابن عباس أن رؤساء اهل مكه قالوا يامحمد ما وجد الله غيرك رسول وما تري أحد يصدقك وقد سألنا اليهود

والنصاري عنك فزعموا أنه لا ذكر لك عندهم بالنبوه فارنا من يشهد لك فانزال الله الايه

يعلم الحق سبحانه وتعالى نبيه الحجه القاطعه فيقول لنبيه قل اي اطرح عليهم هذا السؤال (قل اي شي اكبر

شهاده)

اي ـ اي شهاده أعظم وأكبر وأجدر أن تكون اوضحها وأصدقها

ثم امره أن يجيب علي هذا السؤال (قل الله شهيديني وبينكم)

فشهاده الله أكبر وأعظم من شهاده الخلق لأن شهاده الخلق وعلومهم مكتسبه لاتتجاوز ما إعطاءهم الله من علم

وهو علم محدود ولايدرك حقائق الأشياء كلها إلا الله

ولهذا أمر الله نبيه أن يتولي الجواب لانهم لايستطيعون أن يجيبوا بغير ما أجاب ولايقدرن علي إنكارها

فإن شهاده الله تقدم علي كل شهاده لانه عالم الغيب والشهاده وهو الشهيد الأول في كل قضيه

فشهاده الله تتضمن بيانه لعباده ودلالته لهم وتعريفهم بما يشهد به لنفسه ولهذا فإنه تعالى يرسل الرسل لتعريف

الناس أنه شهد وهذه الشهاده من أعظم الشهادات ولهذا لابد أن يبلغ الناس بها لاقامه الحجه عليهم فقال تعالى

(واوحى الي هذا القرآن لانذركم ومن بلغ)

بان القرآن شاهد بصره رسالتي لانذركم من عقابه ومن بلغه القران الي يوم القيامه ليعلموا أنه قد شهد

الامر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى قد بين شهادته للناس بطريقتين السمع والبصر فجاءت بآيات مرئية يراها الناس وآيات مسموعة متلوه يسمعوها السامعون ليحصل البيان لأن آياته هي البراهين التي يعرف بها العباد خبره وشهادته كما عرفهم امره ونهيه فالانبياء أخبروه بآياته المتلوه وأيديهم بالبراهين الداله علي صدقهم وهي شهادته الله بصدقهم فيما بلغوا وأما الطريق الثاني فهو العياني أن يري العباد آيات في الأنفس والأفاق مايبين لهم أن الوحي الذي بلغه من الله هو الحق (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه علي كل شي شهيد)

أي الم يكف بشهادته تعالي المخبره بعلمه وهو الوحي فإن الله هو الشهيد الأول في كل قضيه فهو سبحانه وتعالى يقول (قل كفي بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض) فإذا أخبر بشي فقد علم أنه الصدق لماذا لأنه عالم بالاشياء فقد كانت شهادته بعلم وقد بين شهادته بالآيات الداله علي صدق الرسول ومنها القران

فالقران معجزه اعجزت العرب أن يأتوا بمثله وهم أهل الفصاحه والبلاغه وهو معجزه عامه عمت الثقليين (ومن بلغ) وبقيت بقاء العصرين ولوزام الحجه إلي قيام الساعه وقد جعله سببا لكونه منذرا به واقامه الحجه وبالتالي فلا يكون حجه الا اذا كان معجزه وقد ذكر شرط المعجز بأن علم انه اتى به الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (واوحي الي هذا القرآن لاندركم ومن بلغ)

لانه لو لم نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي اتى بالقران من عند ربه وظهر ذلك من جهته لم يمكن أن يستدل به علي نبوته لاقامه الحجه فلا بد أن يعرف انها ظهرت من جهته وهو امي لايقرا ولا يكتب

وقد حققت الايه أن القرآن اتى به النبي صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعل علما علي نبوته وعلمنا ذلك بـ الضرورة فصار حجه علينا

الامر الثالث

ان بيان شهادته الله بطريقتين البصر والسمع... يعود إلي مساله أن أفعال الله تعالي قسمين :_ أفعال واضحه محسوسه يدركها الجميع بدون اختلاف وأفعال نظريه يخطئ فيها أهل الدنيا ويختلفون

فالناس لاينكرون أن الله هو خالقهم فلا يستطيع أي إنسان أن يزعم أنه خلق نفسه ولايمكن القول إن الانتظام الدقيق في الكون جاء مصادفه بدون وجود خالق مدبر حكيم جعله بهذا الانضباط والدقه في الحركة فكل ما في الكون والإنسان يقود الي اعجاز الله وعنايته وكذلك فانه مع دليل العنايه يضاف دليل الحركة فكل شيء في الحياه متحرك وان بدا شكله الخارجي ثابتا ومع ذلك لا يحدث الاصطدام بين الكواكب والنجوم والاجرام السماوية فمن المسؤول عن انضباط قوانين الحركة وانسجامها بحيث لا يصطدام الشمس بالقمر ولا تقترب الشمس من الأرض فتحرقها فأنت تشاهد أن حركة القطارات مثلا تتطلب وجود اجهزه متعدده تقوم بضبط حركتها لمنع الاصطدام ومع ذلك لاتسلم من مثل تلك الحوادث

وبالتالي فمن المسؤول عن هذا النظام الغريب البديع المحكم الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا فدليل الحركة والعنايه والحدث كلها تدل علي وجود الله شاهدا أنه الخالق وهو ما يدركها جميع الناس ولهذا فقد جعل الله هذه الأفعال المحسوسه موكده لأفعاله النظرية بشهادته أفعاله المحسوسه ولهذا قال تعالي (قل الله شهيد بيني وبينكم) ولم يكتفي (أي شي أكبر شهاده)

فإن قوله شهيدا بيني وبينكم... فان هذا مما يعلم بالنص والاستدلال فإذا نظر في ذلك علم أن الله شهد بصدق نبيه وكذب المشركين بالنوعين من الآيات بكلامه الذي انزله وبما بين أنه رسول صادق واعقبه بقوله (واوحي الي هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ)

فالقران فيه الانذار وهو يشهد بها أنه صادق وبالآيات في الآفاق والانفس وايضا ذكر أنه شهيد بينه وبينهم ولم يقل شاهد علينا ولاشاهدا لي لانه ضمن الشهاده الحكم فهو شهيدا يحكم بشهادته بيني وبينكم والحكم قدر زائد علي مجرد الشهاده يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لتعليق ذلك (فإن الشاهد قد يوذي الشهاده واما الحاكم فإنه يحكم بالحق للمحق علي المبطل ويأخذ حقه منه ويعامل المحق بما يستحقه والمبطل بما يستحقه

وهكذا شهادة الله بين الرسول ومتبعيه وبين مكذبيه فإنها تتضمن حكم الله للرسول وأتباعه يحكم بما يظهره من آيات الداله علي صدق الرسول علي انها الحق وتلك الآيات متعددة ويحكم له أيضا بالنجاه والنصر والتأييد وسعاده الدنيا والآخرة ولمكذبيه بالهلاك والعذاب وشفاء الدنيا والآخرة كما قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله)

فيظهره بالدلائل والآيات العلميه التي تبين أنه الحق ويظهره ايضا بنصره وتأييده علي مخالفيه ويكون منصورا كما قال تعالى

(لقد أرسلنا رسلا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد) فهذه شهادة حكم

الأمر الرابع

أن الايه بينت مهمه الرسول هو اقامه الحجج والانذار فشهادته تعالى هو أخباره بواسطه رسوله الناس أنه مرسل لهم قال تعالى (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) وأخباره بأسماء الله وصفاته لاقامه الحجج علي الناس حتي لا يتعذروا أنهم لم يأتهم لابشيرا ولانذيرا وشهادته باقامه المعجزات والخوراق وشهادته في الكتب السماويه السابقه التي ذكر فيها البشاره بالنبي الخاتم

ولهذا ذكر الحق أن مهمه الرسول هي البلاغ والانذار فقال تعالى (واوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ)

فالانذار به عام لكل من بلغه وبالتالي فإن من بلغه ومن يؤمن به فقد استحق النار فالله يقول في كتابه (قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) وقال تعالى (تبارك الذي أنزل علي عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا) وبالتالي فإن من بلغه ولم يؤمن فقد صرح الله أنه في النار فهو سبحانه وتعالى يقول (ومن يكفر به من الأحزاب ف النار موعده)

ولهذا فإن الامه كلها ملزمه أن تبلغ الناس كتاب الله فالواجب علي كل مسلم أن يبلغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يعلم فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ياايها الناس بلغوا عني ولو ايه من كتاب الله فإنه من بلغه ايه من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه)

فدل هذا علي اهميه التبليغ لكتاب الله فمن بلغه القران فقد أقيمت عليه الحجج فاذا تهاونت الامه عن التبليغ فقد حملت إثما اذا كان في مقدورها ذلك وقصرت في الأمر

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي المفاصله التي يأمر الله بها نبيه بالتبرو من الشركه في الشرك فقال تعالى (انئكم لتشهدون أن مع الله الهه آخري قل لا اشهد قل إنما هو إله واحد وأني بري مما تشركون)

فقد ابتدأت الايه بالاستفهام (ءانئكم لتشهدون أن مع الله الهه آخري)

فيها إنكار لأوضاع الشرك وأحواله بعد اقامه الحجج عليهم لبيان ان اعترفهم بالله ووجوده لا يكفي اذا لم يحصل

استحضار وجوده لتكون عابدا لله وحده ومستعينا به في الوهيته وربوبيته وقابلا منهجه في شؤنك كلها فمن يرفض القبول بحكم الله يكون مشركا بالله ولهذا قال أخري لتشمل الأصنام والبشر والاثان والوثنيه السياسيه و الأهواء فهي كلها اصناما تعبد من دون الله ولهذا فإن الاستفهام يقصد به الإنكار والاستبعاد لما هم عليه بأنه لا يقبل به فهو لا يشهد كما يشهدون فقال تعالي (قل لا اشهد) وأمره بعده أن يجحد عقيدته الشرك ويخبرهم بأن الله إنما هو معبود واحد لا شريك له (قل إنما هو إله واحد) ثم يعلن البراءة من الشرك وأهله (وأني بري مما تشركون)

المقطع الرابع من سورة الانعام

بعد أن اختتمت الآيات السابقة بذكر شهادته الله علي صدق دعوته التوحيد التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوا الناس إليها وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يدعوهم إليه وصدق الرساله والقرآن ونبوته الرسول صلى الله عليه وسلم فشهادته الله بتدبيره العجيب لأمر الكون المحكمه عند خلقه تشهد أنه لا اله الا هو ف المخلوقات جعلها الله دلاله عليه سبحانه وتعالى فما نصبه الله من الادله الداله على وحدانيته التي تعلم بدلاله العقل تدل أنه تعالي الإله المعبود وحده لا شريك له وهذه تسمى الشهاده الفعلية بمفعولاته المحسوسه أما شهادته القولييه اي النظرية فهي ما ارسل بها الرسل وانزل به كتبه واوحاه الي رسله فجميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد أنه لا اله الا هو بقوله وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه وهنا تنتقل النصوص الي شهادة الكتب السماوية الموكده صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون انفسهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياته أنه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا علي انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع إليك وجعلنا علي قلوبهم اكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل ايه لا يؤمنوا بها حتي إذا جاوك يجادلونك يقول الذين كفروا أن هذا إلا اساطير الأولين وهم يهون عنه ويننون عنه وإن يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو تری إذ وقفوا علي النار فقالوا يلبتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون

وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين ولو تری إذ وقفوا علي ربههم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله حتي إذا جاءتهم الساعه بغته قالوا يا حسرتنا علي ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم الا ساء ما يزررون وما الحياه الدنيا الا لهو ولعب ولدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

اولا

علي من تعود الضمير التي ابتدأت فيها الآيات إن فيها شهادته لاهل الكتاب يعرفونها حق المعرفه ؟ ولماذا ابتدأت به النصوص ؟

أنه بالرجوع الي الآيات السابقه نجد أن عرضت دلائل الايمان بالله والوهيته وربوبيته من خلال الدلائل الكونيه وايضا بما ورد في القرآن من آيات مسموعه وأخبر الحق باهميه الايمان لانه نور يري به المومن الهدى فيهتدي ولهذا قال الله (قل اتخذ غير الله وليا فاطر السموات والأرض... الخ

وقال تعالي (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)

فالنور الذي يعقل بالقلب لما قد يشاهد من دلائل الايمان مثل دلائل الربوبيه والنبوته من خلال الاداله الكونيه الشاهده أن لهذا الكون اله واحد لا شريك له وأن الإنسان بحاجه الي الرسل وبعثتهم والرسالات ليعرفوا أمر ربههم حتي تنسجم حركتهم مع الكون المحكوم بسنن ونواميس وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم

فهذه دلائل حسيه ومنه ما يسمع سمعا بالاذان وهو القرآن والوامر والنواهي التي تصل الي الناس عن طريق الرسل من أمور الغيب التي لا يستطيع العقل إدراكها أما نسيبها اي لوقت معين لانه لا يملك ادوات اكتشافها فيكون تطاوله فيما لا قدره له... وأما أن ذلك أمر لا يدركه العقل البشري اطلاقا فيما هو متعلق بالأمور الغيبية التي أمر الحق أن يكون الطريق لمعرفة ما جاء في الوحي

ولهذا جعل الله لإثبات صدق دعوته التوحيد والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته واليوم الآ

آخر... اداله كونه منها ما يمكن إدراكها في الوقت المعاصر ومنها ما يكون معرفتها في المستقبل ومنها ما علمت في الماضي ؟

فالايات تبين الآتي

الأمر الأول

أن لغة القرآن أي لغة البيان في اقامه الحجج (ومن بلغ) شامله تصل لكل الناس في كل زمان ومكان فلا يكون من يحتج أن القرآن باللغه العربيه ولا يفهمها الا العرب ... فقد أخبر الله أنه جعل الآيات المرئيه شاهده علي صدق القرآن فقال تعالي (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق)

أي أن القرآن حق فهذه الآيات متاخره عن نزول القرآن الكريم فإنها آيات مشاهده صدقت ما أخبر به القرآن ولكن المومنون كانوا قد آمنوا بها قبل هذا ولذلك أمر الله نبيه أن يعلن أنه أول من أسلم وأمن ب الله (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)

فالأعجاز العلمي في القرآن هو لغة البيان التي يخاطب القرآن فيها العالم لأن الحق يعلم أن العلم هو اللغه الجامعه التي اجتمع عليها العالم في الوقت المعاصر ولهذا جاء القرآن بأخبار مستقبليه لم يكن أحد يعلم بها عند نزول القرآن وانما اكتشفها العلم الحديث عندما امتلك الناس ادوات المعرفه فهذه كلها آيات الله

فالمومنون في زمان الرساله لم يكونوا يعرفون أن الارض كرويه ولم يكونوا يعلمون أن هنالك جاذبيه تنافر بين ذرات المياه البحريه المالیه وذرات مياه الأنهار العذابه في منطقه التقاهما تشكل حاجزاً مانعاً من اختلاطهما ومع ذلك آمنوا بها كما وردت حتي جاء العلم الحديث فأكد صدق ما جاء به القرآن الكريم وبالتالي فإن هذه اللغه التي يفهمها الناس والعالم كلهم فيها البيان كما قال تعالي (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ... الخ

ولهذا قال تعالي (أو لم يكفي بربك أنه علي كل شهيد)

فهو يشهد لرسوله بأنه صادق بالآيات الداله علي نبوته والتي لا تتوقف في الظهور كلما تقدم الإنسان بالعلم وتلك أمن بها المومنون ثم انزال من القرآن شاهداً له ثم أظهر آيات معانيه تبين لهم أن القرآن حق فالقرآن وافق الايمان والآيات المستقبليه وافقت القرآن والايمان ولهذا بعد أن ذكر تلك الأدله في المقطع السابق في مخاطبه الملحدين العرب الذين انقطعت عنهم الرسالات من زمن اسماعيل انتقلت اليه الي ذكر الشهاده التي بينها الله لاهل الكتاب وأخذ عليهم العهد أن يبنوها للناس فاخبرنا أنهم يعرفون

الدعوه التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه لأنها هي الدعوه التي حملها الرسل منذ فجر البشريه فالحق يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتحم العالم بهذا الدين فإذا كان اهل مكة لا يعرفون ذلك لأنهم بعدت صلتهم بالرسول من بعد اسماعيل وتعاقب الأجيال أفسدت فطرتهم وعقولهم فإن اهل الكتاب الذين كانوا محل ثقة العرب يعلمون هذه الحقيقه ويعرفون أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته فالحق يخبرنا أنه قد جعل معرفته من خلال مقدمات تعطي فكره عنه ونعوته فكل من كان له صلته بالكتب السماويه يعلم أنه الرسول الخاتم الذي اختتمت به أنباء السماء فهو معروف لهم معرفه الآباء لابناءه فقال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)

الأمر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى عندما أمر نبيه بإعلان المفاصله والبراءة من أهل الكفر الذين رفضوا الايمان رغم الأدله التي في متناول الجميع للمعاصرين ومن سوف يلحق في المستقبل عادت النصوص لتبين انه بالنسبه لاهل الكتاب فإن وجودهم وانقسامهم الي مومن وكافر في الدعوه التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم الي الناس كافه لا

احتجاج الي برهان لانهم يعلمون ذلك فكفرهم ليس لعدم العلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وانما كفرا
وجحودا فما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه مصدقا لما معهم فهي تتحدث عن أمور التوحيد التي
جاء بها الرسل جميعا لان الله ارسل الرسل وانزل الكتب لأجل أن يعبد وحده لا شريك له ولأن أصل العبادة هي
معرفة الله وتوحيده وعبادته وفقا لما يأمر في كتابه المنزل علي رسله وايضا فإن معرفته إنما تكون بما وصف به
نفسه في كتابه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل والذين ينكرون ذلك لم يقدروا الله
حق قدره وما عرفوا الله حق معرفته وما وصفوه حق صفته وما عبدوه حق عبادته

ولما كان الحق قد أمر نبيه أن يعلن أن مهمته هي البلاغ والبيان فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وانما عليه اعلا
ن البراءة والمفاصله مع المشركين فقال تعالي (قل لا اشهد وانني برئ من المشركين)

ولهذا فإن الحق بعد أن أمر نبيه بإعلان المفاصله مع المشركين والبراءه من شركهم قال تعالي (والذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم... الخ

بأن الواجب اعلان البراءه من شرك هولاء فهم قد صاروا في قالب واحد مع أهل الظلم من المشركين كما قال
تعالي (قل ياايها الكافرون لا اعبدو ما تعبدون... الخ

مبيننا ان اهل الكتاب ما تفرقوا واختلفوا في مساله النبي الخاتم إلا بعدما قامت عليهم الحجه والبينه فكان ارسال
الرسول صلى الله عليه وسلم لجميع الناس واقامه الحجه علي جميع أهل الملل والنحل والشرائع فذم الحق اختلا
فهم علي الحق بعدما ظهر كما قال تعالي (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تأتيهم
البينه رسول من الله يتلو صحف مطهره فيها كتب قيمه وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءتهم البينه)

وقال تعالي في سوره هود (افمن كان علي بينه من ربه ويتلوه شاهد من قبله كتاب موسى إماما ورحمه اولئك
يومنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده... الخ

وهنا قال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن
اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياته أنه لايفلح الظالمون)

وهذا فيه الاخبار بشهاده أهل الكتاب بصدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من ربه وان
القران حق فهم يتلون هذه الشهاده في التوراه والإنجيل كل يوم فصارت هذه المعرفه ملازمه لهم كما يلازم الأب
ابنه ولهذا كان التشبيه المعرفه (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) كما قال (الذين اتيناهم الكتاب يتلونونه حق تلاوته
فدل هذا أن أهل الكتاب سوف ينقسمون الي فريقين فقد ذكر في سوره المائده صفه المتقون (تري أعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق.... الخ

فقد أراد الحق بهذا الآتي

المفهوم الأول

يريد الحق أن ينمي في النفوس مشاعر الايمان في مواجهه الباطل يقول لهم لاتتأثر بهذا الاتفاق علي محاربه الا
سلام بين المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى فالمساله ليست لأن هنالك غموض في حقيقه نبوه الرسول
صلى الله عليه وسلم لدي أهل الكتاب فهم عندهم شهاده من الله تعالي وهو العلم الذي بينه

الله لهم بشأن النبي الخاتم فهم يعرفون أنه مبعوث لانه مكتوب عندهم في التوراه والإنجيل والكلام ورد بأسلوب
الاخبار علي لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كانت الايات قبله فيها الحوار بين المشركين والرسول
صلى الله عليه وسلم والتي انتهت بشهاده الله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء الاستشهاد علي

صدق القرآن بما عند أهل الكتاب فهو النبي الخاتم الذي كانت اليهود تتوعد العرب بقتلهم عند خروجه وأنه قد حان وقت بعثته فقال تعالي في سورة البقره (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون... الخ

فأهل الكتاب يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم أنه النبي الخاتم كما يعرفون أبناءهم ويعرفون أن الوحي القرآن هو كلام الله وأنه الكتاب الموعود وأن مافي الاسلام هو الحق والخير والصلاح والتقدم الذي يحقق الانسجام في الحركه مع حركه الكون لتكون حركه متجه نحو تحقيق الهدف من الوجود الإنساني وصولا إلى الفلاح لكن هولاء فسدت فطرتهم فقد اتحدوا مع المشركين حول هدف محاربه الاسلام وقد استغلوا ما يحظون به من ثقه واحترام عند العرب في مواجهه الاسلام حيث كان منهم طرح المقترحات التعجيزيه علي المشركين كي يطلبونها من الرسول صلى الله عليه وسلم لغرض التشكيك برسالته برغم معرفتهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته فهم لم ينتفعوا بالمعرفه التي حظوا بها ولم يقبلوا بالتغيير المفاجئ الذي حدث في هذه المرحله من تاريخ الأديان بما يتناسب مع مرحله النضج البشري وهذا الرفض ليس لنقص المعرفه لديهم بأن معجزه الرساله الاخيره ستكون المعجزه التي يأتي بها الرسول الخاتم هي عين المنهج فقد توقف العمل بالمعجزات الماديه فالامر معروف لديهم لكنهم لم يتوقعوا أن يكون الرسول الخاتم من امه العرب لانهم اتخذوا التدين وفكره الانتساب الي الأديان مساله نسب ووسيله متاجره للحصول علي الامتيازات فلم يستطيعوا التعامل مع الظروف المتغيره في تطور فكره الدين والتدين والتلائم معها ولم يتفاعلوا معها بما يلائم هذا التغيير والانقلاب في حياه البشريه فقد شكلت الظروف السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والمصالح والامتيازات والرئاسه أهدافا لارتباطهم بالدين عائقا مانعا من تغيير مسارهم في الحياه وفقا للمطلب الرباني فقد كان الدين مجرد شعار بالنسبه لهم بعيدا عن الالتزام الحقيقي الذي يحول هذه المعرفه الي واقع ولكن الحقيقه أنها ابتعدت عن التطبيق وتحولت الي مجرد التلذذ وفلسفه لمجرد التحذلق مجرد عن الفائده العمليه للعلم والتي لا تحقق الا اذا امكن تطبيق العلم والعمل والتطبيق لا يتم الا اذا تم مراعاة ظروفه الممكنه وتفادي سحر المستحيل وهولاء اردوا استمرار قياده الدينيه فيهم ولهذا ذكر الحق أن شأنهم هو شأن المشركين فقال تعالي (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) لا نهم باعوا الدين مقابل ثمن بخس وادعوا الأكاذيب علي الله فآخبرنا الله أنهم اهلكوا أنفسهم بإنكار الرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم عارفون أنه مرسل من عند الله نتيجه الحسد فهولاء قد باعوا أنفسهم للشيطان فلا يرجي إيمانهم فكفرهم ليس لعدم وجود البرهان وإنما يعود إلي صفقه بيع الدين بالدنيا والهدى

بالضلال

المفهوم الثاني

أن الحق يريد أن تستقر حقيقه أهل الكتاب في وعي الامه الاسلاميه وهي تواجه أهل الكتاب والمعركه الفكرية مع هولاء والتي سوف تستمر الي قيام الساعه

فآخبرنا الله أن هولاء يعرفون حقيقه الاسلام وما فيه من خير وأنه هو المنهج الرباني الذي يحقق السعاده في الحياه والفلاح في الدنيا والاخره يعلمون هذه الحقيقه جيلا بعد جيل لانهم يدرسون الاسلام ويعرفونه من كتبهم لكن هذه المعرفه التي تتطور باستمرار لا يقصد بها المعرفه التي تحقق التقدم المستمر في القدره علي إشباع الحاجات الماديه والروحانيه بالزياده المتدفقه التي يكون بها نمو النفس وتزكيتها بالقيم والمبادئ الايمانيه وهذه الزيادة بالقدره علي إشباع المعنويات الروحانيه تتوقف علي مدى المعرفه بالروحانيات فكلما تطورت المعرفه بوسائلها تطورت القدره عليه فالمعرفه بالاديان من الوسائل المتعلقة بمفردات المعرفه وتطورها لكن هولاء لم يقصدوا بالمعرفه الانطلاق والتقدم لما فيه الخير والصلاح والفلاح والتخلص من الظلم وإنما استغلوا في محاربه الخير وإشاعه الشر والظلم والبغي فآخبرنا الله أن المعرفه لدي هولاء كانت سببا في انتكاسه هولاء لانهم باعوا أنفسهم للشيطان فالتحقوا بمدرسه الفسق والعصيان

فقال تعالي (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)

في إطار تعليل الباعث الذي دفع أهل الكتاب من اليهود والنصارى رفض التحول في قراءه مراد الله الي القران مع علمهم بأنه منزل من عند الله وان النبي صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم الذي كانوا ينتظرون قدومه

فاخبرنا الله أن هولاء باعوا أنفسهم للشيطان فالتحقوا بمدرسه الفسق والعصيان لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن من امه اليهود حسدا منهم من بعد ما تبين لهم الحق فقال تعالي في سوره البقره (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين علي ملك سليمان....الي أن قال (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبه من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

وقال ايضا في سوره البقره (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين بسما اشتروا به أنفسهم بكفرهم بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله علي من يشاء من عباده فباوا بغضب علي غضب وللکافرين عذاب مهين)

فالاصل أن الارتباط بين العلم والتقدم الفلاح أنه يودي الي قبول هولاء الاسلام والوقوف في صفه فالاصل أن الصله بين الأسباب (المعرفه والعلم) أنها تودي الي نتائج الالتحاق بموكب الاسلام لأن العلم واسطه بين المجتمع وبين نتائج حاجاته الماديه والروحانيه فأهل الأديان والكتب السماويه السابقيه يفترض أن العلم دافعا لهم للسعي للتقدم بمستوي التدين ومواكبه العلم بالإيمان فالعلم حلقة اتصال بين المجتمع وآماله فهم كانوا ياملون باستعادته دور الدين في الحياه وكانوا يتطلعون لخروج النبي الخاتم وهو ما جعلهم يحفظون أوصافه فشبه الحق تلك المعرفه بأنها راسخه بلا شك فيهم مثلما أن الأب يعرف ابنه دون أن يشتهبه عليه الأمر وشبه ذلك بمعرفه الأب لابنه لانه يلزمه كثيرا ولايفارقه للاشاره الي أنهم كانوا حريصون علي معرفه أوصاف الرسول الخاتم والاصل أن هذه المعرفه أنها تودي الي الحرص علي موكبه الايمان بالالتحاق بالإسلام لكنهم اهدروا الطاقات في محاربه الاسلام و التحقوا بمدرسه الشر والدجل الشيطانيه فاستغلوا المعرفه الدينيه في التشكيك بالإسلام والطعن به وصناعه الحيل ووضع العوائق أمام الناس ليصرفوهم من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهم حاربوا المشروع الرباني من داخل الحضاره الدينيه فأراد الحق التحذير من هولاء لانهم سوف يسعون الي استغلال المعرفه في ابطال المشروع الإسلامي ولهذا نجد أن الكثير من المستشرقين قاموا بدراسه الاسلام وحفظ الأحاديث والقرآن لأجل الغزو الثقافي لامه الاسلام لابعادها عن مصدر عزتها لقد قاموا بوضع خطط وبرامج وخرائط تحدد أهدافهم ووسائلهم لما يريدون تحقيقه من أهداف لهدم قيم الإسلام لقد وضعوا تخطيطا مرحليا لحلقات فكره الغزو الفكري للامه وضعوا سياسيه تعليمه تستهدف الانتقال من الحاضر الي المستقبل فوضعوا سياسيات تعليميه ذات أبعاد وأهداف سياسيه واقتصاديه واجتماعيه وثقافيه تهدف لهدم قيم الإسلام

فقد اختاروا أهدافهم ووضعوا خططهم علي ضوء ذلك ثم كان وضع خطه السياسه التعليميه من خلال دارسه طبيعه الدين الاسلامي والبيئه لإسقاط الوعي من الامه وهو ما حذرنا الله منه عندما أخبرنا أن أهل الكتاب باعوا أنفسهم للشيطان فاخبرنا أنهم اهلكوا أنفسهم وهم يعرفون الحقيقه فهم لم يعملوا بمقتضى تلك المعرفه فقد خسروا أنفسهم وهذه الخساره لا توجد خساره اكبر منها فخساره المال يمكن تعويضها أما خساره النفس فلا يمكن تعويضها فمن باع نفسه لله فهو بذلك يفوز وينجح أما الذي يبيع نفسه للاهواء والشيطان مقابل المصالح فهذا يخسر خساره لا توجد خساره مثلها ولهذا يخبرنا الله أن الفلاح والنجاح إنما يكون بربط اعمال الدنيا بالآخرة فتتظر للآخرة انها فيها الفلاح والنجاه والسعاده ولهذا قال تعالي (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياته أنه لايفلح الظالمون)

والافتراء هو اختلاق الأكاذيب فالحق يصف الموقف الذي تصوفوا فيه بأنه افتراء وكذب لانهم تركوا العلم وقاموا بتزييف الحقيقه فاتبعوا الكتب الشيطانيه وادعوا أنها منزله من الله فقال تعالي (بسما اشتروا به أنفسهم

لو كانوا يعلمون)

فقد خلطوا الباطل بالحق ليس عن جهل بل

المفهوم الثالث

يعلمنا الحق سبحانه وتعالى أن الإيمان إنما هو كسب النفس

فقال تعالى (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)

فالإيمان نعمه عظمه ينعم الله بها علي الإنسان ولهذا فعلي المومن أن يدرك نعمه الايمان ويشعر بها ويشكر الله أنه
هداها الي الاسلام لتدرك عندما تقول لا اله الا الله انك المستفيد من هذه المعرفة فلا تظن انك صاحب فضل وتمن
علي الله بها ف الله غني عن العالمين وهو صاحب المنه أن هداك للإيمان فأنت تنفع نفسك بالتوحيد لانك بهذا
القول تستعلي بخالق الكون ومن له الجلال والعظمة ومن له صفات الكمال وكمال قدره وكمال العلم وكمال
الحكمه

ولهذا فإن عقيدة التوحيد هي لمنفعة الإنسان نفسه لأنها تنظف الفطره من الاوساخ التي تغطي الرؤيه وتعيد للإ
نسان إنسانيته بل تنقله ليكون إنسانا ربانا يعيش لله وحده فيكون من الذين يتحصنون بولايه الله ويحافظون
علي شرفهم

فالذين يخالفون منهج الله ويخرجون عن طاعه الله يعني الخروج عن شرف الخلافه لأن الإنسان وصف بأنه
ظلوما جهولا...ولهذا قانه بحاجه الي التخلص من الجهل والظلم ليجد ذاته وشرفه وليكون خليفه لله فالفساد
الذي ينشأ في الأرض إنما يكون من خلال أفعال الإنسان عندما يتحرك بالمخالفة لما أمر الله فتفعل ما نهى عنه
وتترك ما أمر الله به

ولهذا ارسل الله الرسل ومعهم المنهج الذي يكون فيه اصلاح حياه البشر وحدثنا القران عن هلاك الامم عند
مخالفتها لقانون الخلافه فمن تجبر في الأرض واستكبر علي ايات الانبياء ونسي نعمه الله وجدد الآيات فإن هذا
يكون الفلاح بعيدا عنه

ولهذا فإن المنهج الرباني فيه الخير للانسان كونه فيه تزكيه النفس ونموها وتخلصها من الجهل والظلم فالجهل
يكون إزالته بالعلم بالماده وخالق الماده والظلم يكون إزالته بالعدل بوضع كل شي في موضعه ولأن الغفله و
النسيان في الإنسان أمر مفترض نتيجه تباعد فترات ارسال الرسل وهو ما يؤدي الي الانحراف بالخروج عن
المنهج الرباني الذي يمنع الخلل والفساد ولهذا ارسل الله الرسل لتنبية العباد الي قانون صيانه الإنسان وانزال معهم
الكتب التي يكون بها معرفه الله وعبادته ومحبتة وتوحيده والطريق الذي يكون فيه القيام بأمر الله ولهذا فإن
رفض اليهود والنصارى التحول في قراءه مطلب الرب الي القران واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قد ادي الي
الحاق الخسارة بأنفسهم لانهم باعوا دينهم مقابل حب الرئاسة والجاه والسلطان والمصالح فقد اردوا تطويع الدين
لمصالحهم الذاتية ولهذا حصل منهم الافتراء علي الله بتحريف الدين وكنتموا ما عرفوا من الآيات والعلامات عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا حرموا الفلاح فقال تعالى (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياته أنه
لا يفلح الظالمون)

ثانيا

يخبرنا الله تعالى ان الايمان النافع هو الذي يزيد صاحبه إيمانا كلما اكتشف علوما جديده فهذه ثمره العلم ف
المؤمنون قد آمنوا بالآيات التي أخبر بها القرآن الكريم ولم يكونوا قد اكتشفوا حقيقه ما فيها من بيان مثل الآيات
الكونية التي اكتشفها العلم الحديث فقد زداتهم إيمانا الي إيمانهم فالإيمان هو كسب النفس كما اوضحنا ولهذا

أخبرنا الله عن حال أهل الكتاب بأنهم يعرفون الدعوة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرفون النبي بنعوته وصفاته وان مجئ النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن الكريم فيه اقامه الحجج عليهم وحصول البلاغ المبين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يسمع بي أحد من هذه الامم لايهودي ولا نصرني ثم لم يؤمن بما ارسلت الا دخل النار) وقد قال سعيد أن هذه الاية اوضح تنطبق علي قوله تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمه اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) اي أن الذين يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء هم أهل الفلاح والنجاح أما الذين يكفرون به ويجحدون آيات الله ويفترون علي الله الكذب فهؤلاء أهل الضلال وسوف يحشرون الي جهنم ولهذا قال تعالى (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياته أنه لا يفلح الظالمون)

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تتناول عدة أمور

الأمر الأول

بينت النصوص أن المانع من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

يعود إلي أمرين الجهل... وفساد القصد

فلما ذكر الله ما يزيل الجهل من أهل مكة بالآيات الدالة علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر فساد أهل الكتاب بأنه يعود إلي فساد القصد فقال تعالى (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)

مبيننا أن اختلافهم علي الحق بعد مجئ البينة بظهور الرسول الخاتم الذي يعرفونه بنعوته وصفاته فكان كتمان الشهادة من اعظم الذنوب فالله يقول في موضع آخر (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله)

ولهذا قال تعالى هنا (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياته أنه لا يفلح الظالمون)

فذكر أن الافتراء الذي هو اختلاق الاباطيل ونسبها الي الله تعالى بأنها من أشد أنواع الظلم قولاً وفعلاً والمراد بهذا أهل الكتاب الذين حرفوا الكتب السماوية

وكذلك كل كافر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومكذب برسائله وكل من اختلق الاكاذيب ونسبها الي الله بقصد او غير قصد وقد توعد الله أهل الكتاب الذين حرفوا الكتاب فقال تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)

فأهل الكتاب قد تعمدوا الكذب علي الله والتكذيب الآيات التي فيها اعلام الله وادالته عن حقيقته النبي صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته فالايه كما قال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء... الخ

الأمر الثاني

في إطار بيان أن فساد هؤلاء ناتج عن فساد القصد

ولهذا اختتم بقوله (أنه لا يفلح الظالمون) أنهم جحدوهم ناتج عن افه فساد القصد فايما ن هؤلاء بالكتب السماوية لم يكن راسخا في حقيقته الامر فلم يكونوا جازمين بها والتوحيد وانما كان قصدهم العلو وحب الرياسة والجاه و السلطان والمصالح الشخصية التي حصلوا عليها من الانتساب للاديان ولهذا لم يحصل لهم الفلاح والثبات لانهم لم يكونوا مخلصين في انتظار الرسول الخاتم لأجل أن يعرفوا أوامر الله ويعبدوه بل اردوا أن يجنوا الثمار بأن

يكون لهم الملك علي العالم كما كان في عهد سليمان ولهذا قال تعالي في موضع آخر أنهم (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وقال تعالي أيضا (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو...الي أن قال (ولقد علموا لمن اشتراه ماله من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمعوبه من عند الله خيرا لو كانوا يعلمون)

فدل هذا أنهم علموا أن قيامهم باستبدال منهج الله بالكتب الشيطانية يعني الخساره والخذلان والخيبه ولكنهم اشتروا الضلال واستبدالوه بدلا عن الهدى ولذلك ذمهم الله بذكر قبح ما اشتروه فالباعث النفسي الحسد حجب عنهم العلم فمن تحقق أنه ظالم فهو غير مفلاح كما قال تعالي (لاينال عهد الظالمين) فكيف بمن بلغ ظلمه حتي النهايه

الأمر الثالث

أن جملة التعديل (أنه لايفلح الظالمون) متعلق بالمواقف الذي يقف فيه المرء بالذل والخضوع لله والحديث بما علم وان يقدر الله حق قدره فالرسل تبين للناس ما انزل إليهم من ربهم وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين و المطلوب من الناس أن يعقلوه ما بلغه الرسل والعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم ينتفع بالخير ولم يحذر الشر لم يكن عاقلا لانه لا يكون عاقلا الا من عمل ما ينفعه وما يكون فيه فلاحه فيقول الحق أن العلم النافع الذي يحصل به النجاه من النار والفلاح والسعاده في الدنيا والآخرة لا يتحصل الا باتباع الكتب السماوية التي انزلها الله علي رسله فقال تعالي في موضع آخر (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا يضل ولايشقي ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي قال ربي لما حشرتني اعمي وقد كنت بصيرا قال كذلكالخ

ولهذا جاء هذا موقع (أن) في هذا المقام (أنه لا يفلاح الظالمون) يفيد معني التعليل للجملة المحذوفه وموقع ضمير الشأن معها أفاد الاهتمام بهذا الخبر اهتمام تحقيق لتقع الجملة الواقعه تفسيراً له للجملة المحذوفه في نفس السامع موقع الرسوخ الظلم مانع من الفلاح فوصف الموقف والعمل في تقدير الله بأنه افتراء وكذب والا فتراء الكذب المتعمد فدل هذا أنهم ليسوا علي شريعته فيما اختلقوا من الأكاذيب والباطيل ونسبوا الي الله و الي شريعته التوراه والإنجيل أو شريعته ابراهيم هو اختلاق من عندهم وكذلك هو حال كل من يصدر احكاما ويقرر أوضاعا ويصنع سياسيات ويبتدع فيما من عند نفسه ومن يضع قوانين تخالف منهج الله لاي غرض كان سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ووثقافيا أو أي أمر من الأمور أو غرض أو هدف وينسب ذلك إلي الدين وأنه من عند الله فإن هذا لن يفلح لانه سلك طريقا معوجا عن طريق الفلاح ونحن نلاحظ اليوم أن هذه الافه قد انتقلت الي مناهج المسلمين حيث امتلات الكتب المنسوبه لمن يدعي العلم بالإسلام بالأحاديث الكاذبه التي نسبت الي الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك التاويلات الباطله فمن أعظم الجرائم أن لا يكون قصد المعرفه مراد الله بل قصدهم تأويل ا لآيات بما يدل علي دحض حجه خصمه عن الاحتجاج بها فهؤلاء يقعون في انواع التحريف ولهذا فإن قوله كذبا مصدرا موكدا له وهو اعم من الافتراء والتأكيد يحصل بالاعم بأنهم ليسوا علي شريعته فنفي فلاحهم فعم كل فلاح في الدنيا والآخرة فالفلاح في الدنيا بنظر الدين هو الايمان والعمل الصالح وهو الطريق الموصل الي الفلاح في الآخرة

ثالثا

لما اختتمت الايه بنفي الفلاح عن الظالمين في الدنيا والآخرة يعطف الحق عليها بجملة (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا علي أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

والمراد بهم المفترون علي الله المكذبين باياته الذين أخبرنا أنهم لايفلحون في الدنيا ولايوم نحشرهم فهي

معطوفه علي جملة (ومن اظلم... الخ وجملة (لايفلح الظالمون)

فالحق يخبر عباده أن من آثار الظلم عدم الفلاح فدل أن الذين امتثلوا لأمر الله وعملوا بأمر الله هم المفلحون وحذف ذكر ذلك عنهم لانه عرف للسامع مفهوم ذلك من معناه بمفهوم المخالفة

حيث ذكر في الحديث (أن الله يدني المومن منه يوم القيامة حتي يلقي عليه كفه ويقول انت فعلت يوم كذا وكذا وكذا ويوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم فيقول إني قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطي كتابه بيمنه)

ولهذا حذف ذكر أن الفلاح هو للذين صدقوا في إيمانهم ولم يختلقوا الأكاذيب والباطيل علي الله ومن أسلم من أهل الكتاب الذين أخبرنا الله بقوله (تفيض أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق... الخ

وحذف ذكر حالهم لانه معروف للسامعين من معناه بمفهوم المخالفة فالايه وردت جامعه للتهديد لكل المشركين الذين افتروا علي الله الأكاذيب والابطال الشرك والنصب (يوم) علي الظرفيه

وعامله محذوف ويقدر علي ما تدل عليه نهايہ الظالمون فالمقصود تهويل ما يحصل في هذا اليوم من الحشر والا ضطراب لمن كذب وافتري علي الله عندما يناقشهم الحق عن أعمالهم وعن اختلاق الأكاذيب والشرك ب الله بسوالهم (اين شركاؤكم)

فالسؤال أين الذين عبدتموهم وجعلتموهم اندادا لله لماذا لا يحضرون لانقاذكم من العذاب

فالسؤال بأسلوب الاستفهام يراد منه التقرير بكذب ادعاء هولاء في الدنيا ليظهر للناس كذب الكفار الذين اتخذوا أولياء من دون الله فالسؤال فيه التحقير لشأنهم فأين تستعمل للمكان الذي يحل فيه المسند إليه كان تقول اين بيتك وتقول اين تذهب وقد يسأل عن الشي الذي لا مكان له وعن عجزه وضعفه فيرد بالاستفهام عن سبب عدمه وضعفه وقهره لمن كان يستنصر به في زمن معين فالسؤال اين هولاء الذين كنتم تدعون أنهم أرباب واليه هل يقدرون أن يرفعوا عنكم العذاب او ينصرونكم فاتوا بهم إن كنتم صادقين فكان انزال مكانهم منزله الغائب المجهول مكانه فكانه قال أين من اتخذتموهم أولياء وشركاء مزعومين وهم حاضرون لغرض التحقير من شأنهم واطلاع العباد أن الاستعلاء بالاصنام والصالحين والبشر والقوه والمال والجاه والسلطان وطاعه الاكابر والساده في معصيه الله بحجه ادعاء أن لهم سلطان وانهم اندادا لله والتكذيب بالحق لأجل أنهم يستمدون من تلك المظاهر القوه والعز والتمكين هو أمر ضال تكون نتيجه الخسره والخيبه

الأمر الثاني

ذكر الحق ضعف وقهر هولاء جميع مظاهر القوه التي كان الكفار يستعلون به وجعلوها اندادا لله ولهذا اضاف ضمير الشركاء الي ضمير المخاطبين (اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) اضافه اختصاص لكي يفهم الناس أن الاستعلاء يكون بالحق فهو طريق الفلاح ولهذا اكتفي بذكر حال أولياء الشيطان وما هم فيه من كرب يوم القيامة ليفهم المومن أن الفلاح بالإيمان

فقال تعالي في موضع آخر (افمن كان علي بينه من ربه... الخ ثم قال (ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا اولئك يعرضون علي ربهم ويقول الأشهاد هولاء الذين كذبوا علي ربهم الا لعنه الله علي الظالمين)

وهو يتناول كل من كذب رسولا صادقا أن الله لم يرسله هذا أو لم يأمر بهذا فكذب علي الله لأن هذا إنما حصل بقصد حب الدنيا واراداتها وممن حب العلو في الأرض من أهل الجهل والظلم الذين يضعون الأمور في غير موضعها فذكر تعالي أنهم يعرضون علي ربهم فذكر الحق أنهم يحشرون جميعا (ويوم نحشرهم جميعا) ليشمل الأ صنام وما كانوا يعبدون من دون الله ليدل علي قصد الشمول كما قال تعالي (واحشروهم وما كانوا يعبدون من

دون الله) لبيان غياب ما كانوا يأملون من نصرتهم وقوتهم فكان إثبات عجزها وأنها غير قادره علي أن تنفع نفسها
فاخبرنا الله في موضع آخر أنهم اعترفوا بفساد اعتقادهم فقال تعالى (تالله انا كنا في ضلال مبين إذ نسويكم
برب العالمين)

فالايه تبين بعد أن يشهدوا عجز اصنامهم وما كانوا قد اتخذوهم اندادا لله وانهم عاجزون عن نصرتهم ولهذا كان
السؤال (اين شركاؤكم) اضيف الشركاء الي ضمير المخاطبين اضافه اختصاص لانهم زعموا لهم الشركه مع الله
فلم يكون ذلك إلا كذبا وبهتاننا اختلقه المكذبون ولهذا وصف ذلك القول بالزعم (الذين كنتم تزعمون)

تكذيبا لهم لأن الزعم ظني يميل الي الكذب فقد اتضح لهم أنها عاجزه فالسؤال كان شاقا ولم يجدوا الجواب والا
عذار الا القول الباطل فقال تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)

والفتنه أصلها الاختبار من قولهم فتن الذهب اذا اخراج منه الشوائب ويطلق علي الاضطراب في الرأي من
حصول خوف والمعلوم أن الامتحان إنما يكون في الدنيا لأنها دار البلاء فكيف يطلق علي الاختبار في ساحه
الحشر إذ لا امتحان وانما هو دار جزاء ؟ فهل يعني أن هذا دفاع عن أنفسهم وهم يعلمون ان الملك لله ؟

الجواب

١

أن لايه ترسم لنا فساد هولاء فهم اعتادوا في الدنيا الحلف وقت الشده لانهم يتصورون أن القسم ينفع في هذا
اليوم فقالوا (والله ربنا) وكما قال تعالى في موضع آخر (يحلِفون كما كانوا يحلفون لكم) فالفتنه تطلق علي الشي
الذي يستولي علي الإنسان بالباطل ولهذا فإن تلك الاضطراب بالرأي في الدنيا فإن المراد بهذا بيان أن فتنتهم فتنه
كبرى حيث يكون فضحهم أمام الأَشهاد في ساحه الحشر فاخبرنا الله في موضع آخر أن الأَشهاد وهم الملائكه
وجوراح الإنسان والكتب كلها تشهد في هذا الموقف عليهم فقال تعالى (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا
اولئك يعرضون علي ربهم ويقول الأَشهاد هولاء الذين كذبوا علي ربهم الا لعنه الله علي الكاذبين)

فالموقف يكون فضيحه لهم وتشهد علي أيديهم وأرجلهم وسمعهم وابصارهم فقال تعالى في سوره فصلت (ويوم
يحشر أعداء الله الي النار فهم يوزعون حتي إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون) واخبرنا الله أنهم ارغموا علي اظهار الحقيقه فهم لا يكتفون الله حديثا ولذلك تنقل لنا سوره فصلت
مشهد الجدل بينهم وبين جوراحهم فقال تعالى (وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شي وهو خلقكم اول مره وإليه ترجعون وما كنتم تسترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم و
لا جلودكمالخ

٢

أن السؤال (اين شركاؤكم) لأجل الإقرار لانه سؤال لاجواب له إلا الاعتراف أن ما اشركوا ليسوا اندادا لله
ويعترفون أنهم كذبوا علي أنفسهم وتعلقوا بما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا

فالسؤال في يوم يكون الانتقال في علم الغيب من علم اليقين الي علم عين اليقين وحق اليقين فالحق يسألهم
وقد شاهدوا النار وان الملك لله الواحد القهار فهو سؤال الاستفهام يقصد منه الإقرار بأنهم كذبوا علي الله وهم
يعرفون أنهم كذبوا علي الله في الدنيا ولذلك شهدت عليهم الجلود والحوراج والملائكه علي كذبهم ولم يستطيعوا
أن يكتفوا شيئا

الأمر الثالث

تبين النصوص أن تعالي جعل سنه وقاعده العذاب أنه من جنس العمل فإن من خالف الرسل عواقب بمثل ذنبه فمن قدح فيهم بالجهل ونسب إليهم أن ما يقولونه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلاه الله في عقله وظهر من جهله ما عوقب به ولهذا يقول الحق أن هولاء الذين كذبوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وزعموا أنه جاهلا من اليهود فقد أظهر الله جهلهم لأنهم أهل كتاب ومع ذلك كان الحسد مانعا من الإيمان وعدم الانتفاع بالعلم فقد اهلك الله هولاء ولم يجدوا الفلاح لا في الدنيا ولا الآخرة وان من تعمد اتهام الرسل بالكذب أظهر الله كذبه فقد أخبرنا الله عن هامان وقارون أنهم قالوا عن موسى أنه ساحر كذاب وسخر فرعون من موسى فقال (ام أن خير من هذا الذي هو مهين ولايكاد يبين)

وقد اهلك الله فرعون وقارون وأظهر كذبه وافترأه علي الله وعلي رسوله واذله غايه الإذلال واعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجته فقال تعالي (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وظل عنهم ما كانوا يفترون) وقال عن فرعون (فاخذنه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبه الظالمين وجعلناهم ائمه يدعون الي النار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنه ويوم القيامة هم من المقبوحين)

ولهذا فإن الحق يتوجه الي نبيه لينظر هذه النهايه القبيحه للمكذبين في يوم القيامة فقال تعالي (انظر كيف كذبوا علي أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

وهذا فيه الاتي

الأمر الاول

أن علي المومن عندما يسمع اخبار الله له أن هنالك عمليه سوف تحدث يوم القيامة فاللازم عليك أن تصدق ذلك تصديقا تنتقل فيه من العلم باليقين الي العلم عين اليقين فتراه وكأنه صار واقعا ثابتا تراه امامك حقيقه لاجدل فيه كانه حق اليقين

ولهذا فإن المراد بقوله تعالي (انظر كيف كذبوا علي أنفسهم...الخ

النظره بالقلب لا بالبصر بل الرؤويه القلبيه بالبصيره فتري الناس في ساحه الحشر موقفا ماثلا امامك تشاهد الكفار الذين افترؤا علي الله الكذب علي الله وهم في الخيبه والفسل فجعل حالهم المتحدث عنها عبره للمشاهد فجاء بصوره الماضي (كذبوا) (وضل)مع أن اليوم في المستقبل فأمر الرسول بالنظر والمشاهده وكأنه مشهد حاضر أمامه للتحذير من هذا السلوك وفعل كذب يتعدي الي من يخبر عنه الكاذب كذبا مثل تعديه في هذه الايه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من كذب عليا متعمدا فليتبوا مقعده من النار) وأنه يتعدي الي تكذيب نفسه عندما أخبرها بالكذب واقنعها بأن الأولياء الذين يتعلقون بهم يشكلون قوه يتحصنون بها من عقاب الله وعذابه فلم يجدهم وقت الحاجه فأخبر الله أنه ضل عنهم ما كانوا يفترون

الأمر الثاني

أن الايه ترسم لنا مشهد يوم القيامة والحشر لنراه بقلوبنا ننظر الي نهايه الافتراء والكذب كيف أنها تضر بالإنسان لبيان ان ولايه الله هي الباقيه والنافعه وان الصديق تهدي الجنه وان ولايه الطاغوت تخدع الإنسان فهو يخرج من النور الي الظلمات ويبدأ ذلك من الكذب الذي يصور المعدوم موجودا والموجود معدوم ويوصل صاحبه الي الفجور والهلاك والضياع واول اضراره هو أن الإنسان يخدع نفسه حيث يبني عقيدته علي الاماني ويعبد اهواءه ويظن أنه يحسن صنعا فيري الحسنه سيئه والسئيه حسنه ولذلك فإن هذا الميل الي الهوي كان سببا في خديعه النفس فلم تعمل النفس علي ما ينفعها من الأعمال فلم تحي الحياه التي تليق بالإنسان وكرامته والذي لا يكون إلا بالتوحيد واتباع الرسل ومنهج الله ولهذا فإن التكذيب بالحق رغبه في الدنيا والملذات والشهوات والرئاسه فخدعوا أنفسهم ولم يستعدوا للقاء الله بالتوحيد والأعمال وخدعوا أنفسهم وكذبوا عليها في الدنيا فالسؤال اليس

ذلك دليل علي كذب هولاء علي انفسهم

وان الأصنام وكل ما كانوا يعتبرونه مصادر قوه وعز يستعلون بهم فارقتهم وتبرأت منهم ولم تنصرهم وتخلت عنهم في هذا الموقف التحذير من الاغترار بتلك المظاهر الخادعه فقد فقدوها وقت الحاجه

ثالثا

تعود الايات الي مشهد الكفار من اهل الكتاب والمشركون والمنافقون كيف كانوا سببا في اضلال انفسهم واضلال غيرهم وتذكر مشهد مقابل لذلك وهم في موقف مشاهدتهم النار مشاهده عين اليقين فقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا علي قلوبهم اكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل ايه لا يؤمنوا بها حتي إذا جاوك يجادلونك يقول الذين كفروا أن هذا إلا اساطير الاولين وهم ينعون عنه وينثون عنه وإن يهلكون إلا انفسهم وما يشعرون ولو تري إذ وقفوا علي النار فقالوا يلبتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

المبحث الأول

ابتدأت الايات بقوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا علي قلوبهم اكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل ايه لا يؤمنوا بها حتي إذا جاوك يجادلونك يقول الذين كفروا أن هذا إلا اساطير الاولين وهم ينعون عنه وينثون عنه وإن يهلكون إلا انفسهم وما يشعرون ولو تري إذ وقفوا علي النار فقالوا يلبتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

بالوقوف علي الايات نجد فيها الاتي

اولا

أن الايات ابتدأت معطوفه علي ما قبلها من الايات التي تناولت ذم اهل الكتاب من اليهود والنصاري الذين افتروا علي الله الكذب وكذبوا بالايات بالاشارة الي محاربه الاسلام وانكار رساله الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه بنعوته وصفاته كما يعرفون أبناءهم والايه مكيه لم يكن قد حصل المواجهه المباشره مع اهل الكتاب فما هو سر العطف عليها مع النصوص تتحدث عن اهل مكه في قوله (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا... الخ أن هذا يعود للاتي

الأمر الأول

لأن الايات تناقش دعائم الكفر وأعداء الإسلام في معركة الحق والباطل ليشمل (أهل الكتاب و المشركين و الدجال والشيطان والمنافقون) ولما كان المشركون قد اجتمعوا مع اليهود وطلبوا منهم أمور تعجيزيه ينالون من الاسلام ويمنعون الناس عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا فيه افه التنازع بالجدل بالباطل لهذا جمع أهل الكتاب مع المشركين في ساحه الحشر اشاره فساد قلوبهم وان كانوا أهل كتاب لأن القلب اذا اعتاد علي الكذب فإنه يبتعد عن الحق وذكر أن أنهم خسروا أنفسهم بعدم الايمان مثل المشركين فبعد النفس عن ربها يودي الي إفساح المجال أمام الشهوات والشبهات أن تستقر في النفس وتغزو صميم القلب ولايشعر بها الإنسان لأنها اعراضها مخفيه عن النفس فاخبرنا الله أن ذلك يعود إلي فقدان العلم بالتعمق بالذهاب خلف الأوهام علي زعم طلب الاسرار فينتهي بهم الحال الي خداع انفسهم التي تبحث عن الذات العليا الغائبه عنها فعندما لا تعرف محبوبها المغروس في الفطره فإنها تعبد اصناما وتظل تبحث عن مفقودها الغائب والذات العليا فتتنظر الي الأصنام والمال والجاه والسلطان أنها تحقق ذاتها العليا التي تبحث عنها فقال تعالى (اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) ولهذا فإن هذه الخطوه منها تكون انحراف للنفس لاتصل الي نتيجه ويدخلها في نفق مظلم لا تستطيع أن تخرج

من الضلال فقال تعالي (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) لأن سكره الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الالم فيفسد صورتها واردة فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتي لا يري الحق او يراه علي خلا ف ما هو عليه واردة بحيث يبغض الحق النافع ويحب الضار .. فالتعمق بالضللال خلف الأوهام بزعم طلب الاسرار اول دعائم الكفر فاخبرنا الله ان تلك الغرائز قد غزت القلب بسهامها لانهم لم يقوموا يتعهد قلوبهم بذكر الله وتذكيرها به ومراقبته وادي هذا تسرب الشهوات اليه وحصل الميل والزيغ والحيدان

الي الشهوات الحيوانيه فإن عدم تدرك النفس من ذلك المرض ودوام العصيان والكذب ادي الي خديعه النفس فأصابت القلب بالموت والقساوه فنقلت صاحبها من الإيمان الي الكفر فصاروا في مرتبه البهائم فقال تعالي (انظر كيف كذبوا علي أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) لبيان اضرار الكفر والتعلق بالخرافات والأوهام في زعم طلب الاسرار والزيغ كما قال (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)

وقال تعالي في وصف هولاء في موضع آخر (ولقد ذرنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)

وقد ذكر أن اليهود والنصارى نتيجته الحسد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء من امه العرب دفعهم الي التكذيب بالحق وشاركوا وساهموا في المعركة الاعلاميه ضد الإسلام بل وضعوا الخطط والبرامج في معركة الجدل بين الحق والباطل من خلال المقترحات التعجيزيه التي أخبروا بها المشركين فكان الجدل بالجهل لأجل الجدل وليس لطلب الحقيقه وايضا كان منهم الاختلاف والشقاق بالخروج عن دائره الايمان الي الكفر عندما رفضوا الانتقال الي القران لقراءه مراد الله ولهذا جمعهم مع المشركين فتلك هي دعائم الكفر

الأمر الثاني

مما سبق يتضح أن جمع أهل الكفر والشرك والملل في قالب واحد لأن دعائم الكفر واحده فجاء العطف لبيان نماذج لهذه الأصناف مبينه عقوبه واضرار من أصيب بالشبهات والشهوات التي هي دعائم الكفر فقال تعالي (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا علي قلوبهم اكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل ايه لا يؤمنوا بها حتي إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا أن هذا الا سحر مبين)

انها نماذج مستمره إلي قيام الساعه وأشار إلي البعض (ومنهم من يستمع إليك)

اي أن من هولاء المشركون واليهود والنصارى يستمعون القران مع ان اليهود لم يستمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت ولكن نقل إليهم المشركون مافي القران وطلبوا منهم أن يعطوهم رأيهم في ذلك هل هو منزل من الله ام لا وانكر اليهود أن ذلك كلام الله وكذبوا بالآيات

ولهذا قبل ذكر الحق هنا العقوبات علي الكفر التي كانت سببا في عدم الانتفاع من الهدايه الخاصه بدلاله القران وإرشاداته ومواعظه فجاء التصنيف لانقسام الناس في الآيات فذكر في بدايه الامر الآيات المسموعه و أصل السماع الذي أمر الله به وهو سماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سماع

فقه وقبول وان الناس انقسموا الي اربعة اقسام

١

صنف سمع القران سماع صوت ولم يفقه المعني (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا علي قلوبهم اكنه أن يفقهوه... الخ

وكما قال تعالي (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)

وقوله (أن يفقهوه) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

يتناول من لم يفهم منه تفسير اللفظ كما يفهم بمجرد العربية

ومن فهم ذلك لكن لم يعلم نفس المراد في الخارج وهو الأعيان والأفعال والصفات المقصوده بالأمر والخبر بحيث يراها ولا يعلم أنها مدلول الخطاب مثل من يعلم وصفا مذموما ويكون هو متصفا به أو بعضا من جنسه ولا يعلم أنه داخل فيه والسماع لا بد منه لاقامه الحجة كما قال تعالى (لانذركم به ومن بلغ) وان السماع وحده لا ينفع فإنه قد حصل لجميع الكفار الذين استمعوا القران وكفروا

ولهذا فإن هذا لا يتاثر لأن ذلك موقفا علي مؤثر متقضى ومحل قابل وشروط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه

فإذا أردت أن تنتفع بهدائه القران فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه والقي سمعك وأحضر حضور من يخاطب به من تكلم المولي سبحانه منه إليه فإنه خطاب منه لك علي لسان رسوله فحضور القلب أمر مهم فهو المحل القابل فينبغي أن يكون حاضرا قال ابن قتيبة استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم في تفسير (أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) فالأكنه اغطيه تمنع السمع

ولذلك فإن الذي ينتفع هو سماع الفقه لأن ذلك هو الذي يعيظه الله لمن فيه خير كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)

فدلت الآية أن من لم يحصل له السماع الذي يفقهه معه القول فإن الله لم يعلم فيه خيرا ولم يرد به خيرا وان علم الله فيه خيرا أو أراد به خيرا فلا بد أن يسمعه ويفقهه كما قال في موضع آخر (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم)

الصف الثاني

يسمع من سمع الكلام ويفقه ولكنه لا يقبله وهذا هو حال اليهود كما قال تعالى (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وهنا قال (وان يروا كل ايه لا يؤمنوا بها)

فهم رغم معرفتهم الحقيقة لا يصدقون بما أنزل الله لانهم لا يرغبون بالحقيقة ولا يطلبونها فالإيه تبين أن عقوبه الله لكل من عرف الحق ورفض قبوله عنادا بأنه يسلك طريقا وعرا يشتد عليه المخرج فقد عاقبه الله بتعطيل حواسه واعماه الله بأن حجب عنه الرويه فيعيش في الضلال

الصف الثالث

وهم الذين ممتنعون عن استماعه ومعرضون عنه ولا يقبلونه فقال تعالى (وهم ينهاون عنه ويننون عنه)

ينهاون الناس عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويتباعدون عنه كما قال تعالى (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون)

الأمر الثالث

لقد جمعت الآيات الأصناف الكافره كلها في الآية لبيان أن ما حل بهم عقوبه لهم علي كفرهم ورفضهم القبول ؛ الحق

فذكر أنه جعل الاغطيه التي تعمي البصيره فلا يرى القلب الحقيقة وهو محل الفهم وذكر أنهم لا ينتفعون بالسمع لأن الله علم أن لاخير فيهم وهم حتي لو سمعوا لتولو وهم معرضون

واخبرنا أنهم لا يريدون الحقيقة ولا يطلبونها وإنما هم يستمعون لأجل اثاره الشبهات والجدل بالباطل لدحض الحق فلا يرون الأدله وان كانت مشهوده فقال تعالى (حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين)

تكشف الايه عن طبيعه القوم بأنهم لا يتحركون الا إلى ما هو شر ولا يعملون الا لما هو شر فلم يكن مجيئهم لطلب المعرفة بل لأجل المجادله والنزاع بالباطل فلا يرون الدلائل المعروضه عليهم والتي توجب الايمان فهم يعلمون أن القرآن كلام الله ومع ذلك يبتعون الدعايات بأنه ليس إلا اساطير الاولين فلم ينتفعوا بالآيات الشاهده علي هلاك الا مم الغابره لانهم لم ينظروا الي حقيقه ما فيه من سنن الله في العقاب للمكذبين فالتماري والهول الذي أصابهم لخوفهم من انتشار الإسلام من فقدان مصالحهم فكان ذلك دافعا الي التخطيط لمحاربه الاسلام ومن ذلك أنهم اوجدوا البدائل التي تلهي الناس أنها بدائل الشر حيث كلفوا مالك بن النضر بقص اساطير فارس وغيرها من الأمم لصرف الناس عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يمنعون الناس عن الاستماع ويترددن في الاستماع إليه وقد كانوا يخافون علي أنفسهم من تاثير القران ويخافون من أن يتأثر اتباعهم فقال تعالى (وهم ينهون عنه وينثنون عنه)

فالتردد يشير الي انقباض العزيمه وانفساخها فيصرفون أنفسهم من أن تتأثر فقد روي في السيره أن ابو سفيان وابوجهل والوليد بن المغيره ومجموعه من قريش كانوا يتعاهدون علي عدم الاستماع للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ثم يحضرون ثم كان منهم بذل الجهد لمنع أنفسهم فكان استسلامهم للشيطان وحصل لهم الهلاك في الدنيا والآخرة لأن قوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك)

يعني أنه يستمع عمدا بعكس كلمه يسمع تكون سماع عارضا اي غير متعمد فهذا يكون مضطرا كما قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتي يسمع كلام الله... الخ

لانه ليس أمامه إلا أن يسد أذنيه والايه تبين أن هؤلاء لم يكونوا يستمعون لغرض اكتشاف آفاق الهدايه ولكن لا جل الطعن بالإسلام فذكر أن حضورهم للاستماع لغرض الشر فهم يحاولون سد كل ثغره بنظرهم يمكن أن تجعل الناس يؤمنون بالقران ولهذا لجأوا الي بث الدعايه أنه سحر واضح وأشار إلي أنهم يجمعون بين الضلال والاضلال (وهم ينهون عنه وينثنون عنه وإن يهلكون الا انفسهم وما يشعرون)

اي يوغلون في الشر ويتعدون عن الخير ولهذا يحرمون من الهدايه فالحق يقول في موضع آخر (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) وقال بعدها (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون... الخ

فالهلاك أنهم لا ينتفعون بما يسمعون لأن الكفار استمعوا لكن دون فقه فسماع الفقه يمنحه الله لمن علم الله فيه خيرا فدل هذا أن الله علم أنه ليس فيهم خيرا ولهذا يقول الحق بعدها

(ولو ترى إذ وقفوا علي النار فقالوا يليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن مبعوئين)

ثانيا

تبين الآيات ان المهتدين بالقران هم المومنون المتقون الذين يومنون بقاء الله واليوم الآخر ويستدل بعدم الا هتداء علي عدم الإيمان والتقوي فقال تعالى (ولوتري إذ وقفوا علي النار فقالوا يليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين)

فالايه تبين أن الإيمان والتقوي يكون بالاستعداد للقاء الله بالأعمال الصالحة وخوف الوقوف بين يدي الله وهذا يكون بعدم الانشغال بالدنيا عن الآخره فاللازم الانتقال بالعلم من العلم باليقين الي عين اليقين وحق اليقين وانت

في الدنيا ولهذا يقول الحق (ولو ترى)

الأمر الأول

فالرويه قلبيه يجعل المومن يري عاقبه المكذب باليوم الآخر والنص القرآني عبر بدقه أداء عن حال الكفار في هذا اليوم

لينقل لك صورته ذميمه عن حال هولاء المتكابرون المعاندون عن القبول بالحق بأسلوب لايقوي البيان علي أدائها فيما ترسم كانه يقول لو رأيت عاقبه فلان عندما قبض عليه وحبس وانت تعرف أنه كان جبار في الأرض ومفسد فأنت حينها سوف تأخذ صورته من خيالك عن هذا الذل والمهانه لما حل بهذا المتغطرس وكذلك السامع الآخر سوف يكون صورته في ذهنه متناسبه مع تفكيره فالايه وردت بعد ذكر تجبر وعلوا وفساد هولاء المجرمون ولهذا فإن هذه العبارة قادره علي غرس الايمان باليوم الآخر ولقاء الله في الذهن وهي تودي كل معاني الذله التي يتخليها السامع أنها تلحق بالمتكبرين فكان حذف الجواب مقصود ليذهب السامع المذهب الذي يمكنه من الانتقال بالعلم اليقين الي عين اليقين وكأنه حاضرا في هذا الموقف ثم قال الحق بعدها (إذ وقفوا)

اي حبسوا والوقوف هل بداخلها ام علي مشارفها قبل أن يقذفوا فيها فان كان معني علي بحرف (علي) فهذا يعني أنهم حبسوا علي مشارفها فيكون العلم عين اليقين وان كان علي بمعني في أي في النار فوضعت علي موضع في قوله تعالى (واتبعوا ما اتلوا الشياطين علي ملك سليمان) فيكون المعني حبسوا في النار فيكون العلم حق اليقين

وقال وقفوا ولم يقل أوقفوا لأن هذا هو الفصيح لانه يقال وقفت الدبه وغيرها بغير الف اذا حبستها وذكر البعض أن دخول الالف فتقول أوقفت الشي بالالف يكون اذا رأيت شخصا بمكان حسن

الأمر الثاني

تبين النصوص أن رؤيه النار منهم عين اليقين يجعلهم ينتقلون الي الاماني حيث يكون بدايه الامنيات عند الموت فعندما يشاهدون قبح أعمالهم يقولون كما قال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت) فجاء الرد كما قال تعالى (كلا أنها كلمه هو قائلها ومن ورائهم برزخ الي يوم يبعثون) وهنا تتحدث النصوص عن الامنيه التي يطلبها هولاء عند مشاهدته النار فقال تعالى (فقالوا يليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين)

فقد شاهدوا النعيم الدائم الذي للمومنين وشاهدوا العذاب عين اليقين ولهذا كانت الاولي امنيه تمنى العوده الي الحياه الدنيا والثانيه اخبار انهم لا يكذبون بآيات الله والحجج والبراهين ان ردوا الي الدنيا واستجيبت امنيتهم وان يكونوا من المومنين المصدقين لمن قرأ بالفتح (ولانكذب)

واما اذا كانت الواو عاطفه فمعني هذا أنهم تمنوا العوده الي الدنيا وتمنوا أن لا يكذبوا بآيات وان يكونوا من المومنين بها

لكن الأرجح ان الاولي امنيه وما بعدها خبر بدليل قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فالتكذيب لا يكون إلا للخبر لا التمني فهم تمنوا لو أنهم لم يوقفوا علي ذلك الحال (فقالوا يليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين)

ولهذا فإن الامنيه هنا قبل دخول النار وانما وهم واقفون علي مشارفها لقوله تعالى بعدها (بل بدأ لهم ما كانوا

يخفون من قبل)

ولأن الايات بعد ذلك تتناول الدخول في النار ولأن الاماني التي يطلبها الكافر إذا دخل النار اربعة بعد أن يأس من العوده الي الحياه

الاولي؛ قال تعالي عن ذلك أنهم قالوا (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فانا ظالمون) فرد الحق سبحانه (قال اخسؤ فيها ولا تكلمون) بعد هذه الامنيه أصيبوا بالياس من الخروج فهم يطلبون من مالك خازن النار الموت ليرتاحوا من العذاب فقال تعالي (ونادوا يامالك ليقضي علينا ربك) فياتي الرد من خازن النار (قال إنكم ماكثون)

وبعد ذلك يتوجهون الي الملائكه (وقال الذين في النار لخزنه جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) لقد اردوا تخفيف العذاب ولو يوما واحد بعد أن يأسوا من الموت فياتي الجواب (الم تك تاتيكم رسلكم بالبيات قالوا بلي قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

وبعدها يطلبون من اهل الجنة الماء والطعام فقال تعالي (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) يطلبون شربه ماء أو شي من الطعام فياتي الجواب (قالوا إن الله حرهما علي الكافرين)

لماذا لانهم اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرثهم الحياه الدنيا فالجزء من جنس العمل (فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون)

الأمر الثالث

فالانتفاع به بالاهتداء والاعتاظ والرحمه هو وان كان موجبا له لكن لابد مع الفاعل من القابل إذ الكلام لايوثر فيمن لا يكون قابلا له وإن كان من شأنه أن يهدي ويعظ ويرحم فهذا حال كل كلام ولهذا يقول الحق (بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

بأن هولاء لم يقصدوا من قيلهم اذا وقفوا علي النار الاسي والندم علي ترك الايمان ب الله والتصديق بالايات لكن جاءهم الاشفاق مما هو نازل بهم من عقاب وعذاب اليم علي معاصيهم التي كانوا يخفونها علي الناس ويستترون بها فلما أظهرها الله علي رؤوس الأشهاد تمنوا لو يعودن الي الدنيا ويومنوا وبالتالي فالذي دفعهم لطلب المستحيل عندما حبسوا ليرون العذاب الذي ينتظرهم والذي انكروه في الدنيا هو ظهور أعمالهم القبيحه كما قال تعالي (اقرا كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا) فالقول من فرط الخوف مما اعد الله لهم من عذاب لما ظهر لهم ما فعلوا وهم يشاهدون العذاب مشاهده علم عين اليقين وقد كانوا ينكرون العذاب في الدنيا

فاللازم عليك ايه المومن أن تنتقل في الدنيا من علم اليقين الي عين اليقين بالإيمان بالحساب والعقاب فتري النار علي يسارك والجنه علي يمينك فيكون منك الاشفاق من العذاب لتتجنب المحرمات ويكون الاستهانه بالدنيا وما فيها بالنظر الي ما عند الله من نعيم

فهولاء لم يكونوا يتوقعون ظهور أعمالهم أمامهم مماثله فظهور أعمالهم القبيحه التي كانوا يخفونها والفضيحه و العار الذي حصل لهم وقد كانوا يخفونها في الدنيا ويتلذذون بها فهم في سكر الجهل والشهوات فاخبرنا الله أن طبائع الكفار واحده فهم حتي لو ردوا الي الدنيا وأعطوا المهله فسوف يعودون الي مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا من قبل من الكفر والشرك والجحود لانهم لا يرقبون الموت فطول الامل والغفله بما في الدنيا قد أدت إلي نظرتهم الضيقه فلم يحسبوا حسابا الاخره فقال تعالي (وانهم لكاذبون)

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي نقل مشهد هولاء في الدنيا ونظرتهم للحياه ومشهد حالهم في الاخره وهم في النار يعذبون

فقال تعالى (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ق
الوا بلي وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسروا الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغته ق
الوا يحسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرعون وما الحياه الدنيا الا لعب
ولهو وللدار الاخره خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

اولا

بعد أن ذكرت النصوص حال الكفار عند رؤيه النار والعذاب وأعمالهم القبيحه التي ظهرت لهم يتمنون العوده نتيجته
الخوف مما ينتظرهم بعد رؤيه النار رؤيه علم عين اليقين فظهر لهم حقيقته ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
من ربه عن اخبار هذا اليوم فيتمنون العوده الى الدنيا فاخبرنا الله أن هؤلاء كاذبون فهم حتى لو عادوا الى الدنيا
فإنهم سوف يعودون الي سلوكهم القبيح وسوف يعودون الي مكابره والعناد ومغالطه أنفسهم وعقولهم ووجدانهم
فهؤلاء مثل المقامر الذي بعد أن يخسر ماله ويرى أنه بحاجه وقد أضاع كل ما يملك يظهر الندم علي ما أفرط
وينوي ويعزم أنه إذا جاءه مال أن لايقامر مره اخري وان لايعود لمثل ما كان عليه من قبل فإذا رزقه الله مال فإنه
سرعان ما يرجع إلي سيرته الاولى خضوعا لما اعتاد وترجيح اللذه العاجله علي المنفعه الاجله

ولهذا فاللازم تعويد الناس علي الفضيله وحملهم عليها بالعمل والتمرين وحسن التعبد بالنعم كما يمرن الاطفال
الصغر والرجال علي الجنديه فلا ينبغي أن يسمح باطاعه شهوتهم واتباع اهوائهم ظنا أن هذا يعودهم الحريه والا
ستقلال لأن ذلك يعني هدم قيم الحق والفضيله فمن اخطر الأمور أن تترك طفلك يتبع شهوته من الصغر فإن صار
ذلك الي مرحله الكبر فإنه يصير صبغه وعاده له يصعب بعدها إعادته الي قيم الفضيله ولذلك فالواجب تربيته الا
طفال علي الاداب والفضائل مثل تربيتهم علي النظافه ومرعاه القوانين الصحيه لأن تعويدهم ذلك من الصغر
يكون له فوائد كبيره ولهذا يقول لنا الحق أن السبب الذي اوصلهم الي الهلاك هو أنهم كانوا ينكرون البعث والنشور
فقال تعالى (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين ولوترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ق
الوا بلي وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

الموضوع الاول

فالايات تنقل لنا الايات صورتان متقابلتان لاهل الكفار؛—

الصوره الاولى:—

(تبيين نظرتهم وتصورتهم للحياه في الدنيا)

أن الكفار كانوا ينكرون أن الله يحيي الموتى ينظرون أن لا حياه بعد الموت ويجحدون الحساب والعقاب ولهذا فقد
كانوا ينظرون للحياه نظره ماديه لاتخرج أغراضهم عن تحصيل الشهوات والملذات فيرون أنهم إذا ماتوا انقطوا
عن اللذه ولاينظرون الي ما عند الله من نعيم لانهم لا يومنون بالبعث والنشور والحساب والعقاب ولهذا فإن هذه
النظره للحياه تجعلهم يتنافسون علي إشباع الرغبات ويتحول الي وحش يسعى الي اشباع رغباته دون مراعاة ما
يترتب عن ذلك ما اضرار بالآخرين يكون شخص اناني مشلول التفكير والطاقيه لا يشعر باي مسؤوليه تجاه الآخرين
فالايه فيها ذم لهذه النظره للحياه

الصوره الثانيه :—

(تبيين لما هم عليه وهم موقفون امام ربهم للحساب)

يسألهم الحق (أليس هذا بالحق قالوا بلي وربنا) في موقف معابنتهم ومشاهدتهم النار وهم يقذفون في النار من
قبل ملائكه العذاب فياتي الجواب منهم (بلي وربنا) باستخدام اداه الجزم بلي والإقرار بربوبيه الله (وربنا) وهم

في موقف الذلة والمهانه و بعدها يوجهوا بالجزاء الاليم الذي يكون فيه الانتقال الي علم حق اليقين (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

كما قال تعالى (فاما من كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما من كان من المكذبين الضالين فنزول من حميم وتصليه جحيم أن هذا لهو حق اليقين)

المفهوم الاول

أن عليك أن تفهم أن عالم الاخره ليس شيئا جديدا بل إن جميع مظاهرها إنما هي آثار هذه الحياه الدنيا فالله يقول (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اي أن هذا العذاب بسبب كفركم فآثار الاعمال سوف تظهر لك هذه الآثار الخفيه يوم القيامة وسوف تراها في شكل كتاب مفتوح فقال تعالى قبلها (بل بدأ لهم ما كانوا يخفون من قبل)

فإن كل فعل قبيح يترك آثارا خفيا في نفس العامل والله يقابله سواء كان خيرا او شرا بعمل من عنده لترسم صحيفه الاعمال الخفيه التي تنكشف لكل واحد فالاعمال هي الرصيد التي تكون سببا في شقاء الإنسان وتعاسته أو في سعاده

فالحق يوبخ هؤلاء ويقول (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)

وهذا فيه التعبير عن الغضب الشديد والمراد بهذا لو لم تكفروا ولم تعرضوا عن الحق ولم تتكبروا بسبب غرورك وإنكار قدره الله علي اعادتك الي الحياه لم تذوق اليوم كل هذه المرات فلهذا النيران التي تشتعل بك علي الدوام دون انقطاع لانك نسيت الإله الحقيقي وعبدا أصنام وغيره من المخلوقات والعانيه انك كذبت الله بقولك انك لن تبعث بعد الموت

المفهوم الثاني

أن علي المومن أن يعرف الجواب لماذا يريد أن يعيش ؟

فعليه أن يستحضر أنه خلق لمعرفة الله ومحبهه وعبادته وتوحيده...ولهذا فإن نظرتة للحياه تختلف عن نظره الكافر لأن المومن ينظر للدنيا أنها دار عمل وينظر للاخره أنها دار جزاء ينظر للدنيا أنها دار غربه والاخره هي الوطن ولهذا فإن ارداه للعيش هي عباده الله بمفهوم تجاري اي أن يجمع اكبر قدر ممكن من الحسنات قبل حلول الأجل فالحرص علي الحياه لأجل كسب الحسنات في إطار عمره ليعمل ما يرضي الله وهو في هذا الطريق يجد مشكله أن حياته محدده من حيث بقاءه في الدنيا ولكنها ممتده لأن الدنيا مقدمه لحياه أخرى تبدأ من البرزخ وتنتهي بالبعث والنشور وأما الي الجنه او النار ولهذا فإنه يحرص علي أن تكون أعماله كلها حسنه ويحاسب نفسه باستمرار ليكون له النجاه من الهلاك فالحياه الاخره هي الحياه الحقيقيه بنظره تبدأ من لحظات وفاته فالدنيا مزرعه عمل الاخره لأن المومن يؤمن باليوم الآخر فعقيدته الاسلام ربطت الايمان بهذا اليوم بالإيمان بالله و الرسل والكتب السماوية...الخ

وربطت ذلك بعقيدته التوحيد فلا يكون التوحيد الابالايان باليوم الآخر عقيدته وسلوكا وتصورا وشريعته ونظام حياه وهي من الامور الغيبية التي نؤمن بها وفقا لما أخبرنا به القرآن الكريم ولها اسماء عديده يوم القيامة ويوم الحسره ولهذا قال تعالى (قالوا يا حسرتنا) ويوم الدين الطامه وتسمى أيضا الحاقه لأنها حقا ولهذا قال تعالى (أليس هذا بالحق)

الموضوع الثاني

اهميه الانتقال بالعلم اليقين في الدنيا الي العلم عين اليقين وصولا إلي العلم حق اليقين لتري جهنم مائله امامك

وانت في الدنيا حتى لا تتفاجأ بها وتحصل لك الخساره الموكده فتحصل الخساره والخذلان والخيبه التي تحصل للكافر المكذب بها كما قال تعالى (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعه بغته قالوا يا حسرتنا علي ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم الا ساء ما يزرلون وما الحياه الدنيا الا لهو ولعب وللدار الا خره خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

فالمومن ينظر إلي هذا اليوم أنه حقا وواقع لامحاله ينظر إليه أنه جد وهو في الدنيا وجد في الاخره وجد في ميزان الله وحسابه فيها الحق الحاسم من رب العالمين تحقق فتكون فيها الحق فتحقق فتقع فجاءه تحقق فتتزلزل ؛ الحق علي الناس يومن بها غيبا وهو تعالى قد انزل الآيات التي أخبرنا بها عن هذا اليوم الذي يطلع السامع بما هو مستقبله وجعله غيبا رحمه منه تعالى وتكرما عن هذا المستقبل لأجل الانذار والتنبيه واعطانا صورته تقريبيه عن هذا اليوم واهواله وتركنا نختار أن نومن أو ننكر لأن هذا الغيب هو محل اختبارنا لما منحنا من الارداه والإختيار وما زود الإنسان من الأدوات التي يستطيع أن يكون بها طائعا أو عاصيا والعقل الذي يميز الخير والشر والقدره علي تنفيذ ما يريد فهذه الصفات توهله للامتحان والابتلاء الرياني في هذه الحياه وهذا الامتحان يقتضي الجزء و الا كان عبئا لامعني له ..تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهو يقول في موضع (افحسبتم إننا خلقناكم عبئا وأنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)

ولو رأينا الغيب لهذا اليوم حقيقه ونحن في الدنيا لذهب اختيارنا ولبطلت ارادتنا ولو وجدنا أنفسنا مجبرين علي الإيمان اضطررا عندها سوف تنتفي الحكمه من خلق الانسان وابتلاه

ولهذا فإن عقيدته الجزء الرياني متصله بالإيمان بالله الخالق العليم الحكيم القادر والإيمان بالعداله المطلقه التي تقتضي عدم التسويه بين المسي والمحسن ولا التسويه بين المسلم والكافر ولهذا فهي تأتي بغته فقال تعالى (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعه بغته.... الخ وهذا فيه

المفهوم الاول

أن طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره طلبه كما ذكر ابن القيم الا بحسبين ...حبس قلبه في طلبه ومطلوبه اي يكون مطلوبك فمن كان عارفا بربه ومحبا له فإن هذه المعرفه والمحبه تجعله يشعر بلذته طاعه الله وامتنال أوامره لأنها تؤدي الي تقويه المحبه والشوق فتولد قوه ارده وعزيمه دافعه للطاعه فاللذته تابعه للمحبه وتقوي بقوتها وتضعف بضعفها فكلما كانت الرغبه في المحبوب والشوق إليه اقوي كانت اللذته بالوصول اليه أتم والمحبه والشوق تابعه لمعرفته والعلم به وكلما كان العلم به أتم كانت محبته اكمل فإذا رجع كمال النعيم في الاخره وكامل اللذته الي العلم والحب فمن كان بالله واسماءه وصفاته ودينه اعرف كان له احب وكانت لذته بالوصول اليه ومجاورته والنظر الي وجهه وسماع كلام أتم فيجد اللذته وهو في الدنيا قبل الاخره فكمال قوه العبد في هاتين العلم والحب وافضل العلم بالله واعلي الحب له وأكمل اللذته بحبسهما ولهذا فهو لا يلتفت الي غيره تعالى ويحبس لسانه عما لا يفيد حبه علي ذكر الله وما يزيد إيمانه ومعرفته ويحبس جوارحه عن الشهوات و المعاصي فلا يفارق الحبس حتي يلقي ربه فيخلص من السجن الي أوسع فضاء واطيبه

وهذا يكون دافعا لتقويه الارداه والعزيمه والهمه التي تشكل قوه علي طاعه الله تجعله يصبر علي المشقه ويصبر علي الملذات

أما الذي لم يصبر علي هذين الحبسين وفر منهما الي فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وأما ذاهب الي الحبس ولهذا يقول الله (ولو تري إذ وقفوا علي النار) (ولو تري إذ وقفوا علي ربهم) ومعني وقفوا حبسوا لانهم لم يستعدوا لهذا اليوم فهم لم يكونوا يومنون أنه سوف يكون إعادتهم الي الحياه ونظرتهم ضيقه الأفق والشعور والتصور لانهم متعلقون بالأرض وهم أسري الشهوات والملذات وينظرون الحياه من زوايه الجانب المادي فقط مثلهم مثل البهائم وهذا يولد في النفس

التوحش والسعي لتحصيل أكبر قدر من الميزات فالخوف من الموت يجعله مسعورا كانه وحش ولهذا شاهدنا الوثنيه السياسييه في العالم والظلم الإنساني للإنسان نتيجه هذه النظره الظالمه

المفهوم الثاني

أن نظره المومن الي الحياه الدنيا تختلف عن نظره الكافر فنظره المومن تتجاوز حدود الزمان والمكان فهو يري مستقبله رأي العين وان غاب عنه ويعيش في الجنه وهو في الدنيا لانه يتغذي علي طاعه الله ويحس بالألم الذنب اذا ارتكب معصيه وهو في الدنيا وكأنه شاهد العذاب في الاخره مشاهده علم عين اليقين ويحس بالألم الناتجه عن الذنب اذا ارتكب جرم احساس يذلع جسده كان النار تحرقه فهو يومن باليوم الآخر ويومن بالعقوبه لأن الذي يرتكب الذنب أما يكون مكذب بالبعث كما ذكر الله لنا قول المكذبين (وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين) وأما أن يكون غير مصدق بوقوع العقاب كان يركن الي العفو والمغفره من الله وغيرها من الأمور وهو ما يودي الي الغفله ولهذا فإن المومن الحقيقي هو الذي اذا ارتكب الخطيئه شعر بأن العقاب سوف يحل به في الحال فهذا لن يرتكب الذنب لانه في يقين أن العذاب واقع لامحاله أن خالف أمر الله

انه يري النار عن يساره والجنه عن يمينه فيري النعيم الدائم الذي للمومنين ويري العذاب الذي ينتظر الكفار يشعر بعوالم الغيب من الملائكه ويتصل بالمومنين السابقين فيتسع تصوره للوجود كله يقول السيد قطب (ويحصل له ا لامتداد في الافاق والاهتمام والقيم بقدر هذا الامتداد والأبعاد والأعمال والمستويات بينما الكافر يكون فكره ضيق محصورا في الحياه الدنيا لاتتجاوز هذا الحيز الضيق ولهذا تكون هنالك اختلاف في القيم والمبادئ والمناهج التي تنظم الحياه والشعور بالمسؤولية والجديه في التعامل بالنسبه للمومن والكافر حيث أن الكافر يكون اناني والا مبالاه في أفعاله وسلوكه ضيق الأفق لايتجاوز في اهتمامه ذاته وأسرته أو قريته ووطنه في أوسع دوائره وهو يسعي وراء شهواته وملذته ولايري أنه سوف يحاسب علي أفعاله بعد الموت بينما المسلم ينظر الي العوالم في الاخره فيتسع تصوره فيكون مستعد للبدل والعتاء وتقديم الخير وتنفيذ أمر الله فالتنافس في المجتمع المسلم انما يكون في التفاني في خدمه الآخرين

ولهذا فان الايمان باليوم الاخر فيه تربيه المومنين والحفاظ علي قواه العقلية والنفسية التي تجعل الفاعليه ايجابيه وتكون اهلا لقياده البشريه قياده تتسم فيها باحترام كرامه الانسانيه في صورته واقعيه ولايمكن أن تودي هذا الواجب إلا بأن تخرج من صورتها الضيقه الي الافاق الواسعه تخرج من ضيق الدنيا الي سعه الدنيا والآخرة ولهذا كان التأكيد علي حقيقتها اولا (أليس هذا بالحق) فكانت هذه ايقاعات قويه تهتز لها النفوس وتوقظ القلوب لما في النص من أسلوب موثر يهز أعماق النفس ويوقظها من غفلتها ويدافعها الي العمل الصالح

الموضوع الثالث

تحدث الآيات عن اهميه الاستعداد للقاء الحبيب والقدم بين يديه فقال تعالي (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتي إذا جاءتهم الساعه بغته قالوا يا حسرتنا علي ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم علي ظهورهم الا ساء ما يزررون)

فالايه تبين أنه خاب سعي الكفار وذل أعمالهم لانهم كذبوا باليوم الاخر..وان كانت اعمال خير فالله يقول في موضع آخر (وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

فالايه تناقش الامور الاتيه

الأمر الأول

اهميه حب الله وحب لقاءه وهذا إنما يكون بالاستعداد لهذا اللقاء فالمحب لابد أن يتذكر محبوبه علي الدوام

وبالتالي فإن عليك المدوامه في ذكر الله طمعا أن يذكرك فهو تعالى يقول (اذكروني اذكركم)

فلو تغذي قلبك بمحبه الله لذهبت عنك بطنه الشهوات ..

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أنك مسافر الي الله والدار الآخرة.. وبالتالي فإن كنت تحب الله فإن معرفتك أنك مسافر إليه تتطلب منك أن تستعد لهذا اللقاء وان تشتاق له وهذا الأمر يحتاج الي قوه صبر علي الشهوات وقوه صبر لمقاومه الرغبه في الملذات والزهدي عن الدنيا ومراقبه النفس علي الدوام تحتاج إلي مجاهده النفس بتذكر حلاوه الوصال تحتاج إلي الهمة العاليه استعدادا للقاء الحبيب وان تقدم من الأعمال ما تسبش بالرضا عند القدوم والوقوف بين يدي ربك

الأمر الثالث

أن الايه فيها تحذير من الغفله وطول الأمل فيقول الحق لك لاتهادن نفسك وعليك محاسبتها وتحذر من التسوييف فاخبرنا الحق باهميه الاستعداد للقاء الحبيب وذلك بالأعمال قبل أن يدرك الموت أي أن تكون في ترقب الموت فمن مات قامت قيامته وقد ورد في صحيح البخاري عن عباده ابن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت عائشه أو بعض أزواجه انا لنكره الموت ق ال الرسول صلى الله عليه وسلم ليس ذاك ولكن المومن اذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شي احب اليه مما أمامه فاحب لقاء الله واحب لقاءه وان الكافر إذا حضر الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شي اكره اليه مما أمامه كره لقاء الله وكره الله لقاءه) فاخبرنا الله أن الساعه أمر مفاجئ كما قال تعالى في موضع آخر (وما أمر الساعه الا كلمح البصر أو هو أقرب أن الله علي كل شي قدير)

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله بعثت انا والساعه كهاتين وأشار إلي إصبهه ..

والايه تبين أن الكافر في غفله حتي يتفاجأ بالموت فإذا قامت الساعه فإنه يجد الأهوال وعندها يتحسر علي سوء صنيعه وقبح أفعاله وقد الزموا العاقبه علي أعمالهم وتكذيبهم فما أسوأ من تلك الأعمال وما أشنع تلك الأفعال

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بجوراه جنازه فقال مستريح ومستراح منه قالوا يارسول الله ما المستريح وما المستراح منه قال العبد المومن يستريح من عناء الدنيا وإذا ها الي رحمه الله وأما العبد الفاجر يستريح العباد من أذاه والبلاد والشجر والدواب

الأمر الرابع

أن الايه تغرس في النفوس التطلع الي اليوم الآخر والشوق لما اعد الله لعباده المتقين في الجنه وهذا من أهم الوسائل ودعائم الايمان وتقويه الارده للمسارعه في الاعمال الصالحه ومضاعفه الجهد في المسابقه الي الخيرات وهكذا يشحذ المومن همته ويبادر الي كل عمل يقربه من الله تعالى ثقه بوعدده ويجتهد في تنقيه النيه والاخلاص ابتغاء مرضاة الله لأن الله لا يقبل الا ما كان خالصا وهو ما يولد حب الخير والبذل والعطاء فمن كان متشوقا الي لقاء ربه وبلوغ جنته يخشي أن يوذي هره فيدخل بسببها النار فكيف يوذي اخوانه المومنين أو يتعدي عليهم

الموضوع الرابع

يقول الحق (وما الحياه الدنيا الا لهو ولعب والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

ان الحياه الدنيا لاتساوي شي فيها مثل لعبه بيد طفل فمن السهل علي طفل أن ينفخ فقاعه من الصابون لكنه لا يستطيع أن يحافظ عليها زمنا أكثر من دقيقه او دقيقتين وهو أمر شديد الصعوبة لأن الفقعه عرضه للانفجار في ثواني وتختفي

ولهذا فإن ثمرات الدنيا هو العمل الذي تعمله

ولهذا فقد أراد الحق بهذا التحقير لشان الدنيا لأجل أن تستقيم نظره الإنسان بالنظر الي الاخره وهذا لا يكون إلا بـ الزهد في الدنيا يقول ابن القيم في هذا الشأن أن ذلك لا يكون إلا بعد نظرتين صحيحتين

نظره في الدنيا وسرعه زوالها وفناءها واضمحلالها ونقصها وخستها والم المزاحمه عليها والحرص عليها وما فيها من الغصص والانكاد والتغص واخر ذلك الزوال والانقطاع وما يعقب من الحسره والأسف فطالبا لا ينفك من هم قبل حصولها وهم في حال الظفر بها وغم وحزن بعد قواتها فهذا أحد النظرتين

أما النظره الثاني في الاخره واقبالها ومجبتها ولا بد من دوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات و التفاوت الذي بينه وبين ما هاهنا فهي كما قال تعالي (وللدار الاخره خير) فهي خيرات دائمه بينما الدنيا خيالات ناقصه منقطعه

فإذا تم له هذان النظران اثر ما يقتضي العقل ابعاده وزهد ما يقتضي الزهد فيه فقال تعالي (للذين يتقون أفلا تعقلون)

لأن كل واحد مطبوع علي أن لا يترك النفع العاجل واللذه الحاضره الي النفع الأجل واللذه الغائبه المنتظره الا اذا تبين له فضل الأجل علي العاجل وقويت رغبته في الاعلي الافضل

فالنفس متحركه بطبيعتها فالارداه والحركه من لوزام الحياه ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم اصدق الا سماء حارث وهمام فكل حارث همام اي كاسب همام اي يهم ويريد فهو متحرك بالارده فإذا كان الارده والعمل من لوزامها فقد هداها الله وعلمها ما ينفعها وما يضرها وقد أرشد الله عباده الي ما يتوصل به الي سعادته ولكن الإ نسان قد يعرض بجاهليته عن طلب عما ينفعه فهو لا يريد به وهذا يعود إلي ضعف الايمان وضعف العقل والبصيره لأن الراغب في الدنيا الحريص عليها الموتر لها أما أن يصدق بأن هنالك اشرف وافضل وابقى واما ان لا يصدق بذلك كان عادما للإيمان رأسا وان صدق بذلك ولم يوثره كان فاسد العقل سي الاختيار لنفسه لانه لم يحيا الحياه النافعه الكامله التي خلق لأجله بل كانت حياته من حيث حياه البهائم ويعيش في غفله واتباع الهوى فتكون حياته بلا فائده لانه يعيش محبوس في الدنيا دون أن يلتفت الي ما بعدها فالغفله والشهوه أصل الشرف الله يقول في موضع آخر (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)

فصاحب الهوى وحده لا يستقل بالشر الا مع الجهل لأن من علم قطعا أن ذلك يضره فانه لن يفعل ما يضره ولهذا فإن العصيان يعود إلي أنه لا يجزم أنه يضر نفسه بفعله فإن هذا يدل علي ضعف عقله فلا يمكن لعاقل أن يوزني نفسه فذكر الحق الحسره قالوا يا حسرتنا علي ما فرطنا فيها... والتفريط عائدا أما لعدم استحضار حرمة أو عدم استحضار العقوبه

لأن الذي يجزم باليقين أن هو فعل جرما أنه سوف يحصل له الضرر فإنه لم يقبله فمن يعلم أن ما في الإناء سم بداخل العسل فإنه لن يشرب هذا العسل لانه يدرك أنه سوف يموت

وكذلك فإن الذي لا يكون جازما بتحريم الفعل فإنه يقع في غفله ويتصور أنه غير مذنب فيما يفعل ولهذا تأتي الآيات بتوجيه الإنسان الي النظر إلي ما في الاخره من نعيم ليكون في ذلك قوه دافعه نحو الطاعه واستحضار العوَاب والعقاب في هذا اليوم معرفه الأحكام الحلال والحرام لتعرف ما ينفعك وما يضرك وتفضل اللذه الاجله

علي العاجله والعلم لافائده منه إذا لم يقتنر بالخشيہ فالله يقول في موضع آخر (إنما تنذر من أتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب)

فالخشيہ هو ثمره العلم الحقيقي وهو الذي يودي الي عمل الحسنات واجتناب السيئات فخص الله المنتفعين بهذا العلم ومن يسعدون باليوم الآخر المتقون فقال تعالى (للذين يتقون)

وذيل الجملة بقوله تعالى (أفلا تعقلون) اي أفلا يكون لكم عقولتدركون به أن الاخره أحق بالايثار وان عليكم الزهد عن الدنيا طمعا بما عند الله

المقطع الخامس من سورة الانعام

بعد أن تناولت الآيات السابقة اقامه الحجج علي المشركين

وابطال انكارهم للرسالة وفضح مكابرتهم وعنادهم لما تأتيهم من الآيات القاطعه تأتي آيات هذا المقطع تسلييه للرسول صلى الله عليه وسلم مما أصابه من اذي الكفار وأمره بالصبر ووعده بالنصر علي الكفار وأمره بأن يتاسي بالرسول من قبله مبينا أن سنه الله أن يسبق النصر الصبر والتحمل وتأنسه من إيمان المتغالين في الكفر ووعده بإيمان فريق منهم وان عليه أن يبلغ ما أمره الله وان الهدايه بيد الله وان أسبابها تكون لمن لديه استعداد للإيمان ومن يفتح منافذ الهدايه وليس اولئك الذين يطلبون المعجزات علي سبيل التعجيز فهؤلاء لا يعلمون أن لله حكمه في عدم الاستجابة لمقترحاتهم فذلك من رحمته بهم فلو استجاب لهم وانزل الخوارق ولم يؤمنوا فقد وجب عليهم الهلاك ولفت انتباههم الي مخلوقات الله في الكون واختتم أن الهدايه لمن يكون لديه استعداد لقبول الحق وليس المكذبين فقال تعالي

(قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

ابتدأت الايه بهذا النداء الذي تضمن الخطاب من الله الي نبيه صلى الله عليه وسلم فيه تسلييه نبيه وتطيب خاطره علي ما يلاقيه من اذي وسب لشخصه ولما جاء به فقد كانوا يقولون عنه أنه شاعر وأنه ساحر وأنه كاهن وأنه مجنون ويكذبون ما جاء به من عند الله اي القران الكريم و(قد)تحقيق الخبر الفعلي فهو في تحقيق الجملة الفعلية بمنزله (أن) في الجملة الاسميه فحرف قد مختص بالدخول علي الأفعال المتصرفه الخبريه المثبتة المجرده من ناصب وحازم وحرف تنفيس ومعني التحقيق ملازم له وهو يدخل علي الفعل الماضي والمضارع فيكون التصريف لما يراد بالتحقيق من دلاله المقام مثل تقريب زمن الماضي من الحاله والمضارع من المصدر وهنا أراد تحقيق حضوره لدي الرسول صلى الله عليه وسلم مع استحضر تلك الحاله العجيبه من الوجل المشوب بـ الرجاء فمعني الايه علمنا بأن الذي يقولونه يحزنك محققا فتصبر وفعل (نعلم) معلق عن العمل في مفعولين لوجود اللام والمراد الذي يقولون :- أقوالهم الداله علي عدم تصديقهم الرسول صلى الله عليه وسلم كما دل عليه قوله (ولقد كذبت رسل من قبلك) والضمير المجعول اسم أن ضمير الشأن واللام لام القسم وفعل ليحزنك فعل القسم والذي يقولون فاعله واللام في ليحزنك لام الابتداء وجملة ليحزنك خبر أن وضمائر الغيبه راجعه الي الذين كفروا من قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)فعدل عن ذكر اسم التكذيب ونحوه من الاسم الموصول وصلته تنزيها للرسول صلى الله عليه وسلم من ذكر ذلك اللفظ الشنيع في جانبه تطلقا به

وهذا يفهم منه الآتي

الأمر الأول

أن الايه تبين لنا انسانيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو انسان في مشاعره واحاسيسه لتحس وانت تقرا هذه النصوص انك تقف أمام الرسول الإنسان الذي تتبادله مشاعر الخوف والرجاء والاشفاق والعبات أنه لا يدعوا بعجرفه الداعي المتعاضم او الفارغ الاحمق فالرسول لم يكن من الملائكه وانما هو الرسول الإنسان الحريص علي أن يؤمن جميع اهل مكه فهو من قال عنه تعالي (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) فقد كانت شخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم خير دعوه ودعايه لرسالته فيها البساطه الاسره والانسانية الغامره

ولهذا كان يحزن عندما يري البعض يرفض قبول دعوه الحق

والحزن الم يحل بالنفس عند فقد المحبوب أو لضياع مرغوب أو حدوث شي مكروه ولاسبيل لعلاجه الا التسلي ولهذا نجد الايه فيها تسلييه للرسول صلى الله عليه وسلم من ربه فلا يحزن لرفض البعض القبول بالحق فالأمر

ليس لتقصير منه في إظهار الحجبه وانما العناد والمكابره من المشركين وتبين أن طريق الدعوه شاق محفوف بـ
المكاره والأعداء والعوائق يحتاج الي كفاح ونضال فلا بد أن يسبقه تمحيص وصبر وابتلاء وقوه تحمل للوصول
إلي النصر فالآيات تعالج هذه الطبيعيه البشريه في الإنسان من خلال المبادئ التي تقررها لمواجهه تعنت المكذبين
وتعالج أيضا مساله الرغبه البشريه في نفس الداعيه والحماسه للحق والرغبه في نصره الحق واستعلائه الرغبه أن
يومن به الناس وهي رغبه لاتقل خطوره عن الأعراض والتكذيب من المكذبين ولهذا نجد أن النصوص تبين
للسول ان لايهتم بتكذيب الكفار له والإسلام وان لا يستعجل النصر قبل أوانه فعليه مراعاة السنن فاللازم السير
بخطوات مرتبه ومنتظمه فكل شئ له أوان لجني العمار ولهذا فإنه عند وجود الامكانيه عليك الإنتباه من التهاون
فذكر الله سنته في ابتلاء الرسل قبل النصر والعز والتمكين للحث علي اهميه وضع كل أمر موضعه وهذا يتطلب
اصطحاب معرفه الوحي لأنها اختصرت لنا الطريق ووفرت علينا الجهد والوقت ولهذا يقول الحق لنبيه (ولقد
جاءك من نباء المرسلين)

بأن هذه المعرفه فيها نماذج ليقتدي بها علي مستوي الفكر والعقل والواقع من خلال الوقوف علي السيره
التطبيقيه للأمم في مجالي الخير والنشر فلفظ (نبا) تستعمل للاخبار عن أمور عظيمه كما قال تعالي (عم يتساءلون
عن النباء العظيم) فالايه تشير الي أن علينا أن نتوجه صوب اخبار الرسل في القران فهي فيها منجم المعلومات
التي تدلنا علي المستقبل واكتشاف السنن التي توصلنا الي النتائج المحموده وتختصر لنا الجهد والوقت

الأمر الثاني

أن الايه الكريمه تعطينا نموذج القدوه الحسنه للداعيه بالرسول صلى الله عليه وسلم حيث أن حزن الرسول كان
عائدا الي رغبته في كسب ثقته الناس بشخصه وهو لايقصد بذلك أن يكسب من هذه الثقه مصالح شخصيه لا
وانما يريد بذلك بث أفكاره ومعتقداته بين الناس ليكون الانتقال الي اصلاح احوال البشر واعاده تشكيل المجتمع
وفقا للصوره التي يريد الله فهذه هي المرحله الاولي التي يسعى فيها الداعيه من دعوته الي إقناع الناس
بشخص الداعي وكسب ثقته في إطار محاولته بث أفكاره ومعتقداته بين الناس ولهذا يقول الحق لنبيه (فإنهم لا
يكذبونك) فالفاء في (فإنهم) يجوز أن تكون للتعليل والمعلل محذوف دل عليه قوله (قد نعلم) فواقعيه الرساله
وإنسانيه الداعيه أمر مهم لانه لو حصل اقناع الناس بشخص الداعيه وما يحمل من فكره ودعوه وصاروا محل
ثقه الناس ومحل الصدق الذي لايرتاب معه كان من السهل العمل من أجل إصلاح الوضع الاجتماعي والسياسي وا
لاقتصادي للمجتمع ولهذا فإن مرحله إقناع الناس بشخص الداعي وكسب ثقته من أهم المراحل ومن اشقها
واصعبها حيث أن من ينظر إلي تاريخ الرسالات والرسول يجد ان كل نبي ودعوته يخضعان للجدال والحواريين
مصدق ومكذب ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى عندما كان يرسل الرسل يبينوا للناس ويدعونهم الي الايمان
يزدوهم بمعجزات تدل أنهم مرسلون من عند الله وان العلم الذي ينشرونه هو من عند الله ولا تتبع من ذكاهم
وانما مصدره الوحي والرساله التي يصطفون لها ويكرمون بها وقد كانت سمه الصدق اهم الصفات التي اتصف بها
الانبياء في حياتهم قبل البعته وبعدها وهي من دلائل اصطفاء الله لهم واختياره وعلمه باهليتهم لهذه الصفه الا
لهيه الكريمه ثم المعجزات التي تاييد ذلك وهو ما أخبر به نبيه فقال تعالي (ولقد كذبت رسل من قبلك... الخ

الأمر الثالث

تبين النصوص أن مرحله إقناع الناس بشخص الداعي وكسب ثقته من أشق الأمور واصعبها وأنها تبدأ من بدايه
الجهر بالدعوه وفي هذه المرحله يحتاج الداعيه الي الصبر والثبات حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما
جهر بالدعوه ثارت عليه عاصفه هوجاء من اضطهاد قريش للمسلمين فقد وقف عمه أبو لهب محرضا قومه عليه
وللقضاء علي دعوته وهي وليده في مهدها ويقول خذوا علي يديه قبل أن تجتمع العرب عليه وقد كان منهم
الوقوف ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والتنكيل باتباعه ومحاربه مع أنهم يعلمون صدق وسمو مبادئه وهو
ما أصاب الرسول الحزن والأسف من فعل اهل مكه ولهذا يخبر الحق نبيه أنه يعلم ما يعاني من المشقه في

عرض نفسه علي الناس وعرض الدعوه كما قال تعالي (فلعلك باخع نفسك علي آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) اي فلا تظن أنهم لايعرفون صدقك ومدخلك ومخرجك وجميع احوالك فاصبر لتبلغ الدرجات الرفيعه فليس الأمر لتقصير منك في إقناع الناس ولا لنقص الايه التي تويد الحجه فأنت الصادق الامين فيهم وانما هولا ء يكذبون بآيات الله فهو سبحانه وتعالى يطمئن نبيه صلى الله عليه وسلم فيقول الحق (فإنهم لا يكذبونك) ويجوز أن الفاء تكون فصيحته والتقدير فإن كان يحزنك لأجل التكذيب فإنهم لا يكذبونك ولكن طبيعته أهل الكفر الجحود

فليس الأمر لنقص الحجه فهم لم يعرفوه عنه كذبا طيله حياته قبل البعته ويجوز أن تكون للفرع فيرد بها تثبيت فواد الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيقول له لا تظن أنهم لم يعرفوا صدقك ومدخلك ومخرجك وجميع احوالك فاصبر لتبلغ الدرجات الرفيعه

الأمر الثالث

وصف الحق أن طبيعته الكفار العناد. المكابره والتكذيب والاستهزاء بآيات الله مع أنهم يعرفون انها فيها الحق و الصدق ولكنهم مع ذلك يلجأون الي التشكيك في صدق آيات الله

والسوال هنا ما هو المراد بآيات الله هنا؟

ذهب بعض المفسرون للقول إنه القران واستدلوا بقول ابو جهل للرسول صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله الايه اي يكذبون الآيات التي جعلها الله دليل صدق نبوته ومنهم امثال السدي قال أنه الرسول صلي الله عليه وسلم

والواقع أن كلاهما معا والاختلاف شكلي لأن المعجزه لها شرطان اولها أن تكون دليل صدق النبي والثاني أن تكون فيها التحدي للمرسل إليهم

ولهذا فإن عجز اتيان اهل مکه بمثله ومن تحداهم الله فإن التحدي فيه اظهار الحجه عليهم وإظهار وجه البرهان ولأن المعجزه اذا ظهرت فإنما تكون حجه بأن يدعيها من ظهرت عليه ولا تظهر علي مدع لها الا وهي معلومه أنها من عند الله وبالتالي فإن انكشاف عجز الجميع عن معارضتها والرسول دعا الي الاسلام محتجا بمعجزات القران أنها معجزه لعجزهم الإتيان بمثله وكونها ظهرت من جهته والحال أنه لايعرف الكتابه ولم يجلس الي معلم ولا يعرف الشعر ولا اي علوم وبالتالي فإن احواله تلك تعني انه يستحيل بنظرهم أن يكون هذا موهبه اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم تفوق ما تمتعوا به فكانت احوال الرسول صلى الله عليه وسلم وظروفه من الاميه شرفا بالنسبه له بينما الاميه عيبا في حق غيره ولهذا علمنا أن المسلمين الأوائل لم يؤمنوا به تقليدا وانما دخلوا عن بصيره فقد علموا إعجازه فالزمهم حكمه فقبلوه وتابعوا الحق وبادروا إليه مستسلمين ولم يشكوا في صدقه ولم يرتابوا في وجه دلالتة

ولهذا فان الحق يطمئن نبيه صلى الله عليه وسلم فيقول له لاتحزن نفسك لأجل تكذيب هؤلاء فهم لايشكون في صدقك ولافي صدقك القران أنه منزل من عند الله فالرسول صلي الله عليه وسلم معروف عندهم من قبل البعته بأنه الصادق الامين فهم لايعتقدون ان الرسول صلى الله عليه وسلم كاذب ... فنحن نعلم ما قاله النظر بن الحارث في اجتماع تشاور قريش حيث يامعشر قريش قد كان فيكم محمد غلاما ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا حتي إذا رأيتم الشيب في صدعه قلتم ساحر وقلتم كاهن وقلتم مجنون...والله ما هو شي من ذلك

وهم كانوا يعرفون أن القرآن منزل من عند الله وأنه الحق فهذا الوليد بن المغيره يصف القران (أن له لحلاوه وأنه ليعلوا ولايعلي عليه)

فأهل الصنعة في هذا الشأن إذا سمعوا كلاما مطمعا لم يخف عليهم ولم يشتبه لديهم وهم قد شهدوا بصدق القرآن الكريم وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يجدونه كاذبا في خبر يخبر به بأن يبنى أنه غير مطابق للواقع وانما يدعون ان ما جاء به من أخبار الغيب والبعث والنشور انها غير مطايقه للواقع وكذلك كانوا يخافون علي مصالحهم وسلطانهم فالتكذيب ليس للمتكلم ولا للقران وانما يكذبونه أمام الناس وهم مصررون مع علمهم انه الحق

الأمر الثالث

أن الايه فيها تثبيت فواد الرسول صلى الله عليه وسلم لأن قوله تعالى (فإنهم لا يكذبونك)

فالفاء يجوز أنها للتفرع يعبت بها الله قلب النبي صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيقول له الحق لاتظن أنهم لم يعرفوا صدقك ومدخلك ومخرجك وجميع احوالك فاصبر لتبلغ الدرجات الرفيعه لانه عندما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعوه حتي ثارت عاصفه هوجاء واضطهاد المسلمين بل إن عمه أبو لهب كان يحرض عليه قومه للقضاء عليه وعلي دعوته وهي وليده في مهدها ويقول خذوا علي يديه قبل أن تجتمع العرب عليه فقد وجدوا في دعوته مصدر خطر ولهذا فقد كان ساورت الاحزان الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه الكريمه يبين الحق سبحانه وتعالى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يدعوهم إليه وإن. ما جاء به القرآن هو من عند الله وان هولاء لا يكذبونك علما بل في نفوسهم يدركون انك صادق ولكن يكذبونك قولا عنادا وهذا لا يعني أن يوجد من كان مكذبا قولا واعتقادا ولكن النصوص تتحدث عن اولئك الذين كان لهم سلطه القرار في مكه الذين أسماهم الله الظالمين فقال تعالى (ولكن الظالمين بأيات الله يجحدون)

اي اولئك الفريق الذي كان يقف معارضا الدعوه ومحاربا لها ومانعا للعرب من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والذين كان الخصام والجدل منهم ولهذا قال تعالى (ولكن الظالمين)

فيها استدراك لمنع أن يتوهم البعض من قوله (لا يكذبونك) أنهم لم يصدر منهم اصل التكذيب مع أن الواقع خلاف ذلك لذلك استدرك لبيان أنهم يجحدون بأيات الله فيظهر حالهم كحال من ينسب الاتي بالايات الي الكذب وماهم مكذبيم في نفوسهم والجحد والإنكار للامر المعروف اي إنكار مع العلم بوقوع ما ينكر فهو نفي العلم ونفي نبوته ولهذا جاء بعدها قوله (ولكن الظالمين) فيها ذم للمشركين اعلاما بأن شأن كل ظالم أن يجحد وينكر ويكذب الحجه رغم وضوحها فسجيه الظالم الجحود وهو صفه نفسه يكذبون بالأمر قبل الإحاطة به ودون فهم ماجاء فيه وعدي يجحدون بالباء كما عدي في قوله تعالى بشأن فوعون وقومه فقال تعالى (وجحدوا بها واستيفنتها أنفسهم ظلما وعلوا)

فالجحد نفي ما في قلب انسان أو إثبات ما في القلب نفيه

فالجحد يعني أنه شخص لايرضي بالنطق بالحق مع معرفته به ولهذا أنكروا أن تكون الآيات من عند الله مع اعتقادهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكذب واعتقادهم أنها منزله من عند الله فيها دلائل صدقه واضحه لكنهم ظالمون خوفا علي سلطانهم ونفوذهم والظالم هو الذي يجري خلاف الحق وبدون شبهه فهم ينكرون الحق مع علمهم به

ولهذا فإن عليك أن تفهم أن الجحود والتكذيب سلوك الظالمين والظلم بأنواعه أعلاها الشرك لقوله تعالى (أن الظلم لشرك عظيم) وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

فالمهتدي لا يظلم.. ولا يجحد ايات الله ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يحذر من الجدل بالباطل لدحض الحق فإن هذا من دعائم الكفر الذي يجب الحذر منها وانما الجدل يكون لكشف الحق واظهاره فانتبه أن تجحد شئيا من الحق سواء كان متعلق بحق الله أو حق احد من مخلوقاته لأن ذلك من صفات الظالمين الذين فرطوا في حمل الا مانه

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تسليته الرسول صلى الله عليه وسلم وإرشاد الي سنه الله في ارسال الرسل والخصام و الجدل مع اقوامهم وما يلاقوا من اذي وتكذيب وتحملهم الاذي والصبر فقال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علي ما كذبوا واذوا حتي آتاهم نصرنا لامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين)

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تهدف الي الآتي

الأمر الأول

(تسليته للرسول صلى الله عليه وسلم وتعزيه ممن كذبه من قومه)

فالحق يقول لنبيه أن الرسل الذين أرسلوا من قبلك قابلهم قومهم بالتكذيب للرسالة والاذي للرسول وقد نصرهم الله في نهايه المطاف كما قال تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) وكما قال تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح)

فالآيات تشعر النبي صلى الله عليه وسلم بحقيقته مواجهه الرسل والرسالات من الناس :- بتكذيب الرسالات واذيه الرسل فطبيعه المجرمون في كل زمان واحده

ولهذا جاء تسليته الرسول صلى الله عليه وسلم بارشاده الي موكب الرسل السابقين وتذكيره بما لاقوا من اقوامهم معطوفا علي تسليته قبلها بقوله تعالى (فإنهم لا يكذبونك)

فجاء الكلام معطوفا عليه أي أنه تسليته بعد تسليته والسؤال الاول ما حاجه الرسول صلى الله عليه وسلم الي التثبيت؟ والسؤال الثاني ما فائده التكرار؟

لأن الآيات قد أشارت الي حزن الرسول صلى الله عليه وسلم لما لاقاه من قريش فانزل الله الايه ليشعر النبي أنه في عنايه الله لتثبيت فواده وتقويه قلبه ليتفرغ لتبليغ الدعوة بعزيمه قويه وهمه وقلب مفعم بالحيوية والنشاط والطمانينه والسكون لاتساوراه الاحزان ولاتحتل ساحته الهموم والاكدار التي تكسر شوكة العزيمه وتضعف قوه الاراده وتطفي جذوه النشاط الملتهب وتقعّد الإنسان عن السير الي المثل الاعلي الذي يتوخاه في عمله خصوصا في مثل هذه المهمه الكبرى التي يريد بها أن يصقل طبائع النفوس وتهذيب الفطره الانسانيه وإصلاح ما أفسد من أحوال العالم والأمم وتوجيه العالم البشري طريق الهدايه والرشاد

وفائده التكرار لأن الناس يحتاجون الي ما يهون عليهم المصائب فتكرار التسليته مقصوده لموساه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه الذين كانوا يجدون المشقه من تعنت الكفار فالتكرار مهم في مثل هذه الأحوال لحثهم علي الصبر كما أمره تعالى (فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل) وقوله (واصبر علي ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)

فالايه تبين اهميه التكرار المره بعد المره لأن الحزن والأسف يقضي علي الطاقات التي يحتاجها الداعيه ولهذا جاءت مقرونه بالصبر فكان هذا التكرار ليشعره أنه في كنف الله وعنايته وحفظه فالوحي يحمل في كل مره من دلائل صدقه في دعوي رساله ما يفحم المعتمد ويخصم المكابر ويقطع اللسانه المكذبين ويكبت كيد المستهزئين ويقنع عقول المنصفين بأنه رسول من رب العالمين فهو تثبيت لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم في مواطن اللجاج والخصومه بينه وبين أعدائه

الامر الثاني

يربي الحق رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين علي الثبات ويدلهم علي وسائل تقوية العزائم في مواجهة قله ا لإتباع وعدم الاستجابة للدعوه من الناس والاذي بأن اللازم الصبر والتحمل والحذر من القنوط واليأس وعلي المؤمن أن يقتدي بما كان من الرسل مع اقوامهم فهناك نماذج عديده لما أخبرنا الله في القران فالحق يخبر نبيه وهو خطاب لك ايه الداعيه بأن سنه الله ان يرسل الرسل ويكون المواجهه مع أهل الكفر الذين يعترضون طريق الدعوه ويحصل منهم مقاومه فلا بد أن يصاب الدعاه بالاذي وتسيل الدماء فهذه هي سنه الله فقال تعالي (ولقد كذبت رسل من قبلك)

واللام لام القسم (لقد) لتأكيد الخبر بتنزيل الرسول صلى الله عليه وسلم منزله من ذهل طويلا من تكذيب الرسل لانه حزن من قول قومه فيه كان كمن قبله من الرسل بعد علمه بذلك فجاء وصف من قبلك وصف كاشفا له لتقرير معني التاسي

بأن ذلك سنه ارسل الرسل بأن هذه هي ارداه الله تعالي أنه حين يبعث اي رسول من رسله جعل فيهم ضعفا فيما تري الأعين من حالاتهم فهم لا يملكون لاموال ولاقوه ولاعز وهو تعالي قادر أن يمدهم بالكنوز ويمنحهم قوه وعزا لاتضام ومع ذلك تعرضوا للتكذيب والاذي والسب والشتم لكنهم ساورا فيما أمرهم الله بعبات لم يحدوا عن السير وفق الخط المستقيم الذي أمرهم الله به واستعانوا بالصبر والتحمل في سبيل الله وبالتالي فقد جعل الله رسله أولي قوه في عزائمهم مع قناعه تملأ القلوب والعيون غني فقال تعالي (فصبروا علي ما كذبوا واذوا)

الأمر الثالث

تبين النصوص للمؤمنين ما ينتظرهم في نهاية الطريق فجاء

الوعد بالظفر والنصر لكن بعد الصبر والتحمل فقال تعالي (حتي أتاهم نصرنا لامبدل لكلمات الله)

فالنصر كان باهلاك المكذبين المؤذنين فكان غايه التكذيب وغايه الاذي وكان غايه الصبر والتحمل وهو الصبر علي التكذيب والاذي

ووقع النصر بعد انتظاره فشبه وقوعه بالمجي من مكان بعيد كما يجي المنقض المنتظر واذاف النصر الي ضمير الجلاله والكمال من نوع خاص فهي سنه الله لاتحابي أحد حتي نحن المسلمين فلا يجوز استعجالها قيل الوعد فهي لها موعد ولها أسباب ومسببات فلايعجلها عن مواعدها أن صاحب الدعوه المخلص المتمرد عن ذاته ومن شهواته وان كان يرغب في هدايه قومه

فالايات تبين اهميه الإنتباه من التميع في الدين بذريعه المرونه والانفتاح لأجل أن يلتحق الناس بالدين كما نسمع اليوم من دعاه التفريط الذين أصبحوا يسمون التفريط بالقيم مرونه وانفتاح ووسطيه واعتدال ويصفون المتمسكون بالقيم متطرفون فهذا ترويح فاسد وانحراف عن مدلولات الألفاظ فاللازم علي تلبيه رغبات الكفار ومقترحاتهم بالتنازل عن القيم طمعا في إيمانهم فالحق يقول لنبيه (وان كان كبر عليك أعراضهم فإن استطعت أن تبغفي نفقا في الأرض...الخ

لاتسعي الي تلبيه اغراض ومقترحات الكفار فهم لاينقصهم الدليل ولكن ينقصهم القبول بالحق فاللازم علي صاحب الدعوه الاستعلاء بدينه وان لايستجيب لمقترحات المقترحين ولايحاول تزين دينه بغير اسمه وعنوانه ولا أن يخاطب الناس بغير منهجه وسييله ف الله غني عن العالمين فهو قادر أن يجمعهم علي الهدى لوشاء وبالتالي فعلي الداعيه أن يبلغ دعوه الله وليس إرغام الناس علي الإيمان

الأمر الرابع

تبين النصوص أنه سنه الله لاتحابي أحد حتي لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم فالنصر لابد ان يسبقه امتحان

وابتلاء للصبر وقوه التحمل فالآيات تحذر من خطوره استعجال النصر فقال تعالى (لامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين)

فعود نفسك التصبر علي المكروه فالنصر لابد ان يسبقه امتحان وابتلاء واختبار من الله لعباده ليتميز الخبيث و الطيب حتي إذا راي الله جد الصبر منهم علي الاذي في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه تعالى جعل لهم بعد الضيق فرجا وابدالهم العز بعد الذل والقوه بعد الضعف والأمان بعد الخوف ولهذا فانه لامحابه لسنن الله وعليك أن تستقبل الأمر بالجد الصارم والحاسم الجازم بالاعتماد علي الله وبقدر الصبر والتحمل تكون العاقبه الحسنه فهذه هي سنه الله في الأمم أن ينصر أوليائه بعد ظهور الصبر والتحمل ونفي المبدل في قوله (لامبدل لكلمات الله) كناية عن نفي التبديل اي لاتبدال لأن التبدال لا يكون إلا من مبدل ومعناها أن غير الله عاجز عن أن يبدل مراد الله وان الله اراد الا يبدل كلماته في هذا الشأن ولهذا ياتي التعقيب بقوله (ولقد جاءك من نباء المرسلين)

عطف علي جملة (لامبدل لكلمات الله) وهو كلام جامع لتفاصيل ما حل بالمكذبين من الامم السابقه وبكيف يكون نصر فهو تعالى قد أنزل في القران اخبارهم ليكون تذكر أحوال تلك الأمم في الخير والشر ليحذر المومنون ما نزل بهم من قوراع ليحذروا أن يكونوا أمثالهم أن يكون التفكير في التفاوت بين أهل الخير وأهل الشر لتأخذوا بالا سباب التي كانت سببا في عزتهم فيما وصلوا إليه من العاقبه الحسنه وكيف اتصلوا بحبال الكرامه لتتنظروا الي النهايه للمكذبين ومستقبلهم فيكون ذلك طاقه تمدك بقوه الصبر والتحمل والعزيمه فعندكم الامثال من بأس الله وقوراعه وایامه ووقائعه بالمكذبين فتطمنوا بنصر الله تعالى فلا ياس ولاقنوط

ثالثا

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (وان كان كبر عليك أعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآيه ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى فلا تكونن من الجاهلين إنما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون)

المبحث الأول

أن الآيات معطوفه علي قوله تعالى (قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون)

فالرسول صلي الله عليه وسلم كان حزينا علي جهل قومه والعناد الذي أصروا عليه كانت تحدث في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم حرجا وتوجد في قلبه حزنا ممضا علي اولئك القوم الذين اضحوا ضحية للغوايه والضلال وكان أجدر بهم أن يكونوا اول من يلبي دعوته وهم يعلمون من صدقه وسمو نفسه ونزاهة مبادئه التي دعا إليها ما لا يعلمه غيرهم من القبائل لكنهم وقفوا ضد الدعوه وقاموا باضطهاد المسلمين والتكذيب وانوا اتباعه ايذا تقشعر له الأبدان وتنخلع له القلوب فقد كانوا يضعون المسلمين في الرمضاء وقت شده الحر ويضعون الصخور علي صدرهم ويقولون لن نتركك حتي تكفر بمحمد وقتلوا ال ياسر ونكلوا بالضعاف من المسلمين وحاصروهم في شعب ابي طالب حتي اكلوا اوراق الشجر وكانوا يفقون في طريق الزائرين مكه في موسم الحج لمنعهم من الإ يمان ولهذا نجد أن النصوص جاء فيها الآتي

تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

يشعره الله أنه في عناية الله ثم ارشده الي سنته في جعل العاقبه للمتقين رغم ما يصيبهم في تبليغ الدعوه من المحن والخطوب وسنته في اهلاك المكذبين المستهزئين مع مالهم من حول وقوه وملك وسلطان ليزداد ثباتا علي ثباته واقدمه فوق أقدامه وجراهه علي المضي في سبيل هدايه الناس وانقاذهم من عمايه الضلال فهو تعالى يقول في موضع (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)

وحته علي الصبر والثبات وعطف عليها هنا (وان كان كبر عليك أعراضهم فإن استطعت... الخ

وكبر هنا يعني شق واصلها عظم الجته ثم استعملت في الأمور العظيمة الثقيله مجازا في شق لأن الثقيل يشق حمله وجي في هذا الشرط بحرف (أن) الذي يكرر ورده في الشرط الذي لا يظن حصوله للاشاره أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بمظنه ذلك ولكنه علي سبيل الفرض وجي (كان) بعد أن الشرطيه بينهما وبين ماهو فعل الشرط في المعني ليبقي فعل الشرط على معني المضي فلا تجعله أن الشرطيه الي الاستقبال كما هو شأن أفعال الشرط بعد أن كان لقوه دلالتة علي المضي لاتقلبه اداه الشرط الي الاستقبال

والاعراض هو المذكور في قوله تعالى (وما تأتيهم من ايه من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين)

وهو حاله التكذيب والجحود كتاهما سببا للكفر... ولهذا يقول الحق سبحانه لنبية إن استطعت جواب (كبر عليك) لأن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه كانوا حريصين علي إيمان اهلم فاستخدام الاستطاعه وبصيفه المبالغه بالسبين والتاء اي في إنقاذهم والابتغاء يعني طلب أن تطلب نفقا في الأرض أي اله أو اداه تبلغ بها باطن الأرض واعماقها لانهم طلبوا منه أن (يفجر في الأرض ينبوعا) أو سلما في السماء وهو ما يصعد به الي السماء مثل سلالم الدرجات والأدوار في المباني لانهم طلبوا منه (أن يرقى في السماء) فكان ذلك مرتبطا بمقترحاتهم التعجيزيه فتأتيهم بايه فإنهم لا يومنون

دل عليه سياق الكلام وقوله بعدها (ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى) شرط امتناعي علي أن الله خلقهم قابلين للخير والشر ولو شاء أن يخلقهم مثل الملائكة قابلين للهدى

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

يبين الحق سبحانه وتعالى لعباده أن عليهم إدراك أن الحياه محكومته بسنن ونواميس وقوانين واقدار وأنه لقراءه الاحداث الجاريه في مجال الخير والشر لا بد من معرفه السنن والنواميس والقدرة علي التعامل معها فلا يمكن تجاهلها أو القفز عليها فالاضطلاع بمهمه الاستخلاف وحمل الامانه متوقفه علي إدراك ابعاد ذلك فهي مفتاح قصه الإنسان علي الارض منذو خلق الله آدم الي أن ينشئ الله النشاه الاخره ولهذا أمرنا الله أن ننظر الي تاريخ الانبياء والمرسلين ومسيرتهم في الحياه لنكتشف السنن ونفهم فقه التعامل معها والأمر بذلك للرسول صلى الله عليه وسلم يخبره أن سنته لاتتغير ولا تتبدل يقول له الحق أن اول خطوه لمواجهة الازمات استشعار المسؤوليه و التحدي الذي تمثله الازمه وان تتحرك علي ضوء ذلك في تحليل الازمه وتفكيكها ومواجهه أسباب وعواملها لمنع آثارها وهذا يتطلب معرفه أن مصدر العلم بهذه السنن هو الوحي من خلال السير في الأرض وملاحظه قوانين سقوط ونهوض الحضارات فالسنن لاتحابي أحد ولاحتي نحن المسلمين ولهذا يخبر الحق نبيه أنك تحتاج إلي امتلاك مهاره التفكير السنني والتفكير التسخيري الذي يأخذ بالسنن والأسباب ليوافق الازمات ولا ينتظر حدوث الخوراق والكرامات ولهذا قال بعدها (وان كان كبر عليك أعراضهم فإن استطعت أن تبغني نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بايه ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى) لبيان أن الازمه بحسب الرويه الاسلاميه لها قانونا فهي من خلق الله فقال تعالى (ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى) انه تعالى قد خلق كل شي لغايه وقد خلق الانسان قابلا للخير والشر وخصه بحريه الاختيار ولذلك ارسل الرسل وانزل الكتب ليكون الإنسان مسؤولا عن فعله وقوله في الحياه وهذا هو التكوين الفطري الذي خلق عليه الإنسان فإله لو شاء أن يجمعهم علي الهدى معلما خلق الملائكة لفعل ولهذا فإن المراد بالمشئيه هنا هي المتعلقة بالخلق والتكوين ولذلك فلا تعارض بينها وبين قوله تعالى في آخر السوره (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا) فهذه من المشئيه المتعلقة بالخلق والتكوين لا في المشئيه المتعلقة بالأمر والتشريع

المفهوم الثاني

يقول الحق أنه جعل لكل أمر كوني أو اجتماعي سنه تحكمه وقانونا ينتظمه ويقدم لنا الحق نموذج العملي و التربوي وحسن التعامل مع السنن لنقتدي به وهو الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى تعقيبا علي ماسبق

(فلا تكونن من الجاهلين) والرسول صلى الله عليه وسلم معصوم ولا يمكن أن يصدر عنه شي من الجهل ولذا فهو هنا منه تعالى تنزيه لنبيه أن يكون مثل هذا الصنف وانما ذكر هذا للتنبيه لنا نحن المسلمون من خلال تقديم نموذج عملي وتربوي جسد معرفه الوحي في التعامل مع السنن وإقامتها في واقع الناس أنه الرسول صلى الله عليه وسلم لنقتدي به والتاسي لمسيره الحياه بكل تفاصيلها في جميع الأحوال في الشده والرخاء واليسر والعسر فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم دليلا هاديا للناس للتعامل مع سنن الله واقدره في الحياه في كل الأحوال فهي تحقق من خلال عزمات البشر بعيدا عن الأوهام والأساطير والخوراق فيجب عدم إغفالها ولايجوز التطاول و الاقدام في إعطاء أنفسنا الحق في القول في أكثر القضايا تعقيدا حتي لانتهم بالجهل ولهذا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم علي سبيل التنزيه فهو معصوم من اي شي من الجهل وانما هو لتربيته المومنين بأن الخوض في الأمور والقضايا يتطلب امتلاك الادوات والمهارات التي تجعلك قادر علي فهمها والتعامل معها فكان ذلك تحريضا لهم علي استحضار العلم أثناء القول والنظر في أي قضايا

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي بيان السنن والنواميس لقبول الحق وإيضاح أسباب العمي عن رؤيه الحق بأنه يعود إلي العناد والظغيان فإنه يعمي البصيره ويصد صاحبها عن طريق الحق والرشاد فقال تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) تعليل لجملة (وان كان كبر عليك أعراضهم)

الأمر الأول

يخبر الحق نبيه أن الناس ينقسمون من حيث تلقي الحق إلي قسمين :_هم الذين لديهم استعداد للسمع والفهم و القبول بالحق فجاء باداه القصر (إنما) فهؤلاء يكون منهم الايمان والانقياد لأمر الله لانهم يسمعون سماع القلب و الاستجابة لامجرد سماع الاذن التي تكون فيها اقامه الحجه ولهذا فمعني يسمعون يفقهون

فهذه أسباب الاستجابة والحياه القلوب واستعمال الحق أفعال الاستجابة المويده لحصول القبول بالتهيؤ والا استعداد كما قال تعالى (الذين استجبوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع)

في موقعه حمراء الاسد بعد الأحزاب حيث كان هذا التهيؤ للقتال للدلالة علي حدوث الفعل بالتدرج كالاستجابة لدعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس وهي من الامور المستقبلية ويكون من شأنها انها تقع بالتدرج

وقد عبر عن الفريق الثاني الذي ليس لديه استعداد للإيمان بالموتى فقال تعالى (والموتى يبعثهم الله)

لأن المعرض الذي لا يسمع مثل الميت كما يقال انك لاتسمع الموتى محذوف دل عليه السياق لأن الذي لا يسمع قد يكون فقد سمعه من عله مثل الأصم وقد يكون من عدم الحياه كما قال الشاعر لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياه لمن تنادي فتضمن عطف والموتى يبعثهم الله تعريضا لهم بانهم كالاموت لايرجي منهم استجابة فأراد بهذا قطع طمعه في إيمانهم فخلص الي الوعيد الشديد لهؤلاء بالعذاب بأن الحق سوف يبعثهم ويحاسبهم علي أعمالهم

ويجوز أن ذلك تحريضا لهم علي الإيمان بمعني أن الإيمان حياه وان الكفر موت فيخبر الله نبيه أنه سوف يومن منهم البعض في المستقبل

الأمر الثاني

أن الآيات فيها أخبار الحق لعباده أن عدم استجابة هؤلاء يعود إلي عدم الاستعداد للقبول بالحق فهم قد وجدوا في دعوته مصدر خطر شديد علي كياناتهم وشهواتهم التي استعبدت قلوبهم واعمت بصائرهم عن الحق لما جاءهم فقد كان رؤوساهم وأصحاب الزعامه والنفوذ الذين وصفهم الله بالظلم فقال تعالي (ولكن الظالمين آيات الله يجحدون)

يخشون من أن تنجح الدعوه ويلتف الناس حول الرسول صلى الله عليه وسلم تأثرا بهدايته وعذب منطقه الذي كان يجذب النفوس ويفعل تأثيره كانوا يخافون أن يكثر سوداه فينتزع منهم الرئاسه التي كانوا يجلبون من ورائها غنما عظيما وابوا اتباعه فقد أصاب قلوبهم القساوه والموت فصارت قلوبهم جامده يابسه لاتلين للحق اعترافا واذعانا فيها مثل الحجر لاتكتب معها الايمان ولايرتسم فيه علم لأن الهدايه تستدعي محلا لنا قابلا فالذي يكون فيه الحياه هو القلب اللين الثابت فيه الحق لايزوال عنه لقوته مع لينه فهو يكون فيه شده علي الكفار ورحمه علي المومنين قال تعالي (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) دليل علي أن العلم يدل علي الإيمان

المبحث الثالث

تبين النصوص أن المنتفع بالعلم هو الذي يكون قلبه قابلا للفهم والهدايه الذين يخشون الله فقال تعالي (وقالوا لو لا انزل عليه ايه قل إن الله قادر على أن ينزل ايه ولكن أكثرهم لايعلمون)

يقول الحق أن فساد استعداد المكذبين وسخافه أفكارهم دفعهم الي طلب المعجزات والخوراق الماديه قاصدين التعجيز للرسول صلى الله عليه وسلم لإثبات عدم صدق نبوته فقالوا (وقالوا لن نومن لك حتي تفجر لنا في الأ رض ينبوعا أو تكون لك جنه من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالهما تفجير

.....الي قوله (او تكون لك بيت من زخرف .. الخ

ولما كانت النصوص في الآيات السابقه قد ردت علي مطالب هؤلاء من تفجير الأرض ينبوعا والرقي في السماء تتناول النصوص هنا التشكيك من المشركين بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم كونه فقير بنظرهم اعظاما منهم للذهب والجاه والقوه والسلطان فقالوا لو كان نبي لماذا لايعطييه الله الكنوز ولايمده بالقوه والملك و السلطان فجاء الخبر من الله تعالي أنه تعالي قادر علي ان ينزل عليهم الايه وان يحشر معه الكائنات تحاربهم لكن هذا أن حدث فسوف يسقط الابتلاء وسوف يبطل الجزء لانه حينها لن يكون هنالكواجور للمومنين المحسنين ولا عقاب علي المكذبين لأن الناس سوف يومنون اضطررا لسلطه النبي وليس اقتناع بالحق ولهذا يختم الحق الايه بقوله (ولكن أكثرهم لايعلمون)

أن هذا القول هو شأن كل جهول يحكم علي الاشياء بجهله وبما يوحيه إليه فساد استعداده وتصوره له سخافه فكره فجهلوا وهم لاينكرون أن الله قادر علي ان ينزل ايه ولكن رغم ذلك سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المقترحات

ولهذا كان استعمال (قل إن الله قادر على أن ينزل ايه) في معناها الكنائي وهو انتفاء أن يريد الله اجابتهم لمقترحاتهم لانه لما ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم حصل المقصود من اقامه الحججه علي الذين كفروا فلو شاء لزادهم من الآيات لانه قادر ففي هذه الطريقه التي جاء فيها الجواب إثبات الحججه بالدليل ولذلك جاء الا ستدراك (ولكن أكثرهم لايعلمون)

راجع الي المدلول الاعتراضي كون الجملة واقعه بين قوله (والموتي يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) وقوله (وما من دابه)

اي أكثر المعاندون لا يعلمون أن لو شاء الله لفعله ويحسبون أن عدم الاجابه لمقترحاتهم يدل علي عدم صدق الرسول وذلك من ظلمه عقولهم

فيكون المعني أفاده هذا الرد غير المعني الذي أفاده الايه (ولو نزلنا ملكا لقضي إلا مر ثم لا ينظرون)

فإن النص فيه دليل علي سوء نظرهم واستدلالهم فالحق يبين أن القرآن يتضمن صدق النبي ورسالته واضحه ويبين الحق أن حجته كافيته هاديه لا يحتاج مع وضوحها الي بينه تعدوها أو حجه تتلوها وان الذهاب عنها ك الذهاب عن الضروريات والتشكيك في المشاهدات فالقران دليلا واضحا علي وحدينه الله ومرشدا الي معرفه عزته وجبروته ومفصحا عن صفات جلاله وعلو شأنه وعظيم سلطانه وحجه لرسوله الذي أرسله به وعلمنا علي صدقه وبينه علي أنه امينه علي وحيه وصادع بأمره

وهذا ما يدركه أهل العلم الذي يخشون الله ف الله يقول (انما يخشي الله من عباده العلماء)

وهنا يقول (ولكن أكثرهم لا يعلمون).اي أن الجهله لا ينظرون يريدون أن تكون الايه علامه بينهم وبين الله علي حسب مقترحاتهم بأن يجيبهم ومقترحاتهم يريدون أن يحكموا القران كانه متهم في قفص الاتهام ملزم بإثبات براءته فهذا ليس من قبيل الاستدلال ولكن من قبيل التعجيز يريدون أن ينزل الله معهم الي ما يريدون والله يقول في موضع آخر (واذا تتلي عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا)

فلم يشاء الله أن يجعل الدلائل وفقا لمقترحات الناس وقد أخبر نبيه فقال تعالى (إنما أنت منذر) فالقران جعله الله هو المعجزه وهو من عند الله فقال تعالى (وما كنت تتلو ا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك)

وقال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم)

فدل هذا أنهم يكابرون ويعاندون الحق برغم وضوحه فالناس بين رجلين ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد لجهله وهم الاغلبيه واخر مصدود عن قبوله لانه يري انه مصدر خطر علي مصالحهم الشخصية وسلطانهم ولهذا فإن أهم ما يجب علي اهل دين الله كشفه وأولي ما يلزم بحثه ما كان لأصل دينهم قوما ولقاعده توحيدهم عمادا ونظاما وعلي صدق نبيهم صلى الله عليه وسلم برهانا ولمعجزته ثبتا وحجه لاسيما والجهل ممدود الرواق والعلم مستور عن اغلب الناس فنحن في هذا العصر لدينا ملحده اشد كفرا من اهل مكه يخوضون في اصول الدين وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين والناس في جهل اغلب من وقت ملحده قريش والملحدون ابعد عن الرشد وعن الواجب اذهب فالامه بحاجه الي تحديث لغه عرض القران علي الناس بما يتناسب مع لغه العصر العلم

رابعا

عظفا علي قوله تعالى (قل إن الله قادرا على أن ينزل ايه ولكن أكثرهم لا يعلمون)

تأتي الآيات (وما من دابه في الأرض ولا طير يطير بجناحيه الا امم امالكم ما فرطنا في الكتاب من شي ثم الي ربهم يحشرون والذين كذبوا باياتنا صم بكم في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله علي صراط مستقيم)

الايه فيها أن الذي خلق الاحياء كلها وجعلها كلامم لها خصائص جامعه لأفراد النوع وخلق لها ملكات للبقاء ايه عظيمه تدل علي قدرته تعالي فهو لا يعجزه شي ولكنكم لاتعلمون الحكمه من عدم اجابتكم لما اقترحتم فمن لا

يهتدي الي مافي عوالم الدواب وهو كل شي يدب علي الارض وكل من يطير من الدلائل علي وحدانيه الله فجاء فيه الشمول لما يحوي كل المخلوقات التي تدب في الأرض أو تطير في السماء انها فيها ايات عظيمه تدل أنها خلقت لغايه وحكمه في هذه الحياه وقد أعطاها الله من الخصائص التي تجعلها تصل الي الغايه التي خلقت لأجلها فهي لها نظام فطرها الله عليه فالتمائل هو أنها خلقت علي طبيعه تشترك فيها افرادها

وانواعها وأنها مخلوقه خلقها الله ورزقها وجعل لها نظام دقيق منضبط وسنن وقوانين

فأراد بهذا توجيه القلوب والعقول إلي وجود هذه الخلائق بهذا النظام لتري في ذلك قدره الله وعظمته تعالي فسوف تري أن الله لم يهمل شي فقال تعالي (ما فرطنا في الكتاب من شي)

والتفريط الإهمال والتقصير وهذا فيه تنزه الله عن الإهمال فأشار الي سعه علمه وعظمه قدرته في هذا الكون فقال تعالي (في الكتاب من شي) فالكتاب يقصد به اللوح المحفوظ بأنه قدر فيه كل صغيره وكبيره وقدرها مبنته في اللوح المحفوظ فتقع جميع الحوادث طبق ما جري عليه القلم فعلم الله شامل محيط لجميع الموجودات وان مشيئته وقدره نافذه علي جميع المخلوقات

ويجوز أن يقصد بالكتاب القرآن للاشاره أن في التفكير في مخلوقات الله الادله المرئيه عن وحدانيه الله وقدرته ثم جاء التعقيب (ثم الي ربهم يحشرون)

وهذا فيه اشاره الي انه تعالي لم يخلق شيئا عبثا فقد ورد في الحديث أن الجماء تقتص من القرناء يوم القيامة فهو تعالي يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء بحقها من القرناء ثم يقول لها كونوا ترابا فلذلك يقول الكافر (يليتنا كنت ترابا)

هكذا هو حال الإنسان عندما يسقط عنه الوعي بربه فإنه يكون بمنزله هذه البهائم ولذلك ينتمي أن يكون بهيمه

والنص فيه التحذير من الجزء لانك ايه الإنسان قد ميزك الله بالوعي فإذا كان الحق يحشر المخلوقات كلها ويقيم العدل بينها فكيف بالإنسان الذي منحه العقل والحريه وهو مكلف فلا بد أن يحاسب علي اعماله فالإنسان جعله الله في ابتلاء وامتحان وميزه بالاختيار ولهذا لم يجعل الحق الرسل أولي قوه وعز لاتضام لأن ذلك يفقد الابتلاء معناه لو حصل ذلك ولو تم ذلك لبطل الجزء ولن يكون له معناه لكن الله ترك للناس حريه الاختيار بين نور الايمان و ظلمات الكفر ولهذا قال تعالي بعدها (والذين كذبوا باياتنا صم بكم في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله علي صراط مستقيم)

فمن يجحد بآيات الله سقط عنه الوعي وعطل الحواس واغلق منافذ الهدايه فلا ينتفع بالسمع واللسان والبصر و العقل فهذا مثل البهائم فالعناد والطغيان يصيب الإنسان بالعمي فلا يري الخير لأن ظلمات الجهل والكفر والظلم و البغي والمعاصي والشك والحيره تمنع الانتفاع بنور الايمان ولهذا فإن الله يحرمهم نور الايمان والهدايه وهو يهدي من يكون صالحا لاستقبال نور الله ويرشده الي الصراط المستقيم

المقطع السادس

بعد أن قررت الايات السابقه احاطه الله علما بكل شي يدب في الأرض أو يطير بجناحيه في السماء وان عنايه الله تعم كل مادرج في الأرض أو طار في السماء فهي امم مشابهه لأمر الإنسان في الغرائز التي أوجدها الله في ا لإنسان والحيوان والطيائر والحشرات لحكمه ساميه فقد اوجد كل مخلوق ثم هداه الي وظيفته التي خلق لأجلها كما هداه الي ما يحفظ به بقاء النوع بالسعي الي كسب قوته والدفاع عن نفسه بما منحه من سلاح يتناسب مع وظيفته فتجد الحيوان يخاف ويختبي ويفر عندما يشعر بوجود خطر وكذلك منحه الله من الأدوات ماتجعلها

يكسب قوته فنري الطير يحلق في الجو ويهرب مما يهدده وهناك حيوانات لها سيقان طويله وبعضها قصيره كلا يتناسب مع طبيعته وظيفته حتي الحشرات الصغيره إذا أحست بخطر فإنها تختفي أنها تفعل ذلك بالفطره التي فطرها تعالي عليها فقد اوجد فيها الحذر بلاعقل واوحى لها كيف تكسب رزقها ف الله اعطي كل شي خلقه ثم هدي وقد جعلها في خدمه الإنسان وميز الإنسان بالعقل ومعرفه ما ينفعه وما يضره ولذلك كان الإنسان مكلف ومحاسب علي الاختيار وجعله الحق قابلا للخير والشر فمن كان لديه استعداد لقبول ما جاء به الرسل من عنده تعالي فهذا يكون قد قبل الهدايه العامه التي تقام الحجه بها علي المومن والكافر ولهذا فإن الذي لديه استعداد للإيمان يحظي بالهداية الخاصه التوفيق والنجاح والرشاد والوصول الي الطريق المستقيم وأما الذي ليس لديه استعداد لقبول الهدايه العامه فهذا محروم من الهدايه الخاصه ومخذول يتخبط في الظلمات لانه لم يقبل بالهدايه العامه ولذلك حرم من اعانه الله

وبهذه المناسبه تنتقل الآيات الي بيان أن الاصل التوحيد وأن الشرك أمر عارض علي الفطره فأمر الله نبيه أن يتوجه الي المشركين فقال تعالي (قل اريتمكم أن اتاكم عذاب الله أو اتاكم الساعه اغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه أن شاء وتسنون ما تشركون ولقد أرسلنا الي امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتي إذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغته فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)

اولا

يعطي الحق نبيه دليلا آخر علي وحدانيه الله فيامره أن يواجهه المشركين والكفار الذين جعلوا مع الله الهه أخرى بهذا الدليل الذي لا يستطيع احد أن ينكره لانه مغروس في فطره الأرواح فلا توجد روح تستطيع بفطرتها أن تنكر أن الله تعالي هو الفعال لما يريد وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء وأنه لامعقب لحكمه ولايقدر أحد علي صرف حكمه ف الله قد جعل الدين موافقا للفطره التي أودعها في الإنسان فهو تعالي يقول (فطره الله التي فطر الناس عليها لتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

فالحق خلق الإنسان علي الاسلام ومن أجل الاسلام فجميع ما في الإنسان من ملكات وأعضاء ظاهره وباطنه لها هدف وهو معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده فالإنسان لايجد السعاده الحقيقيه الا في الله تعالي ولكن هذه الفطره تنحرف بالإنسان نتيجه البيئه وينسي الإنسان ربه الذي عرفه ينسي العلم الفطري والمحبه الفطريه و التوحيد الفطري المغروس فيها عندما أخذ الله الأرواح من ظهر ادم وقال لها (الست بربكم ...الخ

ولهذا فإن هذه الفطره اذا خرجت من الغفله وحين يعرف الإنسان نفسه بضعفه وافتقاره لربه وحاجته إليه عند الشده عندها تزول عنه الطيف الذي يمنعه عن رؤيه الحق ولهذا يقول الحق لنبيه قول لهؤلاء الذين تركوا عباده الله وعبدوا غيره من الاصنام والاوثنان (اريتكم أن اتاكم عذاب الله أو اتكم الساعه)

اي كيف يكون. حالكم إذا حل ما نزل بالامم السابقه من الشده والعذاب الذي يكون فيه الاستئصال لامحاله بأن تجدوا أنفسكم في الهلاك فالخطاب متوجه الي الفطره يطلب منها أن تتصور هذه الحالة وما فيها من احوال كيف تتصرفون هل تطلبون النجاه من الاصنام لتدفع عنكم الهلاك

ام تلجأون الي الله

يقول اعطونا الجواب بالصدق من أسنتكم (اغير الله تدعون إن كنتم صادقين)

ثم يأتي الجواب منه تعالي فيه تقرير الجواب الصادق المطابق لما في عقولهم بالفعل وان لم تنطق به أسنتهم (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه أن شاء وتسنون ما تشركون)

بأنهم وقت الشده إنما يدعون الله وحده حيث تزوال ركام الجاهليه فعند الكروبات لا يدعون اصنامهم وانما يدعون الله وحده لاشريك له وهذا فيه الآتي

الامر الاول

أن من الادله العقليه الشاهده علي وحدانيه الله وان الإنسان مخلوق لمعرفة الله ومحبهه وعبادته وتوحيده هو الدليل الفطري فمعرفة الله والإقرار به ثابتا في كل فطره فقلوبهم تعرفه وتقر به وكل مولود يولد علي الفطره ولكن الفطره تتعرض احيانا لما يغيرها فينسي الإنسان ما في فطرته من علم فطري ومحبه فطريه وتوحيد فطري ف الله يقول لموسي وهارون (فقولا له قولنا لعلنا لعله يتذكر أو يخشي) اي أن فرعون الطاغيه في فطرته من العلم ما يعرف ربه ويعرف انعامه وإحسانه إليه وافتقاره فذلك يدعو الي الايمان بالقول اللين فإن الحق محبوب في الفطره وهو احب إليها واجل فيها والذ عندها من الباطل الذي لاحقيقه له فإن الفطره لاتحب ذاك ولهذا فإن الفطره عند الشده والمصاعب تنقشع الركام التي تغطي علم الفطره وتغيب عنها الالهه الزائفه لعلمهم أنه لا يكشف الكرب الا الله وحده لاشريك له

الأمر الثاني

يخاطب الله عباده ويقول لهم أن ملكات الإنسان وما فيه من أعضاء كلها خلقت لمعرفة الله ومحبهه وعبادته وتوحيده ولا تجد السعاده الحقيقيه الا في أن تكون لله وحده لاشريك له ولهذا فإن النفس تبحث بصفه دائمه عن الإله العلي القدير وان الإنسان لا يجد الكمال الا بأن يكون لله تعالي وان تصل ملكاته واعضائه وكل جزء فيه الي هذه الغايه فالإنسان مهما انغمس في الملذات والشهوات والرئاسه فإنه لا يجد ما يبحث عنه من ذات عليا ولا يجد السعاده الحقيقيه الا بالوصال ب الله تعالي ولذلك فإن ذره كمال الإنسان هو الوصال ب الله تعالي فهو بحاجة أن تظل نافذه قلبه مفتوحه تجاه الله تعالي

لأن النفس اذا لم تجد معبودها الحقيقي فإنها تعبد غيره وتغرق في ظلمات الجهل والكفر والفساد والانحراف وعندها تنسي محبوبها ومعبودها الحقيقي القادر علي كل شي

لكن عند الشده والبلاء فإنها تهتز وتزول عنها ركام الجاهليه فتدعو الله ليخلصها من الشده والكروبات التي حلت بها

فالحق يخبرنا أن الفطره تدرك هذا الأمر حين تلمس لمس تهزلهما تصورها وتري الخطر محقق بها وهو محقق ولهذا يأمر الحق نبيه أن يحاور فطره المشركين من خلال سؤال يذكر للتعجب وما يذكر بعده غريب عجيب يقيم به الحجه علي المشركين لانه يكشف موقف الفطره من الشرك في مثل هذه المواقف ماذا تفعلون اذا جد الجد وأحاطت بكم الشدائد هل تطلبون النجده من اصنامكم كي تنقذكم ؟ ام أنكم تلجأون الي الله وحده ؟

فإن هذه الخطوه تبين لكم ماهو الطريق المستقيم أنها تعرفكم بالاله الحق الذي تبحثون عنه الإله الحي القيوم القادر علي اجابه دعوتكم ؟

انكم تلجأون الي الله وحده عند الشدائد تطلبون أن يكشف عنكم الغم والهم تخلصون إليه بالدعاء (وتسبون ماتشركون)

والنسيان هنا بمعني الترك لا الغفله اي تتركون الاصنام والاوئان التي عبدتموهم من دون الله

فإن كان هذا حالكم عند الشدائد فإن هذا يدل:-

انكم تعلمون أن الأصنام لا تملك لكم ضرا ولا نفعا وأنها عاجزه عن اجابه دعوتكم للحضور وانقاذكم

أن هذا يعني أن الله وحده هو من له دعوه الحق كما قال تعالي (له دعوه الحق)

فهذه الحال عند الشده يعود إلي المعرفه التي غرسها الله في الفطره فعندما تزوال الاوساخ التي تحجب الرؤية نتيجه اهتزاز الفطره وتحركها فانها تتحرك نحو بارئها وتترك الأصنام والبشر والاولئان فهذا هو موقف الفطره السليمه فالتوحيد أصل الفطره وان انحرافها بسبب ما طرأ عليها من ضلال

ثانيا

تاتي سياق النصوص بعرض كيف أن الحق ارسل الرسل لتذكير الفطره وايقاظها وكيف أن الناس يسؤون فهم الابتهلاء وما يعقب ذلك من عقاب فقال تعالي

(ولقد أرسلنا الي امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلمهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ماكانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتي إذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتته فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين)

تحدث النصوص عن الآتي

الأمر الأول

أن الابتلاء بالباساء وهو الفقر والضييق في العيش ويطلق علي البؤس من الشده في الكروبوات والضراء وهو المرض والافات من العذاب الذي امتحن الله به الأمم وهو ليس عذاب استئصال كما يفهم منه أنه عذاب للتربيه فالله قد ذكر ما حل بال فرعون من عذاب قبل الاستئصال فقال تعالي (ولقد أخذنا ال فرعون بالسنة ونقص العمرات لعلمهم يذكرون... الخ

فالحكمه من هذا النوع من العذاب هو لأجل أن يتوبوا ويرجعوا الي أنفسهم فيعرفوا أنها ضعيفه من أجل أن ينزلوا عن عنادهم واستكبارهم من أجل أن تنكشف لهم امراضهم الخفيه التي لايشعرون بها عند القوه فقد يكون حب الرئاسه كامن في النفس لايشعر به فالإنسان قد يحب المال والصوره ولايعرف بذلك لكن إذا فقد زوجته التي يعشقها فإنه يدرك أن هنالك أمر كان موجود في قلبه ولم يكن يشعر به وكذلك فإن الانسان لايشعر بنعمه الصحه لكن إذا مرض فإنه يشعر بهذه النعمه ولهذا جعل الله هذا الابتلاء لأجل أن يعود الإنسان الي الله بالدعاء طالبا أن يرفع عنه الضرر ويتوب الي الله

فالعلم اصل العمل واصل الارده والمحبه وبه يكون معرفه الخير وأتباعه اذا لم يحصل له معارض مانع مثل اتباع الهوي بالاستكبار ولما كانت الرخاء والصحه فتنه علي الإنسان ويفسد الفطره فلا تعرف ما ينفعها وما يضرها لوجود هذا العارض وبالتالي فإنه إذا تدافع عن النفس المعارض من الهوي والكبر والحسد وغير ذلك فإن القلب يحب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح مثلما أن الجسد اذا اندافع عنه المرض احب ما ينفعه من الطعام و الشراب هولاء لم فإذا ضعف العلم

غلبه الهوي واذا وجد الهوي والعلم فالمقتضي والدافع فالحكم للغالب

فيقول الحق فعلنا بهم ذلك لتقويه العلم علي الهوي ليعرفوا الحق ويتبعوه فقال تعالي (لعلمهم يتضرعون)

لأجل أن يعودوا الي الحق ويتبعوه لأجل أن يرجعوا أنفسهم كما قال تعالي (وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون)

وهذا فيه الآتي؛ _____

أن من اهتدي لقانون التعامل مع الازمه فراجع نفسه ولم يتكبر عن الحق عرف كيف يحول المحنه الي منحه فاداره الازمه يستلزم الأخذ بالأسس التي اعتمدت عليها النفس في الملاحظه واكتشاف السنن الاجتماعيه التي أودعها للخروج من الازمه مع تفعيل البعد الديني بالصبر أثناء حدوثها واحتواء آثارها والعوده الي الله وفي الرخاء بالشكر والطاعه

ف الله يختبر عباده تاره بالشده وتاره بالنعمه والرخاء فاللازم أن يكون. المومن قائما بحق الله في كل حال فما يصيب الإنسان فإن كان يسره فهو نعمه ظاهره وان كان يسوه فهو من جهه نعمه لانه يكفر به الخطايا ويغاب علي الصبر ومن جهه أخري فان فيه حكمه لايعلمها الا الله فإن كنت في ضراء فهي نعمه تتطلب الصبر وان كنت في سراء فتحتاج الي الصبر علي الطاعه فيها لان فتنه السراء أعظم من فتنه الضراء لأنها تجمع بين واجب الصبر و الشكر يكون فيه مع تألم النفس وتلذذها الحاجه الي الصبر علي الالم والطاعه ويحتاج الي الشكر علي النعم وهو حال يعسر علي كثير من الناس

أن علي المومن الرجوع الي الله في كل أمر وحال في السراء والضراء فالعاقل لايلتجا لغير الله فكل شئ بيد الله ولايتعلق بالاسباب والوسائط الا في الأخذ بالاسباب مع اعتقاد أن الموتر في الحقيقه هو الله تعالي وأنه لا يوجد من ينفع أو يضر الا الله وحده لا شريك له

الأمر الثاني

يقول الحق أن مهمه الرسل إنما تأتي بتذكير الفطره لما هو معلوم لها وتقويته وامداده ونفي المغير للفطره ف الرسل بعوا بتقرير الفطره وتكميلها لا بتغير الفطره وتحويلها والكمال يحصل بالفطره المكمله بالشرعيه المنزله

ولهذا يقول الحق أن فساد الأمم يعود إلي البئيه والافات الخفيه التي تشكل معارض مانع للنفس من رؤيه الحق وا لانتفاع به ولهذا فإنه تعالي يبتلي عباده بالشدائد لأجل تربيته النفوس وتهذيب الاخلاق لترجع المغرور عن غروره وتكف الفجار عن فجورهم لأجل أن يرجع الناس الي الله فالنفس لو ازيل ما افسدها وزال العارض المانع لها من العلم فإنها تعرف ربها فاخبرنا الله أن الابتلاء بالباساء والضراء لأجل تقويه العلم علي الهوي ليعرف الناس الحق ويتبعوه فذكر المولي سبحانه وتعالى العله فقال تعالي (لعلمهم يتضرعون)

فدل هذا أن العلم له من الهوي والمعارض ما يحتاج الي الخوف الذي ينهي النفس عن الهوي فجعل الحق البلاء سببا يقتضي خشيه الله مانعه من اتباع الهوي ومانعه من الاستكبار فشعورهم بالضعف والحاجه الي الله تعالي يعني أن يتذلوا الي الله بالتضرع فقال تعالي (لعلمهم يتضرعون)

والتضرع من الضرعه وهي الذله والاستكانه فيكون منهم الخضوع والتضرع والخشوع لله والتذلل والانقياد وترك التمرد ففي ذلك خشيه مانعه من اتباع الهوي سببا لصالح حال الإنسان فالاصل أن مقتضي ذلك تقويه العلم و التذكر ودفع الهوي بقيام الداعي لذلك وانتفاء العذر في تركه فقال تعالي (فلولا إذ جاءهم باسنا تضرعوا)

ان يندفع الهوي بالخشيه عندما شاهدوا الشده والبلاء والمرض والفقر والحروب أن يحدث الخوف الذي يدفع الهوي ويبصر القلب ويعلم ويكون فيه صلاحه فما الذي حدث ؟

يخبرنا الله أن القلب لم ينتفع من المواعظ والزواجر للاتي

(ولكن قست قلوبهم)

استدراك بأن قلوبهم يابسه جامده لا تنتفع بالمواعظ والعبر لأنها لم تعرف نفسها فهم غواه مغصوب عليهم فقلوبهم غير صالحه لاستقبال الحق كما قال تعالى (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأن يروا كل لايومنوا بها وأن يروا سبيل الرشذ لايخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا)

وقال تعالى (وجحدوا بها واستيفنتها أنفسهم ظلما وعلوا)

وقال تعالى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

٢

أن السبب الثاني قال تعالى (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أن هولاء واقعون في خديعه الشيطان ومصايدہ فقد زين لهم الشيطان أعمالهم القبيحه فرواها حسنه كما قال تعالى (وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

اي لاتقصر الشياطين عن المدد والامداد ولا الانس عن الغي فلا يبصرون مع ذلك الغي ما هو معلوم لهم ومستقر في فطرتهم لكنهم ينسونه

الأمر الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن نسيان الإنسان لنفسه بضعفه وافتقاره لربه وحاجته إليه ومعرفته لما في نفسه حصل نسيانه لربه ولما انزل فلم ينتفعوا بآيات الله التي توقظ الفطره فكان نسيان الله سببا لنسيانهم أنفسهم فلما نسوا الله عاقبهم بأن انساهم أنفسهم

فالنسيان يتضمن أعراضهم وغفلتهم وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين به قبل ذلك من حال أنفسهم كما يقتضي تركهم لمصالح أنفسهم نسيان ما ينفع النفس

لأن من ذكر الله لم ينسه يكون ذاكرا لنفسه والذكر يتضمن ذكر ما قد علمه فمن ذكر ما يعلمه من ربه ذكر ما يعلمه من نفسه فالإنسان ولد علي الفطره التي تقتضي أنه يعرف ربه ويحبه ويوحده

والنسيان يعني ترك العمل بطاعه الله فذكر الحق أنه عاقبهم بما ينسوا به أنفسهم فقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي)

فقد فتح لهم ابواب الأرزاق والقوه والمال والجاه والسلطان والرخاء تتدافق عليهم بلاقيود ولهذا سماه فتح لكنهم ولكنه فتح عذاب لارحمه لانه استدراج فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا رايت الله يعطي العبد من الدنيا علي معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم قرأ الايه الكريمه (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي حتي إذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغته فإذا هم مبلسون)

وهذا فيه

أن الهلاك بقدر الاستدراج ف الله يقول في موضع آخر (وما أرسلنا في قريه من نذير الا أخذنا أهلها بالبأساء و الضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السيئه الحسنهالي قوله (فاخذنهم بغته وهم لا يشعرون)

تبين النصوص أن الذي فما الذي اذهل المجرمين عن الإيمان بالعذاب الذي حذرتهم منه الرسل قبل حلوله برغم من أن

تعاليم السماء التي حملها الانبياء إليهم تقول لهم أن الكفر والجحود بما آتاهم من ربهم يوجب الهلاك

أنه الكبر الزائف والاعتزاز بالمال وسوء التصرف في نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة التي لا تحصى وسوء فهمها ولم ينظروا لذلك أنه امتحان من الله وابتلاء فكان من أهم أسباب العقابه الوخيمه ولهذا فإن الأرزاق التي انعم الله بها عليهم فيها الاستدراج من الله و أن هذا الاستدراج يصل الي ذروته فهو ازمه تصيب الكافر ولا يدرك العواقب لأفعاله فهي تأخذه علي حين غره اي مفاجاه لم يكن يتوقعها وهو ما يوقع الهلاك الشده فقال تعالي (فإذا هم مبلسون)

اي ايسون من كل خير وهذا هو أشد أنواع العذاب حيث يتحسرون اشد التحسر ولا يجدون فرصه للنجاه عندما ترد المهلكه

فهم اساءوا فهم امهال الله تعالي لهم ومدهم في طيغانهم يعمهون فبدل من أن يقوموا بما يجب عليهم مقابل نعم الله عليهم التي لا تحصى من شكر الله واول مظاهر الشكر عبادته عز وجل وحده لا شريك له هم يفتنون بمالهم وجاههم واستغناوا بالمال والجاه والسلطان الذي نظروا اليه أن مصدر الاستعلاء فمن اغتر بمال وجاه وسلطانه وقع في الاستدراج فذكر أنهم ايسون منقطع آمالهم فقد تمكن منهم الاسي وانقطع رجاءهم لسوء تقديرهم الأمور نتيجته الاعتزاز فكلمه فذكر بعدها أن الهلاك هو استئصال فلم يبقي لهم باقيه فذكر قطع الدابر وهو آخر واحد فيهم فقطعه يعني قطع اوئلهم لأن اغتراراهم بالقوه العسكريه والاتباع الذين يقفون خلفهم لحمايتهم فذكر أنه اهلاك ادبارهم لبيان اهلاك المجرمين الظالمين وأتباعهم ومصادر قوتهم التي اغتروا بها

ووضع الظاهر موضع الاضمار (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) للاشعار بعلة الحكم بأن سبب هلاكهم هو الظلم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامه المعاصي مقام الطاعات

وذيل ذلك بقوله (و الحمد لله رب العالمين)

لبيان ان هلاكهم بنظر الناس نعمه لانه كان تخليص الأرض من هولاء الاشرار كما قال تعالي (فما بكت عليهم السماء... الخ

فاهلاك المكذبين نعمه مستحقه للحمد فهي كلمه الحق التي نطق بها رسلمهم

الأمر الرابع

ان النصوص تهدف إلي تحصين الامه من الاستدراج وتبين لها نقاط الضعف التي تكون سببا في هلاك الامم فذكرت النصوص مخاطر الفرح المفرط فرح البطر لانه يخرج صاحبه عن حاله الاتزان وتدافعه الي الغرور تحت تأثير النشوه والنخوه والسكر بالانشغال بالنعمه فتمنعه عن إدراك النتائج ويعمي عن رؤيه العواقب فيعجز عن اتخاذ القرار الصائب فالاعتزاز بالنعمه يوذي الي الخسارة ويودي الي الخطأ في تحليل المعلومات وسوء التقدير لا نه يتصور أن ما أعطاه الله من نعمه القوه أو المال يحول دون انهياره ولهذا أمرنا الله في موضع أخري بضبط انفعالنا فقال تعالي (أن الله لا يحب الفرحين)

والاعتزاز غالبا ما يكون ناتج عن القوه العسكريه ووفره المال ومن تصور الاستغناء اذا غاب عنه العنصر الايماني فهو يولد الطغيان كما قال تعالي (كلا أن الإنسان ليطغى أنه رآه استغني)

فاخبرنا الله أن ذلك يجعله يسى التقدير للحقائق لانه يكون في غفله واطمئنان لا يتوقع حدوث الازمه حتي يتفاجا بها ويكون حائر منقطع الرجاء من النجاه عاجزون عن التفكير فيهلكون بجملتهم

المبحث الثاني

تبين النصوص أن في المخلوقات نعم من جهة حصول الهدى والايمان والاعتبار والموعظه بها فالنصوص تعطينا نموذج واقعي تاريخي فيه تفسير الأحداث في مجال الخير والشر تبين لنا سنه الله في اهلاك المكذبين تدلنا علي السنن التي تحكم الحياه فلا يجوز القفز عليها أو تجاهلها فلا بد من استعياب السنن وحسن التعامل معها فالآيات تكشف لنا هذه السنن ليكون من وراء هذه المعرفه أن تتوقع ما سيكون وماذا يجب عليك أن تتعامل واكتشاف مواطن الخلل والتقصير ولهذا فانه ينبغي أن يكون قراءه التاريخ لاكتشاف السنن قائما علي أسس المنهج السنني واصطحاب بوصله الهدايه معرفه الوحي لتكون قادرا علي قراءه وتفسير التاريخ القراءه الصحيحه ولتجنب التيه الذي وقع فيه الآخرون عند قراءتهم للتاريخ

فقراءه الكافر للتاريخ تختلف عن قراءه المومن لأن الكفار يعتمدون الفصل بين الديانات السماوية والتاريخ فيقرون العمليات الإنسانية بمعزل عن الديانات لانهم ينظرون أن القراءه تقوم علي الملاحظه والاستقراء والدراسه الماديه للتاريخ أو من زوايه القوميه والحميه فهم يقرءون وفق مقاييس ضيقه الأفق. لهذا نري كيف أن التاريخ الذي صنعه البشر حافل بالاكاذيب وعدم استفاده الإنسان من ما كتبه البشر واسموه تاريخ

ولهذا فإن الانتفاع بالتاريخ إنما يكون باصطحاب معرفه القران بحيث يكون قراءه التاريخ في إطار التصديق بوجود الخالق وتدييره للأحداث فكل ما ورد في كتاب الله فهو الحق غير قابل للتعديل أو النقض فكل ما أخبرنا الله به في القران فهو الصدق والحق الذي يبني عليه في دراسه الأحداث

وان يكون قراءه التاريخ بالنظر الي الموقف من الرساله والرسول الذي جاء لتلك الامه ما هو موقف الناس من المنهج الرباني هل قبلت ام رفضت وماذا كان نهايه المكذبين وماهي الأسباب التي اوصلتها الي العاقبه المذمومه ليكون الحذر من الوقوع فيما وقوعوا فيه ففي ذلك ايه يحصل لنا بها نعمه الايمان بأخذ العبره والعظه عندما نتجنب ما كان سببا في هلاكهم

ثالثا

بعد أن عرض الحق في الآيات السابقه مصارع الأمم الغابره الذين كذبوا بالحق لما جاءهم من عند الله وبعد أن أخبر الله أنه أخذهم بالبأساء والضراء لكنهم لم يستجبوا أهلهم الله تتوجه النصوص بالأمر الإلهي لنبيه فقال تعالي

(قل ارايتم أن أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم علي قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون)

أن الحق يلقي نبيه الحجه لمواجهه تعنت المشركين الرافضين القبول بدعوه التوحيد يوقف فيه السياق المشركين ليستنطقهم ماذا يفعلون وماذا يكون من أمرهم مع آلهتهم التي يدعونها ويطلبون منها أن تشفع لهم أن سلبهم الله اسماعهم وابصارهم التي اعطاءهم إياها وطبع علي قلوبهم... فأصبحت صم عمي ولاعقول لهم ولايفهمون شيئا فهل تستطيع الاصنام والاونان أن تعيد لكم اسماعكم وابصاركم وقلوبكم ؟

فإن الجواب من الموكد أنها عاجزه عن رد مشيئه الله وايضا فإن اصنامهم ومن يعبدون من دون الله غير قادره علي اعاده ما أخذه الله فلا رد لقضاه وايضا فإنه وحده القادر علي اعاده ما أخذه ثم يتوجه بالخطاب لنبيه متعجبا من حالهم برغم تكرار وتنوع الآيات فإنهم يعرضون عن الإيمان

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها خصصت لتودي معاني لاتستطيع جمل والفاظ أخرى أن تحقق اغراضها والقضايا التي تعالجها ويتضح ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

أن الآيات يقصد بها التوجيه بأقامه الحجة علي أهل مكة وكل جاحد في كل زمان ومكان لتحته علي أن يصحح من مواقفه من دعوه التوحيد وأن اللازم عليك أن تتلقي آيات الله بالجديه وأن تخرج من حاله الغفله والاستهزاء واللامبالاة فهذه الأمور هي أسباب عدم الانتفاع بالهداية العامه فقد كان المشركون يستقبلون المواعظ والزواجر و القمص بالسخرية والاستهزاء فقالوا اساطير الاولين

ولهذا يأمر الله نبيه صلي الله عليه وسلم أن يخاطب هؤلاء بهذا المشهد التصويري الذي يجسم لهم عجزهم أمام بأس الله من جانب كما يصور لهم حقيقه ما يشركون به من دون الله في موقف الجد

ولفظ (قل) ليدرك السامع أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما ينفذ أمر الله فيما يخاطبهم به بهذا الخبر ليكون لمعناه صورته تشد الإنتباه بأنه لم يأتي به من عنده وإنما هو أمر الله وحجته عليهم ليكون لمعني الخبر صورته علميه تدفعه علي الرغبة في شد الإنتباه شدا الي أن ترسم الصورة في حاله المرض والافات في الذهن لها حقيقه وجود في النفس بعد الذهن من خلال ما تحدث من انطباع يهز أعماق النفس لتكون أكثر جديه ولأجل اثاره الا حساس والخروج من أسر الشهوات الأهواء التي أضعفت قوي العلم والفطره ف الحق بهذا الخطاب يعلمنا كيف يكون اعاده ترتيب الشعوب وتشكيلها وفق الصورة التي يريدتها الله فهو تعالي يعلم أن هؤلاء يدركون أن الله قادر علي ان يفعل ذلك يعلمون ما وراء هذا التهديد من الجد وما وراءه من حق فهو تعالي قادر علي ان يسألهم اسماعهم وابصارهم ويختتم علي قلوبهم فلا تعود الاجهزه تودي وظائفها فإنه تعالي أن فعل ذلك لن يجدوا من يقف أمام قوه الله

الأمر الثاني

يخبر الله عباده ان فطره الإنسان بشكل عام هي المجال والموقع الحقيقي والرصيد الفعلي للداعيه وهي المكون ا لأساسي لخطاب الامه فمن خلالها تصل الي شرائح أخرى

فالحق سبحانه وتعالى يواجه نبيه أن يتوجه الي الفطره بهذا الخطاب الذي استعمل فيه مثالا متعلق بذوات الناس في أنفسهم مشهد يرسم لتلك النفوس والاذهان صورته ضعفهم عن رد قدر الله أن أراد أن يسليهم الأسماع والابصار حقيقه أو مجازا بأن تصبح بلا منفعه وان يغلق قلوبهم فهو تعالي يعلم شدة تأثير ذلك المشهد الذي تصوره الآيات علي النفوس لأن الخبر له معنا صورته علميه يعرف به المخبر به والخبر اي الفاظه وتفسيره وتأويله ولهذا نجد الضمير في الايه (أرايتم) بعكس الايه قبلها (أرايتكم) الذي جاء فيه الكاف لأن في الايه السابقه وما سوف يذكر تبعا تتحدث عن عذاب استئصال فكان الزيادة لأجل ذلك يراد منه الانتقال بالمستفهم عنه أن ينتقل في ذهن السامع ليكون يقينيا كأنه شاهده لأن المستفهم قد لا يكون شاهد ذلك حقيقه مثلما خاطب الله رسوله (الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) فيريد الانتقال بعلم اليقين الي علم عين اليقين أما في هذه الايه فهي تتحدث عن أمور حضر المستفهم حدوثها لأن السامع في محيطه من هو أصم ومن هو أعمي ومن هو أخبث أو مجنون بلا عقل فمن السهل أن تتكون صورته في الذهن

واراد الحق من خلال هذا المشهد أن يجعل كل واحد منهم يبحث في نفسه عن الإجابة يقول لها لو أصبت بهذه ا لافات

هل تعيد الأصنام لي اذني المعطله أو عيني .. يسأل نفسه أيضا لو أخذ الله عني تلك الأدوات فهل استطيع ان ارد عني هذا العقاب . فمن المؤكد أن الجواب الذي يصدر من ذاته وكيانه يوكد له أنه عاجز عن رد ذلك عاجزون عن الوقوف أمام مشيئه الله ومن المؤكد أن الجواب أن ما يعبد من صنم عاجزه عن دفع الضرر عنه وعاجزه عن رد الحواس . إليه

الأمر الثالث

تبين النصوص اهميه استخدام الامثله الواقعيه التي تلامس النفوس وتشد الأذهان لما يمكن تكوين الانطباع لدي السامع وبما يحقق التجاوب الذي يوصل الي العلاج للقضييه محل الخطاب فالحق يقرر من خلال هذا المثال المضروب إقرار النفوس بتفاهه عقيدته الشرك وضلال ادعاء الكفار واولياءهم

فقال تعالي (من اله غير الله يأتيكم به) فأراد بهذا تفخيم شأن الخالق في النفوس وتوقيره وتعظيمه فالمشهد يحمل كل واقف عليه علي طرح هذا السؤال (من اله غير الله يأتيكم به)

يحاول أن يطلق العنان لنفسه لتردد عليه فتجد الصوره التي ترتسم في أعماق النفس الداخليه فيها الخوف من أن يحل بهم هذا الداء الذي يهددهم به الله حيث وان اسلوب الاستفهام بقوله تعالي (من اله غير الله يأتيكم به) قادره علي تحقيق الغرض الذي يقيم الحجه علي المشركين المعاندين حيث وان ابتداه (من) استفهاميه مبتداً (اله) خبر وغير صفه يأتيكم به أي يعيد ما أخذه منكم وهي صفه أخري والجمله متعلقه بالرويه ومناط الاستخبار أي هل يوجد الهه أخري ان سلب الله عنكم اشرف اعضاءكم قادرون علي منع امر الله او اعاده الاعضاء لكم ؟

من المعلوم أنه لايقدر عليه أحد فلا توجد قوه تقف أمام قوه الله ولايوجد غير الله قادر علي شفاء من أصيب بذلك الداء فيقول الحق أن كنتم تعلمون ذلك فلماذا تدعون احجار صماء لاتنفع ولاتضر وانتم تعلمون أنها عاجزه و الدعاء مخ العباده ولايكون الا لله تعالي وحده لا شريك له فهو المستحق للعباده والتعظيم

الأمر الرابع

يريد الحق أن يلفت انتباه المخاطبين الي إحسانه وعطاءه وانعامه فمن راي ذلك سوف يري جمال الخالق وجلاله وكماله وعظمته رؤيه حب وإجلال واذعان وخضوع ولهذا نجد أن الحق ابتداء بضرب المثال المبين عجزهم عن رد قدره وعذابه أن سلبهم السمع والابصار والافئده واستعمل كلمه (أخذ)

والتعبير بهذه الكلمه فيه لفت الإنتباه الي النعم المذكوره منحه لهم من عند الله وفضل من افضاله وهو تعالي قادر أن يأخذ ما أعطي ويسترد ما منح وأنه لا اعتراض لهم

وهو تعالي قد أخبرنا أيضا في الايات السابقه أنه عندما يسلب انعامه فإن ذلك ليس لأن الله يكره الإنسان وانما الأ مر أن الحق يريد من عبده أن يتذكر أن هنالك منعم انعم عليه بهذه النعم ليشكره

فالآيات تعطي المعاني التي وضعت للدلاله عليها وهي قدره الله وعظمته وعلي عجز المخلوقات رد امره وعجز ما يعبدون من دون الله عن رد قضاء الله وهم عاجزون عن احداث النفع ولا الضرر

الأمر الخامس

(سبب ذكر الاعضاء السمع والبصر والقلب فقط دون سائر الأعضاء)

ان جميع ملكات الإنسان واعضاءه واجزاءه خلقت لمعرفة الله ومحبته وعبادته وتوحيده كما اوضحنا سابقا وان سعاده الإنسان الحقيقيه أن تظل هذه النواخذ متصله بربها

وانما خص ذكر هذه الأعضاء للاتي:-

لأنها اشرف أعضاء الإنسان فإذا تعطلت هذه الأعضاء اختل نظام الإنسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدنيا و الدين

ولهذا ذكرهم الله أنه الصانع الذي منحهم هذه النعم وانتهي الي تقرير أنه القادر علي ايجاد هذه الأعضاء والقادر علي اخذها فهو تعالي المستحق للعباده وحده لا شريك

فهي ادوات الهدايه ومنافذها وأدوات العلم ف الله يقول في موضع آخر (وهو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والا بصر والافنده.. الخ

فالآيات تبين اذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير هذه الحواس فمن فقد أحد هذه المكات فإنه يكون ناقص في عالم البشر فاللازم عليهم القيام باستعمالها لما خلقت لها

الأمر السابع

يعود الخطاب الإلهي متوجها إلي الرسول صلى الله عليه وسلم ليرسم له فساد تصور المشركين بأن هذا المثال هو احتجاج آخر علي المشركين وسخافه عقيدة الشرك فقال تعالى (انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون)

فالحق يقول لنبيه ليست الاشكالية في نقص البينه إنما الازمه الام كامنه في الذهنيه او في العقافه التي شكلت عقولهم وقلوبهم فالوئنيه راسخه فقد ملكت موطن الإذعان من عقولهم وتغللت الي مقر الواجدان من قلوبهم برغم منافساتها الفطره ومجانبتها العقل فقال تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبينها ونوضحها ونفسرها بما يودي تقويه المعرفه ليكون لمعني الخبر صوره علميه وجودها في نفس العالم كذهن الإنسان مثلا ولذلك المعني حقيقه ثابتة في الخارج عن العلم فتاويل المشهد هو الحقيقه الخارجه الموكده أنه لا اله الا الله وحده لاشريك له وان ما يعبدون من دونه باطل وضلال

ولهذا أنكر عليهم الاصرار علي الشرك فقال تعالى (ثم هم يصدفون)

أي يعرضون ويميلون عنها كالبعير الذي يصدف أي يميل بخفه الي جانب الوحش الخارج من مرض يصيبه أي أنه يغالط نفسه فهم لا يريدون أن يعرفوا امراضهم وعيوبهم وافاتهم للإشاره الي رسوخ الوئنيه في قلوبهم فالاعراض دليل ذلك لأنهم ادعوا أن عقولهم عليها غلف واكنه تحجبها عن ادراك ما يدعوههم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من عقيدة التنزيه وان اذنه قد صمت فلا تستمع إليه وإن علي أبصارهم غشاوه تحجبها عن روايه شواهد الحق في أقواله وأفعاله كما قال تعالى في بيان هذا الادعاء في موضع آخر (وقالوا قلوبنا في اكنه مما تدعونا إليه وفي اذاننا وقرنا ومن بيننا وبينك حجاب فاعامل اننا عاملون)

ولهذا يقول الحق أن تلك الاكنه والوقر والحجاب الا الافات التي أصابت مدراكهم فقديتها ميزه الإدراك وصيرتهم كما قال تعالى في موضع آخر (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالا نعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)

ولهذا فإن الايه تبين للرسول صلى الله عليه وسلم أن هولاء كا لانعام فبرغم اقرارهم بسخافه عقيدة الشرك هم يرفضون القبول بالحق وأتباعه

الأمر الثامن

يبين الحق سبحانه وتعالى لنبيه ولكل داعيه اهميه تنويع الأساليب وتجديد الوسائل والبدايل لأن إنجاح أي فكره لابد له من التحديث لكن مع تأصيل الوسائل والأساليب وربطه بالهدف السامي فنجد أنه تعالى يقول (انظر كيف نصرف الآيات تشير الي تتابع الآيات وتنوعها من نوع الي اخر تاره بترتيب المقدمات العقلية وتاره المواظ بطريق الترهيب والترغيب وتاره بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين فكل واحد يقوي ما قبله لأجل الوصول إلي المطلوب وهو إقناع الناس بدعوه التوحيد فالعرض للدعوه لابد من تنويع الأساليب مع توحيد المعني في الجهات التي تظهرها أتم الاظهار ولهذا يتعجب من حال المكذبين بعد كل هذا فقال تعالى (ثم هم يصدفون) وثم لاستبعاد أعراضهم وعدم ايمانهم فهو ناتج عن الجحود وليس لنقص الدليل لأن هذا التنويع في عرض الاداله وبعد تصريفها علي هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليه يعني أنه لا عذر للمكذبين فقد أقيمت الحججه عليهم

الأمر التاسع

كما أن الايه الكريمه فيها اعجاز من اعجاز القران الكريم بأفراد السمع وجمع الأبصار والقلوب فهذا يدل علي علو منزلته وأنه من رب العالمين

يقول صاحب التفسير القراني في هذا الشأن أن السمع وظيفته أن يتلقي الاصوات وان عليه أن يميز بينها ويمسك بالواضح منها وهو لن يحقق هذا أو يتحقق له هذا إلا إذا عرف الصوت الذي يريد استقباله بفصله عن كل ما يتصل به من اخلاط الاصوات الأخرى وهذا يعني أن السمع وان اتسع سماع الأصوات المختلطه فإنه لا يميز الا واحد منها بالاصغاء إليه وعزل ما سواه عنه والا كان المسموع له أصواتا لامفهوم لها وما هي إلا دوي توجع رأسه ومن هنا كانت حكمه أفراد السمع في القران وفي جميع الآيات التي ذكر فيها السمع في القران فذلك توجيه لوظيفه السمع وإقامتها علي الوجه الذي ينتفع به علي صاحبه فالكلمه التي تصل للإنسان من طريق سمعه لاتغير تفكيره ولاتحرك وجدانا ولاتهز شعورا الا إذا كانت ذات مدلول محدد واضح وهذا لا يكون إلا إذا استقبلت بجديه واتخذت طريقها الي السمع والي موطن الإدراك والشعور في الإنسان غير مختلطه بغيرها مما يغيرها ويحرف معناها

ومن هنا قال تعالي (ورتل القران ترتيلا)

بأن يكون تلاوه مع خشوع وفهم وتدبر بنقل الكلمات من اللسان الي الاذن ثم الي القلب والعقل في صورته واضحه سويه مفهومه وأمر عند قراءه القران بالانصات لأن كثرة الاصوات بأن تكون دفعه واحده تجعل الإنسان لايفهم

فالمطلوب من الإنسان أن يستعمل سمعا واحدا ليكون مايسمعه مفهوم ومعقول

أما حاسه البصر فهي علي خلاف حاسه السمع لانك تستطيع أن تنظر لكثير من الصور في وقت واحد وفي نظره واحده

ولهذا جاء بالجمع وكذلك فإن القلب يتأثر بالمحسوس من مرئي ومسموع ومشوم وملمس وفي قدرته معادوه النظر أكثر من مره للصور التي يتلقاها بالحواس فيعيش معها زمنا علي هنيهه خواطر ومشاعر ووجدانا يشكل منها جميعا عالمه الذي يعيش فيه ونزعاته وسلوكه فدل هذا علي أن القرآن من عند الله

رابعا

(قل اريتكم أن اتاكم عذاب الله بغته أو جهره هل يهلك الا القوم الظالمين)

ابتدأت الآيات بدعوه مشركي قريش الي استحضار موقف الهلاك والاستئصال بالعذاب المعد لمن كذب ب الله ووجد انعامه بعد ذكر انعام الله التي يلبسونها وتلبسهم باستحضار موقف سلبيها من الله الذي آتاهم إياها فقد جاءت الايه بتوقع جديد يرسم فيه مصارعهم بالعذاب الذي يأتيهم بغته أو جهره

وقد جاء فيها الأمر باستحضار الموقف (اريتكم)

اي أخبروني بحالكم أن اتاكم عذاب وعقابه علي ما اشركتم ب الله ووجد النعم التي انعم الله بها عليكم سواء حصل وهذا فيه الآتي

الدرس الاول

يريد بهذا التنبيه من الاغترار بالامهال واستبعادهم نزول العذاب بهم فإن هذا مقدمه للهلاك وقد أخبرنا الله في الايات السابقه ما حل بالامم الغابره التي كذبت الرسل فقال تعالي (اريتكم أن اتاكم عذاب الله)

فالمراد بالعذاب هنا عذابه الخاص عذاب الاستئصال الذي حل بالأمم السابقة التي أخبرنا الله أنها أخذها بغته وبيّن أنه أخذهم أخذ عزيز مقتدر بعد ثبوت الحجة عليهم واستئناس الرسل من عودتهم الي الصراط وقد عبرت الكلمه (أخذناهم) عن حقيقته ضعف تلك الأمم وهوانهم وهم المغرورون بئرائهم المخدعون بقوتهم فقال تعالي (فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا) وذكر بعدها قول الانبياء (والحمد لله رب العالمين) فقد شاهدوا قدره الله وسنته وتحقيق وعده في اهلاك المكذبين الذين بمنطق الماده ينظر إليهم أنهم قوه يصعب الخلاص منها

فالحق هنا يهدد هؤلاء بذلك العذاب الذي يظهر فيه أن المشركون يستبعدون حصوله فاستخدم لفظ (اتاكم) فهذا بعد نفسي وايضا فيه بعد زمني لأن وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم مانع من العذاب ف الله يقول (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم)

فأراد الحق بهذا تحذيرهم من الغفله والاعتزاز بالقوه فاستعمل لفظ (بغته او جهره) والتي من معانيهما أن بغته اشاره الي الليل وجهره تعني النهار كما قال تعالي في سوره الاعراف بقوله تعالي (اذا من أهل القرى أن يأتيهم باسنا ببياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون)

فلا يأمن من مكر الله الا القوم الظالمين

الدرس الثاني

يريد الحق أن يغرس في الناس الاحساس بالعجز والضعف والخروج من حاله الصدوف الناتجه عن العناد والكفر من خلال الانتقال الي توقع جديد يطلب منهم استحضار موقف العذاب الذي حل بالأمم السابقة فيقول لهم ماهو شأنكم اذا حل بكم عذاب الله الذي اهلك به الأمم من قوم نوح وعاد وثمود والفراعنه

فما هي قوتكم علي دفع العذاب فأنتم عاجزون عن احتواء الضرر ان حل ولاتقدرون عن الحد من آثاره سواء جاء فجاه بدون مقدمات أو جاء وانتم مستعدون له فلن تجدوا قوه تدفع عذاب الله وعقابه فأراد الحق بهذا الخطاب أن يهز أعماق النفوس وارجاف القلوب لآخريتهم من حاله العزوف فأخبرهم أنه لا يهلك الا المكذبين الذين أصروا علي الشرك والفساد أما المومنون فإن الله ينجيهم

الدرس الثالث

تبين النصوص اهميه المشاركه الشعوريه عند قراءه القصص التي تحكي ما حصل للأمم السابقة تعيش كأنك واحد فيهم لتري قبح الكفار وأفعالهم وتصرفاتهم وأنها السبب في الهلاك والضياع الذي وصلوا إليه ليحصل الاستفادة و العظه والعبره ولهذا استعمل كلمه (بغته أو جهره) والتي من ضمن معانيهما

بغته بدون مقدمات وانما تلييح كما هو العقاب الذي نزل بقوم نوح او يكون قد حصل الانذار به صراحه كما هو شأن قوم صالح (ففقروها فقال تمتعوا في دراكم ثلاثة ايام ذلك وعد... الخ

فيقول لهم الحق انظروا الي أحوال الامم في جانب الخير والشر انظروا الي العواقب تجدون أن الهلاك إنما حل بـ الظالمين فقال تعالي هنا (هل يهلك الا القوم الظالمين) استفهام تقريري فيه إيذانا بان مناط هلاكهم ظلمهم فأراد بهذا أن يشاهدوا الأسباب التي وصلت المومنين بحبال الكرامه والنجاه والفلاح ليسلكوا طريقهم وينظروا الي أسباب الهلاك التي أحاطت بالظالمين ليحذروها فالتوقع الذي يعرضه عليهم السياق يهدف إلي أن يتقوا الله ويتقوا أسباب العذاب قبل أن يجي وأنه لانجاه من العذاب الا بالتقوي وخوف الله

خامسا

تبين النصوص أن مهمه الرسول هي البلاغ وليس انزال العذاب أو المجي بالايات فقال تعالي (وما نرسل المرسلين

إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
فالايات تبين التصور الإسلامي الذي ينبغي أن يستقر في أذهان المومنين من خلال الحقائق الاتيه التي تبينها الا
يه

الأمر الأول

ان الرسول وكافه الرسل ارسلهم الله الي الناس بالبشاره للمومنين بما اعد الله لهم في الجنه من النعيم أنهم آمنوا
بالله ورسوله وكتبه ورسله واليوم الآخر...وتحركوا وفق منهج الله في إصلاح حركه الناس في الحياه ومنع
الفساد في الأرض

وإنذار الكفار بالعذاب الذي أعده الله لهم علي عصيانهم وكفرهم

فمهمه الرسل هي البلاغ المبين ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيا عن بينه

الأمر الثاني

أن الرسول بشر اختاره الله واصفاهه ليحمل رسالته الي البشر فهذه هي الميزه التي تميزه عن البقيه أما سائر
أحواله فهو بشر مثل بقيه الناس فلا بد أن يفهم الناس هذه الحقيقه بان الرسول مبلغ عن ربه ولايستطيع أن يأتي
بالخوراق التي يقترحونها فهو مبلغ عن ربه وهو بشر مثلهم فالله يقول لنبيه في سوره الاسراء بأن يرد علي
طلبهم الخوراق (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)

فالله لم يعط الرسل قدرته ليفعلوا مايشاؤون ولكنهم يبلغون ما أمرهم الله به ولايفارقون ادميتهم فهم بشر
يستقبلون الوحي من الله فلا تطلبوا منهم الخوراق لانهم لايستطيعون أن ياتوا بها

فلا تخرجوا الرسل الي مرتبه الالهيه فتطلبوا منهم الايات كما أن ذلك فيه اساءه ادا ب في التعامل مع الله لانك
تريد أن تفرض علي الله خارقه وهو اعلم بالمعجزه التي تحقق الغرض في مرحله الرشد البشري التي توقف فيها
عمل المعجزه الماديه الخارقه فقد جعل الله القرآن هو المعجزه وهو عين المنهج

الأمر الثاني

أن المطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغته الرسل فالعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع
الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلا

فالمطلوب الاستماع للرسول واستحضار الاداله والايات التي تحصل بها علي الإيمان ثم بعد ذلك ترجمه الايمان
الي عمل الجوراح بالتحرك وفق المنهج الرباني الذي حملة الرسول من ربه فقال تعالي (فمن آمن واصلح)

فهذا يعيش في جنه وهو في الدنيا لانه في ولايه الله ويجد الامان في الاخره بالبشاره التي تنزل بها الملائكه في
الحياه الدنيا وفي الآخرة فقال تعالي (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ولايحزنون علي ما فاتهم ولايحزنون من اي
فزع كما قال تعالي (لايحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكه هذا يومكم الذي كنتم توعدون)

وكذلك لايحزنهم المصائب في الدنيا لايمانهم بالقضاء والقدر كما قال تعالي (ما أصاب من مصيبه في الأرض ولا
في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرها أن ذلك علي الله يسير ليكلا تاسوا علي ما فاتكم ولاتفرحوا بما اتاكم)

ثم اخير عن الفريق الثاني من الناس الذين يقابلون الانبياء بالتكذيب للرساله والاذي للرسول فقال تعالي (والذين
كذبوا باياتنا يمسههم العذاب بما كانوا يفسقون)

وأسند المس الي العذاب مع أن حقه أن يسند الي الاحياء لكونه من الأفعال المسبوقه بالقصد والإختيار علي طريق الاستعاره بالكنايه فجعل كأنه حي يطلب ايلامهم والوصول إليهم لانه يبدأ من الدنيا وينتقل معهم الي الاخره كما قال تعالي (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي)

وان هذا بسبب الفسق والعصيان والخروج عن طاعه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع السابع من سورة الانعام

(قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحي الي قل هل يستوي الاعمي والبصير افلا تتفكرون)

وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم علي نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهاله ثم من بعده واصح فانه غفور رحيم وكذلك فصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين)

المقدمه

بالوقوف علي الايات في هذا المقطع نجد انها تعالج عدده قضايا وموضوعات مرتبطه بواقع الناس عند البعته فقد تضمنت الايات القرآنية تصحيح التصورات الجاهليه عن حقيقه الرسل والانبياء والرسالات والنبوءات وعن حقيقه الوحي وعن مبدأ المساواة وبيان قواعد التعامل مع الله والتعامل مع الرسل وتعامل الناس بينهم البين وماهي حقوقهم وواجباتهم حيث وان الناس كانوا بحاجه الي بيان تلك الحقائق فالتمامل لحال الناس قبل بعته النبي صلى الله عليه وسلم وحاله الفوضي والاضطراب في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية و العقافية والدينيه في العالم أفسدت فطره الناس وتصورتهم ونظرتهم حيث أن نظره الناس انحرافات بشأن حقيقه الرسل والرساله نظرا للصوره المشوهه التي رسمتها الجاهليه عن حقيقه الرسول وطبيعته الرسالات إذ أن اليهود والنصاري كانوا قد رسموا فكره الرسل والانبياء والرسالات نوع من أنواع السحر والكهانه فحصل اختلاط حقائق الرساله والانبياء بالخرافات والشعوذه والدجل وكذلك فإن الكهنه قدموا أنفسهم أنهم وسطاء بين الرب وبين الناس فلاتوبه من ذنب بدون اعتراف أمام القس ولا دخول الجنه الا اذا باعها القس لمن يدفع الثمن

وكذلك كان الفرس المجوس والهنود يعبدون الأبقار والنار والأحجار وغيرها من الخرافات

وقد انعكست هذه الخرافات الدينيه علي جميع الحياه السياسي والاجتماعيه والعقافيه فقد كان الملوك يتحكمون باسم الكهنه في رعاياهم ويعتبرون أنفسهم من سلاله الالهه والناس من سلاله البشر وانهم لم يخلقوا الا لخدمتهم فلا حقوق لهم من الناحية الاجتماعية وكانت هنالك طبقه من الحكام والراسمالين صنعها الملوك يحكمون بواسطتها شعوبهم وقد كانت هذه طبقه تظلم الناس وقد انعكس هذا الظلم الاجتماعي مع الخرافات السابقه علي الحياه الاخلاقيه فقد عم الفساد وأصبح الناس لا يميزون بين خير وشر ولا بين رذيله وفضيله ولهذا نجد أن النصوص تعالج جميع الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية فنجد انها تناقش عدده مواضيع

الموضوع الاول

تصحيح التصورات التي كانت سائدة في عالم الجاهلية عن حقيقه الرسل والانبياء والرسالات والنبوءات وعن حقيقه الوحي الإلهي نظرا لان الأمم كانت قد ابتعدت عن تلك الحقائق وحدث اختلاط بين الشعوذه والسحر و التنجيم والكهانه وبين الرساله فقد أصبح الناس يطلبون من النبي يأتيهم بالغيب والخوراق والأرزاق يرون أن النبي الذي يحتاجونه هو الذي تجتمع فيه خواص ثلاث لأنهم يرون أن الرساله ليست بإرسال وانما بوجود هذه

الخواص هي

ظهور خوارق العادات ..ولهذا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا كما تقول من عند الله فلماذا لاتوسع علينا ارزقنا وتطلب من ربك أن يغدق علينا بالارزاق والأموال ...أما الخاصيه الثانيه بنظرهم الاطلاع علي المغيبات فقالوا اذا كنت نبيا فعليك أن تخبرنا بما هو مستقبلنا في اقواتنا وحياتنا كلها وتطلعنا علي جميع ما غاب عنا ...أما الخاصيه الثالثه فهو يعتقدون أن الرسول إنما يكون من نوع الملائكه المويده بالقوه وعز لايضام فطلبوا أن ينزل معه ملكولهذا قال تعالي (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقوال لكم اني ملك أن اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمي والبصير أفلا تتفكرون)

فيها الآتي

الأمر الأول

(ازاله كل تلك الاباطيل الفاسده التي صنعتها الجاهلية)

يقول لهم انني لا املك خزائن الله ولا اتصرف بها كيفما اشاء فاستعمل لفظ (خزائن) وخزن الشئ اذا احرازه بحيث لاتناله الأيدي فهو لفظ يستعمل لما يخزن الشئ الذي يراد حفظه ومنع التصرف فيه كما قال تعالي (ولله خزائن السموات والأرض)

لانهم كانوا يقولون إن كنت نبيا فاطلب من الله أن يوسع علينا ويعطينا الأموال

ثم أخبرهم أنه لايعلم الغيب والغيب ما غاب علمه عن الناس بعدم علمهم من أسباب العلم به وهو انواع ١/

غيب حقيقي وهو ماغاب عن جميع المخلوقات حتي الملائكه كما يقول تعالي (قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله)

٢/ ما غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض فالملائكه لديها علم باحوالهم وهو غيب علي البشر

٣

ما يعلمه بعض البشر لأن الله اختصهم به دون غيرهم مثل الانبياء الذين يطلعهم الله علي بعض الأمور الغيبه التي تحتاج إليها الرساله كما قال تعالي (عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول)

٤

ما يعلمه بعض البشر بتمكنهم من أسبابه ولايعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعماله فهذا لا يدخل في عموم الغيب الورد في الايه فمثلا علم الرياضيات يحدودن وقت الخسوف والكسوف بدقه بوقت معين من الثواني والدقائق وغيرها من العلوم فهذا لايعد غيبا

والسبب في نفي علم الغيب هنا لانهم قالوا أخبرنا بمصالحنا ومصادر ارزقنا في المستقبل حتي نستفيد لتحصيل المنافع وندفع المضار عنا فقال تعالي (ولا اعلم الغيب)

فيقول لهم ولا ادعي كوني موصوفا بعلم الله فاخبركم بما تريدون ولا ادعي اني ملك حتي تطلبون مني الخوارق للعادات ما لايطيق البشر حتي تنكرون نبوتي

الأمر الثاني

(التحذير من تقديس البشر)

ابتدأت الايه بنفي النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه امتلاك خزائن الله وان يعلم الغيب أو أن يكون ملك فهو ليس لديه اي صفة من هذه الصفات وهذا فيه تقرير العبودية لله وحده لا شريك له يقول لهم لست ادعي منزله فوق منزلتي التي انزلني الله إياها (أن اتبع الا ما يوحى الي)

فذكر امتعاله الوحي الذي ينزل عليه من ربه بأن يعمل في نفسه ويدعو الخلق كلهم الي ذلك

يخبرهم أنه يعرف منزلته ولا يدعي منزله لم يأذن بها الله وهذا فيه تحرير الإنسان من العبودية للإنسان أو تقديسه ولاميزه تميزه فوق مستوي البشر الي مضاف إليه لأن هذا يتعارض مع التوحيد ومع مهمه الرسول ووظيفته فهو لم يأتي لاستعباد الناس لذاته ولا يدعوهم الي ذلك وانما يدعوهم الي عبادة الله وحده لا شريك له وهو أول من يدعن ويخضع لله ويعبده فليس يطلب شيئاً لذاته ذلك أن أهل الكتاب كانوا قد رسموا صورته مشوه عن الرسل فقد حرفوا الكتب السماوية واستبدوا الناس باسم الدين وانهم وسطاء بين الرب وبين الناس لدرجه ان الكهانه كانوا يبيعون صكوك الجنه والغفران لمن يدفع الثمن وكل ذلك ادعي الي استعباد الناس باسم الله وظهرت الوثنيه السياسيه وانتشر الظلم والطغيان باسم الدين كما فعل الفراعنه وابطارهم الروم والبابوات في العصور الوسطى

والمشركون كانوا يعتبرون هولاء وكلاء الله في الأرض يرفعون من يشاؤون ويخفضون من يشاؤون ولهذا طلبوا من الرسول ما طلبوا فجاء الرد حاسماً

الأمر الثالث

(عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه علي الناس)

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (قل) أمر من الله لنبيه أن يبلغه وقد نقل الرسول أمر الله كما نزل فلو قال (لا اقوال لكم) لكان كافياً لكن هذه الدقه متعلقه بامانه البلاغ أن ينقل الوحي كما أنزل إليه من ربه ولهذا نقل الوحي (قل لا اقوال لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقوال لكم اني ملك... الخ اي انه بشر مثل بقية البشر فليس ملك ولا يعلم الغيب ولا يملك التصرف بخزائن الله وانما يوحى اليه فهو لا تربطه بالسماء أسباب غير الوحي والوحي الذي ينزل علي الرسول يقرئه القران ولهذا ابتدأت الايه بقوله (قل لا اقوال لكم) فالسماء لا تنزل رسالتها الوحا وقواطيس وهو يسد كل ذريعه للتعالي والتحكم باسم الله وشريعته فالرسول صلى الله عليه وسلم كان بعيداً عن العروه أو السطوه لم يكن نبياً ملكاً كدواد أو سليمان بل كان يجوع ويشبع ويصبر علي الضعف حتي يقوي فمهمته البلاغ والانداز وشاهد الرسول علي رسالته هو المنطق والبيان ولهذا قال تعالي (قل هل يستوي الاعمي والبصير أفلا تتفكرون)

يدعوهم الي الوقوف علي الفرق بين الاعمي والبصير فالذي لا يري آيات الله القرانيه التي فيها الاعجاز وتعذرت معارضته وقد ظهرت من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا يعرف القراءه والكتابه فهو مصدقاً للنبي فلا يمكن لمن كان في مثل ظروفه أن يأتي بالقران وهو منزل من الله وحياً وقد كان النبي اول من التزم بهذا الوحي وقد جاء مقترن مع الدعوه

ولهذا فإن شعورنا اننا نقف أمام النبي الإنسان والناس كلهم عبيد لله ففي هذا التسليم بالدليل وقد جعل الله القران هو المعجزه وهو عين المنهج الذي فيه الهدايه والخروج من ظلمات الكفر الي نور الايمان فما عليهم إلا أن ينفتحوا عليها بعقولهم وأفكارهم من دون أن يكون هنالك ما يلزمهم باتباعاً من ناحيه قسريه فمن أراد الهدايه فعليهم اتباع القران فالرسول لا يطلب أجره علي ذلك وليس له مصلحه شخصيه بل هو رحمه للعالمين

الأمر الرابع

(عرض الدعوه مبراه من كل اغراء أو مكياج ولاثراء ولاادعاء)

نجد أن الحق يأمر نبيه أن يقدم نفسه بشرا مجردا من كل مظاهر التعاضم والعرفه لازاله الأوهام والخرافات التي سادت الجاهليات عن طبيعه النبي والنبوه

وهو مانجد فيها اسلوب عرض العقيده خاليه من كل اغراء مبينا أنها لا تحتاج الي الزخرفه والزينه فهي أكبر قيمه من كل قيمه فأمر الله نبيه أن يقدمها للناس خاليه من كل اغراء ليعرف الحق من يفتيون الي ظلها ولا يفتيون الي خزائن مال ولا جاه والسلطان ولا يعرف قيمتها الا العاقل الذي يستعلي بالحق أنها عقده يحملها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يملك شيئا من حطام الدنيا إلا أن هذا الوحي فيه الهدايه والنجاه التي يحتاجها الناس ولهذا يدعوهم الي التفكير بعد أن أخبرهم أن العمل بغير الوحي يجري مجري عمل الاعمي والعمل بمقتضى الوحي يجري مجري عمل البصير

وبالتالي فإن شاهد المنطق لو تفكرتم يخبركم بفوائد بعنه الرسل وحاجه البشر الي إلهم ذلك أن العقل عندما تغيب عنه هدايه السماء يضل في تفكيره وتطغي عليه الشهوه وتميل به الأهواء عن سنن العدل فذكر أن عدم الرؤيه يعود إلي ضعف العقل عن إدراك مدلولات الوحي فالله وهب الإنسان عقلا قادرا علي تلقي الوحي الذي فيه تكميل النقص في العقل الإنساني ويعرفونه ما يسعده وما يشفيه فالمنهج هو الضابط الذي يدل العقل علي الطريق المستقيم ولهذا فإن غياب الوحي يودي الي حجب الرويه

واساءه التقدير فيري الوجود علي مقاييس غير منضبطه ولهذا يكون مثل الاعمي الذي يتحرك دون أن يري أين يضع قدمه

ولهذا فإن الفاعليه الإيجابية للحركه في الحياه مرهونه الي حد بعيد باستدعاء معرفه الوحي واستصحابها مع العقل كدليل عمل وبوصله هدايه تبصر العبد بما يفعل وما يترك يكون فيها إيقاظ الوعي واستنفار العقل فيكون هذا بصير أما العقل الذي يتحرك بدون الوحي الإلهي فهذا يتخبط في سيره مثل الاعمي

الموضوع الثاني

ما سبب اقتران الحديث عن تلقي الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي من الله وحده بالاشاره الي العمي والبصير بالسؤال الذي يحث علي التفكير :-

الأمر الاول

هذا أمر له دلالة في التعبير القرآني فالتفكير مطلوب والحث عليه منهج قرآني لكن التفكير المضبوط الذي يكون فيه النهوض والوصول الي المطلوب والوقايه من الآفات والأزمات لا يتحقق إلا إذا تميزنا باستعياب معرفه الوحي سواء في الهدايه الي ما يرضي الله أو الهدايه الي دليل العمل و التعامل مع الحياه بكل تحويلاتها فأنت بحاجة الي معرفه السنن التي تحكمها وسبل تسخيرها وفهم قوانين الاشياء فالوحي قد إبان للعباد كل ذلك ولهذا فإن الضابط الذي يضبط التفكير هو الوحي الذي يصبح معه بصيرا يري فيه الأبعاد قبل حركه الاقدام لأن حركته اصطحاب فيها بوصله الهدايه والنور الذي يدل علي الطريق لامطلق التفكير الذي يحيط به ظلمات الجهل والظلام بلا هدايه ودليل يرشده الطريق

فالعقل مقصور ومحدود الإدراك لا يستطيع التوصل الي جميع المعارف فهو قاصر عن معرفه ما يسعده وما يشقيه وهو لا يستقل بمعرفه أمور الغيب التي الغير محسوسه ولهذا فإنه يتحرك في إطار ضيق لا يتجاوز عالم الشهادة ولهذا كان احتياج البشر الي الرسل وكانت حكمه الله العليم الخبير الذي يعلم قصور العقل عن هدايه الإنسان في

حياته فارسل الرسل الذين يكملون النقص في العقل ويعرفونه ما يسعده وما يشقيه في الاعتقاد والأعمال

فالوحي يمد العقل بالتفكير السليم والنور الذي يمنع تعثره في الطريق ويمده بالطاقة والنشاط ويدفعه للحركة
دفعاً فقد أودع الله العقل لأجل أن يؤدي دوره ليكون مقدمه هدايه وانزل الوحي ليكون سبيل الهدايه ودليل العمل
والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطردها قال تعالى (افمن يعلم انما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو اعمى إنما
يتذكر أولو الألباب)

الأمر الثاني

يبين الحق سبحانه وتعالى لعباده أن تثبيت التصور في الأذهان وواقع الناس الجديد يحتاج الي التعبير التنفيذي
حتى تتحول الي ارداه فتهدب من عالم الرجاء والخيال الي ارض الواقع والحقيقة ولهذا يضع المولي سبحانه
وتعالى للمسلمين الاسوه الحسنه للاقتداء بها في ترجمه القران سلوكا علي الواقع ولهذا نجد أن الله يأمر نبيه أن
يعرض نفسه علي الناس أنه بشر لا يقعد علي خزائن الله ليفدق منها علي من يتبعه ولا يملك مفاتيح الغيب كي
يخبرهم بما هو كائن ولا هو ملك إنما هو بشر يتبع الوحي الذي يعلمه الله تعالى فهذه العناصر المكونه للشخصيه
الاسلاميه ليست صوره معاليه غير قابله للتطبيق علي أرض الواقع في الحياه الانسانيه أنها شخصيه واقعيه
مغاليته ممكنه قابله للوجود وقد وجدت فعلا في الرسول صلى الله عليه وسلم لأن المسلمون مطالبون بالاعتداء بـ
الرسول اقتداء شامل في جميع جوانب الحياه والنشاط الإنسان من بدايه مبعته حتى انتقاله الي الرفيق الاعلي

ولهذا ابتدأت الآيات بقوله تعالى (قل) يأمره أن يبلغ ما ينزل عليه من ربه لأن الحق عندما أراد انزال المنهج في
القران يسمع ويقرا اراد أيضا أن يكون سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيقا لهذا المنهج يحس ويشاهد ولهذا
ذكر بعدها (أن اتبع الا ما يوحي الي)

يقول لهم أن العلم الذي انشره بين الناس والعقيده التي يدعو إليها لاتتبع من ذكاهه ولا من حميته ولا الالم الناتج
عن الوضع المزري الذي يعيشون فيه وليس من آثار البئيه ولا من التجارب الواسعه إنما مصدره الوحي والرساله
التي يصطفي الله لها من يشاء من عباده فهي ليست من صنع البيئه وانما من وحي السماء ولهذا فهو القدوه الذي
يرونه في الأرض وهو بشر منهم فكان إعلانه اتباعه لهذا الوحي (أن اتبع الا ما يوحي الي)

فيه اعلان الشخصيه الإسلاميه المعاليه التي تترجم الوحي الي واقع في الحياه فهو أول من يطبق الوحي ليكون
قدوه يرونه رأي العين تترجم المبادئ والقيم والأخلاق التي جاءت بها هدايه القران ولايقرون تلك القيم في
كتاب أنهم يرونها في بشر فتتحرك نفوسهم لها وتهفو إليها مشاعرهم ويحاولون أن يقتبسوا قبسات من الرسول
كل بقدر ما يطيق أن يقبس وكل بقدر ما يحتمل كيانه الصمود لايياسون ولاينصرفون ولايدعونه حلما مترفا لذيذا
يطوف بالافهام لانهم يرونه واقعا يتحرك في واقع الأرض يرونه سلوكا عمليا لا امانى في الخيال.

ولذلك كان الرسول اكبر قدوه للبشرية في تاريخها الطويل ومربيا هاديا لما فيه الكمال الإنساني فقد ذكرت عائشه
أن خلقه القران فكان عابدا لله في جميع أموره وكان رحيما بالمومنين وكان شجاعا وومتواضعا وقيادته حكيمة
فقد رباها الله وأحسن تأديبه ليكون قدوه حسنه لنا

الأمر الثالث

تبين النصوص ان تثبيت التصورات الجديده في حياه الناس قضيه تحتاج إلي جهود فكريه ونضال جهود تحرك
العناصر الايجابيه وهذا إنما يتحقق بجعلها تتفاعل تفاعلا عقليا وايجابيا

مع قيادتها لتفاعل عاطفيا سلبا

فالتفاعل الإيجابي هو الذي يولد الاقتناع أثناء مشاهده البدايه الصحيحه للمسيره فقال تعالى (قل هل يستوي الا

اعمي والبصير أفلا تتفكرون)

هنالك فرق بين حركة الاعمي الذي لا يدرك أن يضع قدمه وبين البصير الذي يري ابعاد المهمه قيل وضع الاقدام فمن إدراك الفارق لابد أن يدرك اهميه البدايه الصحيحه باصطحاب المنهج الوحي كبوصله هدايه ودليل عمل وتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطردها ...

فالتفاعل الإيجابي يولد القناعه بالسير في الطريق لانه يري انه طريق السلامه والامان وهذا يقوي الطاقات للتحمل وينمو الشعور بالمسؤوليه واداءها ليبقى التفاعل متصلا ومستمر في التطور ومتجاوب مع القيادة فيحدث أثره في صفحات التاريخ

أما التفاعل العاطفي السلبي الذي يدفعه التعصب أو المصالح الشخصية فإنه سرعان ما يتحول الي حاله تنتهي بانتهاء ظروفها ثم يطير مع الرماد ولهذا يأمر الحق سبحانه وتعالى ان يوجه عنايته ورعايته الي من يرجي الا نتفاه بالدعوه فهؤلاء من لديهم تفاعل إيجابي مع الدعوه (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا أليس الله اعلم بالشاكرين)

تبين النصوص الآتي ؛

المبحث الأول

أن عناصر التفاعل الإيجابي تعني أن يكون ثمره التفكير الاقتناع الذي يقبل علي ربه طالبا رضاه يجعله يتقي ربه تقوي من قد عرف الله منه وقدرته عليه وأمن به ايمان من قد أقر له بالوحدانيه والازاليه لما ظهر من مشاهدته ملكوته وشواهد سلطانه وكثره الدلائل عليه والايات التي تدل علي ربوبيته ونفاذ مشيئته وأحكام صنعته وبيان قدرته علي جميع خلقه وحسن تدبيره الا له الخلق والأمر ولهذا بعد أن ذكرت النصوص (قل هل يستوي الاعمي و البصير أفلا تتفكرون) تأتي الايات بالأمر أن يتوجه بالانذار الي الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم.....الخ

وهذا فيه الآتي

المساله الاولى

أن الانذار للذين (يخافون أن يحشروا الي ربهم) لأن هؤلاء يستقر في قلوبهم خوف الله فهذا الايمان باليقين الجازم يدفعهم الي الالتزام بما أمر الله به أنه يشعر بالمسؤولية وهذا من أهم عناصر التفاعل الإيجابي وهو ينمو ويتطور لأنه يشعر برقابه الله وان غاب الرقيب فليس الخوف من رقابه البشر هو الباعث علي التفاعل وانما يستحضر لحظه الوقوف بين يدي الله تعالي فهو لا يغفل عن مراقبه الله في السر والعلن وبالتالي فلا يخالف منهج الله يحاول أن يكون محسنا في كل حال فإن لم يستطيع أن يري الله فهو يشعر أن الله يراه

المساله الثانيه

اهميه أن يعمر قلوب عناصر التفاعل الإيجابي الايمان الذي يغرس فيهم عزه العقيده والاستعلاء بالحق فهذا لا تنحي جبهته أمام الازمات لانه يستمد عزته من عبوديته لله تلك العبوديه التي حررتة من الطمع فيما عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا ولاتذله الأحداث فالمومن لا يستمد عزته لامن مال ولا من جاه ولا من نسب فقال تعالي (ليس لهم من دون الله ولي ولاشفيع)

المساله الثالثه

تبين الايه ان المومن باليقين ب الله واليوم الاخر ايمان قائما علي هيمنه عقيدة التوحيد علي حياته كلها من عبادات وأعمال وسلوك واقوال وقيم ونظم حياه مطمئن بالاتصال ب الله والانس بجواره والأمن بحماه دون أن يخالط إيمانه أي شي يفسده من التعلق بالمال أو الجاه أو النسب فالمومن الذي يكون ذو فاعليه إيجابيه هو الذي خلصت عقيدته من الشرك وليس له من دون الله ولي يجلب له النفع ويدفع عنه الضرر ولاشفيع يمنع عنه العذاب فهذا هو أحق بالانذار واسمع له وأكثر انتفاعا

المساله الرابعه

تبين النصوص اهميه الايمان باليقين للوصول إلى الكمال الذي يطلبه كل مومن فقال تعالى (لعلهم يتقون)

أي انذر بالقران هو لاء الذين لديهم استعداد وهم يتسابقون للوصول إلى التقوي ورضا الله تعالى

فهؤلاء يكون الانذار بيان كاشف لهم وموثرًا يكشف لهم ما يتقونه ويجدونه وموثرًا يدفع قلوبهم للتوقي والحذر فلا يقعون في المخالفه هؤلاء هم الذين عليك التركيز في تحريك جهودهم لانهم يحذرون ما هم صائرون إليه في العاقبه فهم يقدمون لانفسهم عملا يحفظهم ويحرزهم من سوء المصير يحرزهم فهم يتنافسون علي خدمه الناس فنطاق دائره اهتمامهم تمتد الي الناس كلهم وليست محصوره علي أنفسهم أو أسرته كما هو حال الاناني الذي تكون فاعليته سلبيه

المبحث الثاني

لماذا خص الله بأمره نبيه أن يقتصر بالانذار للذين يخافون من لقاء الله والوقوف بين يديه فقال تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون)

مع أن مهمه النبي صلى الله عليه وسلم هي الانذار للكفار عموما وتبشير المومنين ؟

الجواب اعلم أن الانذار هنا لايقصد به الانذار العام الذي يكون لجميع الناس فهذا اوضحته الايات قبلها فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمي والبصير أفلا تتفكرون)

حيث أنه بعد اقامه الحجه عليهم تنتهي مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم لانه قد كان منه البلاغ... فالناس حينها ينقسمون الي فريقين كافر يعيش في ظلمات الجهل والظلام والكفر والجحود فهذا هو الاعمي... ومومن انتقل الي نور الايمان فأصبح بصيرا بالطريق الي ربه ولهذا فقد خص الأمر بانذار هؤلاء لأن المراد بهذا هو الهدايه الخاصه التي يخص بها الحق من قبل الهدايه العامه فهو قد أخبرنا في موضع آخر أن الكفار محرمون من هذه الهدايه فقال تعالى (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأن يروا كل ايه لا يومنوا بها وأن يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين) وقد أخبرنا أن الكفر عمي يحجب الرؤيه فلا ينتفع بالايات وفي هذه الايه يبين لنا أنه سيحجب الفهم في الايات و الفقه في نصوص الوحي عن كل متكبر ومهما يرون من ايه ويطالعون من دليل يدل علي عظمه الله وقدرته وحكمته فإنهم لا يصدقون وإذا شاهدوا طريق الهدى والرشاد يعرضون عنه ولا يتخذونه طريقا لهم وإذا شاهدوا طريق الغوايه والضلال سلكوه وجعلوه طريقا لهم وذلك الحجب عن الفهم والصرف عن الاهتداء لتكذيبهم الآيات وأعراضهم عن المعجزات وغفلتهم عن تدبر العظات ولهذا بعد تناول حال الاعمي والبصير والختم بالاستفهام (أفلا تتفكرون) تأتي النصوص مبينه منهم الذين ينتفعون بالهدايه وهم الذين يذعنون لله ويخضعون له وهذا انما يكون ممن عرف ربه بكماله وعظمته وجلاله تعالى ومن قد عرف نفسه بضعفها مومنا بلقاء ربه فقال تعالى (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيع لعلهم يتقون) فدللت الايه أن هذا العبد يعرف ربه معرفه من قد عرف سطوته ونقمته وشده قوراعه وباسه وايضا يعرف نفسه ويعرف جنايات نفسه متقيظا لما امتلأت صحيفته من الذنوب ويشعر أنه بحاجة الي أن يمحي مافيها ويدرك أن ذلك لن يكون حتي يوفقه الله الي

عمل يتقبله ويشعر بالحاجه الي ربه ولهذا فهو يقر لربه باعظم الحياء واشد الخطر واعم الخوف والخجل ومع ذلك لايمان أن يبدوا له عند قرأته ما في صحيفته من الله الغضب فيجر ويسحب من بين يدي الله الي عذاب الا بد فهو بدوام علي محاسبه نفسه ومراقبتها وتاديبها يسأل نفسه ماذا اعدادات لما بعد الموت يعاتبها عن أفعالها لتقريبها بالسوء الذي صنعت وبما هي صايره له عن قليل خائفا من سوء العاقبه فهو يزر نفسه ويخوفها نظر الله الي صنعها

وهو متوكلا علي ربه قانعا بما قسم له مستغني بما أعطاه في حاجاته كلها من أمور آخرته ودنياه وقطع رجاه ممن سواه فقد سكن قلبه الي روح اليقين سكنون القلب الي الله والطمانينه بموعود الله لأنه قد جعل الله حسبه من جميع خلقه فهو يعلم أن كشف الضر وطلب النفع بيد الله وحده لا شريك له فهو لا يلتفت الي الدنيا لأنه لا يراها لنفسه خطرا ولا يراها ونفسه وجميع ما فيها الا الله ويستوي المشي علي البر والركوب علي البحر والانس والوحشه والعمل والجلوس لأن الله كاف من توكل عليه فهو مكفي بعلمه ب الله عن الاشتغال بغيره لأنه علم أن الذي يوصل اليه المنافع هو الله وحده لا شريك له فلا يخاف الا الله فالمتوكل علي الله أخرج من قلبه كل محذور ومخوف ومحجوب ومحزن دون الله حتي اتصل خوفه ورجاؤه ب الله فلا يرغب عن الله بجهله فيخضع لمن هم دونه عند تخويف الشيطان فستولي عليه فهو يمضي متوكلا علي الله والطمانينه تملأ قلبه الي الله ويعبد الله راضيا بما صيره إليه لأنه لا يعرف غيره فهو يسعي الي مرتبه ومنزله المتقين المتوكلين علي الله الذين خصهم الله بمنازل السلامه وحجب عنهم كل ندامه فهم ينظرون الي الله في كل ما يأملون قد حجب قلوبهم عما سواه لما يرجون من إحسانه واستغنوا بذكره عن ذكر غيره فقال تعالي (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون)

٢

تبين النصوص أن العلامه التي يعرف بها أهل العلم النافع أنهم كلما ازدادوا علما ازدادوا تواضعا لله وانكسارا لجلال الله تعالي

لانهم يعلمون أنهم سوف يقفون بين يدي الله يوم القيامة وأنه تعالي سوف يسألهم عن علمهم ماذا عملوا به وهل أثمرت عندهم الخشيه من الله والسعي للتقرب من الله بالعمل الصالح ام كان وسيله للتباهي والتفاخر فالعلم النافع هو الذي يحقق به تزكيه النفس ويزيد الخشيه ويدفع الي العمل الصالح هو الذي يدفع الي التفكير ليكون التفكير وسيله لتزكيه النفس ويلوغها مقامات الخشيه والتقرب من الله وتصحيح المسار وترسيخ الايمان في قلبه واستشعار الخوف من عذابه والتطلع الي رحمته فهذا العلم هو الذي يفتح البصيره وينور القلب فيري الطريق المستقيم

فناسب مجي الايات بعد أن قال تعالي (قل هل يستوي الاعمي والبصير أفلا تتفكرون)

والتفكير يعني كل بحث ونظر وتحليل صادق لاتتحكم فيه الأهواء ولا تؤثر فيه المورثات البنيه وعصبياتها وانما هو تأمل هادي كما أخبرنا الله بذلك في موضع آخر فقال تعالي (قل إنما اعظكم بوحده أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه... الخ

اي من غير تأثير بالعقليه الجماعيه والعصبيات التي تحرف الناس وتمنعهم من تقدير قيمه الحجه ولا تسمح له ب التمهيص العميق وهذا لا يكون إلا بتحرير العقل من تسلط الهوي حيث أنه إذا منح العقل فرصه التفكير والتأمل بعيدا عن العصبيات فإن هذا يودي الي إيقاظ الفطره بعد أن يضع العصبيات بعيدا عنه وينظر بعقول مجردة عن الهوي ولهذا تأتي الايات بعدها (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه)

فالعلم هو الذي يرفع صاحبه اي العلم النافع ف الله يقول (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

وقال تعالي (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

يقول الامام احمد أصل العلم الخشيه

الموضوع الرابع

تبين النصوص اهميه الانتقال من مرحله الاحساس بالتغيير الي مرحله التغيير الفعلي اي من مرحله الاحساس بـ
الضرورة الي مرحله الضروره نفسها فلا يكتفي بالشعارات الحماسيه التي تدعوا الي المساواه وتحرير الإنسان من
الاستبداد والعدل

الي التغيير الفعلي ويامر الحق نبيه أن يقود هذا التغيير والتطلع الذي جاء به القرآن الكريم منذ و اول وهله نزل
فيه الوحي فنظره الاسلام تقوم علي تكريم الإنسان دون تمييز فحضاره الاسلام في المقام الأول هي حضاره
انسانيه حيث أن حال العالم عند بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم كان في فوضى واضطرب في جميع النواحي
الدينيه والسياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وقد أوضحنا كيف ان الناس صاروا يقدسون البشر والاوثان والا
صنام وصنعوا فراعنه استعبدوا الناس وكيف أن تلك الخرافات انعكست من الناحية الاجتماعيه والسياسيه فقد
ادي ذلك إلي انتشار الظلم وتقسيم الناس الي طبقات باسم الله والدين فجاءت عقيدته التوحيد تحمي مبادئ
العداله والمساواة فلا عبوديه الا لله انها تؤكد علي انسانيه كل الناس وتحقق للإنسان كرامته وعزته في ظل تحرير
الإنسان من سلطان البشر اين كانوا فلم تجعل لأحد ميزه علي الناس ولاسلطان علي الدين فالكل سواء عند الله

وهنا يقول تعالي (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه)

حيث وان المناسبه أن جماعه من أشرف قريش انفوا من الضعاف امثال بلال وصهيب وابن مسعود وسلمان
الفارسي وعمار لانهم كانت تفوح منهم رائحه العرق لقرهم إذ ليس لهم ملابس كثيره وايضا لمكانتهم الاجتماعيه
التي كانت بنظر وقيم الجاهليه أنها لاتؤهلهم لأن يجلسوا مع ساده قريش

فطلب هولاء الاكابر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن بطردهم أو أن يخصص لهم مجلسا ويخصص للإشراف
مجلسا لا يكون فيه الفقراء والضعفاء لكي تظل للاكابر مكانتهم ومهابتهم في المجتمع وقد رغب الرسول صلى الله
عليه وسلم في اسلام هولاء ساعيا لذلك بشتي الوسائل فنزلت الايه (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي
يريدون وجهه)

فالحق يخبر نبيه الكريم أن عليه الاهتمام بعناصر التفاعل الإيجابي فهولا هم الذين لديهم استعداد للتفاعل الإ
يجابي فيقول له الحق لاتبعد هولاء المتصفين بهذه الصفات عن مجلسك بل اجعلهم جلساءك واخصاك كما قال
تعالي في سوره الكهف (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه ولا تعدو عيناك عنهم
تريد زينته الحياه الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)

فقد كان هذا فيه اعلان مفهوم الحضاره الاسلاميه ونظره الاسلام للإنسان ومكانته في الوجود والغايه من وجوده
نظره تقوم علي اساس تكريم الإنسان واحترام حقوقه فهو خليفه الله في الأرض ولا بد أن يكون جادا ومنتجا
ونافعا وهذا يتطلب احترام كرامه الانسان بشكل عام فالأمر لايعود الي المال أو الجاه والسلطان

لا بل هو احترام للإنسان بشكل عام وان التفاضل إنما يكون بالتقوي فناسب اختتام الايه السابقه (لعلهم يتقون)
ابتدأت النصوص (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه) فالاديان كلها جاءت لازاله أسباب
عدم المساواه بين أبناء المجتمع فهذا المبدأ اساس التغيير الفعلي نحو الأفضل وصولا إلي التقدم والتحول البناء
في حياه الأمم وهو ما يحتاج الي تهيه الظروف التي تخلق هذا الشعور في المجتمع فالمساواه هي نقطه الانط
لاق نحو دوله الموحدين وحضاره الاسلام فكله لا اله الا الله... فيها اعلان المساواه بين بني البشر فكلهم عبيد

لله تعالي فالإسلام جاء بمنهج كفيل بأحداث التحول الجذري دون أن يولد اثار سلبيه فلم يخلق النظام الإسلامي مفاجئه فقد كان التمهيد لاستبدال النظام الجاهلي المتخلف بالنظام الاسلام بعرض نظره الاسلام للإنسان فهذه هي نقطه الانطلاق فهي عمليه من عمليات التحويل التي ثبتها الاسلام بأوامر ربانيه ليكون للتحول قدره علي الاستمرار الطويل ففكره الخلافه الربانيه لها عناصر وقيم تقوم عليها ولا يمكن قياس امكانيه تحقيق كل عناصرها يوم ميلادها وانما تقاس بمدى الظروف التمهيديه ومدى الوسائل والإجراءات التي تصوغها لتعويد الجماهير علي سلوك التغيير أنها احكام تسعى إلي التقريب بين الطبقات

فالتطور والتغيير لابد أن يواجه بقوه تسعى إلي حمايه الجمود الطبقي ومنع الحركه الاجتماعيه قوه تسعى إلي التمسك بمفهوم حصر الحقوق السياسيه والاجتماعيه في فئات معينه عنصريه أو طبقيه اوسلاليه

فالحق يريد من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يهتم بتربيته أصحابه علي العلم النافع الذي فيه تزكيه النفوس وتزويدهم بالخبرات والمهارات التي تجعلهم اهلا لحمل امانه الرساله الي العالم ليكونوا اهلا لاستلام ورثه النبوه من النبي ليسلموها لمن بعدهم بأمانه وإخلاص وليكون تعاقب الأجيال الفاضله في تلقي العلم والعمل فقد ذكر عن ابن سيرين قوله إن الصحابه كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم

ولهذا فإن النصوص تهدف إلي غرس مبدأ المساواة وتربيته الجماهير علي هذا المبدأ تمهيدا للوصول إلي الحريه الكامله للامه والقضاء علي الظلم وازاله رواسب وركام الفكر الجاهلي

الموضوع الثاني

تبين النصوص أن نقطه الانطلاق نحو الحريه والكرامه الانسانيه تبدأ من انايه العبد الي الله عز وجل فيكون اقباله علي ربه متبوعا بعمل لطلب مرضاته عن معرفه بربه . . .ومعرفته بنفسه وضعفها في طلب حياتها في اخراتها فادابها بأداب الله واستقامت الي محبه الله فقال تعالي أن أوصاف المومنين الحائزون علي الكمال هم الذين اخلصوا العباده لله في الدعاء والعباده فقال تعالي (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شي...الخ

الأمر الأول

أن اول موهلات الحصول علي الكرامه التجرد والإخلاص في العباده وهذا لابد أن يكون الله ساكن قلبه عارفا به يذكره في كل وقت وفي كل حركه تعظيما وخوف من سخطه وهذا دليل علي ابتغاء وجه الله ولا يمكن أن يكون إلا إذا اخرج من قلبه كل حب فلا يبقى فيه غير حب الله ورضاه فهو هدفه ومقصوده فيستتير بذلك قلبه ثم نبهه ذلك لمعرفته نفسه فيكون متادب مع الله يطلب رضاه ويحرص علي التادب مع ربه فقال تعالي (يدعون ربهم) أي يريدون أن ينعموا بتربيته الله فهو ربهم الذي يتولي تربيتهم

فدلت الآيات أن هؤلاء اتصلوا بالله بأن وصلوا حياتهم كلها بالله وفي سبيل الله باستمرار وهم عاكفون علي طاعته والابتغال في جميع الأوقات فقد وضعوا أنفسهم وكل ما يملكون لله أي أنه طراً الموت علي الميول النفسانية من الجاه والسلطان والمال بالاستعلاء بالحق وحده لاشريك له فكان بذلك الصدق والإخلاص والحب لله ما اوصلهم الي مقام لقاء الله والاتصال به فهذا المقام يتوقف علي اخلاص العبد والتضحيه بكل ما يملك من مال ووقت وجهد .. يتوقف علي استشعار وجود الله في كل وقت لتحدث إليه في كل وقت في العسر واليسر في الليل والنهار تشعر أنك وقف بين يديه والدعاء والاستغاثه به فهو تعالي يقول في موضع آخر (واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوه الداعي اذا دعان...الخ

فهذا أساس الوصول إلي مرتبه الكمال التي فيها التكريم الإلهي ولذلك فإن المراد هو بناء الإنسان والانتقال بهذا الشعور لمستوي الجماعه الاسلاميه ليكون شعور الجماعه المسلمين كلها فإن هذا الشعور الجماعي أن حصل فإن

هذا يعني أن الامه سوف ترفض الاقتناع بالواقع السطحي الذي شكلته الجاهليه وسوف يسعى الي تغييره وبذلك يكون الانتقال من الإحساس بضروره التغيير الي مرحله التغيير الفعلي

الأمر الثاني

يضع الحق لنا ميزان التفاضل وهو التقوي ولذلك نجد أن الخطاب يتوجه الي الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه فيقول له (ماعليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي

فتطردهم فتكون من الظالمين)

تبين النصوص أنه لا اعتبارات لقيم الدنيا الزائفه ومقاييسها وموزانها بالنظر الي الإنسان من زوايه المال أو الجاه و السلطان والقوه... فهذه ليست هي الميزان الذي يعرف فيه منزله الناس لأن الفقر والرزق هذا من عند الله وكذلك فإن غناك وفقرك هو من عند الله فلا دخل لهذه الأشياء في قضيه الايمان فانت لاتسال عن ماضيهم كما قال نوح عندما قال قومه (انومن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون أن حسابهم الا علي ربي لو تشعرون)

فقد ذكر أن الاخنس قال للرسول صلى الله عليه وسلم عندما مر هو وأشرف قريش وعند الرسول خباب وصهيب وبلال... فقالوا يامحمد ارضيت بهؤلاء تقرا عليهم القران فنزلت الآيات (وانذر به الذين يخافون.... الخ

الموضوع الخامس

أن المتأمل للنصوص يجد أنها تضع فلسفه جديده للتصور الإنساني غير فلسفات الجاهلية التي كانت سائدة في العالم قبل الاسلام حيث أفرزت الجاهليه نظام الطبقات والظلم والاستبداد وهضم الحقوق والحريات واشاعه الفوضى والاضطراب في الحياه

ولهذا كان تذيل الأمر بقوله تعالي (فتطردهم فتكون من الظالمين)

وهو موجه للرسول صلى الله عليه وسلم ومعاذ الله أن يكون الرسول ظالما فلماذا هذا التوجيه ؟

الأمر الأول

أراد بهذا أن يشعر المومنون بضخمه الأمر فالنهى عن النظر إلى الوراء والانتباه من رجوع قافله الايمان الي الخلف فأراد توطين المومنين علي عقيدة الدين الذي تسوده العدالة والمساواة والكفاهه فالخلافه شرف لمن أراد أن يكون خليفه وعمل بأمر الله ولايمكن ذلك إلا بالتخلص من الجهل والظلم أنها فلسفه جديده صنعتها اراده الله ولهذا توجه بالخطاب لنبيه لأن المساله تحتاج إلي الفهم والإدراك الرشيد عن ارداه حره تعبر عما جاء في القرآن تعبير واقعي ليس شعارات علي ورق

الأمر الثاني

يلفت الحق عباده الي أن دعوه التوحيد وما يتفرع عنها من الدعوه التي تحقيق الحريه والعداله والمساواه أمر يستحق كل الجهود التي يبذلها المخلصون الجادون في سبيل تحقيقها

وهي لاتحقق الا اذا اسقط أصحاب القرار من حسابهم اي تفكير في قوائم الأرباح والخسائر التي ينتظرونها من اقتناع الناس بالفكره ولهذا كان التشديد في اختيار العناصر الايجابيه بالنظر الي الظروف التي تحيط بهم بقابليه الانتظام في الصفوف لا مقاييس الجاهليه وقيمتها الزائفه من المال والجاه فقال تعالي (ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي) فلا يكون لقيم الجاهليه اي قيمه فاللازم بناء المجتمع المسلم علي قيم الإسلا م قيم العدالة التي تكفل حق جميع أفراد المجتمع المسلم فهذا هو الربح الخالص للجميع لأن العدل هي الجذر

الذي يمكنه أن يثبت شجره الاستقرار والازدهار (الخلافه) دولة الموحدين التي تتسع لكل أبناء الإسلام اغنياءهم وفقراءهم حكاما ومحكومين مع نسيان روااسب الماضي ودفن الارتباط للقبيله والعشيريه والسلاله والتصورات الفاسده السابقه علي بعته الاسلام وتنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي فالإسلام دعا الي نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يسوده الاخوه والعداله وتكافوا الفرص ف الله يقول في موضع آخر (إنما المؤمنون اخوه) ولهذا عندما جاء أبو سفيان الي المدينه اتي علي سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا والله ما اخذت سيوف الله من عدو الله ماخذها فقال ابوبكر اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا بابر لعلك اغضبتهم لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك فاتاهم ابوبكر فقال يا اخوتاه اغضبتكم قالوا لا يغفر الله لك يا اخي

فالإسلام لم ينظر إلي الفقراء والضعفاء باعتبار أنهم سيظلون دائما مستضعفين حتي بعد قيام دوله العداله وتكافوا الفرص وانما استعمالهم الي التضامن للقضاء علي ظلم الجاهليه والاشتراك في تأسيس دوله العداله وتكافوا الفرص والحصول علي فرص متكافئه كي يظهر كل منهم مواهبه وجهوده فيصل الي المكان السياسي واقتصادي والاجتماعي المتناسب مع هذه الجهود والمواهب فقال تعالي (فتطردهم فتكون من الظالمين)

فالمراد بهذا اهميه أن يمنحوا الفرصه لإبراز مواهبهم فهذا هو العدل الذي أقامته حضاره الاسلام وقد امتثال الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ربه وقربهم منه ليكون ذلك فرصه للاشتراك في تأسيس دوله العداله وتكافوا الفرص فجعلهم أقوياء بالدين الذي يوهلهم للاستعلاء بالحق ويمكنهم من إظهار مواهبهم وجهودهم وليأخذوا فرصتهم بالعدل وتكافؤ الفرص وليشاركوا في بناء دوله العداله وتكافوا الفرص

فمن لا يستطيع منهم أن يبرز مواهبه أو يقوم بالجهد المطلوب والمتنافس مع غيره بأخذه حقه من العدل والا نصاب فإن هذا لا يعني أن يصبح دكتاتوريا ظالما جاهلا جديدا باعتباره أنه كان قبل الاسلام من طبقه المستضعفين لأن ذلك مخالف لمعني العدل ومصادم لامكانيه التطور التي تحتاج إلي مواطنين ذوي كفاءات والي جهود متناسقه ومتعاونه ومنسجمه كي يظل الباب مفتوح دائما للتبوع والعبقريه والتفوق الإيجابي فالله لم يخلق الناس كلهم في قوالب متساويه وجامده فقال (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) وانما ترك للمجتهدين والمثابرين أن يحصلوا علي نتائج مثابرتهم في إطار من التراحم والتآخي فيقول الحق للرسول صلى الله عليه وسلم (ما عليك من حسابهم من شيء... الخ ويقول في موضع آخر (ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لا يظلمون) ويقول ايضا (ولا تبخسوا الناس أعمالهم)

الامر الثالث

أن التنافس بين الناس هو في الإسلام هو تنافس بين الكفاهه والموهبه والاجتهاد وليس تنافس علي الصراع علي المال والجاه والسلطان فالفتنه تأتي من التحاسد بعضهم البعض ف الله يقول في موضع آخر (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة اتصبرون) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلبواكم في ما اتاكم) هذا هو واقع الاسلام وفلسفته لنشر العداله بين طبقات المجتمع في طريق القضاء علي الطبقيه من خلال تقريب المسافات بين الناس وازاله أسباب عدم المساواه بين بني البشر والقضاء علي التباغض والحسد

فالإنسان أكثر ما يلي به من أهل الدنيا الناس وافتن الناس لك وأكثرهم لشغلك إنما هم معارفك منهم واشغل معارفك لك وأكثرهم عليك فتنة من أنت بين ظهراتيهم ينظرون إليك وتنظر إليهم ويكلمونك وتكلمهم أما من ليسوا من أهل زمانك ولم تعرفه ولم تراه ولم تسمع به كأنك لم تبتل بهم ولم يبلوا بك

ومن هنا فاللازم أن تصبر في معارفك ومن أنت بين ظهراتيهم ف الله يقول لنبيه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه ولا تعدوا عيناك عنهم تريد زينه الحياه الدنيا.. الخ

فالنظره للناس فتنه والكلام والجفاء فتنه و تحتاج إلي صبر وقوه تحمل ف الله يقول (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا)

الموضوع السادس

تبين النصوص سنه الله في ابتلاء الناس بعضهم البعض فقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين)

أن البعض يعتبر ميزان رضا الله بكره المال والاولاد وان النقص فيها من سخط الله جهلا بمواقع الفتنة والا ختبار في مواضع الغني والافتدار ف الله يبتلي عباده الضعفاء بالفقر والجوع ونقص الثمرات و يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم باوليائه المستضعفين في أعينهم فالاولي ابتلي والثانيه استدرج

ولهذا فإن الآيات تعطينا مثلا لحال من وسع الله عليهم بالنعم ليتمتع بما يشاء من اللذات فإن هولاء يتعاصبون لاثار مواقع النعم بما ينشأ عنها من تعالي وتكبر فقد رفض هولاء القبول بمبدأ المساواة رفضوا القبول أن يمنح الفقراء فرصه لإبراز مواهبهم وجهودهم رفضوا تكريم الله المستضعفين بهدايه الايمان فقالوا كيف يحظي هولاء الفقراء بهذا الخير والشان العظيم من بيننا فجعلوا أن الفقر والضعف دليل علي سخط الله علي فقراء المسلمين..وجعلوا الغني والافتدار دليل علي حب الله ورضاه ولهذا قالوا لو كان خيرا لما سبقونا إليه قالوا ليس من المعقول أن يمنح الله هولاء الفقراء هذا المقام وهذا التصور الفاسد اوقعهم في الهلاك

فقال تعالى عن نظره هولاء الكفار لما من الله به علي المومنين (لو كان خيرا ماسبقونا إليه) وهنا يقول تعالى (ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا)

فهم يستكبرون أن يمن الله علي هولاء الضعفاء دونهم بزعمهم أنهم أحق بمنازل الخير والمعني أن هولاء اعتقدوا أنهم أولي بالخير. ولهذا لما روا الضعفاء يتبعون الرسول قالوا لو كان فيما جاء به محمد خير ما سبقنا إليه هولاء الفقراء فدل هذا علي تشبث هولاء بأفكار الجاهليه وقيمها الزائفه ومقاييسها وموزانها الباطله

ولهذا يقول الحق بعدها (أليس الله باعلم بالشاكرين) وهذا الرد فيه عده إحياءات

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى لم يربط تقسيم الناس الي فريقين أهل خير وأهل شر علي اساس نقلهم بالتناسل عن اصولهم فحعلهم واحد بعد الاخر في الأصول وانما التناسل والتسلل في الخير مرتبط بعلمه من يقبل الهدايه ومن هو معظم للطاعة والإخلاص والصدق والشكر والرجاء والخوف فهو سبحانه وتعالى لا ينظر الي الصور ولا الأ جساد وانما ينظر إلي قلوبهم واعمالهم كما ورد في الحديث فهو تعالي جعل للخير اهلا وللشر اهلا ويعلم من يستحق الهدايه ومن لا يستحقها

ولهذا فإن اعتراض المعترضين علي فضل الله الذي اختص به الضعفاء بهدايتهم الي نعمه الايمان يدل علي جهلهم بحقائق الاشياء فهولاء بعيدون عن الحق فهم أهل الظلم لأن أهل العدل هم الذين يعلمون ما لهم وماعليهم بأن يعرف الإنسان قدر نفسه فلا يكون لها عنده قدر فوق منزلتها وابعدهم عن العدل أشدهم غفله لأنه لايعرف قدر نفسه ويتصور نفسه من فوق الناس

فالذي لايعرف الصواب الذي يوصله الي الله والدار الاخره فهذا غير طالب للخير ولا راغبا فيه لأن طريق الصواب تكون بالقبول بمنهج الله فمتي أراد العبد أن يسلك سبيل الخير بمقاييسه وموزانه فإنه يكون قد سلك طريق الباطل والضلال يجهلون أن توزيع الفضل بين العباد قائم علي علم بمن يستحقه من العباد وهم الراجوان الذين يريدون بكل عمل حسن وجه الله ويطلبون ثوابه المخلصون في أعمالهم الذين يخافون من عذاب الله والله قد وصف

المؤمنون (الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه)

أما هؤلاء فهم متعلقون بالرجاء الكاذب والأمان الكاذب والطمع الكاذب فهذا مخدوع مفترج مستدرج فاعراضهم ناتج عن الجهل وسوء الاداب في حق الله

الأمر الثاني

أن الايه تبين أن الهدايه جزء وثواب يجزي الله بها من يعلم من أمرهم أنهم إذا هدوا سوف يشكرون النعمه من يكون المحل قابل لاستقبال هذه النعمه (القلب)

والايات قبلها قد بينت أوصاف هؤلاء المؤمنين فقال تعالي (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيح لعلمهم يتقون ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه)

ف الله يبين أن هؤلاء استغنوا ب الله وحده عارفين بريهم واطلاعه عليهم وبجزيل ثوابه لاهل طاعته ومحبتهم لهم وتوفيقيهم لهم وتسديده إياهم وراقبته مستغنين ب الله عن من لايمك نفع ولاضرر

ولهذا فإن الوصول إلى هذه المرحله تعني أن تبدأ بالتطهير النفس والسريه ثم العمل والتطهير يعني الانتقال عن الشر الي الأساس الذي يبني عليه الخير فاهميه الأساس لانه الذي يقوم عليه البناء وقد يسقط البناء اذا تعرض لهزه لكن الأساس لايسقط ولهذا ابتداء النص بقوله (وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولاشفيح)

فمن لم يتطهر من الشر قبل العمل فإن الشر مانع من منفعة الخير والنفس تجزع من التطهير وتفر الي اعمال الطاعات لتقل التطهير عليها وخفه العمل بالطاعات بلا طهاره

ولهذا فان الخوف من اليوم الآخر والتوحيد يعني تطهير النفس من اوساخ الدنيا وقذرتها والتي منها أصنام الا نساب والعشيره والسلاله والمال والجاه والسلطان

فمن عرف نفسه بضعفها وفقرها وأنه لادمفع عنها ولاناصر الا الله

فإن عقيدته التوحيد واستشعار لقاء الله تعني أنه يعرف الطريق قبل سلوكه يعرف نفسه وهواها فاذا كان مريدا الخير فإنه سوف يطهر نفسه من تلك الشرور وسوف يميز بين الشر والخير فتارك الشر يكون تركه له علي قدر ما يعرف وما يخاف من ضرره وهو قائم بفرض تقربه الي الله فقال تعالي (لعلمهم يتقون)

وطالب الخير يكون علي قدر معرفته بالخير ومنفعته ولهذا دفعه العلم لطلب الخير والعمل به فقال تعالي (يدعون ربهم بالغدوه والعشي يريدون وجهه)

يرجون قبول الأعمال وجزيل الثواب فقلوبهم صالحه لاستقبال الخير والله يعلم بذلك فقال تعالي (أليس الله باعلم بالشاكرين)

الأمر الثالث

يخبرنا الحق ان طالب الخير لابد أن يتصف بالشكر والشكر إنما يكون عن معرفه البلوي .. فان الذين يعرفون أن أي نعمه إنما هي من الله وحده لا شريك له وانما هي بلوي يختبر بها عبده هل يشكر ام يكفر فإذا عرف العبد أنها من الله وحده وعد ها من نعمه عليه ولم يدخل فيه احد لانفسه ولاغيره فقد شكره

فاصل الشكر أن يعرف العبد أن ما به من نعمه فمن الله بقلبه علم يقين لا يخالطه الشكوك فاذا عرف ذلك بقلبه

وذكره بلسانه فحمد الله عليه ثم لم يستغني بشي عن نعم المنعم علي شي مما يكره المنعم

واعلي مراتب الشكر أن تعد كل بلوي نعمه فالصبر قائم علي الشكر ولهذا يقول الله أنه يعلم من يعرفون النعم و التي أعلاها نعمه الهدايه ويعلم الذين يستحقونها لانهم سوف يقومون بواجب الشكر لها ولهذا فهو تعالي يصطفي المومنين اصطفاء لما يعلم من أنهم اهلا للخق والخير وبالتالي فإنه تعالي يعلم أن هؤلاء المستكبرون ليسوا أهلا للنعم ف الله يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمه الهدايه ولا يشكره عليه ولا يعني عليه بها ولا يحبه فلا يشاؤها له لعدم صلاحيه محله فالتوفيق والخذلان سببهما اهليه المحل وعدمها فسبب الخذلان عدم صلاحية المحل واهليته وقبوله للنعمه بحيث لو وافته النعم لقال هذا لي وانما اوتيته لاني أهله ومستحقه كما قال تعالي (إنما اوتيته علي علم عندي) وذكر تعالي عن سليمان قوله (هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام أكفر)

الموضوع السابع

بعد ان بينت النصوص أن الظروف الموضوعية قد تفتحت قابليتها للتطور بعد أن مزقت دعوه الاسلام سائر الجمود واقتلعت جذور الظلام وأخبر الله نبيه أن الظروف الجديده التي تفتحت بما حمله القران من قيم العدل و المساواة التي هي تجسيد لشهاده التوحيد (لا اله الا الله) فإن هذه الظروف غير قابله للعوده الي الجمود والتحجر والتشبث بالماضي فقال تعالي لنبيه (فتطردهم فتكون من الظالمين)

ثم بينت النصوص أن دعاه الجاهليه سوف يصطدمون بطاقات

التطور وسوف تجدون الحواجز التقليديه والتاريخيه التي تراكمت لأجيال طويله ومتعاقبه من القرون الماضيه قبل البعته جيل بعد جيل والتي تمثل عوائق يصعب تجاوزها وتحتاج الي المشي نحو الأهداف خطوه خطوه ف التغيير يتطلب تعميق جذور الظروف الجديده في الحياه من خلال تحويل النظريات الي واقع يمارس والحواجز فقال تعالي (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم علي نفسه الرحمه أنه من عمل منكم سوء بجهاله ثم تاب من بعده واصلح فإنه غفور رحيم)

فيقول الحق لنبيه يامحمد اذا اتى اليك المومنون الذين صدقوا بآيات الله اي القران وتفتحت القابليه للتطور في مراتب الكمال للانتقال من الهمجيه والتوحش الي الانسانيه ثم ليكون انسان أخلاقي ثم انسان رباني من خلال هذا المنهج الذي يجعله يشعر بالخوف مما ارتكب من الذنوب ويطلب التوبه فبشرهم بما كتبه الله علي نفسه ب العفو والمغفره لمن أذنب باعتبار أن الجهاله عامه عند ارتكب الذنب وهذا فيه التكريم بعد نعمه الايمان ف الله يامر نبيه يقول له عليك أن تنقل إليهم التحيه من الله (فقل سلام عليكم)

لك ايه المومن أن تعيش هذه اللحظات وانت تسمع أن الله يلقي عليك التحيه فالايه تتوجه اليك انت ايضا وليس الصحابه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا كنت مصدقا بالقران ومافيه فلا شك انك مخاطب بالتحيه التي امر الله نبيه أن ينقلها منه اليك وهذا فيه بيان اهميه أن يتحلي القائد بالمسؤولية بإظهار الاهتمام بالاتباع وتكريم المنتج ليكون حافزا له علي الإنتاج لأنه يشعر أن عمله محل تقدير فالحواجز مهمه في شحذ الطاقات

ولاشك أن سماع المومن هذه التحيه يفجر الطاقات وينشط العزائم والهمم وفيه التنبيه الي أن اهميه وجود حوافز واعتماد نظام المكافآت كما أن السلام حاجه نفسيه لإبقاء الالفه داخل مجموعه العمل فيكون التنافس علي الطاعه وتقويه روح الاتصال ب الله بين المومنين ليكونوا اخوه في حمل المشروع الرباني فهذا المشروع هو الذي يشغل جميع المومنين عن إيمان صادق وإخلاص وقناعه بهذا المشروع

لان دعاه التخلف الكفر سوف يصطدمون بهذه الطاقات التي تفجرت فلا بد من جعل القناعه عامه في الصفوف وسائده بأن حياه الماضي ليست الحياه التي يريدنا الله أن يعيشها الناس أنها لاتنسجم مع الغايه التي خلق الا نسان لأجلها التي توصلك الي المستقبل فاهميه ان تكون القناعه عامه وسائده بأن الأسلوب القديم لاينجح في

خلق التطور ودفعه وأنه يجب التخلص منه ليكون النجاح أمر يتوقف عليه خلق الظروف الجديدة الناجحه والاكثر فعاليه لتطوير المجتمع وهي بالقطع أكثر ايجابيه في تجميع قدرات اتباعه ثم تحريكها في اتجاه العمل الاكثر تقدم ولهذا قال تعالى بعدها (و كذلك فصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين)

حيث ذكر أن الاقراع بن حابس ومجموعه من أشرف قريش مروا بالتيبي صلى الله عليه وسلم وبجواره بلال وصهيب وسلمان أي بعض ضعاف المسلمين فلما رواهم حقروهم فنزلت الآيات وبعدها كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا راهم أي بلال وجماعته بدهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرني ربي أن ابداهم بالسلام

فالمراد بهذا نشر المحبه بين المومنين فدلهم على الطريق فالآيات ترسم النقله العظيمه التي انتقلت إليها البشريه بمجي الإسلام قد قدم الإسلام حضاره انسانيه قبل أن يكون دين للمومنين فالإسلام وضع للبشريه النظرة الاسلاميه للإنسان وتقدمه والغايه من وجوده في الأرض والأهداف التي يجب عليه تحقيقها فالإنسان هو القصد الأول للحضاره الخلافه والتي تقتضي أن يكون جادا ومنتجا ونافعا لنفسه ويتفاني في خدمه الآخرين ولهذا فنظره الاسلام تقوم على تكريم الإنسان واحترام حقوقه ولهذا تقدم الآيات لنا صورته تجسد رعايه الاسلام واهتمامه وعنايته بالإنسان من خلال اتاحه الفرصه للإنسان أن ينتج ويبدع واتاحه الفرصه له أن يتعلم وتذم الآيات طريق الجاهليه وعصبيتها التي فيها الهبوط بالإنسان الي مرتبه الحيوانات فكان إبراز قبائح الجاهليه وقيمها الزائفه ومقاييسها الباطله لتعرف المومنين بطريق ومنهج الكفار

ف الله يبين سبيل المومنين وسبيل المجرمين ومنهج كل فريق وعاقبه مفصله للمومنين وللمجرمين وأعمال كل فريق وخذلانه للمجرمين وتوفيقه للمومنين والأسباب التي وفق بها المومنون والأسباب التي خذل بها المجرمون يكشف ذلك ويوضحه بالبيان الواضح كأنك تشاهده فمن استبان له السبيلان والطريق الموصول الي النجاه أو الهلاك فإنه يعرف مقدار مانال وظفر من نعمه الايمان فالضد تظهر له حسن النعمه فالاشياء إنما تتبين بضدادها ليكون عارفا بالنعمه وتزداد رغبته بها ومحبه ما انتقل إليه وينفر من الجاهليه فتنتقل طاقاته وتتفجر فلا يتأثر بما يصطدم به من دعاه التفريط لانه يري قبح الجاهليه فينفر منها وايضا فإنه يكون مدركا الطريق المستقيم وأهدافه واضحه فهو يمشي بخطوات هادئه ومتتابعه فلا يقفز الي الأهداف بقفزه واحده فالافراط لا يقل قبحا عن التفريط وكلها ليست سبيل المومنين فهو عارفا بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل فيتجنب أن يسلكها

المقطع العام

بعد أن ذكرت النصوص استبانه طريق المومنين وطريق المجرمين تأتي النصوص تتناول عرض الرسول لمضمون دعوه الاسلام يربط الكليات بالحزئيات ويربطها باساسها الاعتقادي التوحيد من خلال اظهار الوهيه الله

القسم الاول

(قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين قل اني علي بينه من ربي وكذبتتم به ما عندي ما تستعجلون به أن الحكم إلا لله يقص وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين)

اولا

ابتدأت الآيات بتوجيه الحق سبحانه وتعالى لنبيه (قل) لهؤلاء المشركون الذين يعبدون الاصنام والاوئان ويدعون مع الله الهه أخرى (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)

أي اني صرفت وزجرت عن طريقكم وسبيلكم التي تسلكونها في عبادتكم واستغثتكم بالاصنام والملائكه والجن و

البشر والانداد التي تحبونهم كحب الله فانا لن اتبعكم الي ما تدعونني اليه ولا اوقفكم عليه فكل هذا باطل ليس له حجه ولا شبهه الا اتباع الهوى والتقليد والضلال في عبادته غير الله وإن فعلت ذلك فقد تركت محجه الحق وسلكت طريق غير طريق الهدايه (قل لا اتبع اهاوكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين)

وبالوقوف علي الابيه الكريمه نجد فيها الاتي

أن الابه ترسم لكل داعيه طريق الدعاء الي شهاده (لا اله الا الله)

فالآيات وردت بعد ذكر تفصيل الآيات بيان ماهو سبيل المومنين وسبيل المجرمين .. كان مناسباً أن ينتقل النص الي ذكر ما يجب علي من عرف التوحيد وفضله فإنه ينبغي لمن عرفه ربه بعظمته وجلاله أن لا يقتصر علي نفسه فاللازم عليه يدعو الي الله أن يدعو إلي توحيده وإخلاص العبادة له تعالي دون الالهه والاوثنان

فقال تعالي (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله... الخ

فالابه فيها الاتي

المفهوم الاول

تعليم المرید أن يسلك الطريق الي الله كيف يكون رجلاً بصيراً بالطريق الي الله ... يقول الحق أن هذا يحتاج الي أن تتجلي الوهيه الله سبحانه وتعالی في قلب العارف بالله بحيث يكون ذكراً له باستمرار ويكون العبد ذاكراً آخرته في كل حال في حركه الفكر والقول والعمل ذكر بالتعظيم والاجلال لعظيم قدر مولاه وطلب رضاه وذكر قدر سخطه وهذا لا يكون إلا بالفهم الصحيح لاسماء الله الحسنی وصفاته وكماله وهو حمل امانتها وحمل الامانه يقتضي المعرفه والمعرفه طريق الي التعلق والتخلق وبقدر ما يتعلق المسلم بأسماء الله وبقدر ما ياخذ من اخلا قها يكون قد أخذ من التوحيد والمعرفه بأسماء الله وصفاته وكماله إنما تكون من خلال ما أخبرنا به في القران ولهذا ابتدأت الابه بقوله تعالي (قل) اشعارات بأن ما ينقله الرسول صلى الله عليه وسلم من أوامر ونواهي وعلم هو من عند الله وحياً وايضا فيه أن ما هو إليه هو دعوه لربه وتنفيذا لأمره وليس لنفسه وهو ما يجب التنبيه علي الاخلاص لأن الكثيرون ولو دعوا الي الحق فإنهم إنما يدعون لأنفسهم وليس الي الله ولهذا قال العلماء انه لا بد في شهاده لا اله الا الله من سبعة شروط لاتنفع قائلها الا ياجتماعها أحدها العلم المنافي للجهل والقبول المنافي للرد والانقياد المنافي للترك والإخلاص المنفي للشرك والصدق المنافي للكذب والمحبه المنافية لضدها واليقين المنافي للشك

فالمرید لله عزو جل لابد أن يتلقي العهد بقوه وقبول وعزيمه علي تنفيذ ما فيه ولهذا يحرص علي فهمه وتدبره ويعرف سيده و وصاياه ويوطن نفسه علي امتثال أمره والعمل علي تنفيذه ولهذا يقول (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)

والنهي الزجر عن الشي بالقول نحو لاتقول الزور وبالفعل كقوله تعالي (ونهي النفس عن الهوى)

فإن المرید اذا صدق في عزمه وتجلي له موقف الوقوف بين يديه تعالي فإن هذا التجلي اول ابتدائه بما من الله عليه من تنبيهه لمطالب نفسه أن هو استجاب لها فيكون ذلك اول مراتب سعاده

ان تكون له إذن واعيه وقيل يعقل فقد فهم من الله ما وصف به نفسه وعرف بقلبه وتيقين صفات صاحب العهد ولهذا فإنه يصبر علي شرف المهمه فادراك بقدر صبره وصدق ما وهبه الله من فضله فهو وإذا سمع عقل واستبانته له الجاده وراي عليها اعلام الهدايه فيري كثره المنحرفون في جانبي الطريق لكنه لن ينحرف

قال تعالي هنا (قل لا اتبع اهاوكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين)

فقد انقادت له نفسه لشده الوجل والخوف من ربه لانه تلقى العهد بقوه وعزم ونظر الي أن ذلك فيه صلاحه لاعلي المراتب (الهدايه)

فيكون حريصا علي أن يكون من المهتمين وهذا يتطلب أن يتجلي له الوهيه الله وتصرفه في خلقه وقهره وكمال علمه وقدرته ليقيم الأهواء فالله يقول (فما من خوف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنه هي الماوي)

فالخوف من الله تقوي العزيمه والهمه لأنها تولد قوه الاياس والنفور من كل ما نهى الله عنه فهو يخرج من ظلمات الشك الي اليقين

ولهذا فإن هذا العبد إذا سأله عن الطريق الي الله فانه يعرف الطريق وافاتها ومعالمها وشجاعا مقدما لأن الذي يريد قطع الطريق للوصول إلي الله لابد أن يكون شجاعا وصادقا ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه المشركون أن يعبد اصنامهم يوما مقابل أن يعبدوا الله يوما بل حتي عندما طلبوا منه أن يهادن فلا يذكر اصنامهم بسوء أو أن يوافقهم علي ذلك حتي بالقول امره الله أن يوجههم بأن ذلك أمر لايمكن وقوعه فالله نهى من عباده الاصنام التي ينظرون انها تنفع وتضر وهي احجار صماء أقل منزله من الإنسان ذاته وتدل علي سخافه العقول وفساد عقيدته التقليد فقال تعالي (قل لا اتبع اهاوكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتمين)

فيه ذم التقليد واتباع الهوى فهم مكتفون بالعاتات والاسلاف التي ورثوها من الآباء والأجداد والعصبيه والحميه التي أسست علي غير علم أنها تقليد بلا حجه جعلتهم يبتعدون عن الحق ويعاقبون بالخذلان من طريق الهدايه لأن قياده الهوى إنما تقود صاحبها الي الضلال والهلاك ولهذا يقول لهم لايمكن أن اسلك طريقكم فلو فعلت ذلك لصرت مثلكم علي غير استقامه

المفهوم الثاني

تبيين النصوص أن علي المريد لله أن يسير الي الله بقلبه وعليه أن يدرك أنه إذا عزم علي هذا السفر واراده سوف يجد ما يمنعه من النفوذ الي الله ورسوله ومن يخدعه ومن يقطع عليه رحلته

تعوق القلب عن سيره الي الله وتقطع عليه طريقه

فاول هذه القواطع والعوائق التي تقف مانعا له من إكمال المسير هو العادات والتقاليد وايضا الأهواء والشهوات والرئاسه فهي ادوات الشر والشيطان ومن ذلك محبه غير الله وانخذه ندا وهذا لايشترط أن يكون صناما مثل ا لاحجار التي كانت تعبدها قريش بل هو كل ما يتعلق به القلب فيكون ندا لله سواء كان بشرا أو جمادا أو غيره ولهذا جاء استخدام الاسم الموصول (الذين)

وهذا إنما يستخدم للتعبير عن العقلاء مع أن ما تعبده قريش هي الأصنام وهي ليست من العقلاء وغير العقلاء يستعمل لهم كلمه (ما) لكن النص هنا جاء وهذا نفي لجميع ما يعبد من دون الله لتشمل التشريعات والقوانين التي تخالف شرع الله الوثنيه السياسيه والعاتات والتقاليد حيث وان الايه مرتبطه بمساله الطبقيه وطلب الاكابر من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخصص لهم مجلسا غير مجلس ضعاف المسلمين امثال بلال وصهيب وسلمان وابن مسعود... الخ

فجاءت الايه بالاسم الموصول الذين المستعمله للعقلاء لبيان نفي عباده الهوى والسلاله والانساب والعاتات و التقاليد والوثنيه السياسيه التي شرعت لمساله العنصريه فهذه كلها أصنام فكل ما علق بالقلب يجب إخرجه منها

فالآيات تبين أن اول خطوه في الشهاده ان تكفر بالطاغوت لقوله تعالي (فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروه الوثقي لا انفصام لها)

بذلك يكون الكافر مسلما... اذا حصل هذا اخراج كل الأصنام من قلب الانسان وهذا لا يكون إلا باياس القلب ومجاهده النفس والتجرد لله بالاخلاص ومجاهده الآفات بالنظر الي مقام الهدايه والسفر الي الله فيكون رفض ونبذ كل العوائق بقوه التعلق بالمطلب الاعلى الهدايه (وما أنا من المهتمدين) وهذا لا يكون إلا بحب الله وحده وإخراج كل ماسواه تطلب رحمه الله فحقيقه كلمه لا اله الا الله يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغي لأحد غيره فهو الحاكم القهار وحده لاشريك له يسلمون له في السراء والضراء ولهذا فإن من خصائص الله المقرره في منطق المومنين المنسكبه في وجدانهم فالله لايسال عما يفعل وهم يسألون

فالإيمان بأن (لا اله الا الله) يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء تعني أنه ليس كمثله شيء وأنه لم يكن له كفوا أحد

والناس بعد ذلك كلهم أشباه وانداد وكلهم مخلوقات وكلهم عباد وكلهم في ذلك سواء

وهم حين يحرسون سواستيتهم يحرسون إيمانهم حتي لا يعطوا عليهم إلا الخالق المعبود وحده ويعوذون ب الله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب

والايمان بأن لا اله الا الله يفرد الاستعلاء والكبرياء لله وحده لاشريك له تعني أنه هو وحده الرزق المعطي والمانع ليلوا الناس هل يؤدون الحقوق وهل يطلبون الحقوق والخلق مطالبون بأن يتدولوا عطاء الله فلا ينتخلوا صفات المالك الاصيل الذي استخلفهم في الأرض (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وقال تعالي (واتوهم من مال الله الذي اتاكم)

فلا تجميد ولا تاييد للفوراق بل اتجاه للتكافل والتضامن

جمله القول بالإيمان بأن لا اله الا الله اعلان للاخوه الانسانيه علي طريق افراد الله بالربوبيه

فالدين لو تعلمه الناس كما نزل لبدوا بالعقيده اولا فهي الأساس الذين أن تقبلوه أفادوا من الشعائر وتشربوا الشرائع واعتادوا علي الاداب فيكون بالعقيده بناء الإنسان فهي التي تبني في صميم الوجدان اخلاق الفكر واخلا ق النفس واخلاق السلوك

لكن حالنا اليوم اننا نتعلم الدين وتعلمه ابتداء من الشعائر التي تأخر نزولها وفرضها بعد الاسراء أو الأحكام التي نزلت بعد الهجره ولهذا نفتقد للتفكير النافذ القادر علي احداث تفاعل نفوسنا مع الاصول فشكل البدايه الخاطئه لتعلم الدين سببا ما نعا من الانطلاق لأن البدايه شكلت اسوار تسجن الناس بداخلها أما أن نحطمها فتحطم الدين معها وأما أن نظل سجناء تلك النظره الضيقه ومن هنا ندرك اهميه ربط كل شيء باساسها العقائدي التوحيد نعيد تصحيح تصوراتنا لتنتقل الشعائر من سلوك عاده الي عباده لتكون علي بينه من أمرك

ثانيا

(قل اني علي بينه من ربي وكذبتتم به ما عندي ما تستعجلون به أن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين)

فالايه متصله بما قبلها ومتممه لها كما يتضح من الآتي

المبحث الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يلقن ببيته عليه الصلاة والسلام الحجه للرد علي المشركين وفي ذلك تربيته المومنين علي مواجهه المواقف بالافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (قل اني علي بينه من ربي) والبيته من البيان وهي السبيل والطريق الواضحه وهي ما يبين بها الحق فهي بينه بنفسها مبيته لغيرها وقد تفسر بالبيان

وهي الدلالة والرشاد فتكون كالهدى وقد سمي الرسول صلى الله عليه وسلم بالبينه كما قال تعالى (حتي تأتيهم البينه رسول من الله)

فانه يبين الحق والمومن علي سبيل بينه ونور من ربه...

وهذا فيه عدة مفاهيم

المفهوم الاول

ان علي المومن في هذه المواقف التي يكون فيها مفاصله ان يكون مستحضرا عظمه الله فلا يكون في قلبه شي اكبر من الله يشغله عنه وهذا إنما يكون بما يستقر في قلبه من اليقين الراسخ الواضح بما يتجلي في قلبك من الواهيه الله كما قال تعالى لموسي وهارون (كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون)

فقد دخل موسي وهارون علي فرعون يرتادين ملابس الصوف بيده عصا فقال له إذا أردت دوام ملكك وعزك فأمن ب الله ...

وهو ما دفع فرعون الي التعجب منهما فقالا لاتباعه الا تعجبون من هذان الفقراء وهما بهذه الحاله يشتركان لي بقاء الملك ودوام العز فهلا القي عليهما اسواره من ذهب احتقارا منه لشان موسي وهارون

فحقيقه البينه التي ذكرها الانبياء كلهم كما قال نوح (يا قوم أرايتم أن كنت علي بينه من ربي واتاني رحمه منه فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون)

وهي ماقالها نبي الله صالح (قال يا قوم أرايتم أن كنت علي بينه من ربي واتاني رحمه منه فمن ينصرتي من الله أن عصيته فما تزيدني غير تخسير)

فاللازم أن تتجلي الوهيه الله سبحانه لك وانت تواجه الكفار بحيث تجده حاضرا معك كما كان حال الانبياء فإهميه أن تغزو حقيقه التوحيد أعماق النفس الداخليه بحيث تسكب في قلبك اليقين بوجوده تعالى ووحدايته شعور يولد قوه وعزيمه ليغير عن ذلك بثبات فالمومن علي بينه من ربه بينه الايمان التي هي نور من الله باعتبار أن من ضمن مدلولات معني البينه النور الناتج عن العلم النافع والعمل الصالح

المفهوم الثاني

تبين النصوص ان ثمره العلم النافع لا تكون الا بتطهير النفس من الأهواء وهو الذي يحفظ صاحبه من موارد الهلاك فالإنسان لايعرض نفسه للهلاك والتلف والخطر الا الاحمق والجاهل ومشكله عدم انتفاع هولاء بنور وبيان القران الكريم أنهم لايومنون بالعذاب واليوم الآخر حقيقه لان الذي يومن باليقين الجازم أنه إذا ارتكب فعلا أنه سوف تحل به العقوبه في الحال فإنه لن يفعل الفعل المنهي عنه ..فالذي يعرف أن الكاس ملئ بالسم لن يشربه منه إذا تيقين من ذلك ولهذا فإن أهل مكه كانوا ينكرون البعث والنشور وينكرون العذاب مثلما ينكرون أن يحل بهم ما حل بالامم السابقيه التي كذبت الرسل فهذا سبب عدم انتفاعهم بالهداية العامه فالسبب يعود إلي حب الدنيا واراداتها وحب الرئاسة واراداه العلو في الأرض من اهل الجهل وليس لنقص البينه كما قال تعالى في موضع آخر (افمن كان علي بينه من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) وقوله تعالى (افمن شرح الله صدره للإسلام فهو علي نور من ربه)

فالآيات تبين أن المومن علي أمر من الله (قل اني علي بينه من ربي) فقد اجتمع في هذا اللفظ حرف الاستعلاء (علي) وحرف (من) لابتداء الغايه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وما يستعمل فيه حرف ابتداء لغايه فيقال هو من الله علي نوعين فإنه أما أن يكون من الصفات التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا يكون صفه له وما كان

عينا قائمه بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقه

فإذا كان المراد به النوع الأول :-

فيكون معني هذا ان القرآن منزل من عند الله وهو كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود فالمراد بهذا إثبات أمران متعلقان بالنبي صلى الله عليه وسلم ١: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم

٢: تصديقه فيما جاء به وإن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلي كل أحد ولذلك قال تعالي (قل اني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع أهواكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) فهذا الواجب الذي عليه ..وأما الذي علي كل احد أن يومن بها ويتبعها هو قوله تعالي بعدها (وكذبتم به)

ولهذا فإن البيئه ذات شقين تصديق الرسول فيما جاء به ...وتصديقه أن ما جاء به هو من عند الله حق يجب اتباعه

وهذان الشرطان ذو دلالة عظيمه لانه في الحياه الدنيا نري السلاطين مثلا يرسلون أشخاص الي الناس ويكونوا صادقين في إبلاغ الرعيه أوامر الحاكم التي حملوها فتجد بعض الناس يرفضون القبول بها أما لطعنهم في الشخص الناقل وأما لكونهم يعصونه اي الحاكم وان كان قد أرسل بحق ولهذا فإن الله لا يرسل رسولا الا وقد اصطفاه فيبلغ رسالته فجميع الرسل والأنبياء هم اطوع الخلق لله وأعظم إيمانا بما بعثوا فلا يكذبون علي الله وهم موصوفون عند الناس من قبل أن يرسلوا بالصدق ثم إن القرآن معجزه واضحه عجزوا عن الإتيان بمثله فهو حجه واضحه خاصه وان الرسول لم يجلس لمعلم ولم يشتهر بالمعلم وكان امي كما قال تعالي (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الصادق المصدوق وقد أقام الله علي صدقه براهين كثيره

فالشاهد الذي هو من الله هو القرآن الكلام الذي نزل منه تعالي نزل بلغه قريش فهو جاء بالرساله من الله فهو ينتفع به كل أحد قابل للإيمان

وأما النوع الثاني

كقوله تعالي (وما بكم من نعمه فمن الله) فالفراسه والإلهام الذي فيه الخير فهي من انعام الله علي العبد كما قال تعالي في شأن قوم ثمود (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدى)

وقوله تعالي (وهديناه النجدين) اي بينا له طريق الخير والشر وهو هدي البيان العام المشترك ف الله يبين في كتابه طريق الخير التي يجب سلوكها والطريق التي يجب الحذر منها كما قال تعالي (انا هديناه السبيل أما شاكر ا وأما كفورا)

فذكرت الآيات إن تكذيب هولاء غير لائق مع وضوح القران فهم كذبوا بما كان يستحق منهم التصديق فشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو القران وشهادته القران هي شهادته الله وهذا الشاهد يجب أن يتبع فإن البيئه و البصيره والنور والهدى التي عليها الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون هي السبيل للسعاده فهي طريق المؤمنون وسبيلهم ولهذا كان ذم تكذيب المشركين لأن التكذيب وقف مانعا من الانتفاع بنور وبيان القران

المفهوم الثالث

ان الحق يريد منك أن تصل في استدلالك وانت تقر ما يتلوا عليك الحق ويقص من أبناء الأمم التي تعطيك صورتان متقابلتان لنهايه سبيل المؤمنين من السعاده ونهايه سبيل المجرمين من الهلاك والعذاب الي أعلي درجات

العلم وهي البصيره التي تكون نسبة المعلوم فيها الي القلب كنسبه المرئي فهذه الخصيصه التي اختص الله بها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه الذين قام بتريبتهم الرسول صلى الله عليه ليحملوا الدعوه من بعده وينقلوها الي الأجيال المتعاقبة كما قال تعالى (قل هذه سبيلي ادعوا الي الله علي بصيره انا ومن اتبعني)

ولهذا قال تعالى في هذه السوره (قل اني علي بينه من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به أن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين)

فذكرت النصوص أن الذي لا يؤمن باليقين فهذا ليس من أصحاب البصائر فهو ليس من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا لا ينتفع بالآيات لانه ليس طالبا للحق ولا راغب فيه ولا يمكن أن تؤثر فيه أي بينه مهما كانت لأن طبيعه هؤلاء الكذب فهم كذبوا بالقران وما أخبر به وما قص عليهم فما فيه من اخبار والتي من جملتها الوعيد و العذاب واخبار الأمم السابقه التي هلكت عندما كذبت الرسل ونصر الله المومنين وهذه هي سنه الله في أنه لا يهلك الأمم حتي يتبعوا أهوائهم ويتركوا ما جاءتهم انبياءهم من البينات والهدى ولهذا حذرهم من اتباع الهوى و التقليد فقال تعالى (قل لا اتبع أهواكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) فقد أمر الله نبيه أن يقص عليهم قصص الأمم السابقه التي لم تقبل بما جاء به الرسل وما حل بهم من العذاب عل ذلك بعيدهم الي رشدهم كي يحذروا أن يكونوا أمثالهم كما قال تعالى (فاقص القصص لعلمهم يتفكرون)

المبحث الثاني

تبين الآيات ان عدم انتفاع المشركين بهدايه القران وبيانه وإرشاده وما دلهم عليه من سبل المومنين ليسلكوها ودلهم علي سبل المجرمين ليحذروها يعود إلي التكذيب والشك وعدم قبول الهدايه فقال تعالى (وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به)

والايه فيها الآتي

الأمر الأول

تبين الآيات ان العلم النافع هو الذي يظهر النفس لمن اراد تزكيتها وطهارتها فذكر أن القران بينه واضحه والكل سمع له وأن الناس انقسموا الي قسمين فذكر المكذبين الذين سمعوا له ولم ينتفعوا به لانه سماع دون قبول بـ الحق ودون رغبه بالفهم ولهذا فإن قلوبهم لم تتغذى به ولم تنتفع بنوره فهذا لم يرزق التوفيق والفقه الذي يكون كان قابلا به وكان متادبا به بحيث يحدث أثرا في سلوكه ولهذا يخبرنا الحق انه قابلوا ما فيه من خير بالتكذيب فهذا لم يعلم الله فيه خيرا ولم يرد به خيرا كما ورد في الحديث

(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)

فالتكذيب ناتج عن الميل نحو الشهوات والملذات والأهواء فصارت هذه القلوب غير صالحه لاستقبال نور الله فقد ورد في الحديث عن ابي موسى الاشعري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصابت منها طائفه أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به)

فشبه من لم يسمع العلم ولا يعمل به ولا ينقله لغيره بمنزله الأرض السبخه الملساء التي لا تقبل الماء ولا تثبت الكلا فهذه الطائفه أعرضت عن العلم النافع وأصرت علي الجهل وانحرفت عن طريق المومنين الذي يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم

ولهذا أنكر عليهم تكذيبهم بالقران (وكذبتم به)

الأمر الثاني

أن الجدل والمرء والخصام بالباطل يمنع العبد من الانتفاع بالعلم فهو يودي الي قساوه القلب ويحرم ثمره العلم

فاخبرنا أن هولاء قابلوا الأمر بالاستهزاء والسخرية فقال تعالى (ما عندي ما تستعجلون به) فدللت الاية أنهم استمروا في التكذيب بالحق وانهم قابلوا التحذير وما قص عليهم القران من اخبار الأمم وما بالمكذبين من الهلاك بسبب اتباع الهوى والتقليد ورفض ما جاء به الانبياء حتي لا تكون نهايتهم مثل تلك الأمم فسنة الله أن لا يهلك قوم حتي يتبعوا أهوائهم ويتركوا ما جاءتهم به انبياءهم من بينات وهدى قابلوا ذلك بالاستهزاء والسخرية ف المولي سبحانه و تعالى يقول في موضع آخر (ولئن اخرنا عنهم العذاب الي امه معدوده ليقولن ما يحبسها الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزون)

فالباعث علي استعجال العذاب التكذيب فهو تعالى يقول لنا في موضع آخر (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها و الذين آمنوا مشفقون منها)

وقال تعالى (قل ارايتم أن اتاكم عذابنا بيانا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون)

فالذي حملهم علي استعجال العذاب هو الجهل والكفر فهم لو عاينوا ذلك العذاب لعلموا أنه عظيم هائل لا يستعجله الا جاهل

المبحث الثالث

يبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس باستطاعته انزال العذاب الذي توعد هم الله به فهو يبلغ ما يأمره الله ولا يملك انزال العذاب أو غيره ويخبرهم أن معركتهم ليست معه وانما هي مع الله وهو سبحانه وتعالى يحكم ويشهد ويقص ويبشر ويهدي بكلامه فقال تعالى (أن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين)

قرأ البعض (يقص) بالضاد يقض بمعنى يقضي من القضاء وعللوا ذلك بانه ذكر بعدها الفصل بين المختلفين فقالوا انما يكون هذا بالقضاء لا بالقصص... وهذا الاستبدال مر غير سليم وفي غير محله لأن الايات تتحدث عن سبيل المومنين وسبيل المجرمين التي ذكرت النصوص اهمية استنباه سبل المجرمين ليكون الحذر من أفعالهم وأقوالهم فالصوره التي ترسمها الايات عن هولاء فيها ذم أفعالهم وأقوالهم وسلوكهم والغرض من هذا أن تكون في الذهن صورته قبيحه عنهم لتشاهد سبيلهم بالبغض والنفور وتحذر أن تكون نهايتك مثلهم فيكون الانتقال بالسامع من حاله السماع الي المشاهده لمالات المكذبين وكذلك فإن الايات ترسم صورته جميله عن المومنين وأفعالهم وتصرفاتهم وأقوالهم والظروف التي اوصلتهم الي العاقبه المحموده لتجعلك تشاهد هولاء بالاحترام والتقدير و الحب فيكونوا قدوه لك تقتدي بهم فهذه القصص نور يضي الطريق لتري الخير وطريقه فتسلكه وتري الشر وطريقه فتتجنب أن تقع فيه ؟

فكيف قابل المشركون ما قص عليهم القران من القصص ؟

لقد قابلوها بالتكذيب والعناد والجدل والخصام لدرجه انهم طلبوا من الرسول أن ينزل هذا العذاب الذي يتوعدهم ولهذا جاء الرد بالاتي

١

ان العذاب ليس من عنده وأنه من عند الله تعالى فهو بشر أرسله الله ومهمته البلاغ فقال تعالى (قل ما عندي ما

تستعجلون به)

يخبرهم إنه لا يملك إيقاع فيهم بعد مجيئ البينه فالأمر كله بيد الله فالرسول صلى الله عليه وسلم يربي الامه على التجرد في الدعوه فلا يكون ذلك دعوه لشخصه ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم انه ليس بمقدوره انزال العذاب أو التدخل في شأن القضاء الذي ينزله الله على العباد فهو بشر يبلغ أمر الله وان الله الذي امره أن يبلغهم هو الذي يقص بالحق ما أخبرهم به وهو كذلك يفصل بالعدل وهذا فيه تنزيه وتجريد ذات الله وخصائصه عن ذات العبد

٣

ان الحكم في هذا الأمر اي انزال العذاب هو بيد الله وحده فهو الخالق سبحانه وتعالى وله الحكم والامر فهو تعالى له الحكم الشرعي بالامر والنهي وله الحكم بالثواب والعقاب

وأنه لا اعتراض على حكمه فهو تعالى لايسأل عما يفعل فمقام العبوديه لايجيز للعبد وان كان هذا العبد رسول الله أن يسأل جلال الالوهيه عن فعله وعن حكمته لانه تعالى خالق الخلق ومالك الملك وصاحب الأمر والفصل فإذا كنا على المستوي البشري لانجيز أن يسأل الملك والسلطان من البشر عن كيفية تصرفه في مملكته فكيف لك أن تسأل رب العالمين عن تصرفه في ملكه

٣

انه يرجع أمر العذاب الي الله ان شاء عجل لكم ما سألتموه وان شاء تأخيره فهو تعالى في كل أفعاله له حكمه سبحانه وتعالى ولامعقب لحكمه

٤

أنه تعالى يقص الحق كما قال تعالى (نحن نقص عليك احسن القصص بالحق)

فما أخبر الله به في كتابه من القصص فيها الحق والصدق كما قال تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظه وذكرى للمؤمنين) فكل ما أخبر به هو الحق قيوما بنفسه مقيما لغيره غنيا عن كل ما سواه يدير أمر مملكته وهو فوق عرشه لامثيل له ويشهد حكمته في تدبيره مملكته وكيف

٥

أنه سبحانه وتعالى قص الحق بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل ولهذا ذيل الآيات بقوله (وهو خير الفاصلين) مقررا لمضمون ما قبله فكل ما أخبر به هو الحق فهو سبحانه وتعالى قيوما بنفسه مقيما لغيره غنيا عن كل ما سواه يدير أمر مملكته وهو فوق عرشه لامثيل له ويشهد حكمته في تدبيره مملكته وكيف يقدر مقاديره بمشيئه غير مضاده بعدله وحكمته

فهذه من البينه التي عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم وتيقين بها عن صفات ربه فاشرقت الانوار في قلبه فصارت له كالمعاینه له فراي حينئذ تعلقها بالخلق والأمر وارتباطهما به في العالم الحسي والروحي

شاهد بقلبه موقع عدل الله لما شاهد تصرفه في الخلائق كيف عمت وخصت كيف اعطي واخذ ومنع ووسع وقرب وابتعد واهلك ونجي شاهد كمال عدل ربه وحكمته وقسطه رأي لزوم الحجة مع قهر المقادير التي لاخروج لمخلوق عنها ولهذا ينظر إلى تأسيس جميع القضايا على وفق الحكمه والعدل والمصلحة والرحمه والإحسان لا تخرج قضيه عن ذلك من بدايه الخلق الي انقضاء الاكون وانفصال الأحكام يوم الفصل بين العباد وظهور حكمته

وعده وصدق رسله وما أخبرت به عنه لجميع الخليقه انسها وجننها مومنها وكافرها فالمراد بالقص هو الأخبار التي أخبرنا الله بها في القرآن الكريم والسنة النبويه من أوامر ونواهي وأخبار وقصص ومواعظ أخبار الغيبيات فقول الله (قل اني بينه من ربي)

هي كل ما حملة الرسول من ربه والله يقول (يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذركم لقاء يومكم هذا... الخ).

وبالتالي فانه لاتعارض بين ذكر أنه تعالى يقص بالحق وبين الفصل بين أهل الحق والباطل

المبحث الرابع

تنتقل النصوص الي مخاطبه العقول بهذه اللسه القويه التي تمس قلوبهم وتهز كيانههم فقال تعالى (قل لو أن عندي مائتستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين)

يخبرهم إنه لو كان مرجع العذاب الذي تطلبون حصوله بيدي أي الرسول صلى الله عليه وسلم وفي مقدوره لكان مني المجي به لكن ذلك بيد الله سبحانه وتعالى فهو يمهل ولا يهمل

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

تبيين النصوص حلم الله عن الناس فهو سبحانه وتعالى يمهل عباده لأجل أن يتوبوا فلم يعجل لهم العذاب

ولهذا يخبر الله نبيه أن يقول لهؤلاء أنه بشر وطاقتاه محدوده فإنه لو كان أمر العذاب بمقدوره فإنه بطبيعته البشريه لن يستطيع أن يمسك نفسه عن الاستجابة لطلبهم وهم يلحون في طلب العذاب ولو حصل ذلك لهلك الناس

لكن العذاب بيد الله وهو سبحانه وتعالى حلیم لايعجل للناس بما يطلبون يعطيهم الفرصه كي يتوبوا الي الله ولهذا نجد انه قال

(ماعندي) في الايه الاولي (ما) نافية أما في هذه الايه فهي موصوله بمعنى الذي وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من العذاب الذي حل بالمكذبين وكان النضر بن الحارث وأشرف قريش يستعجلونه بقولهم متي هذا الوعد أن كنت صادقاً بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام علي حد زعمهم

فقال قل لهؤلاء الذين يستعجلون العذاب الموعود في القرآن ويجعلونه ذريعه الي تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم قل لهم أنه ليس في حكمي وقدرتي حتي آجي به وانما هو بيد الله وهو قادر علي ايقاع العذاب والجزاء فهو سبحانه وتعالى قادر وعالم بأعمال العباد فلا يخفي عليه شي

الأمر الثاني

أن القارئ للايه اذا لم يتمعن في مدلولاته قد يتصور أنها تتعارض مع الحديث في صحيح البخاري الذي رواته عائشه رضي الله عنها

بشان أنها سألت الرسول صلى الله عليه وسلم هل لقيت يوم كان أشد عليك من يوم احد.... فأخبرها الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان من الضيق والتعب بعد أن عرض نفسه علي ابن عبد الليل وما كان من نزول جبريل اليه فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال.... فنادي ملك الجبال وسلم

علي النبي ثم قال يا محمد أن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ولقد بعثني ربك إليك لتأمرني أن أشهد أطبق عليهم الاجلين فقال الرسول صلى الله عليه وسلم بل أرجوا أن يخرج الله من اصلايهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا .. الخ

والحقيقه أنه لاتناقض بين الايه والحديث أن الايه تتحدث علي أنه لو كان له ايذاء العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لواقعه بهم

أما الحديث فليس فيه أنهم سأله وقوع العذاب وإنما عرض عليه من ملك الجبال

الأمر الثالث

تبيين النصوص أن كل من خالف الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده الا جهل وظلم وظن كما قال تعالي (أن يتبعون الا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

ولهذا افتتحت الآيات (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع أهواكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين. الخ

ثم بينت أن ما أخبر به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فهو لا ينطق عن الهوى فلا يمكن أن يتصور أن الحق في نقيضه لانه ينقل ما قصه الله والله يقص بالحق ولهذا فإن الذي يعتقد بنقيض

كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لا يكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل ولا ظلم فيه فمن نهى عنه فقد نهى عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم لأن ضد العدل الظلم فما يخالفه

الاجاهلا وظالما والظالم محاربا لله والله لا يخفي عليه شي

القسم الثاني

ولما كانت الآيات السابقه قد جاء فيها تعريف الناس بالله وجلاله وكماله وعظمته وكمال قدرته وسعه علمه وهيمنته ثم ذكرت النصوص مقابله قريش لدعوه التوحيد بالتكذيب والاستهزاء وطلب الخوراق تهكما وتعجيزا وانهم رفضوا الدخول في الإسلام تعصبا وقالوا لانقبل بدين يجعلنا والارقاء والفقراء سواء وانهم أنكروا البعث والنشور والحساب والجزاء والعوده الي الحياه بعد الموت ولهذا تأتي الآيات في القسم امتداد لما سبق فيها اظهار سعه علم الله الشامل وقدرته وتدبيره لشؤون الخليقه وقهره لهم واعاده الإنسان للحياه بعد الموت والحساب و العقاب فقال تعالي

(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه الا يعلمها ولا حبه في ظلمات الأ رض ولارطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقيضي أجل مسمي ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتي إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الي الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفيه لئن انجانا من هذه لنكون من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كرب ثم انت تشركون

المبحث الأول

ان اول ما يشد الإنتباه التعبير الذي ابتدأت به آيات هذا القسم للحديث عن الغيب فقال تعالي (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو)

فجاء التعبير في كمال علم الله بالغيب بالاستعاره التي جعل فيها للغيب اسوار واستار وخزائن لها مفاتيح عنده تعالي فذكر أنه بيد الله وحده أنه استأثر بالغيب وعلمه والايات وردت في إطار تنفيذ الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته بالدعوة الي التوحيد وهدم الاصنام والمعتقدات الزائفة التي تمكنت من عقول العرب في الجاهليه وقد بينت الايات السابقة ماوصلوا إليه من الانحطاط والفساد في العقيدة والأخلاق والاقتصاد في كافة المجالات فالايات قبلها قد أوضحت جزء من ذلك الانحطاط والفساد والتعصب للوثنيه بما يشل حركه الفكر عن إدراك الحق ويعمي عين البصيره عن اجتذاب نور الحق فهم يعبدون الأصنام العاجزه ويستقسمون بالازلهم أنهم يرفضون القبول بدعوة التوحيد وان اقتنعوا أنه الحق لانهم لايقبلون مبدأ المساواة بينهم وبين الفقراء والضعفاء لترسم لنا ا لايات بعد ذلك كيف أن امه العرب صارت عريقه في الوثنية والانحراف والانحطاط لدرجه ليس بعدها الا التلاشي والزوال والهلاك فحذرهم من العذاب الذي يحل بالامم فقابلوا ذلك بالسخرية والاستهزاء فقالوا اتينا بما تعظنا أن كنت من الصادقين لترسم لنا صورته حاله ان امه العرب ميته خرجت عن الأحياء لاتقبل التحول في طبائعها وجاهليتها وهو ماشكل عائقا مانعا من خلق المبادئ الجديده في نفوسهم بدلا من المبادي التي الفاسده التي صنعتها الجاهليه وقيمها الزائفة فقد حصل الاصطدام بجدار الجاهليه التي تمكنت من عقول العرب فشككت طبيعه العناد والعصبية والحمية للجاهليه اصناما اضافيه مانعه الاستجابة والقبول لبذور المبادئ الجديده أن تحل محل المعتقدات الفاسده فهذه المرحلة استمرت ثلاثه عشر سنه من الدعوة الي التوحيد كان فيها عرض الدعوة علي الناس ومحاورتهم بأساليب متعدده ومتنوعه وهو مايرسم مشهد له ايقاعات تصويريه تنسجم مع المعاني و المفاهيم التي تهدف إلي غرسها في النفوس كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

تعليم المومنين كيف يكون معالجه المشاكل التي تواجه الداعيه من خلال الكلمه التي هي معجزه الرساله الاخيره فهذا هو السلاح الوحيد الذي يحصل به البلاغ والاقناع الذي هو هدف عمليه الاتصال بالآخرين من غير المسلمين أنها الكلمه الطيبه ف الله يقول (ادعوا الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه)

فالحوار هو الطريق الأمثل لعمليه الاقناع في طريق العمل علي تغيير المعتقدات والافكار والسلوك وتكوين الري العام الفاضل ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول تغيير مواقف اهل مكه حول دعوته لهم الي (ال ايمان ب الله ومعرفته ومحبهه وتوحيده وعبادته___والي الايمان باليوم الاخر والبعث والنشور والجنه والنار و القضاء والقدر___والي الايمان بالرسول والرساله)

فهذه هي مضامين محاورات النبي صلى الله عليه وسلم لهم بل هي مضامين حوار الانبياء كلهم مع اقوامهم وهي من الامور الغيبية التي تثار اسئله بشأنها من الناس كان يقال من الله ما هي صفاته وما هو ثوابنا أن اطعنا الله وكيف لنا أن نعرف أمرا لانراه ولماذا يطلب منا أن نحبه....ولهذا فإن القران الكريم يرد علي جميع الاستفسارات وفي هذه الايات نجد أنه ينقل رده فعل المشركين من الدعوة الي التوحيد وانكارهم اعاده الموتى للحياه بعد أن اختلطت اجزاءهم بالأرض وغيرها من القضايا الناتجه عن فساد التصورات في الفكر الجاهلي الذي لايومن الا بالا مور المحسوسه ولهذا نجد أن القرآن يتحرك من أجل إعطاء فكره الايمان بالغيب صفه الوضوح يتدرج فيه الحوار بالفكر من بيان مساله أن هنالك أمور غيبية لايعلمها الا الله لحكمه فلو ان الحكمه الالهيه تكشف للعبء بأبعادها الكامله لذهب اختبار الناس وبطلت حركتهم وتوقف صراعهم فقال تعالي علي لسان الرسول (والله اعلم بالظالمين) ذلك أن انكشاف الحكمه الالهيه لاي إنسان يعني أنه لايعود انسان كما كان لأن الفتره التي يستغرقها التأمل في الحكمه الالهيه حين تنكشف يمكن أن تمتد لملايين السنين والدهشه التي تولد في نفس الإنسان حين يعرف حكمه الله تستطيع أن تقضي علي إدراك الإنسان الإنساني ويمكن أن تدمر كيانه المحصور في الرغبات والامال وا لأحلام ولهذا لفت الحق نظره الي عجائب مخلوقاته تعالي في الكون فأخبره بأنه يعلم كل ما فيها وبما لاخطر علي بال الإنسان الذي لايتجاوز اهتمامه وتفكيره ما ينتفع به فقال تعالي (ويعلم ما في البر والبحر...الخ

ونحن نعلم كيف أن موسى وهو نبي لم يصبر وهو يعاين طرفا من حكمه الله عندما شاهد الخضر يخرق السفينه ويقتل الغلام فقد غضب ودهشه تصرفات الخضر فإظهار احتجاجه فذلك موقفه الذي وقفه امام عبد يعلم طرفا من حكمه الله .. فرحمه الله بالناس اخفي حكمته عن البشر اعطي الناس من حكمته قدرا يمكنهم من الخلفه في الأرض أو تحقيق مشيئته في عماره الأرض

و اعطي الانبياء من حكمته قدرا يمكنهم من الدعوه اليه ورسم آفاق الكمال الإنساني وعلمنا بقدر ما يلزم لتبليغ امره ولهذا يقول لهم الرسول (ما عندي ما تستعجلون به.. الخ

فعمق حكمته وسر حكمته ابقاها الله سرا لذاته سبحانه وتعالى فكيف يتصور أن يكشف ذاته سبحانه وتعالى وهو قد اخفي حكمته فالعقيدته الاسلاميه هي التي اطلقت العنان للعقل أن يتفكر في الكون لكنها بينت للعقل حدوده التي يتوقف عندها فذات الله ليست ماده تخضع لاسئله العقل ولا حكمته تعالي فانت في دنيا الغيب لا تلجا الي العقل إنما تلجأ الي الوحي تأخذ عنه وتكتفي به وتصدق بالرسول الذي أنزل عليه ف الله ليس كمثل شي ولك أن تنظر إلي ملكوت الله لتعرفه وتعرف عطفه وإحسانه وعطاءه لتحبه وتعبد وحده لاشريك له فوجد الآيات تعرض مايدل علي كمال سعه علم الله وشموله وكمال صفاته ثم تعرض الحساب والعقاب واليوم الآخر ثم تخاطب الفطره (قل من ينجيكم في ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفيه... الخ

ينقله من نقطه الي أخرى بحوار قادر علي إيصال الفكره للعقول بعيدا عن اجواء التوتر التي تحول الموقف الي تصادم بل بالحوار الذي يعطي الاجابه المقنعه بالموعظه الحسنه استمرت فيها الدعوه الي التوحيد ثلاثه عشر سنه لأجل ازاله اثار وركام الفكر الجاهلي من النفوس وإحلال المبادئ الإسلاميه محلها

فإذا كانت الجاهليه الاولى قد أزال آثارها الاسلام فإن الجاهليه الثانيه التي يعيشها العالم اليوم تفوق فسادا وانحطاطا ما كانت عليه الجاهليه الاولى ولو نظرنا الي الشبهات التي يثيرها ملاحظه هذا العصر والعصبيات التي يعيشها الناس والحميه لسلاله وغيرها من الأخلاق المسترذله فإنها لاتقل شأنًا عن الجاهليه الاولى

ولهذا فإن الآيات تضع للمومنين قواعد تربويه لكيفيه هدم صروح المعتقدات الفاسده وإصلاح أحوال الأمم ف الجاهليه الاولى قد أزال آثارها الاسلام لكن لايعني ذلك انها انتهت كلا فالقران يخبرنا عن جاهليه ثانيه فقال تعالي (ولاتبرجن تبرج الجاهليه الاولى) ولهذا فإن الآيات فلا بد أن تعرف طبائع الأمم المستهدفه بالدعوه والظفره التي تعيشها الامه لتكون التعليمات قادره علي هدم صروح المعتقدات الفاسده فلا بد أن تقوم بتهيئه الامه لتكون مستعده لقبول التحول واحترام عقل الإنسان وحريته فكان لا بد من محاوره هؤلاء من خلال الادله القادره علي ازاله كل الشبهات التي يعيرها المنكرين والمعاندين بالاداله التي نصبها الله في الكون فقال تعالي (ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه الا يعلمها ولا حبه في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس الا في كتاب مبين) أنه يحاور العقل البشري بهذه الاداله بعد بيان مافي عباده الاصنام من فساد مبينا لهم أنها لاتضر ولا تنفع ثم أقام لهم لاداله علي ما يحمل من خير ليكون بهذا هدم صروح المعتقدات والافكار الباطله لأجل أن يستل ما في نفوسهم من بذور المفاسد وتغرس مكانها بذور الهديه لتصل إلى أعماق النفوس فتكون للتعليمات قدره علي احداث القناعه والوصول الي الاطمئنان الي عقيدته الفطره الصحيحه وهو التوحيد الذي يعطي الاجابه عن ما تبحث عنه الفطره من معبود ويظهر لها مافي الشرك من مستنقع ليحصل بعدها امتزاج تعاليم القران في نفوسهم امتزاجا تاما يحصل معه قطع كل صورته من مفاسد الجاهليه ونقلهم من الجهاله الي التمدن والتألف فإن الفطره اذا استجابت وعرفت ربها ومعبودها وتعلقت بخالق الكون الاعظم صاحب السلطه الغيبية العليا وخالق الأسباب والمسببات وصانع السنن والنواميس الكونيه عندها تدعن للمعبود له سبحانه ولاتعرف الاستكانه والخضوع الا له جلا وعلا

فهذه هي العقيدته التي يجب أن يبتدا بها دعوه الناس الي الله ثم بعدها يكون الانتقال الي المسائل الأخرى

الأمر الثاني

(الحاجه الي الايمان بالغيب)

توحي الايه بحاجه الإنسان الي الايمان بالغيب كما اوضحنا سابقا في الفقره الاولى من هذا المبحث التي شرحنا فيه قول العلماء بفائده اخفاء الله ذاته وحكمته عن الناس بأنها رحمه الأمر الذي نفهم منه ان الايمان بالغيب قوه تحفظ طاقه الإنسان وأشواق الروح للاتصال بمصدرها فالإنسان لابد أن عقله يطرحه عليه اسئله عن هذا الكون الذي يعيش فيه كيف جاء وحركته يتسال عن كل مخلوق في الأرض في البر والبحر يتسال عن ذاته كيف خلق وماهو مصيره بعد الموت وكيف تكون نهايه الكون لايترك سولا الا سأله ولايترك شيئا الا حام حوله يسأل ماهي الجنه وماهي النار ومنهم الملائكه واشكالهم يسال ويبحث عن مصير الحياه الانسانيه

ولايجد اجابه في أغلب المسائل لأن عقله لايدرك سر الطاقه المودعه في العقل ذاته لايزال يجهل كيف يموت العقل فالعقل عاجز عن معرفه ذاته فكيف له أن يعطيه الجواب لأمور غائبه عنه فالعقل علمه محدود

ولهذا فإن العقل البشري بحاجه الي عقيدته الغيب التي يتجاوز بها نطاق الخس أنها عقيدته تتحرر الإنسان من استعباد الأهواء وتفجر الطاقات عندما تصير الايمان بالله واليوم الآخر والملائكه والجنه والنار والقضاء والقدر حقيقه ثابتة من المسلمات حيث يربط المومن استعلائه واستسلامه بالله الواحد القهار الله الذي له الحكم والامر وحده اذا قضي أمر. فلا يكون أمام المومن الا الامتثال والاذعان يتحرر من عباده البشر فهم مخلوقات مثله و الخلق سواسيه من هنا تنطلق الطاقه الانسانيه في اضمخ إمكانياتها فيرضي نزعاته في الانقياد والاستسلام لقوه كبري وفي نفس الوقت ينطلق فيه إلى أرحب الافاق

فهذه القوه هي التي تميز المومن أنها قوه الغيب التي تلو عن كفافه الخس ومطالبه ونطاقه العاجز القاصر أنها ترضي في الإنسان اشواق الروح للإيمان بالغيب في الوقت الذي تطلقه في عالم الشهاده يعبد الله بالتعامل مع الكون والناس

يخرج من ضيق الأفق التي تجعله مغمورا في الانانيه وسجنها حيث يصير فيها وحشا مسعورا يسعي لتحقيق رغباته دون أن يحسب للآخرين حساب

ولهذا تأتي الجملة معطوفه علي جملة (والله اعلم بالظالمين)

يخبرهم إن الاجابه عن الاسئله المتعلقة بالغيبيات التي يكون بها تطمئن الإنسان علي مستقبله وخاتمته هو ما أخبر الله في كتابه

فأخبر الله أنه استأثر بعلم الغيب الذي حجه عن المخلوقات ومن ذلك ذاته سبحانه وتعالى فهو سبحانه لا تدرکه ا لأبصار ولهذا تأتي الآيات تلفت الأنظار الي مافي الكون من آيات يدعوا فيها الحق

الي معرفته سبحانه وتعالى ومحبهه و أن عليهم أن يروا شمول قدرته واحاطته بجميع الكائنات ينظروا الي تصرفه في الخلائق ليشاهدوا كمال قدرته مع كمال علمه وعدله وحكمته ونهايه علوه علي جميع خلقه مع احاطته علما بكل شي فذكر مايدل علي تفصيل فذكر الاشياء المحسوسه ليدل بها غيرها ليروا لزوم الحجه مع قهر المقادير التي لاخروج لمخلوق عنها فذكر علمه سبحانه كل مايدب في البر من حيوانات ومخلوقات أو يعيش فوقه من جبال وانهار وأشجار وأحجار ومعادن....وكل مافي البحر من مخلوقات وكائنات كلها تدخل تحت علم الله ولا تغيب عنه شي وهو الذي يدبر أمرهائم ذكر ما هو أقل منها (وما تسقط من ورقه الا يعلمها)أنها الاوراق التي تسقط في موسم الخريف والتي يكون سقوطها بمعابه الموت لهذه الاوراق حيث تذبل الاوراق فيكفي أن تهب عليها هبه من الهواء أو يمر عليها عصفور أو حشره زاحفه لتهوي الي الأرض فهو تعالى يعلم مانقص من الأشجار من أوراق

ويعلم ما الذي استزادت الأرض من تحول الاوراق الي تراب يعلم كل هذا ثم ذكر ما هو أقل من ذلك وهو الحبه في مسارب الأرض ثم ما يجمع الكل الرطب واليابس فذكر أن كل هذه الأشياء لاتخرج عن علمه

فأراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

ليروا الحكمة التي هي نهايه وغايه المقادير التي هي اول وبديه ورجوع فروعها الي اصولها ومبادئها الي غاياتها حتى كانه يشاهد مبادئ الحكمة وتأسيس القضايا علي وفق الحكمة والعدل والمصلحه والرحمه والإحسان لاتخرج قضيه عن ذلك إلي انقضاء الاكون وانفصال الأحكام يوم الفصل بين العباد وظهور عدله وحكمته وصدق رسله وما أخبرت به عنه لجميع الخليقه انسها وجننها مومنها وكافرها حينئذ يتبين من صفات جلاله ونعوت كماله للخلق مالم يكونوا يعرفون قبل ذلك فيكون الفرق بين العلم يومئذ بحقائق الاسماء والصفات بها في الدنيا كالفرق بين العلم بالجنه والنار ومشاهدتهما أعظم من ذلك

المفهوم الثاني

يريد الحق من العبد أن يستحي أن يراه ربه علي ما يكره أو يسمع منه ما يكره أو يخفي في سريره ما يمقته عليه فتبقي حركاته وأقواله وخواطره موزانه بميزان الشرع غير مهمله ولامرسله تحت حكم الطبيعه والهوى (نقلا عن ابن القيم بشأن تجلي الله بصفات العلم والسمع والبصر)

المفهوم الثالث

يقدم الحق للناس حقيقه ان سعادتهم لن تتحقق إلا بالإيمان ب الله تعالي والايمان بما جاء في القرآن وحيا من الله عن حقائق الأمور الغيبه فهناك أمور غيبه اختص الله بها ذاته واستأثر بها دون أن يطلع عليها أحد من المخلوقات ولهذا نجد أنه تعالي يقوله (وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها الا هو) فاستعمل كلمه مفاتيح لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها الي مافي الخزائن المتوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتحها ويتوصل الي معرفه مافيها فهو عالم ولهذا فإن الله تعالي هو العلم بجميع المعلومات ماغاب منها وما لم يغيب ولهذا فالآيات تقرر أنه تعالي استأثر بعلم الغيب عنده فهناك غيبا لايعلمه الا الله فجميع العلوم عند الله وأنه تعالي منح الإنسان بعض العلوم التي يحتاجها في قيامه بالخلافه علي الارض وذلك هو منتهي العقل ومدركاته واهتمامه ف الله خالق الكون وخلق مافيه من سنن لاتبدل لها وبالتالي فإن علم الانسان ومجاله هو أن يبحث عن هذه السنن وان يدرك ويستوعب تلك السنن و التعامل معها اذا اكتشافها

لكن ينبغي أن تكون اكتشافه مرتبطه بشعوره بالخالق الذي أوجد الماده وأنه المسيطر عليها فهذا هو مجال علم الانسان والذي علمه ذلك هو الله فهو تعالي يقول في موضع آخر (وعلم ادم الاسماء كلها)

وبالتالي فإن إبراز هذه العلوم للوجود ورؤيتها ومشاهدتها تدل علي عظمه الله وقدرته وكماله وعظمته وجلاله فهذا هو التصور الذي يصاحب ظهور الاكتشافات العلميه الغير منتهيه فهي متجدده فهذ التي يتصورها المسلم كنتيجه ناشئه عن حقائق عقيدته الايمان فلا تطغي عليه النظرة الماديه التي تهيمن اليوم علي الحضاره الماديه و التي نري فيها انها كلما ازدادت تقدما ازداد الانحطاط في القيم والمبادئ الروحانيه وقتل للمواهب فأصبح اللص شجاع والمحتال ذكي بينما ينظر إلي المومنين وحمله الدين أنهم حمقاء

اننا نشاهد اليوم رغم ما قدمته الحضاره الغربيه لشعوبها من رفايه إلا أنهم يكثر فيهم الانتحار والقلق والتوتر النفسي والاكتئاب والشعور بالالم وعدم السعاده فهذا يعود إلي غياب الايمان الذي يكون فيه الاتصال ب الله والاطمئنان وتلبيه احتياجات الروح فالإنسان بحاجة الي اشباع نداء الفطره ومافيه غذاء للروح كما يحتاج الجسد

الي الطعام ولهذا فإن غذاء الروح هو الاتصال بالله الذي كان مصدر الروح منه تعالى وهو يبحث عنه علي الدوام فيبدأ بالتعلق بأمه ثم جمع المال ثم الزوجه والاولاد ولايجد السعاده والذات العليا التي يبحث عنها اذا لم يتصل بالله ولايجد الخلاص من الالم إلا بالإيمان اضافه الي أن الإنسان ليس وحيدا في هذه الحياه فهناك عوالم غيبية من ملائكة وجن وهنالك اقدار في ماضيه وحاضره ومستقبله يحتاج الي التعامل مع هذه المحطات الغيبية ف لا يعجز عند المصائب بل يواجه القدر بالفرار الي قدر الله أن بمقدوره أن يواجهه مستعينا بالله وان لم يكن بمقدوره صبر فلا ينسحب من الحياه لانه ينظر للأمور من عواقبها وغاياتها فتكون له قوه صبر لما يومل عند الغايه فهو متقين أن الله يختار له الخير فيرضي باختيار الله له وقضاه لما يرجوا فيه من حسن العافيه فإذا اصابه القدر بمكروه فإنه يكون حامد شاكرا لله يقول ابن القيم في هذا الشأن أن المومن اذا جري عليه مقدر مكروه فله سته مشاهد /١

التوحيد فهو يومن أن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه وماشاء الله كان وماالم يشاء لم يكن

٢

شهد العدل أنه عدل فيه قضاءه ٣/مشهد الرحمه فيري أن رحمه الله حتي في هذا المقذور غالبه لغضبه وانتقامه ورحمته حشوه

٤/شهد الحكمة بأن حكمته تعالى اقتضاء لذلك فهو تعالى لم يقدر سدي ولاقضاء عبثا

٥/مشهد الحمد ف الله له الحمد التام في جميع الوجوه

٦

مشهد العبودية بأنه عبد محض من كل وجه يجري عليه أحكام سيده واقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فتصرفه تحت أحكامه لقدرته

ولهذا فالمومن يكون سعيدا لايتحبط في الدنيا ولاتضطرب احواله لا في الدنيا ولا في الاخره

المفهوم الرابع

تحدثنا الآيات عن صفات الله عز وجل العلم والحياه والقدره والحكمه والمشئيه المطلقه ولهذا فإنه ينبغي علينا أن نفهم أن صفات الله تعالى هي كمال مطلق أنها صفات تختلف اختلافا كاملا عن المعني الذي يقصد به اللفظ في تعاملنا مع بعضنا البعض فإذا قلت إن أن الله عالم فعلم الله و وصفه بهذا الوصف يختلف عن وصف الناس بالعلم كان تقول فلان عالم مثلا فلا يكون التشبيه والتمثيل فهو تعالى ليس كمثله شي

فعلم الإنسان مكتسب ومحدود وناقص له بدايه وله نهايه يعتمد علي التجربه واستقراء الأمور بالنظر والتحليل و التجربه وهو علم نظري قابل للتعديل والتبديل أما علم الله فهو واسع وشامل فالله هو الأول بلا بدايه وهو الآخر بلا نهايه فهو سبحانه وتعالى لامثيل ولاشبيه له منزه عن النقص والعيب فله كمال العلم الشامل والمحيط وله كمال القدره وكمال الحكمة سبحانه وتعالى

المبحث الثاني

كما ان التعبير عن الغيب بأنه من اختصاص الله تعالى واستعمال الاستعاره للتعبير عن ذلك بأن جعل له مفاتيح وأطلق عليه غيبا له دلالة عظيمه تدل علي عده امور منها الاشاره الي شدة الخفاء وأحكام الحراسه ولم يقل أن عنده الغيب لايعلمه الا هو ..وانما أضاف الي خفاء الغيب خفاء المفاتيح التي تؤدي إليه

فنحن نقف أمام غيب اخفائه الله عن الخلق واخفاء مفاتيحه هي الأخرى فلا يعلمها الا هو

فالآيات تقرر أن هنالك غيبا لا يعلمه ولا يعلم مفاتيحه الا الله ثم تذكر بعدها احاطه الله علما بجميع الموجودات في برها وبحرها ولا يخفي عليه شيء واحاطته علما بالاوراق التي تسقط وما بداخل الأرض من حب والرطب و اليابس

والسؤال هنا ما المراد بهذا وما علاقه هذا التعبير بالآيات قبلها وما هو ارتباطها بما بعدها

الأمر الأول

تهدف النصوص الي تربيته المومنين علي القبول باختيار الله وقضاؤه وقدره فهي اصل تقوم عليه عقيدته الا يمان ب الله ولهذا أخبرنا الحق أنه لا يتحرك عصفور في عشه ولا حشرة زاحفه الا يعلم الله هذه الحركة سجلت في كتاب منذ الأزل

يقول لنا أنه لا تسقط ورقه من شجره الا يعلم الله سقوطها اي جري بها قضاء الله وقدره لا يوجد سر الا احاط الله به علما

كل أحداث التاريخ والأرض والوجود والزمان كلها مسجلة عند الله في كتاب فهو تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها ويحيط بها قبل أن توجد لا يخرج شيئا في الكون عن علمه سبحانه وتعالى صغيرا أو كبيرا كل همسه يعلمها الله إذا كل شيء واقع في كواكب الأرض أو سيقع يعلمه الله فالله يقول في موضع آخر (وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين)

وهذا الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ أو القضاء والقدر

والإيمان بالقضاء والقدر قوة تزود المومن بطاقه يقاوم بها الشر

فعقيدته الاسلام تقوم علي أن الله كتب كل ما يفعله الإنسان في حياته قبل أن يولد وقد فهم البعض أن هذه الكتابه تعني أن الله قضي وقدر وحكم واراد والحقيقه ان الله كتب ما علم أن الإنسان سيفعله وكان الإنسان حرا أنه قد سبق العلم الإلهي حريه الإنسان فعلم ماستفعله وكتب كل شيء كتابه الله تبارك وتعالى هي علمه الأزلي القديم والعلم الأزلي القديم نور يكشف وليس قوه تقهر وهو تعالى لا يسأل عما يفعل

وعقيدته القضاء والقدر لاتعني العجز والقعود وعدم مقاومه الظلم والاضطهاد كما هو حال الكثيرون اليوم فإن هذا فيه عده أخطاء أولها أنهم نسبوا العجز والقعود وهو ذنب الي قضاء الله وقدره

واخطاوا لانهم اعتقدوا أن قضاء الله وقدره يعفيان الإنسان عن مسؤولياته أو يشلان حريته

فضعف الامه اليوم ليس كما يتصوره البعض أنه يعود إلي أن عقيدته الاسلام تدعوا الي الجبر فهذا أمر بعيد عن الإسلام كل البعد وهو ناتج عن الفهم الخاطيء لعقيدته القضاء والقدر

فالإيمان بالقضاء والقدر يعني أننظر الي ربط المشئيه الانسانيه بطلاقه المشئيه الالهيه ليكون الانطلاق في هذا الإطار فلا ينجح عمل لا يباركه الله بتوفيقه ثم إنه إذا فجاءك أمر طارئ خارج عن الاراده فإن فكره القضاء والقدر تكون شاهدا علي جلال الله وقهره ورحمته فما كان الإنسان فيه مخيرا فالإنسان مسؤولا عنه أما ما كان فيه الإنسان مجبورا فهذا لا يحاسب فالمراد بهذا أن يوظف المسلم حريته لتصير عبوديه لله

الأمر الثاني

أن هذا الاخبار في معرض حجود المشركين بالقران وانكارهم ما يدعوهم إليه فهم أنكروا المعاد وانكروا الحساب والعقاب وشبه هولاء المنكرين تعود إلى ثلاثة انواع

أن المنكرين ينظرون إلى استحاله العوده الي الحياه بعد الموت لأن الأجزاء للإنسان تختلط باجزاء الأرض علي وجه استحيل بنظرهم التميز بين عناصر الناس وغيرهم أو فيما بينهم

فاستعجال العذاب بنظرهم أنها مستحيله وأما الثاني فإنهم فهم لاينظرون أن القدره متعلقه بذلك والعالم ينظرون أنه لافائده من العوده للحياه بعد الموت فهذه الأمور الثلاثة هي التي دفعتهم الي مقابله الانذار بالسخرية والاستهزاء وطلب استعجال العذاب

ولهذا نجد أن الحق يخبرهم الغيب انواع منها ما اخفاه الله عن كل المخلوقات حتي الرسل والأنبياء والملائكه لايعلمون موعدها

وهنا تستعرض النصوص البراهين من الزوايا الثلاث فابتدا في

تقرير كمال علم الرب سبحانه وتعالى فذكر الاشياء المحسوسه لأجل أن يتاملوا ما في الكون من مخلوقات فهي في علم الله لا يخفي عليه منها شيئا صغيرا كان أو كبيرا وقد ذكر مافي البر والبحر لما فيها من العجائب المتعدده ثم ذكر الأقل منها من بأنه يعلم ما تسقط من أوراق فالكلام مما لايقوله بشر بما احتوي من شمول العلم والاحاطه تتجاوز الفكر الانساني واهتمامه فالإنسان لايتجاوز تفكيره ماهو متصل بمنفعته ولايخطر بباله كل هذه الأبعاد التي طرحتها النصوص التي تكشف أنه تعالي عالم بكل شي علما مطلق فذكر تساقط الاوراق أنها بعلمه لبيان انه يعلم ماسوف تستزيد تربه الأرض من سقوطها يعلم كل ذره اين هي فلا يعجزه اختلاط أجزاءها بتراب وعناصر الأرض والأوراق الأخرى فهو يري حتي الحبه التي تدخل في مسارب الأرض وظلماتها والرطوبة واليابسه فمن علم هذه الأمور الصغيره التي اختلطت بالأرض قادر علي تحصيلها وجمعها بعد تفريقها وتاليها خلقا فقد شملت الايه أيضا تقرير كمال قدرته تعالي ففي كل ما ذكر من علمه بهم من عجائب مصنوعاته مايدل علي عظيم قدرته وسعه علمه بما يبهر العقول فلا شيء يخرج عن علمه ولاشي يخرج عن حكمه أو يدركه النسيان فكل شيء مسجل في كتاب واضح لاغموض فيه وكل شي يعلمه الله تعالي فاخبرنا سبحانه وتعالى أنه لم يخلق شيئا عبثا فكل شيء خلق لحكمه وغايه يصل إليها ولهذا ذكر بعدها اعاده الإنسان للحياه بعد الموت والحساب والعقاب فقال تعالي (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهارة ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمي ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتي إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الي الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين)

فكان التذكير بما يحدث من النوم في الليل بأنه من فعل الله فالكلام جاء فيه لفت انتباه المخاطبين الذين ينكرون قدرته علي احياهم بعد موتهم فقال لهم أن النوم اخ الموت فالذي يقبض ارواحكم بالليل ويبعثكم بالنهار لتبلغوا اجلا مسمي وانتم ترون كيف يحدث ذلك كل يوم فكيف يكون منكم إنكار قدرته علي قبض ارواحكم واعادتكم للحياه بعد الموت فإن ذلك نظير ما تعينون وتشاهدون وتقررون به من اعادتكم بعد النوم الي الحياه ولهذا نجد تعالي ابتدأت الايه بقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) ثم ذكر قوله (ويعلم ما جرحتم بالنهارة) ثم جاء بعدها بجمله (ثم بعثكم فيه ليقضي أجل مسمي ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون)

فتوسط هذه الجملة لبيان مافي بعثهم من عظيم الاحسان إليهم خاصة مع كونه قد علم بما اكتسبوه من الأعمال القبيحة التي توجب ابقاءهم علي التوفي والهلاك لكنه تعالي يمهلهم مع علمه بما سوف يرتكبون من قبائح لتبلغوا الاجل المسمي لبقاءكم في الدنيا بالتمام والكمال ثم يكون قبض ارواحكم التوفي الأكبر الموت والحساب و العقاب وبالتالي فإن مثل هذه الأمور دليل علي قدرته تعالي اعادتكم الي الحياه بعد الموت فانتم في قبضه الله فهو الخالق لكم. ولم يخلقكم عبثا ولهذا فانتم مسؤولون عن اعمالكم وسوف يحاسبكم الله

الأمر الثالث

تبين الآيات ان كل شي الا عند الله خزائنه ومفاتيح ذلك بيده تعالي وان من اراد شيئا فعليه ان يطلبه من الله الذي يقدر عليه فذكر علمه وتصرفه وتدبيره لكل مافي الكون فليس هنالك سببا مستقل يوتر بدون أن الانضمام لأ سباب اخري وان هذه الأسباب تنتهي الي الله تعالي فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (وان الي ربك المنتهي) وهنا يقول (ثم اليه مرجعكم)

فجميع الأسباب والمسببات تنتهي الي الله فلا يستقل بالتأثير وحده دون أن يتوقف تأثيره علي أسباب اخري غيره إلا الله الواحد القهار ولهذا لا ينبغي الخوف من غيره ولا ينبغي أن يرجوا العبد غير الله فالتعلق بغير الله والخوف من غير الله باطل لأن الأسباب تنقطع فلا يكون لأي سبب تأثير الا بإذن الله فهو تعالي الموتر في الأسباب و المسببات وبالتالي فاللازم أن يلجأ العبد الي الله ولا يخاف الا الله

ثانيا

بعد أن ذكر الله علمه بكل شي فهو لا يخفي عليه شي تنتقل النصوص الي التوجه بالخطاب الي المشركين الذين كذبوا بالبعث والنشور والحساب والعقاب لترسم لهم النصوص هيمنه الله علي ذواتهم اي البشر فهم في قبضته في علمه وقدره وتصرفه وتدبيره في حياتهم وموتهم في منامهم وصحوهم فقال تعالي (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمي ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتي إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الي الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

المبحث الأول

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (وهو الذي يتوفاكم بالليل)

فأراد الحق بهذا أن يذكر الإنسان بالموت والبعث والنشور فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي جانباً من رحمته سبحانه وتعالى بالإنسان أنه يقدم له بروفات للموت كل ليله فالنوم أشبه بالموت والا ستيقاظ منه أشبه بالبعث نظرا لما يعترى الحواس من سهوه ويعترى العقل من سكون

فهو ايه من آيات الله وضروره للحياه ونعمه يسترد منه الحي ما بذله من قوه ومافقده من بدنه فهو تجديد يعيد للجسم نشاطه وقوته كما يعيد للعقل صفاءه وقدرته فكل حي بحاجه الي النوم والراحة من وقت لآخر الا الله سبحانه وتعالى فإنه لا ينام أبداً لأنه لا يتعب أبداً فهو سبحانه وتعالى لا تأخذه سنه ولا نوم

فالنوم أشبه بالموت لأنه يكون فيه تعطيل الحواس مثل الموت ويزوال التميز عن الإنسان فمن الذي يعيد الإنسان للحياه بعد سبات وانقطاع الحياه في النوم ؟

فالإجابة فيها عدة مفاهيم

المفهوم الاول

ان تغرس الآيات في النفوس والعقول والاذهان حقيقه أنهم داخل المجال الذي قدره الله تعالي لا يستطيعون الافلا ت من قبضته فهم يحتاجون الي إلي الله في كل وقت فهذا المشهد الذي ترسمه الآيات عن كمال قدره الله المطلقة ينبغي أن يعلم ويدرك الإنسان من خلالها أنه في قبضه الله كما هم الحقيقه دائما لا يردهم الي الصحو و الحياه الا الله فإن هذا المشهد المتكرر كل يوم يدل علي ضعف الانسان وأنه في قبضه الله ولا منتهي لهم سواه فهم بعد أن يوقظهم الله في النهار من سباتهم وانقطاعهم في قبضه الله حتي ينتهي الأجل المحدد والمعدود في

هذه الحياه الأجل الذي هو غيب لا يعلمه الا الله فعليك أن تدرك أنك في قبضه الله ومجال قدرته لاتستطيع الافلا
ت

المفهوم الثاني

تهدف الآيات الي غرس الشعور برقابه الله للناس في حركتهم وسكونهم فاخبرنا الله أنه لا يخفي عليه شئيا من أعمالهم في الصحو والمنام فهو مطلع علي ما فعلوا من أعمال فقال تعالى (ويعلم ما جرحتم بالنهار) فالإيه فيها جملة معترضه دلت علي احاطه الله علما بخلقه في ليلهم ونهارهم في حاله سكونهم وفي حال حركتهم اي أن كل حركه أخذ أو ترك تقوم بها الجوراح الا عند الله علم بما كسبت النفس من خير أو شر

والجرح يطلق علي الكسب بالجوراح أو عمل الناس باي اداه من أدواته واعضائه فالحق يريد أن يبين للناس أن كل عضو من أعضاء الإنسان له غايه وهدف خلق لأجلها وهو مسؤولا عن أفعال هذه الجوراح وقوله (ما جرحتم بالنهار) ليس المراد منه نهار بعينه وانما هو مطلق يراد به لفت الإنتباه الي أن الإنسان في قبضه الله وإثبات كمال قدرته وكمال علمه تعالى

المفهوم الثالث

أن هذا المثال المضروب فيه صورته كامله للموت فمن يكره النوم اذا سالت الناس فإنهم طبعا سوف يردون أنهم يحبون النوم فلما ذا يكره الناس الموت ويتصورونه نهايه بينما هو مرحله من مراحل الطريق يجي بعدها اليوم الآ
خر

يقول الحق أن الإنسان يموت الموتة الصغري اذا نام ثم يبعثه الله إذا جاء وقت واوان يقظته ؟ فقال تعالى (ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمي ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون)
اي كيف ينكر الإنسان بعث الموتى وهو يموت كل ليله. ويبعثه الله كل صباح

المبحث الثاني

أن الإيه ابتدأت بذكر امسك الإنسان وهو في حال النوم كميت من جملة الاموات ووضع أمام ما كسب في حال يقظته قبل أن ينام أو يمسكه الموت وتلك عمليه يري فيها الإنسان صورته مصغره لما يكون عليه حسابه يوم القيامة فالتموت ماهي مثل نومه كهذه حتي يجد الإنسان نفسه هو وما عمل بين يدي الله للحساب والجزاء

وهذا ما يحمل الإنسان علي ان يتدبر امره ويراجع حساباته ويستعد لليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالآيات وردت بعد قوله تعالى

(والله عليم بالظالمين) في معرض التهديد بالعقاب والجزاء لكل كافر فكان مجي الآيات بعدها ببيان سعه علم الله وقدرته تعالى علي محاسبه ومجازاه العباد فذكر عطا علي ذلك قوله تعالى القدره والعلم يحصل بهما الجزاء بل يحصل بهما كل شي وهذا هو سبب أخباره تعالى في هذا المقام بأنه قادر وعالم في ما يتوعد به المكذبين الظالمين ويهددهم به لأنه لأن القادر علي الجزاء وكان عالما أمكنه الجزاء أما العاجز عن الشخص لا يمكنه الجزاء ولا يكون التهديد والوعيد له أثرا وكذلك فإن الذي لا يعلم بأعمال الشخص فإن العقاب والجزاء لا يكون عادلا لأنه غير قائما علي علم لكن الله عادل ولا يظلم أحد فهو سبحانه يحيط بكل شي علما فهو تعالى يقول (ألم تعلم بأن الله يري) وقال تعالى أيضا (ام يحسبون انا لانسمع نجواهم بلي ورسلنا لديهم يكتبون) فذكر رؤيته لأعماله وعلمه بها وإحصاءها فهو يتضمن الوعيد بالجزاء بقدره وعلم منه تعالى ولهذا فإن الجزاء يبقى موقوفا علي مشيئه الله تعالى ولهذا تأتي الآيات في هذا القسم مبينه علم الله واحاطته بكل شي وقدرته تعالى ولهذا نجد أنه تعالى يقول بعدها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتي إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الي

الله مولا هم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين

وهذا فيه

الأمر الأول

يريد الحق أن يعرف الإنسان أنه لاغني له عن ربه طرفه عين يريد أن يعترف الإنسان انه مريب مديبر مأمور منهي إنما يتصرف بحكم العبوديه لبحكم الاختيار لنفسه فهو جاء الي الدنيا بدون رضاه وسوف يغادرها دون رضاه

فاخبرنا الله عن صفاته تعالي فقال (وهو القاهر فوق عباده) أنه صاحب السلطان القاهر فالجميع تحت سيطرته وقهره فالبشر ضعاف في قبضه سلطان الله ولاقوه لهم ولاناصر

فالحق يريد من عباده أن يشهدوا أن ناصيتهم ونواصي المخلوقات كلها بيده تعالي وحده يتصرف بها كيف يشاء ومعلما يشاء عندها لن يخاف المومن أحد من البشر ولن يرجوهم ولن ينزلهم منزله المالكين بل ينزلهم منزله العبيد المقهورين المربوبين لانه يرى كل شي في الكون مقهور محكوم بقدره الله الشامله المطلقه فالمراد بـ الفوقيه هنا ليس المكانيه وانما ترسم واقع المخلوقات والناس بانهم مقهورين خاضعين لله لايملكون أن يخالفوه او يهربون من قدره سلطانه فكل نفس وحركه محسوب وخاضع لسلطان الله فهم وان منحوا الحريه ليتصرفوا فإن هذا لا يخرجهم عن قدره الله وسلطانه وقهره فهو تعالي الغالب الذي لا يقهر وهو المتصرف في العباد

وبالتالي يكون الاستعلاء بمقام العبوديه لله فمن شهد الناس والمخلوقات كلها في قبضه الله وقهره وهو يقرأ قوله تعالي (وهو القاهر فوق عباده)

فانه يصغر عنده كل شي في الدنيا أمام قوه الله وقدرته وبالتالي فيكون استعلاءه بـ الله ورجاءه متعلق به تعالي عندها سوف يستقيم توحيده

الأمر الثاني

يخير الحق عباده أنهم أن اعطاءهم حريه الاختيار والتصرف فإن هذا لا يخرجهم عن سلطان الله وعلوه وقدرته فهم في رقباه الله المباشره التي لاتفارقهم لحظه أو طرفه عين فأنت ايه الإنسان غير متروك فهناك رقيب يحصي الأعمال والحركات وكل ما يصدر عن الانسان فقال تعالي (ويرسل عليكم حفظه)

فهذا التصور كفيلا بايقاظ الإنسان من غفلته وان تكون فاعليته ايجابيه يعلم أن هنالك ملائكه يسجلون الأعمال ويحفظون الأعمال كما قال تعالي (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) وقال تعالي أيضا (عن اليمين وعن الشمال قعيد) وقال تعالي (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال تعالي (له معقبات من بين يديه ومن خلفه .. الخ

والجمله عطف علي الجملة الاسميه اي هنالك مكلفون ملائكه يسجلون اعمالكم أن خيرا فخييرا وان شرا فشيئا

والله يعلم ذلك من قبل أن يعمله الإنسان ولهذا فإن الحكمة من ذكر أن الملائكه تسجل وتكتب عليه اذا علم الا نسان بذلك ليكون نشرها علي الأشهاد في ساحه الحشر ف الله يقول (واذا الصحف نشرت)

فإن هذا ازجر عن المعاصي خاصه الذي يطمع بعفو سيده وستره فإذا علم أنه سوف يفضح في ساحه الحشر كان هذا باعنا علي التوبه وباعنا علي الاعمال الصالحه

الأمر الثالث

تمضي سياق النصوص في نقل صورة الموت أنه غيبي يمكن أن يدهم الإنسان في أي لحظه فقال تعالي (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون)

يريد تقوية الاحساس في الإنسان بالقدر الغيبي الذي يمكن أن يدعمه في أي لحظه ليكون الإنسان في حاله ترقب حلول الموت الذي لا يعلم متى يحل فهو غيب لاسبيل الي معرفه متي موعده لانه في علم الله الذي جعل له موعد لا يتقدم ولا يتاخر فيقول الحق فإذا حانت ساعه وفاه أحدكم قبض ملك الموت اروحكم فهم لا يفرطون في ذلك لا يهملون فلا يزيد من عمره ثانيه ولا ينقص منها شي فهم ينفذون المقادير الالهيه بدقه متناهيه

والمراد بهذا أن يشعر الإنسان أن أنفاسه معدوده فإذا جاءت اللحظه المرسومه الموجوده يحصل قبض اروحكم فعليك الإنتباه والحرص أن تكون في طاعه فلا يدهمك الموت وانت في معصيه أو منشغل بالدنيا وفي غير طاعه فعليك المسارعه للمبادرة في الاعمال الصالحه

الأمر الرابع

نجد أن الابه ورد فيها (حتى) بمعنى جملة الشرط عائده علي ما قبلها كان قيل عليكم ملائكه يحفظون اعمالكم مده بقاء حياتكم حتى إذا انتهت مده أحدكم وجاء موعد قبض اروحكم فاستعمل (جاء) لبيان انه قريب توفته رسلنا وهو ملك الموت وأعوانه فأراد بهذا أن يغرس في النفوس الايمان بقضاء الله يريد بهذا أن يصل بالعبد الي الخضوع لحكم الله بالانزعان والخضوع وليس ذلك فحسب بل إن عليه أن يعترف بعدله تعالي في قضائه وان يحمده علي ذلك فهو مالك الخلق القاهر لهم فنواصهم بيده سبحانه وتعالى يتصرف في عبادته بالعدل فهو علي صراط مستقيم في قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيته وثوابه وعقابه فكل ما يختار لعباده هو خير و المصلحه لهم وما نهاهم عنه كله مفيده وثوابه لمن يستحق الثواب بفضلته ورحمته وعقابه لمن يستحق العقاب بعداله فهو تعالي مض في قضائه وكل ما يقض هو عدل فقال تعالي (ثم ردوا الي الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين)

أنهم بعد الموت وحياه البرزخ وما فيها من احوال بعثوا وردوا الي المولي الذي انشاءهم واعطاءهم الحياه الذي تو لاهم بحكمه وتولاهم بأمره ونهيته وأرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب ثم ردوا اليه ليتولي الحكم والجزء فيهم أن خيرا فخييرا وان شرا فشرا فهم يساقون الي حيث لاملك ولا حاكم فيه سواه تعالي ومولاهم أي مالكتهم الذي يملك أمورهم ويتصرف بها علي الاطلاق أما القول إن الكافر لامولي له فهذا يختلف عن معني المولي في هذا السياق كون المعني هناك هو الناصر فلاتناقض وقوله (مولاهم الحق) أنه لا يقضي الا بالعدل وهو صفه المولي سبحانه وتعالى أي اعلماوا أنه له الحكم والقضاء بين عبادته يومئذ لاحكم لغيره فجاء بما يدل علي هذه الحقيقه فقال تعالي (الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين)

لترسم عقيدته الايمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب وان الحكم لله وحده لاشريك له يقضي حسابهم بالعدل فهو سبحانه وتعالى يحاسب الناس بالعدل فلا يظلم أحدا فضمانه هذا العدل هو أنه تعالي الذي يحاسبهم فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (وكفي بنا حاسبين)

وذكر السرعه هنا تعني أنه يحاسب الناس كلهم في وقت واحد لكمال قدرته وعلمه وتمام حكمته وذكر السرعه توقع في القلب الخوف فيشعر العبد أنه ليس متروكا بلا حساب يفهم أنه لن يهمل عما يفعل فسوف يحاسب علي كل صغيره وكبيره

وهو تعالي عندما يحاسب عبادته فلا بد أن هذا يعني وجود شريعته في الدنيا تحدد لهم الحلال والحرام فهذا هو المنهج الضابط للحركه الذي علي أساسه يكون الحساب والعقاب والجزء والثواب الأمر الذي يغرس في كيان العبد الشعور بعقوبه المخالفه من منهج الله وبالتالي فهو يدرك أنه ان لم يقيم حياته وفقا لمنهج الله فسوف يحاسب

علي المخالفه

ثالثا

بعد أن تناولت النصوص الأدله ا لداله علي قدره الله الكماله وسعه علمه وهيمنته وبسط سلطانه وتدييره لشؤون الخليقه وقهره لهم وأنه مالك يوم الدين يواجههم الحق عبر نبيه بما في نفوسهم من إقرار وعلم فطري بربهم بدليل أنها تعرف ربها وتلجاء اليه وقت الشده فقال تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفيه لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون)

المبحث الاول

الملاحظ أن الايه ابتدأت بقوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)

أنها عادت الي صيغه الأمر (قل) وهذه الكلمه تكررت في هذه السوره الكريمه (٦٧) مره ونظيرها كذلك في سوره يونس والسوال لماذا تكررت كل هذا العدد وماهو المراد بها ؟

الأمر الاول

الحث علي الحوار في توجيه الخطاب أثناء الدعوه واهميه تنويع الأساليب والوسائل التي يكون بها عرض الدعوه علي الموعودون حيث وبالوقوف علي الايه نجد أنها وردت في إطار النقاش والحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو ا المشركين الي التوحيد وبين هولاء المشركون الذين كانوا لاينكرون وجود الله ولكن يرفضون القبول بدعوه التوحيد وكان بينهم حوار ونقاش ولهذا نجد الترابط بين فقرات النصوص وما قبلها التي تناولت عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الأدله المنطقيه فيما يدعوهم إليه من التوحيد في إطار مهمه اعاده تشكيل ثقافه المجتمع وتحقيق الوعي وربط الامه بخالقها وتعريفهم بالغايه من وجودهم وانهم مسؤولون عن أعمالهم فذكر لهم صفات الكمال لله وحده لاشريك له في الحياه والسمع والبصر والكلام والعلم والقدره وهيمنته وبسط سلطانه وتدييره لشؤون الخليقه وقهره لهم وأنه مالك يوم الدين مبينا لهم ان مهمته إنقاذهم من الضياع واخراجهم من الفساد وظلمات الجاهليه وهكذا تضي سياق النصوص هنا في إطار هذا التدرج في مخاطبة أفكارهم بالانتقال بهم الي دليل آخر

يطلب مشاركته ارائهم فيه من أجل الوصول إلى الحقيقه يعطي فكره التوحيد الوضوح فلا يبقى هنالك أي شك و لاجاه الاستفهام الناتج عن التمسك بالموروث تقليدا ولهذا يقول الحق لنبيه (قل) وهو مايفهم منه أنه أمر الهى فيه تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم الحجه القاطعه لحسم الحوار تنصب اداله وحدانيه الله ويطلب استج لابل قناعه القوم فجاءت الايه متضمنه اسلوب الحوار التلقيني الذي يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بتوجيهه الي المشركين المكذبين بما يدعوهم إليه من التوحيد فجاء الأمر بصيغه (قل) لبيان اهميه الحوار بالنسبه للداعيه فالكلمه هي سلعته التي يعرض بها فكرته ودعوته عن ربه أنها الكلمه الحسنه فالله يقول في موضع آخر (ادعوا الي سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنه) فجاء التوجيه بأن يوجه المشركين بما في انفسهم من إقرار فطري وعلم فطري ومحبه فطريه وتوحيد فطري مغروس في أعماق النفس الداخليه فإن هذا ا لإقرار فيه توضيح معاني ما يدعوهم إليه فيه إغناء للمفاهيم بما يفضي الي تقدم الفكر والخروج من دائره ظلام الجاهليه وقيمتها الزائفه ومقاييسها الباطله

والدليل علي ذلك الذي فيه الحجه القاطعه أمر يعرفه كل واحد منهم وقت الشده فترسم الايات مشهد تصرف الإ نسان في وقت الشده لبيان موقف الفطره أمام الأهوال والكروبات ثم ترسم كيف يكون موقف الإنسان بعد زوال الشده اي في الرخاء

الأمر الثاني

أن هذه الكلمة (قل) تهدف إلى شد الإنتباه أن ما بعدها من أوامر ونواهي لها اهمية ينبغي علي الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينقلها إليهم ويبلغها

الي الآخرين فالنص جاء بصيغه استئنافية ابتدائية لأن الكلام فيه تهديد للمشركين بشكل خاص ولذلك نرى التعقيب ورد فيه قوله تعالى (ثم انتم تشركون) بعد أن لفت انتباههم الي ما نصب الله في كونه من الادله الداله علي كمال قدرته وتمام حكمته وسعه علمه ومن هذه الاداله فأراد بهذا أن يشد انتباههم الي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه فالاستفهام الذي طلب فيه مخاطبه ضمائرهم واستعلامها من خلال طلب الوقوف علي حاله واقعيه قضيه يعرفها كل واحد من الناس لانه قد عاش هكذا تجربه في حياته خاصة وان اهل مكة كانوا يسافرون الي مناطق الشام واليمن في تجارتهم ولا بد أن يسلكوا طرق الصحاري في البر التي تجعلهم يعيشون أوقاتا صعبه وقاسيه ويواجهون الكروبوات فهم لا بد أن يفقدوا الدليل ومعالم الطريق في تلك الصحاري لا بد أنهم مروا بتجارب التيه وفقدان المعالم التي تدلهم وترشدهم الي الاتجاهات لا بد أنهم عاشوا لحظات في غايه القساواه والخوف من الوحوش المفترسة التي يتفاجون بها ويعجزون عن الوقوف ضدها وكذا لا بد أنهم عاشوا لحظات صعبه وهم في سفرهم بالبحار فوق السفن حيث لا يجدون من يونسهم في المواقف الصعبه التي تحيط بهم مثل هيجان العواصف ولا يجدون من ينقذهم وكل ما حولهم هو المياه والموجات المتلاطمه في عمق البحر

فوالاستفهام يراد منه استحضر مثل هذه المواقف والتجارب في الذهن

ثم يطلب منهم المشاركة بإعطاء الجواب عن رده الفعل منهم تجاه الأخطار والمصائب والكروب والاهوال التي تنقطع عنه الأسباب من النجاه فيقول له كيف تتصرف في مثل هذه المواقف ..الي من تلقاء وبمن تستغيث تطلب منه الغوث في مثل تلك الأهوال والمصائب والكروب التي تحل بك من كل جهه فقال تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)

اي أنه يلفت أنظارهم الي هذه الحقيقه من يذكروا وقت الشدائد هل يطلبون الغوث من اصنامهم ؟ أما أنهم الي الله ؟

أنه يذكرهم بما قد عرفوا وعاشوا من تجارب لانه مما لاشك فيه أن أي إنسان عند الشدائد يقول (يارب) يلجأ الي الله بالدعاء ذلا وخضوعا والتعاهد علي أنه إذا أنقذه من هذا الخطر والاهوال ليوحده بالعباده والشكر بالطاعه ؟

فهذا الشي الذي يجدونه في أنفسهم ويقولونه بافواههم حيث يلجأون الي الله بالدعاء والاسئعانه وقت الشده ؟

ولهذا ابتدأت الايه بقوله تعالى (قل) لبيان ان الذي طرح عليهم السؤال بهذا الاستفهام هو الله تعالى وليس صادرا من النبي صلى الله عليه وسلم والافان معظم مافي القران مأمور الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه

فأراد بهذا السؤال الذي فيه حكم تقريبي لا يستطيعون المراوغه في الاجابه فلا يوجد جواب غير الإقرار فهو يستفهمهم ليقررهم بأنهم وقت الشده يلجأون الي الله طالبين العون والاغاثه فقال تعالى (تدعونه تضرعا وخفيه لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين)

اي تقولون وانتم في تلك الحاله من الدعاء لأن جمله (تدعونه) حال من الضمير المنصوب (من ينجيكم) وذكر بعدها (تضرعا وخفيه) والتضرع التذلل وهو منصوب علي الحال موول اسم الفاعل والخفيه بضم الخاء أو كسرهما ضد الجهر وعطف خفيه علي تضرعا أما عطف الحال علي الحال كما تعطف الاوصاف فتكون مصدرا مؤولا باسم الفاعل وأما أن يكون عطف المفعول المطلق علي الحال علي أنه مبين لنوع الدعاء اي تدعونه في الظلمات مخفين اصوتكم خشيه انتباه العدو من الناس أو الوحوش سرا أو علانيه تقولون من الضائقه (لئن انجانا من هذه لنكونن

من الشاكرين)

لمن قرأ (انجانا) وهم عاصم وحمزه والكسائي الف بعد الجيم وهناك من قرأ (انجيتنا) في محل نصب بقول محذوف أي قائلين وحذوف القول لوجود قريبته تدل عليه من سياق الكلام وهو ابلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب لأن هذا القول يرد الي الذهن وإن تعددت الأقوال لكنها تؤدي الي المعنى التي طرحتها النصوص

واللام في قوله (لئن) لام القسم واللام في قوله (لنكونن) لام جواب القسم وجي بضمير الجمع لأن المقصود حكاية اجتماعهم علي الدعاء بحيث يدعو كل واحد عن نفسه وعن رفاقه وأما أن يكون اريد به التعبير عن الجمع باعتبار التوزيع كما يقال ركب القوم خيلهم مع أن الراكب واحد والضمير في قولهم (من هذه) عائدا علي (من ينجيكم) فأراد بهذا بيان أنهم يقسمون ويؤكدون اعتمادهم علي الله وحده أن ينقذهم فذكر نون التوكيد باللام وماقبلها مفسرا للتضرع الذي جهروا به وتفسيرا لمعنى تدعونه لانهم يدعون الله سرا وجهرا أن ينقذهم من الظلمات

ولذلك استعمل اسم الاشارة (هذه) اي أشار الي الظلمه المشاهده للمتكلم باعتبار ماينشا عنها أو باعتبار المعنى المجازي وهو الشده او الي الحقيقه فعبّر عنها بلفظ المونث لأن الشده والورطه التي يطلب من الله أن ينقذه منها تأخذ لفظ المونث فاقسموا أن أنقذهم ليكونوا من الشاكرين فهذا التبويض (من الشاكرين)

لأن العرب يرون الشكر حقا عظيما وهم يعبرون من يكفر النعمه والشاكر هو الذي يرعي نعمه المنعم فيحسن معاملته كلما وجد لذلك سبيلا

ولذلك كان هذا التبويض ابلغ من أن يقال لنكونن شاكرين فحرف الجار من والمجرور بعدها (من الشاكرين)

لأن المقصود التعريف من الشاكرين تعريف الجنس ليفهم أنه واحد من فئه الشاكرين هكذا يعرف نفسه الداعي ف الناس يعرفون بقية فئه الشاكرين فكان أفاده أنه من الشاكرين ابلغ من التصريح لانه عرف بنفسه بطريقه تشبه طريقه الاستدلال فكان هذا من قبل الكتابه التي هي إثبات الشئ بإثبات معروفه ولذلك بعد اقامه الدليل بأنهم يلجأون الي الله وحده يأتي بالجواب (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) أن الله هو الذي ينقذهم من هذه الظلمه ومن كل كرب وحده لا شريك له ولهذا بعد أن نصب الادله الداله على وحدانيه الله وقدرته وكماله وعظمته وتماه حكمته وسعه علمه ينعي عليهم عبادتهم الأصنام العاجزه التي ينحوتها بأيديهم ثم يعبدونها من دون الله مبينا لهم أنها لاتنفع ولا تضر ولا تغني من الله شي فكيف يشركون مع الله الهه أخرى وقت الرخاء فقال تعالي (ثم انتم تشركون)

فالاصل أن يطمئنا الي عقيدة التوحيد الخالصه من الشوائب وقد ثبت لهم أنه تعالي وحده الذي يتولي إنقاذهم من كافة الأخطار ولايستطيع أحد غيره انقاذكم وفيه تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم الجواب (قل

الله ينجيكم منها ومن كل كرب)

يجيب عن الذين وجه إليهم السؤال فجاءت جملة قل لانها جاربه مجري القول في المحاوره وتولي الجواب عنهم لأن هذا الجواب لسؤال لايسعهم الا الاعتراف وقدم المسند إليه علي الخبر الفعلي لافاده الاختصاص اي الله وحده ينقاذكم لاغيره ولذلك صرح بالفعل المستفهم عنه فكان الاحري أن يتوجه الي الله بالدعاء والاستعانه و العبادة وحده لا شريك له ولذلك جاء التعجب من شركهم في الرخاء فقال تعالي (ثم انتم تشركون)

المبحث الثاني

أن الملاحظ أن الايه الكريمه ورد فيها ذكر الظلمات أنها أمر مخيف يحرض العبد علي إزاحته فقال تعالي (قل من

ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفيه لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون)

ف الله يمتن علي عباده أنه ينجيهم من ظلمات البر والبحر بينما ورد في الايه الاولي من هذه السوره وصف الظلمات بأنها نعمه من انعام الله فقال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)ولهذا سوف مدلولات كلا منهما من خلال الآتي

الأمر الأول

ان ذكر خلق الظلمات في الايه الاولي من هذه السوره علي سبيل المدح فهذا لأن المعني متعلق بحقيقه الظلمات وهي الليل والذي يقابله النهار (النور)وهذا فيه أن التقابل من رحمه الله تعالى فلو أن الزمان كان كله نهار معلا فإن ذلك يعني أن الإنسان لايجد وقتا يستريح من عناء الحركة في النهار وكذلك لو كان الزمان كله ليل فإن الإنسان لن يستطيع أن يتحرك في ظلمات الليل ولهذا فقد جعل الله النهار لكسب لقمه العيش والحركة الذي يتطلبه النور ليري الإنسان أن يضع قدمه فيري الطريق التي يريد أن يسلكها وكذلك جعل الليل لباسا يغطي بظلمته الأرض ليناسب المهمه التي تلي احتياجات الإنسان من الراحة والسكون والنوم فهو تعالى أخبرنا أنه جعل الليل لباسا والنهار معاشا فالتقابل والتضاد نعمه لأن لكل واحد مهمه مخصصه وذلك يحتاج من الإنسان أن يستخدم كلا في محله فيضع كل شي في موضعه

الأمر الثاني

مما سبق يتضح لنا أن للظلمات معاني متعدده يمكن اختزالها في معنيان الاول الحسيه وهي تعني كل ما يمنع الا هتداء الي الحركة الإيجابية اي كل أمر يمنع الإنسان من السير نحو هدفه فهو يتحرك دون أن يكون له دليل يرشده الطريق ولايميز الطريق الذي يمشي فيه هل هو معبد ام أنه متعرج لا يامن علي نفسه من السقوط في هاويه أو بئر أو دخول نفق مظلم لايجد له مخرجا والظلمات الحسيه كظلمات الليل وظلمات السحاب والمطر فظلمات الليل يلتبس فيها على السائر الطريق الذي يمشي فيه التي يخشي معها العدو والوحوش فهذه من ظلمات البر حقيقه وكذلك فإن من ظلمات البحر هو الرياح والأمواج المتلاطمه وضياح دليل الاتجاهات وخوف الفرق ولذلك أطلقت الظلمات مجازا علي المخاوف الحاصله في البر والبحر والاهوال والكروب كما يقال يوم مظلم اذا حصلت فيه أمور سيئه ويقال رأيت النجوم في عز الظهر اذا لمن اظلم عليه يوم اطلاقا فيما لاقاه من من الشدائد حتي صار كأنه ليل يري فيه الكواكب والنجوم ولهذا يتوجه الله الي عباده بهذا السؤال (قل من ينجيكم في ظلمات البر والبحر فالايات ترسم صورته الظلمات والكروب والاهوال محيطه من كل جهه فيتوجه إليهم بهذا السؤال من الذي تلجأون إليه طالبين الغوث والنجاه في مثل هذه المواقف ؟

المبحث الثالث

فاستعمل الاستفهام لنفي الشرك وبيان سخافه عقيدة الشرك وفساد تلك العقيدة بشهاده الإنسان نفسه وقت الشدائد فهو لايلجأ الا الي

الله تعالى من خلال الاجابه علي السؤال فقال تعالى (تدعونه تضرعا وخفيه لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن الإنسان حريص علي ما ينفعه ولهذا فإنه وقت الشدائد يحصل منه عده امور أولها الدعاءثانيها التضرع ...١

الها الاخلاص بالقلب وهو المراد من قوله خفيه ورابعها التزام الشكر وهو المراد بقوله تعالي (لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين)

ولهذا فإن هذا الحرص هو الذي يزيل عنه غبار الشرك الذي يغطي الفطره فالشدائد تظهر للإنسان حقيقه نفسه وضعفه وافتقاره لربه ولهذا فإن باعث الحرص علي ما ينفعه يدفع المرء الي تذكر خالقه ومعبوده وربيه الواحد القهار وهذا ناتج عن العلم الفطري الذي يغيب نتيجه الجهل والاستغناء فهذا ن هما العارض الذي يمنع العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري حيث أن العارض يغطي الفطره ويمنع رويتها الحقيقه ولهذا فإن الاستغناء عن الحاجه الي الرب يعيد الإنسان الي الجهل والغفله في تقدير المنفعه حتي تصير الرغبه متجه نحو المنفعه العاجله غطاء يمنع رويه المنفعه الاجله ولذلك عند الشدائد تعرف أنه لاملجأ لها إلا الي الله فهو سبحانه القريب من عبده فقال تعالي (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) كما قال تعالي (واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوه الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)

فالله أخبر أنه قريب من عباده بحيث يجيب دعوه الداع أو دعاءه فهذا اخبار عن ربوبيته لهم واعطاءه سوالهم واجابه دعوتهم لايهم أن تكون هذه الدعوه من مومن بربوبيته أو كفار بها فهو يجيب حتي دعوه الكافر ولهذا قال (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)

أن عليهم الاستجابه في أمرهم كلهم وان يطيعوا الله ويؤمنوا باليقين بأنه وحده لاشريك له

ولهذا فإن الاستغناء عن الحاجه يعيد الإنسان الي الجهل والغفله في تقدير المنفعه حيث تصير الرغبه في المنفعه العاجله غطاء يمنع رويه المنفعه الاجله فيكون اختياره الملمات ناتج عن هذا الحمق وقد ضرب الشعرواي مغالا جميلا في هذا المقام حيث شبه الاحمق بالتلميذ الكسلان الذي لايهتم بدروسه و واجباته فهو لايذهب الي مدرسته ويتسكع في الشوارع لانه يريد إشباع رغبته باللهو واللعب فهذه هي المنفعه العاجله التي يسعى للحصول عليها ولاينظر الي المستقبل بينما التلميذ الذكي العاقل يهتم بدروسه ولايبالي باللهو واللعب لانه ينظر إلي مصلحته الاجله ومستقبله ولهذا فهو يواظب علي دروسه ولهذا فإن الاحمق عند الامتحان مثلا عندما يجد ضيق وتشديد عليه من الغش ونحوه أنه يتمني أن يتجاوز هذه الازمه وأنه بعدها سوف يهتم بدراسه ومصلحته الاجله فيطلب من المعلم امهاله واعطاءه فرصه أخري لكنه سرعان ما ينسي ذلك لماذا لأن التأثير والإخلاص كان انفعالي عند الشده فهو بمجرد أن يتجاوز الازمه سرعان ما ينسي ويعود الي ماكان عليه وهذا هو حال المشركين فالاصل تعالي (لعلهم يرشدون)

فالاصل أن تجربه الشده تودي الي الرشد لكن دون جدوى فرغم رؤيه عطف الله ورحمته تتجلى عليهم وقت الشدائد بأن انجاهم من الشده التي قالوا (لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين)

فإنهم سرعان ما يعودوا الي الشرك ولهذا نجد أنه ذكر الظلمات بالجمع اشاره الي أنها تتراكم بعضها فوق بعض وأنها متكرره فقال تعالي (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون)

منكرا عليهم العوده والاستمرار في شركهم وجاهليتهم في الرخاء لأن دعاءهم لم يسكن قلوبهم بل هو أمر انفعالي بسبب الشده يزول بزوال الشده ولم يكن اذعان المخلصين ولهذا جاء التعبير (ثم) اشاره الي التفاوت بين حال تضرعهم وحال كفرهم واستمرارهم في الكفر

الأمر الثاني

الفرق بين الاستغائه والدعاء في قوله تعالي (تدعونه تضرعا وخفيه لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب)

اولا عليك أن تفهم أن الاستغاثه لاتكون الا من المكروب والدعاء اعم من الاستغاثه لانه يكون من المكروب وغيره

فهناك بينهم عموم وخصوص لأن كل استغاثه دعاء وليس كل دعاء استغاثه

والدعاء عبادته سواء كان دعاء العباده أو دعاء المساله لأن المساله يطلب ما يجلب المنفعه ودفع المضره وقد قال الله تعالى منكرا علي من يدعوا من دون الله ما لاينفع ولايضر مبينا أن ذلك شرك فقال تعالى (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولايضرنا... الخ

فالله هو المتفرد بالملك والتدبير والتصرف لاشي لغيره بأي وجه من الوجوه وبالتالي فلا يستغاث الاب الله ولهذا قرر في الايه أنه الكاشف للضر لاغيره وأنه المتفرد باجابته المضطربن فقال تعالى (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب)

فهو وحده القادر علي دفع الضرر والقادر علي إيصال الخير كما قال تعالى في موضع آخر (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض اله مع الله)

الأمر الثالث

عليك أن تدرك أن الاستعانه في الأمور الظاهره العاديه من الأمور الحسيه يجوز فيها الاستعانه بالاسباب و المسببات والوسائط لكن مع الاعتقاد أن كل شيء بيد الله وحده لا شريك له

أما الاستعانه بالقوه الغائبه أو في الأمور المعنويه من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والفقر وطلب الرزق ونحوه من خصائص الالوهيه فلايكون الاستعانه الاب الله تعالى فهو تعالى يقول (له دعوه الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشي الا كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاهه وماهو ببعه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

فالذي ينسب نفسه للإسلام ثم يستغيث بالبشر أو الموتى أو أي شي غير الله أو يعتقد أن هنالك وسائط بينه وبين الله يدعوههم ويشاركهم في الدعاء مع الله فهذا كافر بالإجماع

ومن يعتقد أن هنالك من يعلم الغيب أو بعض أمور الغيب يكون مشركا

رابعاً

(قل:هو القادر علي أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت ارجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصراف الآيات لعلمهم يفتقون)

الموضوع الاول

هل الخطاب في الايه خاص بالمشركين ام هو خطاب عام لكل من يتاتي خطابه؟

الراي الاول

ذهب للقول أنه تهديد للمشركين بشكل خاص واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح سألت ربي لأمتي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني من واحده

تبين النصوص اهميه تحويل الإقرار الفطري من مجرد انفعال يزول بزوال الشده الي انفعال منظم مستمر فلا يكون كالبخار غير المنظم فالبخار الغير منظم لا يولد طاقه دفع ولاقدره تحريك لانه يتجلي مع المناسبات العابره ويتبخر مع البخار المنطلق ولايدفع طاقه الناس ولايحرك قدرات المجتمع في اتجاه التطور ولهذا نجد أن الحق

بعد ان ذكر امتنانه علي عباده بانجائه لهم من الشدائد وكيف أنهم يلجأون إلى الله في الشده واستنكر حالهم بعد النجاه وفي الرخاء أن تبخر اعترافهم مع زوال الشده فعادوا الي الشرك فقال تعالى (ثم انتم تشركون) عقب بهذه الايه (قل هو القادر علي أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت ارجلكم أو يلبسكم شيئا... الخ

استئناف عطف علي ذكر النعمه التي في قوله (من ينجيكم)

فذكر قدره علي الانتقام تخويفا للمشركين من أن يلقوا مصير المكذبين من الأمم السابقه والذين أهلكهم الله بـ الصواعق من السماء والرجم والطوفان بنزول مطر العذاب من السماء فقال (هو القادر علي أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أو يهلكهم بالعذاب من تحتهم بالخسف والزلزال وغيرها فالخطاب (قل) تدل علي استمرار الحوار في الخطاب موجه للمشركين بشكل خاص وهو خطاب لكل من يتاتي خطابه والمقصود من الكلام ليس مجرد الإعلام عن قدره الله تعالى فإنها معلومه ولكن المقصود التهديد يذكرهم بأنه القادر من شأنه أن يعذب المكذبين المعاندين والامثله والنماذج في التاريخ كثيره وهذا تهديد لهم لقولهم (لولا انزل عليه ايه من ربه)

فجاء التهديد والوعيد بأمر له صورته يعرفها الناس من خلال ماشاهدوا من آثار ما حل بالأمم الغابره التي كذبت الرسل والأنبياء ولهذا جاء تعريف المسند والمسند إليه بما يفيد القصر باختصاص الله وحده بالقدره علي بعث العذاب عليهم وأنه غيره لا يقدر علي ذلك

فأراد بهذا استحضار تلك النماذج التي أهلكها الله بالعذاب ليأخذوا العبره والعظه ليكون مشهد العذاب حاضرا ماثلا أمامهم لا يغيب فأراد بهذا الخطاب تكوين صورته في الذهن تشاهد العذاب يحيط بهم من كل الجهات لازاحه الأوهام التي يخيل للبعض أنه يقدر علي دفع العذاب فيما لو كان عن يمينه أو شماله لكن عندما ينظر أن عذاب الله سوف يصب عليه من فوق رأسه أو يأخذه من تحت قدمه فهذا يكون له أثرا اشد واقعا علي النفس ويزلزل النفوس بقوه التصوير الذي ترسمه الآيات وهو ما يشكل قوه احياء موثره في الحس تحول التأثير الانفعالي من مجرد انفعال وقت الشده الي قوه موثره مستمره يشاهد فيها ضعفه وأنه في قبضه الله وأنه قادر علي أخذه بـ العذاب كيف يشاء ومتي يشاء وحيث يشاء ولهذا جاء تعريف المسند والمسند إليه بما يفيد القصر باختصاص الله وحده لا شريك له بالقدره علي بعث العذاب عليهم وأن غيره لا يقدر علي ذلك فلا ينبغي لهم أن يخشوا الأصنام ولهذا فأراد بهذا ليس مجرد الإعلام بقدره الله وإنما تحويل هذه المعرفه الي شعور بوجود قدره الله ليخافوا الله تعالى فيتوجه اليه بالعباده وحده لا شريك له طالبين مرضاته فالتعريف القادر تعريف الجنس إذ لا يقدر غيره تعالى علي مثل هذا العذاب فهذه هي فلسفه الاسلام بتحويل التأثير من انفعالي الي شعور وإحساس وتصور مستمر لتكون المعرفه العقليه المنطقيه مقدمه انطلاقا تنعكس علي حركة الناس من هذه المعرفه الراسخه في أعماق النفس والقلب والعقل

الموضوع الثاني

هل الخطاب خاص بالمشركين ام هو خطاب عام ؟

ذهب البعض للقول إن الخطاب تهديد للمشركين واستدلوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (سألت ربي لأمتي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحده سألته أن لا يهلك أمتي بسنه عامه فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وقال يامحمد اني اذا قضيت قضاء لم يرد)

وكذلك في الصحيحين لما نزل قوله تعالى (قل هو القادر علي أن يبعث عذابا من فوقكم)

قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك (أو من تحت ارجلكم) قال اعوذ بوجهك (اويلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال هاتان اهون يقول شيخ الإسلام وهذا لانه لا بد أن تقع الذنوب من هذه الامه ولا بد أن

يختلفوا فإن هذا من لوزام الطبع البشري لايمكن أن يكون بني ادم الا كذلك

وذهب البعض للقول إن الخطاب عام لأن العذاب الذي ينزل من فوق يعم الجميع وكذلك العذاب الذي يأتيهم من تحتهم خاصة وان الله عبر عن هذه الأمور بعبارات وألفاظ فيها الآتي

١

التعبير بقوله (يبعث عليكم) والبعث معناه الاثارة وعبر عنها بلفظ يبعث للاشاره الي أن الله تعالى هو الذي ينزل عليهم ذلك العذاب واستعمل كلمه يبعث بعذاب ينزل عليهم من فوق فأراد بهذا الاشاره الي معني اليجاد للعذاب فهو ليس موجود

٢

التعبير عن ذلك بكلمه (عذابا) وهذا يشير إلى أنه في معني الجزء علي سئيات وان الذين ينزل عليهم أكثرهم يستحقون العذاب وان ذلك أمر مقصود فهو عقاب علي ذنوب وطغيان كما قال تعالى (مثل ما ينفقون في هذه الحياه الدنيا كمثلي ريج فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم..... الي قوله تعالى (.وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) وقال تعالى بشأن قارون (فخسفنا وبدراه الأرض)

٣

عبر عن يجي من الأرض من تحت ارجلكم.. للاشاره الي قربه وأنه يكون من مقام استقرارهم فيكون مزلزل الأ رض من تحت أقدامهم حيث يجي وهم في غايه الاطمئنان والاستقرار وايضا يشير إلى أنهم اول من يصابون بهذا العذاب ولامنجاه منه إلا الله

وذكر النوع الثالث من العذاب وهو التفريق التام وهذا إنما يكون عندما ينتقل القرار الي غير أهله ويذهب المعروف ويكرر المنكر قال تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون)

والخلاصة :-

إن الخطاب تهديد للمشركين ومفادها غير الصريح صالح للمشركين والمومنين لأن قدره الله علي ذلك صالحه للفريقين ولكن المعني بالتهديد غير مناسب للمسلمين هنا ولهذا فإن استعاذه الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذهب بعض العلماء هي استعاذه أن يقع للمسلمين مثل ذلك أو أن الله اوحى لنبيه أن ذلك يقع للمسلمين لكن الله وعده أن لايسلط عليهم عدوا من غير أنفسهم وليست الاستعاذه تدل أنها خطاب للمسلمين في زمن الرساله وان كان مافيها صالح أن يخاطب فيها المسلمين ويجوز أن استعاذه الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك خشيه ان يعم العذاب اذا نزل علي الكافرين من هم بجوارهم من المسلمين قال تعالى (واتقوا فتنه لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصة)

وفي الحديث قالوا يارسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وفي الحديث ايضا أنه قال عليه الصلاة والسلام (ثم يحشرون علي نياتهم

الموضوع الثالث

ذكرت الايه النوع الثالث من العذاب (اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض)

وهنا لابد اننا امام عذاب يعم الجميع وهو ما يدعوننا الي التساؤل ماهي صورته هذا العذاب ومن هم اطراف الفتنة ..ومتى يكون حصول هذا العذاب وكيف يكون الخلاص من هذه الفتنة

(صورته هذا العذاب)

يخبرنا الحق أن صورته هذا العذاب فتنة تستر الحقائق بما تلبسها من لبس فلا يراها فتعكر صفو العلاقات التي تربط تجمع الناس الذين تقوم علاقاتهم وفقا لنظام معين سواء في العلاقات الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية أو القيم والمبادئ التي تنظم العلاقات القائمة بينهم والتي تكون قابله للتغيير سلبا بسبب الذنوب و المعاصي والابتعاد عن منهج الله فيكون التفرق والاختلاف والانقسام في المجتمع فقال تعالي (أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض)

وكلمه يلبسكم مضارع ليبسه بالتحريك اي خلطه وفعل يلبسكم يعود إلي ضمير الأشخاص بتقدير اختلاط أمرهم واضطرابه ومرجه اي اضطراب شوونهم فإن استقامه الأمور تشبه انتظام السلك وبعكس ذلك اختلال الأمور و الفوضي تشبه اختلاط الاشياء ولذلك سمي مرجا ولبسا لانه يزول الأمن ويدخل الفساد في أمور الامه ولهذا يقتربن الهرج وهو القتل بالمرج وهو الخلط فيقال هم في هرج ومرج فسكون الرأء في الثانيه للمزوجه

خطوره هذه الفتنة

أنها فتنة يختلط فيها الاشياء فكلمه يلبسكم كما قلنا يخلطكم من الالتباس حيث ينقسم الناس شيئا فيكون التفريق كالغطاء الذي يستتر عن كل شيعة ماعليه الآخر من الحق وما في الاتفاق من المصلحه وكلمه شيئا اصل ماده الكلمه من ثلاثه احرف (ش ي ع) أحدها الانتشار والتفريق ومنها أشاع وشاع الاخبار وطرات نفسه شعاعا ومن هنا عرف لفظ (شيع) بأنه جمع لكلمه شيعة والتي تعني جماعه متحده علي غرض أو فكره أو عقيدته او هوي فهم متفقون عليه والله يقول في نهايه هذه السوره (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئا لست منهم في شي) و التفريق ان كل واحده منها شيعة ومجموع ذلك شيع

(وأما العاني)

فهو الإلتباع والدعوة إليه في الاولي الإلتباع مثال تشيع المسافر وتشيع الجنازه ولهذا فإن شيعة الرجل اتباعه و المقتدون به والله يقول (وان من شيعته لابراهيم) اي من اتباع نوح عليه السلام

وأما الدعوة اليه كما يقال أشاع الإبل اي دعاءها اذا استأخر بعضها ليتبع بعضها بعضا

وثالثها التقويه فيقال شيع النار اذا القي عليها حطب فانه يزيد لهيبها

ومن هنا نفهم أن نصب شيئا علي الحال من الضمير المنصوب في يلبسكم ..لأن تعدد الآراء اشد في اللبس و الخلط لان اللبس الواقع لبس لايرجي بعده انتظام ولهذا عطف عليها قوله (ويذيق بعضكم بأس بعض)

لأن من عواقب ذلك اللبس التقاتل فالباس هو القتل والشر قال تعالي (سراييل تقيكم باسكم) وهذا من الطبيعي أن يحدث في المجتمعات وفي كل الأوقات لأن من لوزام الطبع البشري أن يختلفوا ولأنه لا يخلو ا شعب من شعوب الأرض من دعاه تفرقه ومستغلي الصراع والذين يستغلون اختلاط الحق بالباطل ووقوع الناس في هذا اللبس مع غشاوه القلوب بسبب التعصب لما يعتقد كل طرف ويري ماهو عليه أنه الحق وان كان باطلا وارداه التغلب فدعاه التفرق ومستغلا الصراع يجدون في ذلك الأرض الخصبه لنمو مصالحهم وامتيازاتهم الذاتيه التي في حاله الوفاق تذوب وتتصهر داخل التجمع وأهدافه العليا التي يسعى الجميع للعمل علي تحقيقها ولهذا فإن الحزبيه الضيقه لاتقر الوفاق وتستغل الشعارات لتعميق فجواه الاختلاف ويحصل التسلط والتفريط بالمبدي و القيم والاستبداد وهضم الحقوق والحريات واشاعه الشر فاستعمل لفظ الاذاقه استعاره للألم وهذه الكلمه لها

إيقاعات قادره علي إيصال المعاني

(كيف يكون تجاوز هذه الفتنة)

أن أساس الفتنة كما أو ضحنا يعود إلي الانحراف عن منهج الله وعندما تتغلب علي الناس الأهواء والشهوات و
العصبيه والحزبيه

عندما يضع الناس لأنفسهم قوانين وشرائع لتنظيم احوالهم وعلاقاتهم وامورهم وبما يخالف منهج الله والقيم و
المبادئ التي حملها الاسلام

وايضا عندما يسمح لدعاه التفرقه ومستغلوا الصراع ويجب عدم السماح لمثل هذه الأصوات الشوذ من أن يكون
لها تأثير علي الحياه اذ لايستجيب لدعوه الاختلاف الا من كان لازال مشدد للماضي غير مستفد من دروسه أو
مستفيد من دروس الماضي لكنه غير مبالي

ولذلك فاللازم المسارعه الي فصل كل وضع من أوضاع الجاهليه عن واقع الامه والعوده الي منابع الايمان و
التوحيد والمفاصله والبراءه من الجاهليه وأخلاقه القبيحه وعاداتها وكل أحوالها

الموضوع الرابع

تختتم الايه بهذا التعقيب (انظر كيف نصراف الايات لعلمهم يفقهون)

تبيين اهميه تنويع الادله والأساليب والوسائل بالنسبه للداعيه في مخاطبه الآخرين وإقناعهم بما يدعوهم إليه وهنا
يقول الحق سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم (انظر كيف نصراف الايات)

اي كيف تسوق لهم انواع العظات والبراهين والاداله الواضحه نبينها ونوضحها ونفسرها لعلمهم يفهمون الحقائق
التي ندعوهم إليه لأن الفقه هو فهم الشيء بدليله المفضي الي الاعتبار والعمل به وانما يرحي تحصيله بتنوع
البيئات

المقطع التاسع من سورة الانعام

(وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نباء مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد

الذكرى مع القوم الظالمين وما علي الذين يتقون من حسابهم من شي ولكن ذكرى لعلهم يتقون

وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياه الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون ولي و
لاشفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حنيم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون)

المبحث الأول

هذه الآيات ابتدأت بقوله تعالى (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نباء مستقر وسوف
تعلمون) و

والسؤال علي من يعود الضمير في قوله تعالى (وكذب به)؟

حيث ذهب البعض الي القول إن الضمير عائدا الي العذاب في قوله تعالى (علي أن يبعث عليكم عذابا) وان
تكذيبهم به معناه تكذيبهم بأن الله يعذبهم لأجل أعراضهم والبعض ذكر أنه يعود علي القران

لأن الآيات تتحدث عن البيان العام ومقابله المشركين له كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

أن الآيات قبلها تتحدث عن البيان وأدلته في قوله تعالى (قل اني علي بينه من ربي وكذبتم به) ولهذا فإن الضمير
عائدا علي القران الكريم وما فيه من بيان عام باياته المسموعه المتلوه التي تشمل الوعيد بالعذاب في الايه (وهو
القادر علي أن يبعث عليكم عذابا) والآيات المشهوده التي هي اداله التوحيد لله باسماءه وصفاته واداله صدق ما
يخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا جاءت عطا علي جملة (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون)

وهي جملة تذييل لما قبلها من الآيات التي عرضت الادله بصوره فيها تنويع الادله والأساليب والوسائل في طريقه
محاوره المخاطبين بالدعوه الي التوحيد وبما جاءهم به القران يهدف إلي تزويدهم بالمعلومه وان يحيطوا بها
علما وأن يفهموا ما تحمله المعلومه من مدلولات يدعوه الي التفكير باياته المسموعه المتلوه وآياته المشهوده
في الكون والتي منها ما حل بالامم الغابره التي كذبت الرسل ورفضت القبول بدعوه التوحيد فقال تعالى (انظر
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) بأن ينزل المعقول منزله المحسوس بقطع العذر عنهم واقامه الحجه بعد تنويع ا
لادله والمقصود بآيات الله ايات القران

وهنا تأتي الآيات عطا علي ماسبق (وكذب به قومك وهو الحق) بأخبار الله أن المشركون بأنهم لم يفقهوا أو
فقهوا ولكنهم لم يقبلوا وكذبوا بالقران أو بالآيات التي حملها القران بالوعيد الإلهي لهم بالعذاب فقال تعالى
(وكذب به قومك) كما قال في موضع آخر (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)

وأما هنا فذكر أن المعلومه وصلت لهؤلاء فالتصريف الآيات اي تنويعها رجاء حصول الفهم لدي هؤلاء لانهم بحاجة
الي الفهم والاحاطه به علما لعلهم يتذكرون فحصل الفهم لكنهم قابلوه بالتكذيب برغم أنه الحق الذي لاغموض و
لابس فيه

الأمر الثاني

أثبتت الآية اقامه الحجه بحصول البيان العام الذي فيه اقامه الحجه علي المشركين بالاداله ولعل السامع يقول هل فقه المشركون فياتي الجواب بقوله تعالى (وكذب به قومك)

تسجيل عليهم سوء معاملتهم لمن هو من أنفسهم فلا عذر لهم كما قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)

والايه كقوله تعالى (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا الموده في القربى)

فهم ذوي قربي تربطهم علاقه القرابه بالرسول صلى الله عليه وسلم

ولهذا جاء بعدها بجمله (وهو الحق)

والحال أنهم يكذبون مع وجود البيات الواضحه فهو اي القران ومافيه من اخبار ووعيد بالعذاب الحق الثابت في ذاته فهو الدال علي من اراد معرفه ربه وطريقه الموصوله لسالكها اليه تعالى والسبب الموصول بينه تعالى وبين عبادته اذا انقطعت الأسباب وهذا فيه اقامه الحجه علي الكفار وقطع الأعذار علي المكذبين لأن مافي القران من البيان هوبيان الحق الذي يميزه عن الباطل بادالته وشواهدة واعلامه ليحقق بصر شهوده للقلب مشهود العين للمرئيات فحرموا المنفعه حرموا الوصول إلي ما ينفعهم لابتعادهم عن منهج الوحي برغم أنهم سمعوا الي آياته لكنهم لم يحصلوا علي ثمره السمع لانه لا يحصل مع اللهو واللعب والغفله والاعراض كما قال تعالى (وما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وفي هذا المقطع يقول تعالى (وذري الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياه الدنيا... الخ

فهذا السامع يخرج كمن قال للحاضر (ماذا قال أنفا اولئك الذين طبع الله علي قلوبهم)

والله قال في الابيه قبلها (لعلهم يفقهون) فأراد بهذا الوصول إلي مرتبه الافهام سماع الاذن وسماع القلب الموصول الي سماع القبول والاجابه ولهذا هنا يقول إن اجابتهم بالتكذيب فقال تعالى (وكذب به قومك)

فذكر بعدها أن هذا يعود إلي أنهم لم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به أنه كفر عناد برغم أن نفوسهم استيفت أنه الحق كما قال عن فرعون وقومه (وحجودوا بها واستيقنتها أنفسهم)

وكما قال تعالى (فلما ازغوا ازغ الله قلوبهم) فعقبوا بالضلال كما قال تعالى (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) وكما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

المبحث الثاني

أنه بعد ذكر مقابله المشركين لما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد والايمان بما جاء به الرسول من ربه فهو الحق لا بس فيه فقال تعالى (وهو الحق) يقول الحق بعدها (قل لست عليكم بوكيل)

يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبر المشركين أنه ليس بوكيل والوكيل هو الذي يدفع عن الآخرين فالوكاله في الأمور تعني حق التصرف في شؤون من يمنح هذه السلطه فهو يخبرهم أنه مبلغ عن ربه ولم يعطي القدره علي ارغامهم علي الإيمان .. وهذا فيه أهم قواعد التصور الإسلامي في الدعوه الاسلاميه

المفهوم الاول

بيان أن قاعده كمال الاهتداء الهدايه الخاصه (التوفيق والسداد) إنما تكون لمن قبل بالهدايه العامه ف الله يخبرنا أنه لم يضل أحد إلا بعد حصول البيان العام فمن رفض القبول بالإيمان يعاقبهم الله بالطبع علي قلوبهم و

الحرمان من الهدايه الخاصه التي تكون مستلزمه للهدايه العامه فمن قبل البيان العام أمده الله بالعون والتوفيق و السداد وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب أما إذا لم يقبل عوقب بالحرمان فهي مقارنه لها لاتفارقه كما قال تعالى (أن تحرص علي هداهم فإن الله لا يهدي من اضل) وقال تعالى (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) فالاهتداء الأول بالقبول الهدايه العامه شرط للوصول لكمال الاهتداء التوفيق والنجاح وبالتالي فإن عدم القبول بالهداية العامه يعني الحرمان من التوفيق والسداد ولهذا يقول الله في هذه السوره للنبي صلى الله عليه وسلم (قل لست عليكم بوكيل)

المفهوم الثاني

يخبر الله نبيه أن مهمه الدعوه وإنقاذ الناس من الفساد والهلاك من أعظم المهام وعلي الداعيه أن يكون اهلا لهذه المسؤوليه عارفا وعالما بما يدعو إليه الناس من احكام الشريعه الاسلاميه وحريصا علي البلاغ لكن لا يرهق طاقاته بالتحسر علي القوم اذا لم يؤمنوا فهو ليس مكلف بارغام الناس علي الإيمان وانما عليه البلاغ

المفهوم الثالث

اعلان احترام اراده الإنسان وحريةه في الاعتقاد والفكر فالحق يقول لنبيه (قل لست عليكم بوكيل)

فأراد بهذا أن ينقل المخاطبين القاعده التي تقوم علي أساسها الدعوه الي التوحيد بأنه تعالى لا يريد أن يرغم الناس علي التوحيد وانما يريد توحيداً نابعا من اراده حره فقد جعل الله الايمان والتدين ثمره لقناعه الإنسان ودليلا علي حريه اختياره واحترام أردته وتحقيق كرامته ولهذا كان مخاطبه عقله فقال تعالى في الايه السابقه (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) ليأتي الايمان اختيارا وليس اجبارا وعتنا ولامصادره لاراده الإنسان ف الله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (لا اكراه في الدين قديبين الرشد من الغي)

ويقول (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) ويقول (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد) (ليس عليك هداهم)

ويقول تعالى علي سبيل الاستفهام الانكاري(افانت تكره الناس حتي يكونوا مومنين)

المفهوم الرابع

يامر الحق نبيه أن يخبر الناس أن الاجبار والإكراه والسيطره والتسلط أمر يناقض النبؤه فقال تعالى (قل) امره أن ينقل للناس أنه مبلغ عن ربه (لست عليكم بوكيل)

اي ليس لي سلطه ارغامكم لما كذبوا واعرضوا عن دعوته حيث كانوا يرون أنه عندما يفعلون ذلك فإنهم يغيظوه فاعلمهم أنه لا يغيظه ذلك وانما عليه أن يبلغ ما أمر به بالكلمه الحسنه والوكيل بمعني الرقيب أو الحفيظ المدافع وتعديته ب(علي) لتضمنه معني الغلبه والسلطه اي لست بمقيم عليكم امنعكم من التكذيب وارغامكم علي الإيمان كقوله تعالى (فإن عرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا أن عليك إلا البلاغ)

وكقوله (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد)

المبحث الثالث

بعد أن ذكرت النصوص السابقه مهمه الرسول بأنها البلاغ يقول الحق (لكل نباء مستقر وسوف تعلمون)

أنهامستأنفه استئناف بياني متعلقه بما قبلها لأن قوله (هو الحق) يعير سوالهم ليقولوا متي ينزل العذاب أو متي يكون قيام القيامه باعتبار أن الله أمر نبيه أن يذكر بالقران من يخاف وعيد فيحذرهم من عذاب يوم القيامه

فاجيبوا بقوله (لكل نباء مستقر وسوف تعلمون)

وايضا الايه متعلقه بكل اخبار القران بأن لكل ما أخبر به من أخبار حقيقه سوف تظهر وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

تقويه باعث الدين وداعيه في نفوس وقلوب المومنين بالعقه والطمأنينة التي تملأ قلوبهم ثقه بالحق وانهم علي الحق خاصه وانهم كانوا في هذه المواقف بأشد الحاجه الي قوه الصبر والتحمل في مواجهه إصرار قومهم ؛ التكذيب والعناد والجدل والخصام وقد دفعهم عنادهم واستكبارهم الي تعذيب المومنين اشد العذاب فشعورهم أنه لاقيمه ولاوزن لتكذيب القوم وان الفصل والحكم بيد الله يقوي عزائمهم ويشد الهمة واثقين ب الله ومن نصره وتحقيق وعده بالعز والتمكين لاوليائه وهزيمه اعدائه فأخبرهم الله أن لا يستعجلوا الثمره قبل حلول موعد أوانها فأخبر أن لكل شي موعد يحصل به فأراد بهذا أن يفوض المومنون زمانه الي علم الله تعالى وان يتحركوا بنقه المومن الواثق من نصر الله

الأمر الثاني

كما أن الايه فيها تهديد للمشركين والمكذبيين فأخبرهم الله أن لكل حقيقه زمان وقوع تظهر فيه حقيقته

حقيقه تظهر بها كذب امانى الدنيا وتشاهدون العذاب واستعمل لفظ مستقر وهو وقت الاستقرار وهو اسم زمان وصيغ بوزن اسم المفعول كما هو قياس صوغ اسم الزمان المشتق من غير الثلاثي

والاستقرار بمعني الحصول اي لكل موعود به وقت يحصل فيه وهذا فيه الوعيد كما قال تعالى (ولتعلمن نباءه بعد حين) وكما قال (لكل اجل كتاب)

الأمر الثالث

أن الايات تبين أن ما أخبر به القران الكريم سواء فيما متعلق بالعذاب في الدنيا ونصره الحق واظهاره أو العذاب ؛ الاخره فهذا له موعد محدد يحصل ولفظ الاستقرار يعني الثبات الذي لا تحول فيه زمانا ومكانا وعطف عليها جملة (وسوف تعلمون)

فهم لم يكونوا يعلمونه في وقت نزول الايه فأخبرهم أنهم سوف يعلمونه في المستقبل عند حلوله بكم فإذا كان المراد به العذاب في الدنيا فقد حدث هذا في بدر واذا كان متعلق بحقيقه اظهار الشواهد والأدلة المطابقه لما جاء في القرآن من اخبار الذي يظهر صدقه كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق)

فقد جعل الله لذلك زمن يحصل فيه وسوف تعلمون عند وقوعه أما الآن فحسبكم هذه الشواهد فهي مطابقه لما يحتاجون من الادله فجعل المستقر بمعني الاستقرار فمعناه لكل نباء من أنباء القران استقرار اي وقوع ثابتا لا بد منه وفي أنباء القران ما هو خاص بالقوم في زمن الرساله وفيه ما هو في غيرهم اي لمن يأتي بعدهم من الناس

وايضا فيه بيان أنه عند قيام القيامه ويكون العلم اليقين سوف تعلمون ايه المكذبون صحه ما أخبركم به من وعيد وتعلمون ما كان منكم في الدنيا عندما ترون الاخره كما قال تعالى (عم يتساءلون عن النباء العظيم الذي فيه مختلفون كلا سيعلمون ... الخ

ثانيا

نلاحظ أنه بعد أن تناولت النصوص في الايه الكريمه السابقه مواقف اهل مكه من الدعوه برغم الادله الواضحه

وأخبر رسوله أن يخبرهم أنه ليس مكلف بإرغام الناس علي الإيمان وإنما دعوتهم الي الإيمان واقامه الحجة بالاد اله والبراهين عن طريق الحوار المفضي الي الاقتناع الذي يكون ثمرته الإيمان وهنا تنتقل النصوص الي توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لكل مومن فقال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)

المبحث الأول

اول ما يلفت الإنتباه أنه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يجالس مع الذين يخوضون في آيات الله مع أنه تعالى أمر نبيه أن يدعو إلي توحيدة ويقوم بالبلاغ بالحوار الذي يولد الاقتناع كما ذكرنا فكيف يأمره هنا باعتزال القوم أليس في ذلك تعطيل مبدأ البلاغ

الجواب :-

أن الايه تبين أن الأمر بالاعراض هو عن قوم اي جماعه منهم فالآيات وردت عطفًا علي قوله (وكذب به قومك) فعموم القوم كذبوا وانكروا دون أن يخوضوا في الآيات القران أما القسم الثاني فهم الذين كانوا أشد ايذاء وقدح في القران واشد كفرا واشنع تعذيبا لضعفاء المسلمين ولهذا كان العدول عن الإتيان بالضمير الي الإتيان بالاسم الظاهر وهو الاسم الموصول فلم يقل واذا رأيتمهم فأعرض عنهم فدل هذا أن الذين يخوضون في الآيات هم فريق خاص من القوم الذين كذبوا بالقران وبالعذاب

فهؤلاء هم الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم وترك مجالسهم فلو أمر الرسول بالاعراض عن جميع المكذبين لتعطلت الدعوه والتبليغ فالآيات

المبحث الثاني

كيف يكون الأمر بعدم مجالسه هؤلاء والكف عن دعوتهم ونحن نعلم أن التذكير هو لكل الناس فما الداعي لهذا التقيد ؟

الجواب :-

لاشك أن التذكير يعم الكافر والمومن دون استثناء ف الله أمرنا بالتذكير مطلقا فقال تعالى (فذكر إنما أنت مذكر) واخيرا الله في هذه الآيات أنه نوع الاداله والبراهين التي يحصل بها التذكير بما يحصل حضور العرفان والإيمان ب الله واليوم الآخر والنبي وما انزل معه اذا حصل الفقه فقال (لعلهم يفقهون) ومحل الفقه هو القلب والقلب له ثلاثه ضروب الاول التفكير في عظمه الله وجلاله وكماله وعظمته وجبروته وقهره من خلال التفكير في آياته وانعامه بما يوجب الإيمان بوحديته وربوبيته وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك

وهذا الضرب من أعظم الذكر واجلها وأفضلها وانفعها لانه يتوصل الي معرفه الحق ليكون بنا العقائد علي نتيجته هذا التفكير ولهذا فإن الضرب الثاني / هو العقد الجازم بعقائد الإيمان ب الله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره عقد من فهم صحيح وإدراك راسخ باليقين بمقتضيات تلك العقائد ليكون اطمئنان القلب وأما الذكر الثالث فهو استحضار وجود الله وعظمته وما يستحقه من القيام بحقه عند كل فعل أو ترك ولا يكون هذا الاستحضار الا اذا رسخت العقيدة ودامت الفكره ولهذا قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل

فتبين الآيات إن الداعيه الي الحق لا بد أن يجد في طريقه معارضه ودعاه الباطل ولا بد أن يلقي مشاغبين بأسنتهم والاذي وآثاره الشبهات وهنا لا بد أن ترد أباطليهم وتدحض شبههم وهذا هو جدالهم الذي أمر الله به نبيه كما قال تعالى في موضع آخر(وجدالهم بالتي هي أحسن) وأخبر الله نبيه أن عموم القوم كذبوا وانكروا الحق

الواضح فهذا هو الجدل الذي أمر الله به ولهذا قال تعالى بعدها (قل لست عليكم بوكيل)

أي أن ماكلفت به من التذكير بما تعرفونه قد حصل لكن السيطرة لا تكون على القلوب والإيمان من أعمال القلب و لا يكون بالإكراه وإنما بذكر الحج والاداله وكذلك هي سنه المرسلين في الدعوه كما قصها القران ولهذا قال تعالى بعدها (لكل نباء مستقر وسوف تعلمون)

أشاره الي الموعظه التي يكون بها التذكير بأنها تكون بأيام الله واليوم الآخر لكن هنالك قيود تأسر القلوب وتحجب عنها الرؤيه عن الدلائل فيكون كفرها عنادا وجحود وعصيان وطغيان فالعله من النهي عن الجدل مع هولاء الفريق يعود إلى حاله الانغلاق في الرأي لديهم التي شكلت قيود واغلال تأسر القلب وتحجب عنها الرؤيه لما الدلائل والبراهين التي تدل على حقيقه ما يوعظهم به القرآن بل إنهم عندما لا يجدون في تأييد باطلهم أي حجه الا الكلمات الباطله فإنهم يلجأون إليها للتمويه وكذلك الكلمات القبيحه البذئيه فيتخذون منها سلاحا فهم لا يسلكون في مجادلتهم الا الطريق الملتويه فالخوض حقيقه الدخول في الماء مشيا بالرجلين دون سباحه ثم استعير للتصرف الذي فيه كلفه أو عنت

جاء النهي عن مجادلتهم فقال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما...الخ

المفهوم الاول

تربيته المومنين على شروط الحوار فعليك أن تعرف أن الحوار يعني المناقشه والمناظره الذي لا يمنع من الاقتناع والاقتناع والاستعداد للفهم بغير تعصب في نطاق الاحترام المتبادل والحرية الفكرية...أن يكون هنالك رغبه في البحث عن الحقيقه رغبه صادقه في محاوله اكتشافها وارده قادره على الاعتراف بالحقيقه ليكون العبور الي المستقبل أما هولاء فهم ليس لديهم استعداد القبول بالحق ولا قدره للاعتراف بالحق وهذا يتطلب وجود انفتاح ب الربعي بعيدا عن أجواء التوتر الفكري والنفسي والعقلي بعيدا عن حاله الانغلاق بالرأي التي تؤدي الي مزيدا من الاختلاف لأن الجدل بنظر هولاء هو من أجل الوصول الي اظهار جانبه وان كان على الباطل أنه ناتج عن اراده التغلب وليس حوار يهدف إلى معرفه الحقيقه والوصول الي اتفاق يجتمع فيه المتحاورين على هذه الحقيقه

المفهوم الثاني

التحذير من الجدل مع هولاء القوم الذي صارت الخصومه لهم خلقا فقد أخبرنا الله أنهم يندفعون معها ولا يباليون بـ الحق فقال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) فمن كان غرضه المدافعه والمغالبه لايهمه حق أو باطل فهذا لا يجد سلاحا يستخدمه في دحض الحق الا الكلمات الباطله والقبيحه والبذئيه والتهكم بآيات الله والسخرية والاساليب الملتويه فقال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا)

والخوض حقيقه الدخول في الماء مشيا بالرجلين دون سباحه ثم استعير للتصرف الذي فيه كلفه أو عنت كما استعير للتعسف وهو المشي في الرمل واستعير الخوض أيضا للكلام الذي فيه تكلف الكذب والباطل لانه يتكلف له فاعله كما قال تعالى (ويجدل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) وقال تعالى (ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون)

وقال الراغب أن أكثر ماورد في القران مما يذم الشرع يخوضون في آياتنا فقال تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) وقال تعالى (ذرهم في خوضهم يلعبون) فمعني الخوض في آياتنا يتكلمون فيها بالباطل والاستهزاء

فأمر الله نبيه أن يتجنب استعمال كلماتهم الباطله والقبيحه وطريقهم واساليبهم الملتويه فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه والمومنين من بعده وهم يدعون الناس الي الايمان أن يلتزموا بأداب الاسلام في الحوار بحيث يكون

الدفاع عن الحق بالكلمه الطيبه وان يسلك طريق الرفق والوقار دون فحش ولا طيش فاخبرنا الله أن الجدل إنما يكون بالتي

هي أحسن ف الله

وهولاء قد خرجوا عن اداب الحوار الذي يوحى بجو التسامح والرغبه الصادقه في إظهار الحق واتباعه والملاطفه في الحديث وهولاء اتخذوا من الحوار وسيله للاسائه لدين الله وآياته

المفهوم الثالث

أن الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالاعراض هو استثنائي فالرسول صلى الله عليه وسلم في الأصل مأمور أن يعرض دعوته علي الناس ولهذا جاء تعريف هولاء بالاسم الموصول فقال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون) ولم يقل الخائضين أو قوما خائضين) لأن الموصول فيه ايحاء الي وجه الأمر بالاعراض لانه أمر غريب ان يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور بعرض الدعوه علي الناس كمبدأ أساسي فأمره الله هنا بالاعراض عن فريق وهو ما يحتاج الي توجيهه وذلك هو التعليل الذي أفاده الاسم الموصول وصلته اي فأعرض عنهم لانهم يخوضون في اياتينا

لأن هولاء ليس لديهم استعداد للقبول بالحق فالاتصال معهم في هذا الجانب ومخاطبتهم لا يولد اقتناع بالافكار الجديده لأن الحوار إنما ينتفع به من كان باحثا عن الحقيقه وقابلا لها وصادقا فلا تجد في كلامه كذبا ولا تلبيسا و لا ادعاء مجرد ولا التواء في دعوته ولا تناقض ولا اضطراب أما الكاذب فهو الذي يلقي ادعاءت مجردة وهو لا يتردد أن يستدل بكل ما يصل الي يده وان كانت اشاعات لا دليل لها كما يقوم بتشويه المعلومات المتاحه حين لا تناسب رغباته فلا يكون للاتصال تقدم الفكر لديه ولهذا استعمل للتعبير عنهم لفظ يخوضون والخوض هنا المشي علي الرجلين في الماء دون السباحه ومعلوم أن هكذا شخص لا يدري اين يضع قدمه فربما وقع في هواه أو صخره فهو يسير في غير طريق واضح المعالم لايري أمامه فهو خوض بدون اهتداء ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم با لاعراض عنهم (حتي يخوضوا في حديث غيره.) والاعراض بترك المجالس أو صرف الوجه عنهم الي الجهه الأخرى وهذا نوع من التذكير الفعلي

وفائده الاعراض هو زجرهم وقطع الجدل معهم لعلمهم يرجعون عن عنادهم وكلمه (حتي) غايه للاعراض لانه اعراض فيه توقيف دعوتهم زمانا أوجه الحق روعي مصلحه أخرى هي الدعوه ف الله أمر بالدعوه والجدل ب الوجه الحسن في عرض الاداله. والمواعظ فقال تعالى (وجدالهم بالتي هي أحسن) فكلاهما واجب على المسلمين أن يقوموا بهما وان الواجب أن يدعوا الناس بالحكمه وان يدافع عن الحق لكن بالتي هي أحسن غير أن الدعوه بوجهها والجدل ليسا بمنزله واحده في القصد والدوام فإن المقصود بالذات هو الدعوه أما الجدل فهو غير مقصود بالذات فالدعوه بوجهها أمر قائم ودائم وأما الجدل إنما يكون عند وجود ما يقتضيه ولهذا كانت الدعوه محمودة في كل حال أما الجدل فهو مذموم في بعض الأحوال وذلك متي استعمل عند عدم الحاجه اليه أو في الوقت الذي يكون استعماله سببا للفساد والفتنه فلا يضر الدعوه في مثل هذه الأحوال أن تتوقف زمانا فإذا زال موجب ذلك عادت محاوله هدايتهم وبذلك تحقق المصلحه ولهذا عبر عن السماح بالجلوس معهم بشرط أن يكون انتقالهم الي حديث آخر بالخوض لانهم الا فيما لاجدوي منه من أمور الجاهليه ولهذا استعمل المغايره (غيره) كصفه للحديث والضمير المضاف إليه عائدا الي الخوض باعتبار كونه حديثا حسبما اقتضاء وصف حديث بأنه غيره

المبحث الثالث

أنه تعالي عطف حاله النسيان علي الأمر بالاعراض فقال تعالي (وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)

وهذا العطف يعني زياده تأكيد الأمر بالأعراض والسؤال كيف يسند الانساء الي الشيطان ونحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم من وسوسه الشيطان ؟

الجواب :-

عليك أن تعلم أن هذا الإسناد لايعني انه من وسوسه الشيطان في أعمال الإنسان لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كما نعلم معصوم من وسوسه الشيطان وقد شق صدره وأخرج منه حظ الشيطان

وانما المراد بهذا الإسناد بيان أن النسيان من آثار الخليقه التي جعل الله منها حظا كما ورد بأن التناؤب من الشيطان

فالنسيان من الأعراض البشريه الجائزه علي الانبياء في غير تبليغ ما أمرهم الله بتبليغه وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما أنا بشر مثلكم انسي كما تنسون فإذا نسيت فذكروني) عندما نسي في صلاه رباعيه وصلي ركعتين

وكذلك قول ايوب (اني مسني الشيطان بنصب)

فالمراد بها الأعراض البشريه الجائزه علي الانبياء وهي التي لاتخل بالتبليغ ولاتوقع في معصيه فالله عصمهم من ذلك وقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم راي ليله القدر فخرج ليعلم الناس فتلاحي رجالان فرفعت فإن التلاحي من عمل الشيطان فلم يكن يستطيع رفع ليله القدر بنفسه فوسوس بالتلاحي

والخلاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الوسوسة وأما ما دونها مثل الانساء والنزع فلا يلزم أن يعصم منه فالوسوسة آثارها وجوديه أما الانساء والنزع آثارها عدميه وهي الذهول والشغل ونحو ذلك (تلخيص هذا من كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور باختصار)

وقد أمر الله نبيه أنه إذا تذكر فعليه أن ينهض ولايجلس مع القوم الذين وصفهم بأنهم ظالمين والقوم الظالمين هم الذين يخوضون في آيات الله ووصفهم بالظلم لأن خوضهم في آيات الله ظلم فعلم أنه خوض إنكار للحق

ثانيا

(وما علي الذين يتقون من حسابهم من شي ولكن ذكري لعلمهم يتقون)

تعددت اراء المفسرين بشأن هذه الايه والحقيقه أنها تتقي جميعا حول بيان الأصل الذي بينوا به طريقهم من خلال التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق وتقديم العلم علي حظوظ النفس والاستغناء ب الله عن جميع خلقه

الأمر الأول

ان الحق يريد من المومنين تجسيد مبدأ الاستغناء ب الله عن جميع خلقه ولهذا يأمرهم الله باعلان البراءه من المشركين ومن كل أفعال الجاهليه فلا تعايش مع الشرك والجاهليه ولماهدنه ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالبراءه والمباينه والمفاصله من الشرك ومن أفعال المشركين وعبادتهم كما أمره أن يدعوهم الي الله وتنزيهه تعالي لانهم كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق والرزق ولكنهم يشركون معه اوثانا فكان براءته من المشركين بما يظهر عدم قبوله بعقيدتهم وأحوالهم وماهم عليه من الشرك فالمباينه والبراءه لازمه من كل كفر ولما كانت هذه المباينه والبراءه داخله في الدعوه الي الله وتنزيهه تعالي فالمسلمون المتبعون لدين الله كما يدعون الي الله علي بصيره وينزهونه من الشرك يباينون المشركون في عقائدهم وأحوالهم ويتبروان منهم ومن الشرك بجميع

احواله فالآيات ترسم للمومنين ملامح الثقافه التي تقوم علي أساسها الحضاره الاسلاميه وطابعها الذي تعرف به بما يميزها عن سواه فالايه توحى أن المومنون كانوا في خوف من أن يطالهم العذاب الذي توعد الله به المشركين في قوله (وهو القادر علي أن يبعث عليكم عذابا) لما بينهم من صله النسب والوطن فخافوا من تبعيه اعمال المكذبين وهذا يرسم لنا الباعث وهو التقوي الناتج عن العمل بالعلم فجاءت النصوص مقررته اختلاف التبعية واخذ لاف المصير بين المتقين والمشركين يخبرهم أن لا قيمه للانساب والأجناس الا بالتقوي فأنتم امه المتقين وهم امه المشركين وليس هنالك تبعيه تلحق بالمتقين جراء كفر المشركين فليس علي امه المتقين شي من تبعه الظالمين وحسابهم وانما عليكم تذكيرهم رجاء أن يتقوا مثلكم وينضموا اليكم والا فلا مشاركه بينكم وبينهم

الأمر الثاني

ترسم لنا الآيات صورته لتلقي الصحابه الآيات القرآنية وتأثيرها على نفوسهم فعندما أمرهم الله بالمفاصله وإعلان البراءه من الشرك وأهله وان لا يجلسوا في مجالس يستهزئ فيها بآيات الله و أن يكثروا من الذكر والتحري له و الحرص عليه فواجب التحرز من النسيان قدر الإمكان كما ذكر الله في الايه السابقه (وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) فقد نفذ المسلمون الأمر لدرجه أنهم وجدوا مشقه في اجتناب مجالس المشركين من كثرة الحرص علي تنفيذ أمر الله فذكر أن المسلمون كانوا إذا سمعوا استهزاء بآيات الله قاموا ويتركون مجالسهم فشق عليهم الأمر فقالوا لم نعد نستطيع أن نجلي في المسجد الحرام ونطوف بالبيت لانهم يخوضون في آيات الله اي المشركين فأنزل الله تعالى الايه فيها الرخصه لهم فقال تعالى (وما علي الذين يتقون من حسابهم من شي ولكن ذكري لعلمهم يتقون)

اي ليس عليكم شي من الإثم الناتج عن جرائم المشركين عندما يخوضون في آيات الله أن اعرضتم عنهم دون أن تتركوا المجلس ولكن عليكم أن تذكروهم وتمنعوهم قدر المستطاع إن أمكن والتذكير

هنا بإظهار كراهية ذلك

الأمر الثالث

يريد الحق تربيته الشعور والإحساس بالغيره علي دين الله وعدم القبول بالباطل وان نراقب الله فلا نسمح لأحد أن يستهزئ ديننا وان نشعر أننا مسؤولون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالصحابه رضوان الله عليهم عندما نزلت الايه كانوا يعيشون اوقات صعبه من

ابتدأت الايه بنفي تعبیه المتقين عن آثام الظالمين الذي يخوضون في آيات اذا هم جلسوا ولم يتركوا المكان فذكرت الباعث الذي ولد الاشفاق فيهم فتصورا أنه يمكن أن يلحق بهم العذاب بأن ذلك يعود إلى التقوي الناتج عن العلم والفهم والإدراك الورد في قوله (لعلمهم يفقهون) وايضا شعورهم بما يجب عليهم للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانوا يشعرون بالغيره علي دينهم ولو نظرنا لحالهم في هذا الوقت زمن نزول الايه نجد أنهم كانوا يعيشون اوقات صعبه يتجرعون مراره الاضطهاد لكنهم لديهم احساس بالمسؤولية عن إنكار المنكر وايضا احساس بل بعواقب الاستهزاء بالدين وبالآيات الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فقد كانوا يريدون منع الظالمين من الخوض في آيات الله كان لديهم رغبه ملحه في أن يترك القوم العناد والعصبيه ولديهم غيره علي دين الله لا يقبلون أن يتم الاساءه إليه وفاخبرهم الله أنه لا رجاء فيهم ولاغضاضه علي أهل التقوي في ذلك فليس عليهم تبعات فالايه جاء فيها عفوا باعذار المومنين لما يطرق اسماعهم عن غير قعود مع الظالمين فنحن نسمع اليوم مكبرات الصوت التي يكون منها ما هو خوض في آيات الله بالتفسير الذي يخالف حقيقته النصوص ولا نستطيع أن نمنع ذلك لاننا مغلوب علينا فهل علينا إثم ام حالتنا مثل ما كان عليه الصحابة في بدايه البعته فلم يفرض المقاطعه لأن المسلمون في ضعف وجاء بعدها بالاستدراك (ولكن ذكري لعلمهم يتقون)

ليس عليكم الا التذكير فما هي حقيقة التذكير:

يكون بالقول الذي تذكر به غيرك ما كان ناسيا أو غافلا عنه ويقوم بالفعل والسمات ولهذا فإن الحق يربي المؤمنين علي الثلاثة الأنواع فيقول إن عليك أن تنكر المنكر بأي صورته تظهر انكارك وكراهيتك له

فيصح بالقول أو بالاعراض أو بالسمات الاخلاق أن تتجنب الكلمات الباطله والقبیحه والبذئيه والأساليب الملتوية التي يلجأ إليها أهل الباطل فاخبرنا الله أن الواجب علينا عدم التعايش مع المنكر ولهذا فإن الالتفات الي الجبهه الأخرى عندما تسمع من يخوض في آيات تعد من أنواع التذكير لأن في مثل هذه الأوقات يكون الخائضون طالبين لانتصاته ولهذا فإن الالتفات للجبهه الأخرى يقوم بالفرض المطلوب

طالما انكم اديتم واجبكم بالتذكير فانه موجب للإيمان إذا زال المانع

وقوله (لعلهم يتقون) لبيان اهميه التذكير وأنه له أصل في الفطره السليمه فهي تعرف ربها إذا زال المانع والناس بحاجه الي التذكير لأن في ذلك سعادتهم الحقيقه وزكاه نفوسهم واناره عقولهم ليجدوا الطمأنينه فالحق يقول رجا أن يتفكرون في منطق الحق ويخشون الله ويبعدون أنفسهم عن الباطل وهذا إنما يكون بذكر القلب الذي يحصل إيقاظ الفطره فتعرف ربها ثم تنتقل الي تذوق حلاوه الايمان باليقين الجازم فتكون لها ارده قادره علي امتثال أمر الله لتصل الي استحضر عظمه الخالق سبحانه وتعالى فتكون عابده لله شاعره أنه يراها ولهذا استعمل اداه الترجي لعلهم لتصوير حالهم اذا استقامت قلوبهم وخلصت من الشر والجحود وهو أن يرجي إيمانهم لكن عقولهم مغلوله مقيدده بقيود الأهواء محجوبه تحجبها غفلتها عن رويه الدلائل والبراهين فلا تراها من الجحود والطغيان والكفر والعصيان التي تمنع خروجهم من تلك القيود فذكر القلب فكر واعتقاد واستحضر ولهذا خص بذكر القلب فقال لعلهم يتقون والتقوي محلها القلب

الأمر الرابع

تبين النصوص اهميه مجالسه الصالحين فإثار العلم تطلب من زاده العلم خشيه والعمل بصيره والعقل معرفه اسلك منهجهم فإن حجبك عن منهجهم حاجب فارجع بالذم علي نفسك والذكر يزيل قساوه القلب لانه تسكن نفوسهم الي ما في فطرتها بالاطمئنان الي الله يقينا فالمومن يبتعد عن الجدل في الدين فهو يولد النفره والكرامه ويسبب اليحاش بين المتحابين فضلا عن غيرهما فينبغي اجتنابه والبعد عنه فالله يقول (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا س لاما) فمجالسه المحبين الصالحين الصادقين والتقاط اطايب ثمرات كلامهم فهم يتوصون بالحق ويتوصون بالصبر

(ثالثا)

تمضي سياق النصوص في توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بحدود مخالطه المشركين وهو خطاب للمؤمنين لكن هنا النصوص تأتي بتوجيهات مختلفه عن ما سبق بشأن الذين يخوضون في آيات الله وانما هو توجيه ابتداء بفعل الأمر (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياه الدنيا) وهذا فيه

وابتداء بفعل الأمر (ذر) هذا الفعل ليس له ماضي ولا مصدر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول

ومعني هذا الفعل اترك اي لاتخالط وهو هنا مجازا يعني لاتهتم ولا تكثر ولا تبالي بشأن الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا كما قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا) وكما قال (ذرني ومن يكذب بهذا الحديث)

ثم بين من هولاء المأمور الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أمر لكل مسلم أن يدعهم ولا يهتم بأمرهم فقال تعالى (الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياه الدنيا) وهذا فيه عده امور

الأمر الأول

ما هو المراد بالدين المضاف إليهم في الآية الكريمة ؟

ذهب البعض للقول إن الدين هو الاسلام باعتبار أنه دين للبشرية ...

وذهب البعض أن المراد به الملة التي هم عليها باعتبار أن ما يعدينون به وينتحلون به ويعتبرونه أنه يقربهم الي الله زلفي ...

والحقيقه ان الايه تتحدث عن الدين الذي خلق عليه الإنسان وهو أن الله خلق الإنسان علي الاسلام ومن أجل الاس لام وأنه تعالى قد أودع الاسلام فطره الإنسان فقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فهو الدين الذي يكفل المعرفة الربانية وعباده الله علي احسن وجه ولهذا فمهمه الرسل هو إيقاظ الفطره وتذكيره لاتغييرها أو تحويلها و التذكير إنما يكون له أثرا اذا كانت الفطره سليمه والقلب سليم ولهذا قال تعالى (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا)

فاخبرنا أن الايات الكونيه المشاهده ذكر لأنها تحدث الذكر في القلب كما تحدث آياته المتلوه التي في القران للذكر فإخبرنا أنه كما لم يكن لهم ذكرا في قلوبهم من الايات المتلوه لانهم كانوا لا يستطيعون سمعا كذلك كانت الايات المرئيه لأن أعينهم في غطاء فذكر القلب كما قلنا إنه فكر واعتقاد واستحضر ف الله أراد أن ينهك الإنسان بجميع ما يملك من قواه في عباده الله ومحبه وطاعته وقد وهب له الخالق من القوي ما يلائم مقتضيات الاسلام

فلو أزيلت الاغطييه والاهواء عن الإنسان فإن الفطره تعرف ربها والغايه التي خلقت لأجلها ف الله قدر لحياه الإنسان غايه معينه واعطاءه من الملكات ما يحقق به تلك الغايه وهي عباده الله ومعرفته وتوحيده وعبادته ومحبهه والفناء فيه تعالى ومن ذلك أنه أودع الاسلام فطره الإنسان وهو ما يدفع الإنسان الي البحث الفطري عن ربها تريد ان تعرفه وتعبدته وتحبه فإذا لم تصل إليه فإنها تصنع لنفسه أهدافا لاتتجاوز الجري وراء الاغراض الدنيوية وا لأمانى الكاذبه ولايجد السعاده التي تبحث عنها الفطره اذا لم تتصل بربها ولذلك فإنها تصنع لذاتها الهه تعبدها من دون الله وتضع لنفسها نظام حياه يفتقر الي الجديه لاضوابط له وانما هو مجموع اشياء من اللعب والله و اوثان وطقوس فهذا تغير للفطره التي خلق عليه الإنسان

فالايه فيها قطع الامل في هدايتهم لأن هولاء قد تصوروا أن الجاه والسلطان والمال والقوه هي التي تلي ما تبحث عنه الفطره من محبوبها ومعبودها الحقيقي فعبّر عن ذلك باللعب وهو كل عمل يشغل النفس وينفرها عما تنتفع به والله و صرفها من الجد الي الهزل وغرثهم الدنيا بان ظنوا أن مافيها من مال أو جاه فيه السعاده وهذا يظل باحنا عن الذات العليا وعن السعاده ولايجدها

فهذا هو الدين الذي سلكوه وجعلوه طريقا ونظام حياه لهم حيث أن هولاء أغلقوا منافذ الاتصال ب الله فلا فائدة ترجي منهم

الأمر الثاني

يريد الحق أن يفهم المومن معني الوجود وهو معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده وهذا إنما يكون بالاستسلام لله الذي يتفق مع الفطره التي خلق الله عليها الإنسان فجميع أعضائه وملكاته خلقت لمعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده فلا يجد الإنسان السعاده الا بان يتصل كل عضو من أعضائه وكل ملكه من ملكاته ب الله ولهذا ترسم لنا الايات إن هنالك ثمه صراع بين باعث الدين (والفطره) وبعث الهوي فإخبرنا الحق أن هولاء لم يقابلوا باعث الفطره بالجد والاجتهاد فغلبهم باعث الهوي الذي اسقط منازعه باعث الدين المغروس في الفطره بالكلية لانهم قابلوا باعث وسلطان الدين باللعب بأشغال النفس عن معبودها الحقيقي الي الأصنام والاوثان و صرفها عما ينفعها من التوحيد الي الشرك كما قال تعالى (وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام الا مكاء وتصديه) قابلوا باعث الدين المغروس في الفطره ب الله و صرفها عن الجد الي الهزل ترسم لنا الايه الكريمة صورته موثره عندما

يتغلب باعث الهوى علي باعث الدين عندما يسقط منازعه باعث الدين بالكلية امام الهوى حيث يستسلم لسلطان الشيطان يقوده حيث شاء بل إنه يرتقي في مراتب الكفر ليكون قائدا للشيطان وجنوده في معركة الباطل ضد الحق يسعى الي ابطال ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه بالتصدي للحق كما أخبرنا الله في الايه السابقه عن فريق منهم فقال (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا..الخ

فجاء هنا بحكم يرسم حال أصناف هولاء الكفار الذين تغلب فيهم باعث الهوى علي باعث الدين واسقطه فوصفهم بأنهم اتخذوا دينهم للإشارة الي أن نتيجه سقوط باعث الدين بالكلية من نفوسهم أنهم عينوا لحياتهم أهدافا متبانيه بسبب قله الفهم أو ضعف الهمة فذكر الماجن المتلاعب الذي قطع أنفاسه بالمجون واللهو و اللعب فجعل ما يتدين به هو اتباع الهوى ولايعرف شرف زمانه وقدر وقته فذكرت الايات أن هولاء معرضون عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مقبلون علي ملذات الدنيا هذا هو هدفهم في الحياه

ولهذا فإن اضافه الدين إليهم في قوله (اتخذوا دينهم) تشير الي أنهم قد عينوا لحياتهم أهدافا متبانيه تختلف باختلاف طبائعهم لكنها لاتتجاوز الجري وراء الاغراض الدنيوية والأمانى الكاذبه فقال تعالي

(وغرتهم الحياه الدنيا)

ليبان ان هذا الانحراف الذي اسقط فيه سلطان باعث الفطره وحصل تقويه باعث الهوى إنما يصدر من المغرور المخدوع سواء كان ذلك بسبب قله الفهم أو بسبب ضعف الهمة فصارت عقولهم خاضعه لشهواتهم ولايستعمل عقله الا في دقائق الحيل التي يتوصل بها الي افضاء شهواته فعقله غائب عنه فهو مع الشيطان فهو مخدوع نتيجه ايقار الدنيا علي الدين وإيقار المعصيه علي الطاعه وإيقار الجهل علي المعصيه يفقد سلطان العقل ويصبح اسير الهوى فيكون العقل مخادع مكار يخدع صاحبه ويزين له الشر فيراه خيرا فهذا لم يراعى نعمه العقل و الفطره فشوه الفطره وجعل عقله أسيرا لعدوه فأذل سلطان الله الذي اعزهم به وشرفه وهو العقل والفطره التي عزتها بمعرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته فجعل عقله أسيرا للشيطان والهوى وتحت قهره وتصرفه وسلطانه فسلط الله عليه هواه الذي كان من حقه أن يسلط عليه فكما أذل سلطان الله وسلمه الي عدوه اذله الله وجعله مأسور للهوى والشيطان محبوس قلبه عن ربه مغلق نوافذ هدايته فقال تعالي (وذكر به أن تبسل نفس ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع

الأمر الثاني

لما أمر الحق نبيه والمؤمنون أن لايبالوا ولايهتموا بالمخدعين الذين لم يراعوا نعمه الله عليهم من نعمه العقل وسلطان الفطره التي تدعوهم الي التدين بالإسلام الذي يكفل المعرفه الربانية الصحيحه وعباده الله فهو دين الفطره ورفضوا الإذعان لسلطان العقل الذي يدلهم علي نقطه الانطلاق نحو الغايه والهدف من الوجود فالإنسان لم ياتي الي الدنيا بارداته ولا هو تاركها برضاه بالتالي فليس لهذا المخلوق أن يقرر غايه حياته من تلقاء نفسه فالذي خلقه وخلق أعضائه وملكاته هو الله وقد خلقه لعبادته ليكون له فقال تعالي (وما خلقت الانس والجن ا لايعبدون) وهذا لايتحقق الا اذا كان التسليم لله في كل أمر فتكون كل اعضاءك وملكاتك كلها ساعيه في تحقيق الغايه من وجودها وهو معرفه الله وعبادته ومحبتة وتوحيده وطاعته

وهذا لن يتحقق إلا من خلال تسليم المنهج الرباني قياده الإنسان في هذه الحياه بأن يغلب باعث الدين داعي الهوى ويقهره والخروج من أسر الهوى الي حريه الإذعان والخضوع لله تعالي لاشريك له ولهذا قال تعالي (وذكر به أن تبسل نفس ليس من دون الله ولي ولا شفيع)

وهذا فيه :-

المفهوم الاول

انه لاينطبق وصف الخلافة الا علي الإنسان المسلم ابتداء من خلق آدم حتي موت اخر ابنائه فالخلافة لاتطلق الا علي المسلم لان الأصل أن يولد الإنسان علي الفطرة ثم يكبر الطفل ويصير من حقه أن ينظر في الديانات حوله ويختار ومن اختار الاسلام صار خليفه لله في الأرض

ولهذا فان صفه الخلافة لاتطلق الا علي من اختار أن يكون خليفه وقام بواجب أمر الخلافة لانه يعرف مكانته في الوجود يعرف أنه السيد للكون الذي حوله وشرفه أن يكون اداه في يد القدره الالهيه يخضع أردته لتكون مجبوره تتحرك وفقا لاراده الله ومشئيه فهو يدرك أن شرفه إنما يكون بطاعه الله وانه اذا خرج عن طاعه الله فقد شرفه وهذا الذي يتميز به المومن ليستحق شرف لقب خليفه الله اما من حيث العبوديه فالجميع عبيد لله شاوا ام ابوا حتي اولئك الملحين والمشركين وفرعون فكلهم عبيد لله فهو تعالي خالقهم ومالكهم ولايخرجهم عن وصف أنهم عبيد لله وان أنكروا ذلك لان حقيقه أنهم عبيد لله تدق قلوبهم رغم اردتهم فهي تجري في دمهم رغم تحكهم ف العبوديه قهر وأما الخلافة فهي اختيار

ولهذا وصف الله المشركين بأنهم اتخذوا دينهم... فأراد بهذا بيان ما أشرنا سابقا الي رفضهم الاستجابه لنداء الفطرة وبالتالي فقد اختاروا نظام حياتهم مافيه العصيان والكفر وبالتالي فإن هولاء غير جديرين بأن يكونوا موصوفين بالخلافة لانهم اختار الأوثان والاصنام واللهو واللعب وقد أخبرنا الحق قبلها أنه تعالي لايتعامل مع خلقه بالجبر ولو علي الخير وأنه يقدر حريتهم ويقرر مسئوليتهم فقال (قل لست عليكم بوكيل) فهو لايفرض ا لايمان علي النفس ولايمحو الكفر من الوجود ولاينصر الدين بالخوراق ولايفني اعداؤه بالمعجزات أنه يترك النواميس تعمل عملها في الفرد والمجموع فهو يقول في موضع آخر (ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها) فالإسلام يحارب التحكم في الحريات ولا يسعى ليفرض نوعا من الاعتقاد بالقوه ولهذا يقول للرسول صلى الله عليه وسلم (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرثهم الحياه الدنيا)

المفهوم الثاني

ان العقيدة الاسلاميه تهتم في بناء الشخصية المسلمه المسؤوله التي تشعر أنها سوف تحاسب عن أفعالها وانها مرهونه ومحبوسه بما فعلت في هذه الايه ولهذا نجد أن الحق يقول (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت)

اي ذكر بالقران أو بالمنهج بالنهايه والعاقبه والهلاك لمن يرتكب المعاصي والذنوب فالنفس هي التي تحبس وتسلم صاحبها الي الهلاك

فاعمالها هي التي تجعله يرتهن ويحبس في جهنم وأنه حين تسلم الي ملائكه العذاب بسبب الجنايات التي ارتكبتها لتحبس في جهنم لاتجد من ينقذها ولا وساطه عنده ولا محسوبيه ولا فديه ولو مل الأرض ذهب فالإيمان هو الوسيله الوحيده للنجاه والأعمال الصالحه هي الرصيد النافع في هذا اليوم ولهذا فإن الآيات تبين الشعور بالمسؤولية يصون الطاقه الانسانيه لانه يحررها من الانقياد للالهه الباطله والأهواء المتبعه للإيمان صان الطاقه الانسانيه حين وجهها الي عبادته ترضي بها اشواقها الخفيه دون أن تبيع كرامه العقل أو مصالح الدنيا فقال تعالي (وذكر به أن تبسل نفس... الخ

فأراد الحق بهذا الوصول إلي أعماق النفس البعيده لتحرير النفس من الداخل من الاصنام واقتلع الجرائم التي يستتبعها المستكبرين والطغاه والمستبدون وهذا مكان لا يصل إليه إلا الدين ولهذا فإن هذا الهجوم علي الانقياد لهوي النفس والتقليد يراد منه استنهاض لحيويه الارداه الانسانيه التي يغدو بها الإنسان قوه ايجابية فعاله فاخبرنا الحق أن الذي لايشعر بالمسؤولية ويترك مافي نفسه ووعيه وعقله من شاهد علي قضيه العقيدة فإن هذا قد أثر المروق من حصانه الفطره وما كرمه الله من العقل والعلم فهو لم يلبي دعوه اعمال الفكر والتدبير والفقه وأثر المروق الي نزوات الهوي والتمرغ في مواخم الضلال

فهؤلاء عندما عينوا لحياتهم أهدافا من أنفسهم قد حطموا طاقتهم واصبحوا أسرى الهوى وعبيد فقدوا ادميتهم وحقيقه الانسانيه التي هي الحريه التي جاء الدين لتقرير هذه الحريه وتقديسها ولهذا يقول لنبيه (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرثهم الحياه الدنيا)

اترك هؤلاء الذين اتخذوا نظام حياه يتصادم مع فطره الله المغروسه في نفس الإنسان تتصادم مع نواميس الله الكونيه ومع نواميسه الشرعيه فالله يريد أن يستخلص النفس الإنسانية الحره الكريمه العزيزه فلا يرغم الناس علي الإيمان (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

ولهذا فإن الكافر يذل نفسه ويتخلي عن حريته وكرامته وعزته التي إنما تتحقق بالعبوديه لله لانه بها يحطم القيود التي تقيد حريته وتستعبده فيكون اسير الخطيئه والشهوه فقال تعالي (وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها)

اي ان الشرك والمعاصي والابتعاد عن الله هو حبس واغلال تذل الإنسان في الدنيا والآخره

الأمر الرابع

ماهو المراد بقوله تعالي (وذكر به)

هل هو القران ام العذاب الورد في قوله تعالي (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا) ام ماذا ؟

الجواب :-

القران الكريم بشكل عام وهو يشمل ما سبق ذكره لأن مافيه هو موعظه للإنسان والعذاب المشار إليه هو من الأشياء المذكورة في القران ولا فرق في ذلك وانما ذهب البعض الي تخصيص المعني بالعذاب لأن الموعظه تكون بـ التذكير بأيام الله في الأمم السابقه وبالجنه والنار وما يكون فيه من مواقف الخلق وعواقبهم ومصيرهم الي الجنه او النار ومافي الجنه من نعيم وما في النار من عذاب وبالوعد والوعيد وهذا أكثر مايقال في الموعظ ولهذا كان امتزاج الموعظه بمعني التذكير لأن الموعظه من أمور الدعوه فالله يقول (ادعو الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنه) وسماها الحسنه لان الوعظ الذي تحصل المقصود منها هي التي تؤدي الي ترقيق القلوب للحمل علي الامتثال لما فيه خير الدنيا والآخره وهذا إنما يحصل بالموعظه الحسنه بالكلمات والأمور القادره علي الوصول إلي أعماق النفس الداخليه والتأثير فيها

ولما كان الأمر متعلق بالموعظه فقد وجه الحق المومنين أن يتوجهوا بها الي من يشعر بالمسؤولية فالإنسان الذي جعل لنفسه أهدافا ضيقه وهي إشباع رغبته وشهواته فهذا يتهرب من أعباء الانسانيه ولايستعمل أدواته وملكاته استعمالها الصحيح الذي يتفق وفطره التي خلق عليها الناس ولهذا فان الايمان باليوم الاخر يحمي صاحب الفكره من مزالق التخاذل فيكون صبور علي مشقه الطاعه لانضعف همته لأن من أسباب الانحراف عن الغايه ضعف الهمة

والايه ترسم لنا حقيقه ان الايمان باليوم الاخر أنه ايمان بالمحكمه التي لا فرار منها والقاضي الذي لاتحاييل عليه (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها)هكذا تحرس العقيده

النفس التي قد تستطيع أن تتهرب من نص قانون الدنيا أو رقابه القائم عليه ولكن لايتاتي لها أن تتهرب بحال من يعلم السر واخفي ومن الحق الذي يقضي بالعدل ولهذا جاء النص بالتحذير أن تسلم النفس صاحبها الي الهلاك بما كسبت من أعمال وقال بعدها (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها)

أنه ليس لها حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من أحد ينصرها أو ينقذها من الله الذي يجازيها بذنوبها ولا تقبل

شفاعه الشفعاء وذكر بعدها (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وقوله كل عدل نصب علي المصدريه فالعدل هاهنا ليس بمعني مايفتدي به في قوله (لايؤخذ منها عدل)

بل المراد به المعني المصدرى فليس بمعني القبول وانما المقصود أن وجوه الخلاص منسده علي تلك النفس ومن أيقن بهذا كيف لاترتعد فرائضه اذا اقدام علي المعصيه وهذا ادعي لأحكام الأعمال وتجويدها فعندما توقن أن النفس المبسله في ذلك اليوم لاتجد وسيله من وسائل النجاه فان الموعظه تودي اغراضها وفي هذا ايضا ابطال لأصل من اصول الوثنيه وهو الاعتقاد بأن أعطاه الله المال والجاه والسلطان في الدنيا فهو سعيد في الاخره فجاءت الايات مبينه انه لامحابه ولاوساطه والامحسوبيه وانما الأعمال هي الرصيد

ولهذا تأتي النصوص بعدها باسم الاشاره (اولئك الذين ابلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)

اي أسلموا لعذاب الله وأخذوا بما كسبوا باتخذهم دينهم هزوا ولعبا فهم يتجرعون العذاب في نار جهنم بسبب أعمالهم القبيحه وعقائدهم الباطله واستعمل اسم الاشاره (اولئك) اشاره لهم وهم في قفص المحاكمه موقوفون و الباء في (بما كسبوا) للالصاق اي هولاء الذي اشركوا بالله واقروا بما عملوا من قبائح وقع حسابهم وهم موقوفون حتي يؤذن مؤذن الحق بالحكم الذي حكم عليهم فقال تعالى (لهم شراب من حميم وعذاب اليم)

والحميم الحار في كلام العرب لايرؤي العطش فكيف إذا كان حار ومن القيح وقد ابتدأ النص بكلمه (شراب) وهي جميله تحدث انبساط في نفس من يريد الماء فعندما يأتي بعدها بكلمه (حميم) يحدث انقباض النفس فهذا عذاب نفسي مضاعف ثم يذكر العذاب الموجه وهذا كله بسبب كفرهم المستمر في الدنيا

المقطع العاشر

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (قل اندعوا من دون الله ما لاينفعنا ولايضرنا ونرد علي اعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له اصحاب يدعونه الي الهدى ائتنا قل إن هدي الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاه واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)

اولا

نجد أن الحق سبحانه وتعالى يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم (قل) والمراد بهذا لفت الإنتباه الي اهميه ما بعده من أوامر وإلا فإن كل ماجاء به القران مأمور الرسول أن يبلغ الناس به وقد أمر الحق نبيه أن يقول للمشركين الداعين مع الله الهه أخرى والذين دعوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعبد اصنامهم يوما مقابل أن يعبدوا الله يوما (اندعوا من دون الله ما لاينفعنا ولايضرنا ونرد علي اعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران)

فتضمنت الايه الاتي

الأمر الأول

ابتدأ بإنكار اي شكل من أشكال الشرك بالله سواء بالعباده أو الاستعانه أو الدعاء أو الخضوع لغير الله بالاستفهام بالهمزه (قل اندعوا من دون الله) سواء كان ذلك ردا على مقترحات المشركين أن يعبد اصنامهم يوما مقابل أن يعبدوا الله يوما أو استنكار مبتدأ لما عليه أهل الجاهليه يربط الايه بما قبلها والتي تناولت أنهم بنوا عقيدتهم علي الخرافات ووالاوهام والأمانى الكاذبه فقد اتخذوا أولياء من دون الله أصنام وأنساب واغثروا بالأمانى الكاذبه وقد تصوروا أن الجن لها صله قرابه ونسب بالله والعياذ بالله فكانوا يلجأون الي الاستعانه بالجن وقالوا إن اله

لائكة بنات الله وصنعوا اصناما زعموا انها تماثيل لها وانها تتوسط لهم عند الله وتقربهم الي الله زلفي وانهم شفعاءهم عند الله فاخبرنا الله ان الشرك افسد فطرتهم وانهم لم ينتفعوا بالتذكير

فقال تعالي (وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون)

فهم لم يستعدوا ليوم الحساب فاستحقوا الهلاك والعذاب ولهذا فإن الايه تهدف إلي الآتي

المفهوم الاول

ان علي المومنين ان ينكروا علي انفسهم ان يأخذوا طريق المشركين وان يجعلوا في نظرهم النهايه المشؤمه التي رسمت الايه السابقه مصير المكذبين الذين ركنوا علي نصره من اسموهم الهه فلم يجدوا من ينقذهم ولا وسيله خلاص من الهلاك عليك ان تفهم ان المستقبل متوقف علي عمل الإنسان الخالص لله فمن أراد ان يطمئن علي خاتمه وحساب الأرباح والخسائر فإن هذا يبدأ بفهم معني الوجود الإنساني والغايه من وجوده فقال تعالي (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علي اعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) وان يتحرر من كافه الضغوطات القيود وان تنظر إلي النهايه للحياه ليكون هذا الفهم قد وصل إلي استحضر وجود الله وراقبته وانك سوف تحاسب علي اعمالك لتستعد لذلك اليوم فأراد الحق بهذا النداء الذي ابتداء (قل) ان يعرف المومن حقيقه معني الوجود بأنه خلق لله وحده عباده وخضوع ودعاء واستعانه وان يحذر المومنون الطريق الذي سلكه المشركون يحذرهم من الرجوع إلي الوراء بعد الايمان (ونرد علي اعقابنا بعد إذ هدانا الله) ليرسم لهم صورته قبيحه لمن يرتد عن الإيمان فيكون الذي استهوته الشياطين لبيان انه ليس ثمه عذر لهذه العوده إلي الوراء القهقري بعد هدايه الله تعالي فإن ذلك الطريق يعني البعد عن الهدايه والمشي في الظلام فالاصل ان الإنسان يسير الي الامام خطوته نحو التقدم ليصل الي الهدف والغايه لا يرجع إلي الوراء والطريق الي الله ممهده مفتوحه للعباد بلا وسطه بينهم وبين الله فهو يقول (واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوه الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي.. الخ فلا يرفض ذلك إلا فاقد عقله أسيرا للشيطان لم يفهم معني الوجود الإنساني في الأرض ولن يجد السعاده بالرجوع إلي الوراء فسعاده الإنسان وحريةه إنما تكون بربط استعلائه بالاستسلام لله الواحد القهار فقال تعالي (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاه واتقوه)

فالحريه عند المومن لم تعد صرخه بشريه ونداء فطرته فحسب أنها دينه الذي يعبد الله به ويلقاه عليه فيرضي نزعته في الانقياد والاستسلام لقوه كبري في الوقت الذي ينطلق فيه إلي أرحب الآفاق

اسلام لله... بالانطلاق في الكون

وعباده الله... بالتحرر من كل سلطان

وهكذا يكون نداء الكون هو نداء الدين ونداء الخضوع هو نداء العزه ويكون تكريم الإنسان هو وحي الله (فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون)

فيكون القران أمامه وسنه النبي صلى الله عليه وسلم طريقه فالله انزل المنهج للإنسان لتستقيم حياته وحركته مع حركه الكون فقال تعالي (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) فهذا هو الذي ينتفع بهدايه القران ينطلق من منطلق فهم معني الوجود انه خلق لعباده الله يعني فهم في تعبته الزاد والتاهب للرحيل (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع لحظه في غير قربه فالمومن لا بد أن يكون جادا ومجتهدا لا يضيع وقته باللعب واللهو ف المومن يعرف شرف عمره فيغتنم أوقاته في مرضات الله يحرصون علي الانتفاع بها وفي كل نفس من أنفاسهم ف لا يضيع ساعه من عمره بلا فائده فالعمر غنيمه وفرصه للأعمال الصالحه التي تكون رصيد في الاخره فانت من

تصنع مستقبلك بأعمالك

المفهوم الثاني

بناء عقيدة المسلم علي التميز العقدي بأن الإسلام يرفض أي شكل من أشكال التبيعه والتقليد او الاقتباس من العقائد الأخرى الضاله التي جاء الاسلام لهدمها وبيان انحرافها وزيفها ولهذا فإن الايه ترسم لنا موقف الإسلام من عقائد الشرك أو أهل الكتاب أو عقائد المترددين بين الكفر والإيمان من خلال الأمر الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علي اعقابنا كالذي استهوته الشياطين..الخ

يعطيه الجواب علي مقترحاتهم ليكون هذا الرد المأمور به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد به علي مقترحات المشركين أن يعبدوا الله يوما مقابل أن تعبد اصنامهم يوما موقفا فاصلا بأنه لا قواسم مشتركه بين الكفر والإيمان ويكفي أن تعرف أن هذا الموقف الذي أعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم في رده علي المشركين أنه كان في بدايه الدعوه والمسلمون في ضعف ويلقون اصناف العذاب والملاحقه فجاء أهل مكه يعرضون عليه هذا العرض أن يعبد اصنامهم يوما مقابل أن يعبدوا الله بل طلبوا أن يعترف لهم ببعض آلهتهم أو يتوقف عن شتمها فكان الرد (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علي اعقابنا...الخ وقال تعالى أيضا (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما عبدولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين)

الأمر الثاني

تهدف الآيات الي تربيته المومنين أن يكونوا مؤثرين وفاعلين في اتصالهم بأهل العقائد الأخرى اقويا في عقائدهم لامتائرين ولا منفعلين وهذا يعتمد علي قوه العقيدة في القلوب التي تكره العوده الي الكفر كما تكره أن يقذف بها في النار ولهذا فإن السماح بالاتصال بالاديان ن مثل اليهوديه والنصارينه التي سمح لها بالبقاء اذا اختاروا ذلك لا يعني جواز الاقتباس منها فقد جاء القرآن الكريم بالرفض المطلق لعقائدهم فهي مثل القبول بعقيدة المشركين ولذلك فإن الذي يتأثر أو يقبل بالتقليد والتبعيه لمثل تلك العقائد يكون مثل الذي استهوته الشياطين فهو قد ارتد عن الإسلام ورجع الي الكفر ومن هنا فإن الواجب نبذ وإعلان البراءه لما يسمى اليوم بالديانه الابراهيميه وحوار الأديان التي تسعى إلي صناعه قواسم مشتركه يجتمع عليها اليهود والنصاري والمسلمين تحت مسمى الاعتدال متجاهلين أن الكلمه السواء التي يجتمع عليها الناس هي التوحيد كما قال تعالى في سوره ال عمران (قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمه سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله)

ونظرا لأهمية هذا الموضوع في حياه المومنين نجد أن أسلوب الحوار مع المشركين جاء بألفاظ قادره علي غرس فاعليه المومن في اتصاله بغيره ليكون مؤثرا واثباته علي عقيدته ويتضح ذلك من خلال الآتي

المساله الاولى

استعمل كلمات وأساليب ترسخ في الذهن بما ترسم من صور هت فانكار حدوث الفعل بقوله (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علي اعقابنا) فيه مايدل علي أن مقترحاتهم ومجادلتهم باطله فيه نفي عبادتهم وانكارها فهي تعطي معاني التوبيخ فالنص يظهر نقبح تلك المقترحات ولاظهار عدم القبول بذلك وإعلان المفاصله والبراءه بينهم وبين المشركين وإظهار سخافه هذه الأفكار والمقترحات بصوره ترسم قبح الأفكار القديمه بما ترسمه الالفاظ من عجز وضعف كل ما يعبد من دون الله سواء كان هذا المعبود انسان أو حجر أو ملك أو جن أو أي شيء فكل شيء يجري وفق قدر الله ومشئئته فقال تعالى (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) فهذه الصوره كفيله بتحرير الإنسان من كفه الضغوطات إذ كيف لعاقل أن يطلب العون والغوث من العاجز عن تقديم النفع لمن اطاعه أو ايقاع الضرر بمن عصاه وكل هذا يهدف إلي تقويه عقيدة الايمان لدي المومنين فلا يتأثروا بأفكار وعقائد غيرهم عند الاتصال بهم من خلال اظهار محاسن عقيدة التوحيد فنجد الاستنكار جاء بصوت يظهر تفاهه عقيدة

الشرك والأسلوب باستخدام المثل (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له اصحاب يدعونه الي الهدي اثنا) يوحى بنوع من الإلحاح في طلب التفكير في الاجابه أو التوقف عندها والتأمل فيها وهذا الأسلوب كفيل بتصوير الحدث المعبر عن النص وبصوره كامله وكأنه مائل بين أيدينا لأن المفاصله والبراءه يحتاج الي قوه عقيدته وشجاعه في الحق وهو ما يستوجب منا أن نعيش الحدث نشعر ونحن نقرأ الايه بمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم والظروف المحيطه به عندما توجه للمشركين بهذا الرد الحاسم بحيث نشعر بقوه العقيدته وانه لا مساومه ولا سياسه في مساله العقيدته ولاتهاون ولا تساهل بذلك

المساله الثانيه :

تبين النصوص اهميه الشعور بنعمه الاسلام والايمان والتوحيد والاستعلاء والاعتزاز بالعبوديه لله إيماناً باليقين إيمان راسخاً لا يتزعزع إيمان من عرف قبح الجاهليه وطريقها من عرف ان فيها الخلف

شعور عقيدته مطمئن لعقيدته فتكون قوه تحميه من التردد في المهاوي التي يقع فيها الآخرون

ولهذا نجد التعبير فيه اظهار قبح الرجوع الي الشرك وان العقل لايقبل ذلك ويرفضها فذكر أن ذلك ارتداد علي الا عقاب فلا يرتد علي الاعقاب الا فاقد عقله فالإصل في الإنسان الجهل ولهذا فانه محتاج الي هدايه الله التي تدله علي الطريق المستقيم الذي يحصل له بها التقدم والارتقاء من خلال المنهج الرباني الذي به الاهتداء لحقوق ربه وحقوق بني جنسه ومركزه في الكون فيه بيان طريق الهدايه والرشاد الموصوله الي الغايه والهدف فيحصل علي العلم وبالتالي لايرجع إلي الوراء الا متخلف جاهل

فجاء الإنكار علي من يترك التوحيد الخالص ويتحول إلى الشرك بقوله تعالي (ونرد علي اعقابنا بعد إذ هدانا الله

والعقب بالفتح أو الكسر للقف مؤخره القدم اي رجع عن الإسلام الي الشرك وهذا يرسم صورته قبيحه فالعرب تقول لمن عجز بعد قدره أو سفل بعد رفعه أو أحجم بعد اقدام نكص علي عقبه أو ارتد علي عقبه ورجع القهقري ثم صار يطلق علي كل تحول مذموم

لانه تحول ارتداد عن طلب الغوث بالدعاء سواء العباده أو المساله بطلب النفع ودفع الضرر من القادر علي جلب المنفعة وكشف الضرر الي دعاء العاجز الذي لايقدر علي ذلك فذكر أنه ارتداد علي الاعقاب لبيان انه يمسي معكوس لايدري الي أين يتجه فحركته ليس لها هدف ولاغايه مقصوده لايمكن أن تصدر عن عاقل خاصه بعد أن أوضح القران له الطريق الذي يسلكه لتكون حركته متجه نحو الامام وصولاً إلي الهدف ولهذا فإن الناظر لحال الناكص علي عقبه وحال المومن الثابت يستطيع أن يميز بينهما ولايكلفه ذلك أكثر من المشاهده والمقارنه بالقاء نظره علي هذا وذاك ليعرف أن في حركه المومن حركه تقدم عن إدراك بالطريق وعلم وتخطيط مقدر ومحسوب وصولاً إلي الهدف وان المرتد متخلف جاهل فجاء التشبيه والتمثيل (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له اصحاب يدعونه الي الهدي اثنا)

والمثال المضروب يصور المرتد في أقبح حاله يعرفها المخاطبون حيث أن العرب كانت تطلق هذا الوصف علي من جعله العشق أو الجنون هائماً علي وجهه حيران تائها فيقولون استهواته مرده الجن والغيلان في المهامه ...وهذا العاشق يكون تائها ضالا عن الجاده لايدري ماذا يصنع تاركا رفاقه علي الطريق المستقيم ينادونه أن يأتيهم فلا يستجيب لهم فهو كمن علي عقل له يقول صاحب الكشاف وهذا مبني علي ماكانت تزعمه العرب وتعتقده من أن الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولي عليه كقوله تعالي (كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) والمثل المضروب يقرب المعاني من الأذهان ويؤثر في السامع ليكون أكثر استجابة لأن المعني المطلوب ارتبط عن طريق المثل بالواقع الملموس والبيئه المحيطه بالسامع لقطع اطماع العبد وشهوته تحت مسمي الا

انفتاح والمرونة والقواسم المشتركة مثل دعوات ما يسمى اليوم الديانة الابراهيميه لدعاه التطبيع مع إسرائيل فهذا المعال يبين أن تارك التوحيد ومن يتأثر بالعقائد الأخرى عند الاتصال بغير المسلمين فإن هذا عليه أن يدرك أنه إنما يتصل بغيلان ومردة الشياطين فهو أن فعل ذلك لن يجد السعاده وانما يقع في سوء أعماله ويتخبط في التعاسه بالدنيا والشقاء بالآخره فهو يعيش مثل العاشق المجنون يعيش في قلق وحيره واضطراب وتخبط

فالمثال يرسم العذاب النفسي لهذا الشخص مشهد متحرك يجسد هذا المشهد ونحن نشاهد مثل هذه النماذج في الحياه كثيرا فهذا المعال واقعي فيه مشاهد محسوسه قادره علي التأثير علي النفس

فنحن نشاهد الكثيرون من الذين يرتدون عن الإيمان تحت اغراء المال والمناصب يتصور أنه بذلك يجد السعاده و الذات العليا التي يبحث عنها الإنسان ولكنه يعيش في قلق وحيره واضطراب وتخبط ولا يجد السعاده

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الدين قفزه نحو الأمام والتقدم وليست قهقره الي الوراء والتخلف وهذا التقدم يكون بالتححرر من كافة الاصنام والالهة التي تستبعد الإنسان وتعرقل حركه السير نحو التقدم والسعاده فالتقدم حركه نحو الأمام ولهذا فاللازم عليك الإنتباه من أن تقع ضحية الظلام الذي تمر به البشرية في مراحلها المختلفة حيث يتسلل الي صفوف أهل الدين ذوي الأطماع الدنيوية الذين يريدون تحويل الدين الي ادوات تضليل وخداع واستغلال الناس باسم الدين وهذا أمر واقع اليوم حيث اننا نشاهد الكثيرون ممن يريدون تحويل الدين الي اذعان لأشخاص أو سلاله فهذه أصنام لاتقل شأنا عن الاحجار التي كان اهل مكه يتقربون بهم الي الله زلفي حسب زعمهم ولهذا جاء التنبيه من الوقوع في مصيده دعاه الضلال من خلال التمهيل الذي فيه مشهد حي شاخص متحرك للضلاله والحيره والسقوط

فقال تعالي (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له اصحاب يدعونه الي الهدى اثنا)

كالذي استزلته الشياطين من الوضع العالي الي الوهده السافله العميقه في قعر الأرض تأنها عن الجاده لا يدري ماذا يصنع وهو ينزل الي الوهده وأصحابه يدعونه الي الطريق المستقيم اثنا ولكن الغيلان (مردة الجن) ينزلونه الي السافله المظلمه فيبقي محتيرا اين يذهب وهذا المثل يتناسب مع من يشرك بالله وهو في غايه الحس لأن الذي يهوي من المكان العالي الي الوهده السافله العميقه يهوي إليها مع الاستداره علي نفسه مثلما أن الحجر حال نزولها من الاعلي الي الأسفل تنزل علي الاستداره وذلك يدل علي كمال التردد والتحجر كما قال تعالي في سوره الحج (حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)

وفي هذه السوره جاءت بما يفيد أنه يسقط في مكان يكثر بلاءه فمن الطبيعي أن يكون هذا هو حال المشرك بـ الذات من عرف حلاوه الايمان وارتد الي الشرك ومن يتوزع قلبه بين الإله الواحد والاله المتعدده المختلفه أشخاصا أو اصناما أو ملائكة حيث أن إحساسه ومشاعره تتفرق وتشتت ولانه بين الإله الواحد وبين الاله المتعدده فيكون تأنها ضائعا همه مع الدنيا يظن أنه يجد السعاده في الحصول علي ملذاتها ومع ذلك فإنه أن حصل عليها كما هو حال الغرب اليوم فإنهم لا يجدون السعاده ولهذا يصابون بالجنون ويكثر الانتحار في تلك المجتمعات لماذا لأن أهدافه وغاياته غير واضحه ليس لديه منهج قادر علي تنقيه الأوعية القلبية والذهنية والنفسية من المكونات الفاسده التي تسللت الي كيانهم وشوهت فطرتهم وعقولهم من ثقافات أهل الأوثان لكن ثقافه الاسلام تستند الي ثقافه ربانيه مصدرها الوحي الذي تكفل الله بحفظه منهج أنزله من خلق السموات والارض فالاطار الرباني الإلهي (التوحيد) هو الإطار المهيمن والموجه للمكونات الأخرى فاي افكار غريبه علي عقيدة المسلمين لا يقبلها المسلمون ولهذا قال تعالي (قل إن هدي الله هو الهدى) ولهذا فإن الآيات جاءت عقب ذكر فساد عقيدة اهل الشرك الذين اتخذوا شفعاء زعموا أنهم يقربونهم الي الله زلفي فعبدوهم وجعلهم أولياء لهم فأراد الحق بهذا

الأمر الأول

أظهار قبح الشرك وأنه فيه اضرار علي المشركين أنفسهم وعلي عقولهم التي لم يراعوا نعمه الله العقل التي انعم الله بها عليهم

مبيناً أن الهدايه التي يحتاجها الناس للخروج من الحيره والقلق هي بالقبول بمنهج الله فهو وحده الذي فيه الهدى والكفيل بتبليبه اشواق الفطره وانه كلما تركت البشريه المنهج الرباني كان الضياع و الضلال فالإنسان أعطاه الله العقل ليكون مقدمه انطلاق واكتشاف اسرار الكون لا أن يضع للإنسان القوانين فهو عاجز عن إدراك العقل نفسه و لا يستطيع الاجابه عن أمور الغيب ولا كيف تتصل الروح بربها

الأمر الثاني

حث المومنين علي سد الثغرات وبناء الحصون أمام دعاه الضلال والشرك والتي غالباً ما تبدأ بالتسلل من خلال تقديس الصالحين والأنبياء ومن يتناسلون منهم ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بقوله تعالى (قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول للناس أن الله وحده الذي له التقديس والتنزيه

فلا يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم الناس الي تعظيمه بل يظهر أنه مثلهم محتاج الي عون الله وأنه يلجأ إلي الله عندما يكون في كربه أو ضيق فهو تعالى القادر علي اجابه المحتاج فناسب هذا

حث المومنين علي الثبات علي الهدايه والتزام طريق الله المستقيم فهو منزل من الله الذي يعرف ماينفع الإنسان ويصلح حاله وما يضره فقال تعالى (ونرد علي اعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له اصحاب يدعونه الي الهدى ائتنا) فجاء بعدها (قل إن هدي الله هو الهدى) وإدراك ان ذلك يكون بتوفيق الله واعانتة العبد علي الطاعه وترك المعصيه وان الإنسان بحاجه الي ذلك أكثر من حاجته الي الاكل والشراب فالإنسان محتاج الي الهدى في كل لحظه

فالعبد محتاج الي أن يعلمه ربه ما يفعل من تفاصيل احواله والي ما يتولد من تفاصيل الأمور في كل يوم

فهو يحتاج الي العلم الذي يده له علي الطريق المستقيم فأخبره الله أن ذلك هو في المنهج الرباني القران (قل إن هدي الله هو الهدى) كما قال في البقره (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين)

والعلم وحده لا يكفي اذا لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه فهو محتاج الي اعانه الله لبيان ان ما حمله إليهم من القرآن فيه الهدايه والدلال فمن قبل بها فإن الله سوف يمدّه بالعون والتوفيق والسداد فهو القادر علي ذلك وحده فناسب هذا ما ابتدأت به الآيات من إظهار النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين أنه مبلغ من ربه وأنه لا يملك النفع والضرر وانما ذلك بيد الله وحده لا شريك له فمن أراد النجاه والسلامه والعون والتوفيق والسداد فعليه بطاعه الله واتباع منهج الله

الأمر الثالث

يأمر الحق سبحانه وتعالى نبيه أن يبين للناس أن التقرب الي الله يكون بطاعته واتباع منهجه فقال تعالى (قل إن هدي الله هو الهدى)

فهذا هو الطريق الوحيد للنجاه والسعاده فلا ينفذ العبد لا الانتساب الي الصالحين والأنبياء ولا الأولياء ومنهج الله يعني لا اله الا الله

تعني نفى الشرك بالله والاخلاص بالعباده له تعالى وحده

فقال تعالي (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي خلق السموات والأرض.. الخ

لأن العرب كانت تفهم معني هذه الكلمه (لا اله الا الله) فلا يقولها الا من ترك الشرك وببري منه ولهذا لم يكن هنالك منافقون في صفوف المسلمين في مكه ولم يظهر النفاق الا في المدينة نظرا لان المسلمون أصبحوا قوه فكان هناك من يقولها باللسان ويبطن الكفر ولهذا لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي طالب قل لا اله الا الله كلمه احاج لك بها عند الله... الخ

رفض ابو طالب أن يقولها لانه يعلم ما تعني هذه الكلمه فأنزل الله (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)

وقد ورد في الحديث أن ابو هريره قال (من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعه لاهل الاخلاص باذان الله ولا تكون لمن أشرك بالله)

وقد عرف العلماء الاخلاص بمحبه الله وحده واراداه وجهه والله يقول (وأمرنا لنسلم لرب العالمين)

بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم أنه داخلا بالأمر بالاستسلام والخضوع والاذعان لله وحده فتكون بين يديه ؛ لا اراده طواعيه

وهذا معني الاخلاص فهو تعالي المطاع المعبود وهذا ينسجم مع الحديث وتعريفه للاخلاص والذي جعل أعظم ا لأسباب التي تنال بها شفاعه النبي صلى الله عليه وسلم (كما يقول ابن القيم في شرح الحديث) تجريد عكس ما عند المشركين الذين تصوروا أن الشفاعه تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم ومولاتهم . فقلب الرسول صلى الله عليه وسلم مافي زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعه تجريد التوحيد فحينئذ ياذان الله للشافع أن يشفع ومن جهل المشرك كما ذكرت الايه قبلها (ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أن اعتقدوا أن من اتخذ وليا أو شفيعا أنه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الولاه والملوك تنفع من والأهم

ولهذا جاءت الآيات لابطال هذه التصورات الفاسده فابتدات الآيات ببيان ان من يرفع الضر هو الله ولا يوجد شفيع الا ياذنه تعالي فهو له الملك يوم ينفخ في الصور فلا يشفع أحد إلا ياذنه في الشفاعه حتي ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ياذان في الشفاعه الا لمن رضي قوله وعمله فالله يقول في موضع آخر (من ذا الذي يشفع عنده إلا ياذنه) ويقول (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)

وهو تعالي لايرضي من القول والعمل الا توحيديه فقال تعالي (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ولم يقل وأمرت فأراد بهذا أن يكون اعلان التوحيد عنه وعن المسلمين بأنه ومن اتبعه من المسلمين امتثلوا الأمر وحصل الاخلاص واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بالاستسلام التي تظهر تجريد التوحيد فيكون في هذا احياء موثر لكل مومن يريد أن يحظى باذان الله أن يشفع له الرسول أن عليه تجريد التوحيد فتكون هذه الصيغه قوه موثره تدفع كل مومن الي الاستجابه إلي قيام الساعه والاستمرار علي ذلك فقال تعالي (وان أقيموا الصلاة واتقوه) بالا نكسار والخضوع لله تعالي فالمتبع للرسول يأمر الناس بما امرتهم به الرسل ليكون الدين كله لله لا له واذا احسن الي الناس فإنما يحسن إليهم ابتغاء وجه ربه الاعلي ويعلم أنه تعالي قد من عليه بأن وفقه الي مافيه الهدايه وجعله محسنا

واستعمل لفظ الربوبيه هنا لما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الي الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم الي الإله المعبود وقصدتهم لدفع حاجتهم العاجله قبل الاجله كان اقرارهم بالله من جهه ربوبيته اسبق من اقرارهم به من جهه الوهيته وكان الدعاء له والاستعانة والتوكل عليه فيهم أكثر من عبادته له والانا به إليه وهم مقرون بربوبيته تعالي ولاينكرون أنه خالق الكون كله والعوالم كلها انسههم وجنهم فهو يقول في موضع آخر (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) ولهذا إنما بعث الرسل بدعوه الناس الي عبادته الله وحده لاشريك الذي هو المقصود

المستلزم للاقرار بالربوبية

ولهذا قال تعالى بعدها (وان اقيموا الصلاه واتقوه) أن من مقتضى الاستسلام لله وحده لا شريك له مراعاة حق الله وهو مقابله امره بالتعظيم بالاذعان والخضوع والاستسلام ف جاء الأمر (وان اقيموا الصلاه)

اي قم لله بكياتك وجميعك فكل عضو من اعضاء ك وكل ملكه من ملكاتك لا بد أن يستسلم بين يدي الله قلبا ونفسا وعقلا وجسدا مع اتقان هيئتها وادبها فذلك هو المقصود من نكر الأمر في القران بعبارة اقيموا الصلاه فلم يقل صلوا ولا في موضع فالاقامه أن تكون مستوفاه حقها ظاهرا وباطنا صوره ومعني ففي الظاهر الاطمئنان والخشوع في ركوعها وسجودها والتأمل والتفهم من المصلي فيما يقرأ ويقول من ذكر وادعيه وفي الباطن استشعاره خشيه الله وهو واقف بين يديه فيها فلا يصرفه شاغل ما مهما كان عظيما فالخشوع والتدبر وحضور القلب شرط لها وبدون الخشوع لامعني للصلاه وقد عرف ابن عطيه الخشوع بأنه هني في النفس يظهر منها علي الجوراح سكون وتواضع فالخشوع في الصلاه يتضمن شرطان كما ذكر ابن تيمه الاول: _ التواضع والذل لله

والعاني: _ السكون والطمأنينة وهذا ثمره من ثمرات تزكيه النفس ويحقق معني الاستسلام فالعبره بما تسكب في النفوس من معاني بالنهي عن الفحش والمنكر وهذا إنما يتحقق اذا كان إقامتها علي الهيئه والكيفيه التي أمر بها الله عباده ولا يحدد ثمرتها الا حين تودي علي الوجه الذي طلبه الله تعالى من إقامتها بقوله (واقم الصلاه أن الصلاه تنهي عن الفحشاء والمنكر) وغيرها من الآيات فهي تضع سدا منيعا بين صاحبها وبين التذذب في دائره الجزع والبخل لقوله تعالى (أن الإنسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون)

وذلك لأنه يعني أن العبد يستشعر أنه يناجي الله وأنه يستغني بالله عن كل ما سواه فلا يشغل بأي أمر من مال وجاه ولهذا كان التركيز علي خشوع القلب أثناء أداءها لأن خشوع القلب اصله رقه القلب ولينه وسكونه وخضوعه واذا خضع القلب وخشع تبعه خشوع سائر الأعضاء والجوراح فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول إلا أن في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)

فالصلاه ثقيله وكبيره الا علي الخاشعين كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاه وأنها لكبيره الا علي الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون)

فهي ثقيله الا علي الخاشعين الخاضعين لطاعه الله المصدقين بوعد الله و وعيده الذين يعلمون أنهم محشورون ون الي الله يوم القيامة وأنهم سوف يقفون بين يدي الله فهؤلاء لم استشعروا الخشبيه من الله تعالى وان الموت سوف يداهمهم في اي لحظه يتذكرون أن القبر صندوق العمل فهم يخافون الله (واتقوه) واليقين أنهم سوف يسألون عن أعمالهم يستحضرون الحشر واهواله سهل عليهم الخشوع فقال تعالى (وهو الذي إليه تحشرون)

فالشعور بالمسؤولية والايمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب يعني أن المرء يعلم أنه مسؤول عن أقواله وأفعاله وعليه أن يزنها بميزان الحق هل هذه الأفعال في شرع الله خلال ام حرام فإذا كانت حرام فلا يقربها لانه يري النار ماثلا امامه فيكون الاشفاق قوه تمده بالبغض والنفور من الحرام وقوه مانعه له من ارتكاب المعصية ويكون الشوق لما عند الله قوه تمده بحب الطاعه والزهد عن الدنيا فيكون مستقيما ومخلصا لله في الدين والدعوه والعمل وكذلك فانه يكون في حاله ترقب الموت وبالتالي فإن هذا يقضي علي داء قساوه القلب الناتجه عن الغفله وطول الأمل فهو مجاهد نفسه يخشي الله في السر والعلن يراقب الله في أعماله قد قصر الا مل وشمر مئزر الحذر يري أن أوقاته غنيمه في طاعه فالآيات تبين أن شعار المومن هو التقه بالله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ولهذا فقد صح يقينه وثبت علمه أنه لانجاه له إلا الصدق باتباع منهج الله بحيث تكون حركته منسجمه مع حركه الكون ومافيه من عوالم فكلها خاضعه ومستسلمه لله تعالى ولايوجد من يشد في هذا العالم إلا الإنسان وقد انزل الله المنهج الرباني الذي يحقق الانسجام في حركه الإنسان مع حركه الكون فيكون استقامه

امره بالقيام بأمر الله علي اكمل وجه فإن ذلك العلم جعله في حاله المراقبه شاعرا برقابه الله فهو يراقب الله ف لا ينحرف عن المسار ولا يتوقف ولا يتردد فينقاد للمنهج الذي فيه تزكيه النفوس وتهذيب العبد ليكون الاتصال ب الله تعالى كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

رابعاً

يلاحظ أن الإيه ابتدأت بذكر الامر بنون الجمع (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) ثم ورد بعدها (وان أقيموا الصلاه واتقوه) ثم ذكر بعدها وصف الله من الحشر (وهو الذي إليه تحشرون) والخلق والإبداع والتصرف والتدبير في ملكه (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) ثم ذكر سلطانه وقدرته وهيمته (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) وأنه المالك ليوم الدين (وله الملك يوم ينفخ في الصور) وأنه عالم الغيب والشهادة وأنه الحكيم الخبير (عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)

وهذا فيه بيان عده مفاهيم متعلقه ببيان تفرد الله في الألوهية والربوبية والعبودية وما يجب علي العبد ويتضح ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

الآيات فيها الحث علي الاستسلام لله وحده لا شريك له واول خطوه في هذا أن لاتري لنفسك ملكا وتعلم انك لا تملك لنفسك ولا لغيرك نفعا ولا ضرا فناسب هذا مجئ الإيه بعد قوله تعالى (قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا... الخ

وبالتالي فإن هذا الاستسلام يعني أن تتوجه الي الله مقبلا عليه ومعرضا عما سواه عكوف علي عبادته وطاعته ووقوف عند حدوده وتعبد بشريعته فقال تعالى (وان أقيموا الصلاه)

فهي تكسر انف الكبر الزائف الذي يمنع من الاستسلام وهذا يكون بالعرز بمقام العبوديه لله والأمر

وبالتالي فأنت بحاجة الي مجاهده النفس ومكابده نزعاتها ومحاسبه دقيقه علي أعمالها وتحفظ القلب من الهواجس والخواطر الرديئه حتي لا يكون عائقا يعوق السالك في سيره الي الله تسير الي الله بالخوف من عذابه وبالرجاء لعفوه وغفرانه

فقال تعالى (واتقوه)

الأمر الثاني

تبين الآيات ان الاستسلام لله يتطلب أن يشعر المومن أنه مسؤولا عن عمره وبالتالي فعليك أن تجعل همك الاخره وان تفرغ قلبك من هموم الدنيا فعليك أن تعمل علي تحصيل أسباب اليقظه لسلامتك من دار الغرور فعليك أن تدرك أن أعداء أعدائك هو نفسك التي بين جنبيك كما ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وانما تكون كذلك إذا اطاعتها ولهذا فعليك أن تستحضر الجنه ونعيمها وما فيها من سعادته والنار واهوالها وما فيها من عذاب تستحضر موقف الحشر كأنك تراه حقيقه لتكون قوه دافعه لك لليقظه فقال تعالى (وهو الذي إليه تحشرون) و الوقوف قبل اي أمر تريد أن تقوم به فتعرضه علي منهج الحق الكتاب والسنة تدور مع الشرع حييما دار وكيف ما كان فإن خفي عليك امر فخذ فيه رأي من ترضي دينه وعقله واعلم أن علي الحق شاهدا بقبول النفس له لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (استفت قلبك وان افتاك المفتون) لأن النفس تقبل الحق وترفض الباطل بطبيعته ما فطرها الله عليه فلا يزال الحق ظاهرا علي الباطل ما تعلقت به القلوب به وتثبتت عليه فقال تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق)

فعلي العبد أن يشعر بحقيقته أن الذي يأمر بالاستسلام له هو خالق الكون كله فله الأمر والحكم والتصرف والتدبير لشؤون الخلائق

وأنه تعالى هو الذي يدبر أمر الكون بهذا الانضباط الذي تراه

فقد خلقه بالحق الذي هو قوام هذا الخلق.. الحق الذي القائم في نفس الإنسان شاهدا علي الرب ولهذا فإن الاستسلام لله وحده لا شريك له يعني الانطلاق في الكون متحررا من كافة الضغوطات والقيود فلا يخاف العبد إلا الله لأنه ينظر إلى الباطل نظره ازدراء واستصغار لشانه وبهذا يصون الإنسان قوته بالإيمان والعلم الذي يبتغي به طاعه الله ورضاه فاستعمل عقله بالتفكر في مخلوقات الله ليرى عظمه الله وجلاله وكماله وقدرته وسلطانه وقهره سبحانه وتعالى فاحياء قلبه بالعلم بعد الايمان وبصره وبصيرته باليقين وعرف عيوب نفسه بالمحاسبه وحصل له الخشيه فادرك أن الله هو القادر علي كل شي فله القدره والمشيئه المطلقه فقال تعالى (ويوم يقول كن فيكون) فأمره بين الكاف والنون

لأمر الثالث

أن علي المومن أن يعرف أنه والكون وما في السموات والأرض مخلوقات خلقوا لعباده الله ومعرفته وتوحيده وطاعته ومحبتة وهذه هي الغايه والوظيفة التي خلقوا لها وإن الكون مجبورا بالحركة وفق قوانين ونواميس فليس له اراده ولذلك فهو غير محاسب علي أعماله أما الإنسان فهو لديه اراده حره في اختيار طريق الخير والشر فقد انزال الله المنهج ليكون الانسجام بين حركته وحركه الكون وهو محاسب علي أفعاله وأقواله ولذلك فهو في اختبار في هذه الحياه هل يثبت علي محجه الحق في كل أمر أم لا ؟

وبالتالي فأنت بحاجة الي قيد الجوراح بأحكام العلم فلا تحرك جارحه من جورحك إلا أن يكون لديك علم من الشارع الحكيم بما تعمل وما لاتعمل فقال تعالى (قوله الحق)

سواء في القول الذي يكون في خلق الكون والإنسان بأنه (كن فيكون)

أو القول بأن علي العبد الاستسلام لله وحده وإن يكون له وحده لا شريك له أو القول في الشرع فيما يشرعه الله فالعاقل الذي صح علمه وثبت يقينه يدرك أنه لاينجيه إلا أن يكون همه القرب من ربه وإن يبيع نفسه لله تعالى وإن يقف بين يديه مقام العبد مستجيرا ب الله يطلب رحمته سبحانه وتعالى فليس أمامه إلا الدعاء لله أن ينقذه من العذاب يوم ينفخ في الصور بأنه يعينه علي العمل الصالح فقال تعالى (وله الملك يوم ينفخ في الصور)

وهذا مرهون علي الخضوع والانقياد لأمر الله في الدنيا وإن يستسلم العبد لله باتباع منهجه وإن يستمر علي ذلك فيجعل لنفسه عملا صالحا يحفظها من الهلاك وقوله (يوم ينفخ في الصور)

فالصور هو البوق الذي ينفخ فيه الملك ليبعث من في القبور وهم مستسلمون لأمره تعالى طائعين مقهورين فالعاقل من استسلام وهو في الدنيا وعليه أن يلجأ إلي الله طالبا رحمته سبحانه وتعالى فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل ينزل العبد من نفسه بقدر منزلته منه)

وذلك علي قدر الخشيه لله والعلم به والمعرفه الله

فمن قدم طاعه الله علي حظوظ نفسه اختصه الله بالقرب منه والرضاء عنه ومن ترك شيئا لله لم يعذبه به كما قال الرسول صلي الله عليه وسلم (دع مايريبك الي ما لا يريبك) فانك لن تجد فقد شي تركته لله) فقال تعالى (عالم الغيب والشهادة) فيما غاب وشوهد فاعمالك محسوبه لا يغيب منها شي أن خيرا فخييرا وإن شرا فشرافناسب ذكر كمال العلم بعد ذكر كمال القدره لأنهما بهما يحصل الجزاء كما اشارنا سابقا وختم بقوله تعالى (وهو الحكيم الخبير) أي الذي له الحكمه التامه والإحسان العظيم والعلم المحيط بالسرائر والبواطن والخفايا

فهو تعالى يصرف أمور العباد وشؤونهم بالحكمه والخبره فاولي لهم أن يستسلموا له تعالى وبسرعه ليجدوا
السعاده ويخرجوا من التيه والحيره الي مافيها الخير لهم فالله لم يشرع شي الا لحكمه عن علم وخبره فيه
الهدى والسعاده والفلاح

المقطع الحادي عشر من الانعام

القسم الاول

وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ اصناما الهه اني ارءك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافالين فلما راي القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهداني ربي لآكونن من القوم الضالين فلما راء الشمس بارغه قال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت قال يا قوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)

اولا

في إطار بنا عقيدة المومنين وربطها باساسها الاعتقادي التوحيد في كل جوانب الحياه تمضي الآيات في هذا السياق وتعطي المومنين نماذج لتربيته المومنين للوصول بهم الي اليقين الجازم يأمر الحق نبيه أن يذكر لهم قصه نبي الله ابراهيم هذا النبي الذي أمر المسلمون بالافتداء والتاسي به فقال تعالي (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ اصناما الهه اني ارءك وقومك في ضلال مبين)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد أنها تتناول عدة مواضيع

تتضح من خلال الآتي

المبحث الأول

(ارتباط الآيات بما قبلها من النصوص)

ان الآيات في هذا المقطع ابتدأت بالعطف (وإذ) معطوف علي ما قبلها وحيث أن السوره ابتدأت ببناء الله وحمده نفسه جل جلاله ثم ذكر انفراده بالخلق والأمر وأنه المالك لكل شي ثم ذكر سخافه عقول وافكار أهل الجاهليه وفساد معتقداتهم مبينا موقفهم من عقيدة التوحيد ومن الايمان بالله وحده لاشريك له وانهم عطلوا مدراكهم وحواسهم بعدم استعمالها في معرفه الله تعالي ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوجههم باداله التوحيد ووجوده تعالي وتصرفه في الكون وتدبيره لشؤون الخليقه وعرض من الادله المعينه صدق وصحه ما يدعوههم إليه حيث لقن الرسول صلى الله عليه وسلم اداله التوحيد بقوله (قل) مبينا إصرار المشركين علي الكفر وعباده الأ صنم وابطالهم ثم بينت ان النجاه والسلامه إنما تكون بالاستسلام لله الواحد القهار والاذعان والخضوع ب العبوديه لله وخوفه (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاه واتقوه) وذكر بعدها الحشر والحساب والعقاب والنواب فقال تعالي (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) فذكر أنه خلقهم لمعرفته وأنه يسلبهم الحياه ليروا قدرته وقهره وليشاهدوا ما أخبرهم به من الجنه والنار عين اليقين ثم يحشرهم إلي ميدان الحساب والعقاب ليروا وعده ووعيده حق اليقين

ولهذا لا بد أن الإنسان يتسال فيقول كيف لي ان اقطع الطريق الي الله والدار الآخرة ليحصل لي وسائل العلم الثلاثه علم اليقين...وعلم عين اليقين...وعلم حق اليقين وانا في الدنيا

ولهذا جاءت الآيات بقوله تعالي (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ اصناما الهه اني ارءك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل....الخ

فنجد بعد حرف العطف ظرف الزمان (إذ) وبالتالي فإن سماع هذا الظرف يعني أنك مأمور أن تتذكر الوقت الذي

حصل فيه الحدث الذي تذكره الايه بما دار بين ابراهيم وابيه وقومه والايه وردت في اطار أمرين اقامه الدليل المعثب علي دعوه التوحيد وابطال دعوه الشرك فالأمر بالتذكير يهدف إلي الآتي

الأمر الأول

عليك أن تفهم أنك مأمور من الله تعالي علي طلب الدليل وفهم البراهين لكل ماجاء القران الكريم يقرره لك من مبادئ وقيم وتعاليم والدليل مايتوصل به الي معرفه صدق وصحه الشئ والقران قد أقام دلائل صدق وصحه ماقرر من مبادئ وتعاليم فعندما ندد بالشرك وعباده الأصنام استوعب القران الأدله علي صحه عقيدته التوحيد والإيمان واثبت أنها الحق المبين وأقام الأدله علي بطلان كل شرك أو معبود مع الله وبين أنه كذب وافتراء وان تلك العبادات احتقار للعقل وهي اوهام وخرافات لا حقيقه لها في شأن الالهيه ولهذا جاء الأمر بالحث علي تذكر هذا الدليل بقوله تعالي (وإذ قال إبراهيم) يعني أن كل من يسمع الايه مأمور بتذكر هذا الحدث الذي حصل وقت مجادله ابراهيم مع أبيه وقومه

اي انت مأمور بالتذكر لهذه الأدله فالقران يحث علي طلب الدليل فالقران لم يترك دليلا يصح في مخاطبه البشر الا أورده علي أتم الوجوه حتي لايقول أنه لم يسبق الدليل علي صحه الواحدنيه ووجوب التوحيد فحسب بل اوجب علي الناس أن يتذكروا هذه الأداله وان يفهموها ويحسوها ولو إجمالاً حتي يكون العبد علي بينه في أعظم حقائق الوجود وحتى يكون إيمانهم علي غايه الاستقرار وكأنه علم حق اليقين كما قال تعالي (ضرب الله مثلا كلمه طيبه كشجره طيبه أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين) فشبه الحق الكلمه الطيبه التوحيد كلمه لا اله الا الله والايمان بها بان تكون خاليه من كل نقص أو عيب أو تشبيه أو تعطيل ومن الكذب في قولها ومن الهزل والخلل ومن الإفراط والتفريط بحيث تكون كامله من جميع الوجوه مثل الشجره الطيبه السليمه من كل العيوب التي تكون جذورها متاصله في الأرض وفروعها عاليه في السماء وتوتي ثمارها دون انقطاع وتشبيه الكلمه الايمانيه بشجره دائمه الثمر ذكر لها ثلاث علامات أن يكون اصل الايمان ثابتا في معناها الحقيقي وهذا يعني انه لا بد أن تكون له ارض ثابتة في قلب المومن وهذا لا يكون إلا ان تكون الفطره الانسانيه والضمير قد سلما بحقانيته واصالته ٢/ وان تكون فروعها في السماء بمعنى أن يكون الايمان مقرونا بالبراهين العقلية بحيث توافق السنن السماويه التي هي من أفعال الله والمراد بهذا أنه يكون بإمكاننا التدليل علي صحتة واصالته باداله مستنبطه من النواميس الطبيعيه بمعنى أن تكون تلك الأدله لها من السمو وكأنها في السماء لاتصل إليها يد الشبهات وان تكون ثمارها صالحه بصفه دائمه للكل .

وهنا يقول السامع ما السبيل للوصول إلي ذلك فياتي الجواب (واذقال إبراهيم لأبيه أزر.... الخ

فاخبرنا الحق أن اول وسائل العلم اي علم اليقين وسيلته العقل والنقل

ف الله عندما طلب منك أن تفهم العقائد لم يكلف النفس فوق طاقتها ولم يكره النفس علي قبول ما ليس في سعتها العلميه ولهذا فإن حقيقه الفطره الانسانيه أنها تعرف ربها اي أن الواجدان الإنساني أحد وسائل العلم وهو ما سماه الله في كتابه باسم الفطره الانسانيه فقال تعالي (فطره الله التي فطر الناس عليها)

فالناس مخلوقون علي فطره الله (طابع الفطره) الذي طبع الناس عليه والذي يعني الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك له وهو خالق كل شي ومنزه من كل عيب ونقص ومن الموت والولاده ولهذا فإن الواجدان بمنزله علم اليقين وعلم اليقين يعني معرفه شي بواسطه شي اخر لامباشره كان تستدل علي رؤيه الدخان بوجود النار وهنا لا يختلف عن هذا المعني لأن الله قد أودع كل شي خاصيه مجهوله فلا يمكن للإنسان أن يحيط بها بالوصف والبيان الا إذا نظر إلي شي او تصوره فيحدث انتقال الصوره الي الذهن ولهذا تجد نفسك عندما تطرح اسئله عن الخالق بمقاييس بشريه انك تتضايق وتجد قوه تمنعك من طرح تلك مثل تلك الاسئله لماذا لأن الإله القدير الذي نعلق عليه آمالنا منزه من كل عيب فتلازم كمال الخالق والوهيته وواحدنيته مثل تلازم النار والدخان أو اشد ولهذا

فإن العلم الحاصل لنا بطريق الواجدان بداخل في عداد علم اليقين وهو العلم الذي دفع إبراهيم عليه السلام الي إنكار أن تكون الأصنام الهه فجاء الاظهار (اتخذ اصناما الهه) التنوين مع الهمزه مقررا حقيقه الاستفهام الانكاري أنه لايمكن أن تكون الأصنام الهه فهي ظاهره للفطره السليمه والمنطق أنها ليست الاله الذي نعلق عليه آمالنا لأنها عاجزه فادراك بفطرته أن قومه ووالده قد أخطأوا الطريق فلم يسلكوا طريق الهدايه المستقيم وانما سلكوا طريق الضلال

مما سبق نفهم أن إبراهيم عليه السلام بدأ الوحي يتصل به عن طريق الإلهام والكشوف فناسب مجئ الآيات بعدها وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين...الخ

الأمر الثاني

اهميه تنويع الادله والأساليب في عرض الدليل وارتباطه ذلك بطمانئنه النفس

قلنا إن الله أمر العباد بطلب الدليل وفهم البراهين..وهذا الأمر يتفاوت فيه الناس نظرا لاختلاف الوعي والإدراك و القدره علي استخدام ما أودع الله فيهم من شاهد علي وجوده ووحدايته بما اودع فيهم من فطره وعقل ووعي وإدراك يرشد العبد الي خالقه وبيحث عنه ويومن به فمن الناس من يستطيع أن يحصل علي المعلومه و الفهم لها بسهولة ويسر ومنهم من لا يستطيع ان يحصل علي المعلومه وان وصلت فإنه لا يستطيع استعمال ملكاته فهو عاجز عن الفهم والإدراك لما تحمله المعلومه ولهذا نوع القران الاداله في هذا الشأن اي التوحيد تنويعا عجيبا حتي تناسب جميع الناس علي اختلاف مستوياتهم وعصورهم وازمانهم وعقولهم

ف نجد أن الايات عرضت العديد من الادله والشواهد التي تحث المشركين علي الإيمان من الادله التاريخيه التي تتحدث عما حل بالامم السابقه الي الموعظه والتذكير باليوم الاخر الي الدليل المنطقي بأن ما يعبدون لاتملك نفعا ولا ضرا فالفطره السليمه تنكر عباده الاصنام اذا سلمت من التلوث

ولهذا يأمر الحق نبيه أن يعرض عليهم حقيقه ابراهيم عليه السلام الذي ادعا المشركون أنهم علي دينه وكانوا يتفاخرون بالانتساب إليه ولأنهم كانوا ينظرون إلي أن منزلتهم بين العرب تعود إلي الكعبه التي بناءها ابراهيم عليه السلام يعرفون أن مكائهم بسبب البيت الحرام والانتساب الي ابراهيم فأراد الحق بهذا أن يدخل الي قلوبهم من هذا الحب الذي يظهره ل ابراهيم الذي كان سببا لما هم فيه من عز وسياده فامر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يذكر لهم حقيقه موقف ابراهيم عليه السلام من الشرك والاصنام بأسلوب حوار ونقاش بين ابراهيم وابيه أزر

يورده في إطار إثبات عقيدته التوحيد وابطال عقيدته الشرك من خلال حوار يجري بين طرفين هما ابراهيم وابيه فيتقرر في النفس أكثر من الخبر المجرد فقال تعالي (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر)

فهي لم تأتي بالخبر المجرد بل نقاش بين ابراهيم وابيه بسؤال استنكر فيه ابراهيم ما يعبد والده من اصناما صماء لاتنفع ولاتضر ولا تغني عنه شي فقال تعالي (اتخذ اصناما الهه) ورد فيها الاستفهام الانكاري بالهمزه الذي هو استفهام تقريري بنفس الوقت ولحقه اظهار التنوين مع الهمزه (اصناما الهه) فهو ينكر عليهم عباده الاصنام مبينا أنها لايمكن أن تكون الهه فالأمر ظاهر أنها لايمكن أن تكون الهه إذ كيف يمكن أن تكون الهه وهي عاجزه عن أن تنفع أحد فهي جماد أو انسان أو حيوان أو كواكب أو ملك جميعها مخلوقات فكلمه تتخذ مضارع وهي من الا فتعال فتدل علي التكلف في تحصيل الفعل ومعني تتخذ تصطفي وتختار

ولهذا فإن السؤال فيه اشعار يبين ويوضح حقيقه هذه الالهه الباطله الزائفه بأن ذلك شي مصطنع وان الا صنم ليست اهلا لتكون الها فالسؤال فيه اظهار زاياف الأصنام ويتضمن إثبات صفات الإله الحق الواحد الاحد المستحق للعبادة وحده لا شريك له فهو السميع البصير العليم عزوجل

فالايه تبين قيمه الكلمه في الدعوه لما لها من قوه قادره علي اعاده تشكيل العقول وصياغتها وقبوله التحول و التغيير فعندما يقول الحق لرسوله وهو أمر لنا (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ اصناما الهه اني اركع وقومك في ضلال مبين)

فانه يبين لنا أننا نحتاج الي لغه تخاطب مع الآخرين لتعرض فيها ما يدعوا إليه الاسلام فلغه القران لابد لها من التحديث والتجديد بما يناسب كل زمان ومكان فاستخدم قصه ابراهيم لما له من مكانه في قلوب اهل مكه ولهذا فحن في هذا الزمان بحاجه الي مخاطبه العالم بلغه يفهمها لغه قادره علي إيصال فكره ومبادئ الاسلام للعالم أجمع نحتاج الي امتلاك المعلومات والقدره علي التحكم بها والتعامل معها وحسن استخدامها للوصول إلي أعماق ا لإنسان الداخليه لتجد صداها فيه ولتحدث التأثير المطلوب لاعاده تكوين الرأي العام وتغيير المعتقدات والسلوك نحتاج الي الطبيب المسلم والمهندس والعالم المسلم في كافه المجالات لأن هذه هي اللغه التي يتخاطب بها العالم اليوم

فالساليب والوسائل في الإسلام ليست جامده بل مرنة تابعه لما تمر به البشريه من تطور بشرط أن تكون البدائل لها تأصيل من الشرع

ولان كثره الادله وتنوعها ليس عائدا لتفاوت الناس في الإدراك والفهم بل لأن طمأنينه النفس مرتبطه بكثره الادله فقد ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم إذ قال ربي ارنى كيف تحي الموتى قال أو لم تومن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي)

فهو لم يكون شاكا ولكن طلب ذلك ليزداد سكونا بالمشاهده التي تحقق اطمئنان القلب لأن تظافر الادله اسكن للنفس فكانه قال أنا مطمئن لكن للعيان معني الطف قال ابن عياض لم يشك ابراهيم بأن الله يحي الموتى ولكن اراد طمأنينه القلب فحصل له العلم الأول بوقوعه واراد العلم الثاني بكفيه وقوعه ومشاهدته فلم يكن شك ولكن العلوم تتفاوت في قوتها فأراد الترقى من علم اليقين الي علم عين اليقين ولهذا يقول لنا تعالي هنا (كذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل.... الخ

ومن هنا نفهم الدافع الي تنوع الأساليب في عرض فكره التوحيد ودعوه الناس الي الايمان

المبحث الثاني

ابتدأت النصوص بعرض قصه ابراهيم مع أبيه الذي أطلق عليه اسمه ازر

وهذا الاسم فيه اختلاف بين المفسرون حيث أن البعض ذهب الي القول إنه لايقصد به اسم ابو ابراهيم عليه السلام وان اب ابراهيم اسمه تارخ

وقالوا إنه يراد به اسم الصنم ومنهم من قال أنه يقصد به عم ابراهيم

والحقيقه ان كل هذه الأقوال لادليل لها ولاصحه وهي من الاسرائيليات التي دخلت في التفاسير نقلا عن كعب الأ حبار ومالك بن منبه رض الله عنهما أو من غيرهم وهذا من الأخطاء التي وقع فيها المسلمون

لأن موقف المومن من هذا الأمر ينبغي أن يقف علي ما جاء في القرآن فهو له الهيمنه علي الكتب كلها لقوله تعالي (وانزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه)

والقران قد نسب ابراهيم الي ابيه ازر فهذا هو اسم أبواه بلا شك ولا ريب ولاحجه لمن قدح بذلك بالقول إن الا نبياء من اصوال طاهره ..

لأن القرآن قد أوضح أن اب ابراهيم مشرك فقال تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا اذا قال لا بيه يابت لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شي)

وقال تعالى أيضا (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)

فالجدل كان بين ابراهيم وابيه وفي مواجهته وليس قومه وخص ذكر اب ابراهيم بالاسم وأثبت في كتابه أنه عابد الأوثان وأبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبرنا بأن الله يمسح اب ابراهيم حيوانا ننا يلقي به في نار جهنم كما ورد في صحيح البخاري فأراد بهذا الآتي

الأمر الأول

تقرير اصل التوحيد الهادم لقاعده الوثنيه بالفصل بين ماهو لله وماهو لرسله وهو أن الرسل لم يرسلوا الا مبشرين ومنذرين وما عليهم إلا البلاغ وليس لهم من الأمر شي وأنه لا تنفع كرامه النبي أن يشفع لمشرك ولو كان أباه وقد ذكر القرآن أن إبراهيم اجتهد في الاستغفار لأبيه فلم علم أنه عدوا لله تبرأ منه

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الابواه ليست للنسب وانما هي ابواه المنهج ولهذا ذكر الله اسم اب ابراهيم عليه السلام بأنه ازر وذكر أنه مات مشركا وان ابراهيم تبرأ منه وهو الابواه الحليم وزاد أن أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ازر يمسح حيوانا نتن يوم القيامة في نار جهنم وهذا ليعلم الناس أنه لانجاه في الاخره إلا بالإيمان والعمل الصالح بما جاء به الرسل لا بأشخاص الرسل وأنه لاتاثير شخصي عند الله لهم فالأمر ليس كحال المقربين من الملوك الذين يقبلون الشفاعة لمن هم خواص لهم أو احسان بغير استحقاق فهذه نظريه الوثنيه في الشفاعة وهذا ماقرر القرآن أبطاله

ولهذا فان سبيل النجاه هي بالاعتداء بالانبياء والصالحين الذين تتفاخرون بالانتساب إليهم إذا أردتم النجاه

الأمر الثالث

ان علي المومن أن يصدع بالحق ولا يخاف في الله لومه لائم ولا يجامل في العقيدة ولو كان ابيه أو اقرب المقربين فالعقيدة فوق مستوي الربوط الابواه والبنوه وفوق مشاعر الحلم الذي اتصف به ابراهيم فابراهيم هو القدوه الحسنه الذي أمر المسلم أن يقتدي به فقال تعالى (قد كان لكم في ابراهيم والذين معه اسواه حسنه ..الخ ولا ينظر الي اعداد المخالفين خاصه اذا كانوا كثير وأهل الحق قله فابراهيم يقول لوالده (اني اترك وقومك في ضلال مبين)

يقول له لا تغتر أن القوم مجمعون علي طريق الضلاله وأنه لا يوجد غيري رافض لعباده الشرك فاجتماع الناس علي الضلاله لا يعني أنهم علي الطريق المستقيم

ثانيا

تبين النصوص ان طبيعه الدعوه الي الله تقوم علي الحوار والنقاش والاقناع فالحق جعل سبيل حل الخلاف مع الأعداء قائما علي الحوار ولم يجعل القوه سبيل الانبياء في التعامل مع المخالفين فالحوار أسلوب من اوسع أساليب القرآن في اثبات التوحيد لما له من قوه في التأثير في النفوس وسهوله الحفظ وانتشار بين الناس وأوضح ذلك قصه ابراهيم عليه السلام ونجاح ذلك مرهون بحسن اختيار الخطاب المناسب للمقام وحسن تنزيله علي الواقع فقصه ابراهيم في هذا المقام كانت مناسبه لحال المخاطبين الذين كانوا يتفاخرون بالانتساب إلي

ابراهيم عليه السلام ويدعون أن عباده الاصنام الذي هم عليه هو دين إبراهيم فأراد الحق أبطال تلك المزاعم ليقول لهم انظروا الي ابراهيم كيف حارب الوثنيه والاصنام من قبل أن يكون نبيا فقد استنكر عباده الاصنام فقال تعالي (اذ قال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ اصناما الهه اني ارثك وقومك في ضلال مبين) فالمشهد فيه اقامه نماذج للاقتهاء به نموذج يجمع الطاقات لتحقيق الهدف الذي دعا الرسل إليه كل الناس أنه التوحيد بدلا من التفاخر بالماضي و ابراهيم وإنجازاته التي خلدتها الكعبه وما فيها من طقوس وشعائر وبعظمته وهم بعيدون عن ابراهيم وعن اغراض بناء الكعبه بأنها لعباده الله وحده لا شريك له أن حالهم مثل حال المسلمون اليوم الذين يتفاخرون بإنجازات المسلمين وعظمه الاسلام وهم بعيدون عن الإسلام يكتفون بذلك دون أن يقتدوا بعظماء الاسلام ليخرجوا من حاله التخلف والانحطاط الذي تعيشه الامه ولهذا فإن استخدام القصة وشخصيه ابراهيم هنا هو لا جل شد الإنتباه الي ماهم فيه من الانحراف يقول لهم لو كان إبراهيم موجودا في هذا العصر لوقف في وجهكم فهو من اشد أعداء الأصنام ولن ينظر لصله النسب التي تربطكم به فإذا كان قد أنكر علي والده عباده الاصنام وقومه الذين في زمانه وما بينه وبينهم من صله قرابه مباشره لم تمنعه من أنكر عبادتهم الأصنام فكيف له أن ينظر إلي الرابطة التي بينكم وبينه ويفصلها اجيال طويله وازمنه متعاقبه تمتد لاكثر من اربعه الف سنه وهذا الخطاب لاشك أنه يخلق أجواء مناسبه لنمو الفكر الإسلامي ويعطي صورته مغريه كي يكون من اهل مكة الا لتحاق بالإسلام عندما يعرفون أن عقيدته التوحيد هي في الحقيقه دين إبراهيم فشخصيه ابراهيم واستخدام قصته في الحوار يعطي الخطاب جاذبيه وإغراء وتأثير فهو يغزو النفوس واعماقها الداخليه لانه يتحدث عن واقع يعتقد اهل مكة أن لهم صله بهذا الواقع وأنه جزء من ماضيهم فالخطاب ليس مستغربا ولا منفرقا ولا طاردا بل جاذبا فاستخدام سلاح يناسب المرحله وقادر علي تحقيق الهدف يخبرهم فيه أن ابراهيم استنكر عباده الاصنام ولم يكن نبيا بعد ولكن اهتدى بفطرته السليمه الي فساد تلك العباده وفساد تصورات الجاهليه فالفطره تستنكر عباده الاصنام فهي ترفض الاقتناع بها وتتجنب عبادتها إذا سلمت من التلوث واستخدم الاستفهام الانكاري وكلمه تتخذ تعني أنه يبذل جهودا لصناعه وهو ما يفصح أن القوم لم يكونوا منكرين وجود الله وأنه الخالق والرزق و المدير لكل شي فليس هنالك نزاع بشأن ذلك وانما النزاع في عباده غير الله أي أنهم سلكوا طريقا منحرفا ومعوجا للوصول إلي الله فقد صنعوا اصناما بايدهم معتبرين أنها تقربهم الي الله مثلما قال المشركون (ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي)

فصناعه الأصنام تعود إلي اراده تقدم الولاء والخضوع والاذعان والشكر للرزاق والمنعم لما شاهدوا من انعامه وإحسانه فما الذي حدث لقد ضلوا الطريق فبدل أن يتوجهوا بالشكر والاذعان والخضوع لله وحده لاشريك له قاموا بعباده الأصنام مثلما فعل المشركون عندما شاهدوا فضل الله عليهم بأن رزقهم في ود غير ذي زرع فجعل افنده الناس تهوي الي مكة استجابة لدعوه ابراهيم عليه السلام كما قال تعالي (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاه فاجعل افنده من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) فما الذي حدث لقد صنع أهل مكة اصناما وعبدها وزعموا أنها تقربهم الي الله زلفي فقد ضلوا طريق الوصول إلي الله مثلما فعل قوم ابراهيم ولهذا قال تعالي (اني ارثك وقومك في ضلال مبين)

فالضلال تعني انك تريد أن تصل الي غايه وهذه الغايه هي ارداه الناس تقديس من ينعم عليهم بالنعم كما كان حال اهل مكة فهم صنعوا اصناما للتقرب الي الله علي ما أنعم عليهم من نعم .. لكن ما الذي حدث لقد أخطأوا الطريق ولم ينظروا الي ما وراء السبب الذي تنتهي إليه النعمه فجاء التعبير بجمله الضلال المبين وهذا ليس فيه سب ولاغلظه ولاجفاء في عرض الدعوه وانما مثل ما تقول لمن تراه ينحرف عن الطريق الحسن الي الطريق المعوج تقول له أن الطريق من هنا فعد فأنت حائد اوضال عنه وهكذا قال إبراهيم لأبيه انك وقومك حائدون عن طريق الصراط المستقيم الحق فانتهم في انحراف ظاهر لاشبهه فيه واستعمل إدغام التنوين مع الميم في قوله (في ضلال مبين)

فيه ادخال ابويه وقومه في الضلال واصفا هذا الضلال بأنه واضح وظاهر لبيان ان متمكن منهم واستعمل (في) التي تفيد الظرفيه والمعني كانه محيط بهم من جميع جوانبه احاطه الظرف بالمظروف فأراد بهذا

يقاظ الفطره وتصحيح معيار الانتماء بأنه ليس للذوات وانما للفكره فيقول لهم أن ابراهيم تبرأ من أبيه فأراد بهذا التنبيه الي ماهم عليه من ضلال ليقول لهم أن معرفه الحق لا يكون بمعرفه انساب الرجال وانما يكون بمعرفه الحق الذي يعرف أهله به ولهذا تبرأ ابراهيم من أبيه فعندما تغيب الفكره والانتماء لها تنقلب ادوات الفكره ووسائلها اصناما تحل محل الفكره وهذا ما حصل للمشركين الذين غاب عنهم فكره التوحيد التي من اجلها اسكن ابراهيم من ذريته في مكه وقام واسماعيل ببناء الكعبه فقال (ليقيموا الصلاه فاجعل افئده من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون) فالايه ترسم لهم الطريق من خلال تكوين ثقافه جديده لمعرفه الحق بأنه يكون من خلال النظر للقيم والمبادئ التي تقوم عليها الحضارات هذا هو أساس قرأه الأحداث ولهذا كان ذكر اسم اب ابراهيم بالاسم ازر ليعلم اهل مكه أنهم ليسوا علي دين ابراهيم وانما هم علي دين ازر (والد ابراهيم) الذي تبرأ منه ابراهيم عليه السلام فالشرك عارض علي الفطره ولهذا فإذا سلمت الفطره من العارض فهي تعرف ربها كما ان الايه ترسم للدعاه المجال والرصيد الحقيقي للدعوه بأن فطره الإنسان هي المكان الحقيقي الذي يجب التركيز عليه في خطابه وكذلك دوائر الخير في المجتمع فالايه تقرر التوحيد بابلغ اسلوب وأقواها وتنفي الشرك علي أتم وجه فضلا عن تحقير الأصنام والسخرية منها ومن القوم العابدين لها بأنهم الغوا عقولهم فأراد بهذا اضعاف المشاعر التي لديهم من اصنامهم حتي يقضي علي مافي نفوسهم من مشاعر الهيبة والتوفير لها في نفوسهم ليقطع الروابط التي تربطهم بالاصنام لانه اذا انقطعت الأسباب التي تربطهم بالخرفات والاوهام لابد أن يوجد فراغ في نفوسهم ليتسالوا اذا كانت الأصنام ليست الهه فأين هي الالهه عندها تكون الفطره قد استيقظت من غفلتها فهي إذا سلمت من التلوث لاتقبل بها الها ولن تعبدها فهي تكره الأصنام وهي تبحث عن معبودها الحقيقي والعقلاء اذا امعنوا النظر في بواعث الكون فإنهم يهتدون بالنظر الي هذا النظام الدقيق الي دليل علي وجود الله عزو جل وتستطيع أن تعرفه اذا نظرت إلي ما في الكون ولهذا يأتي الجواب إن الله قريب منكم فهو تعالي موجود يعرفه الإنسان من خلال العلم الواجدي المفطور عليه الإنسان الدليل الذي أسماه القران الفطره الا نسانيه كما قال تعالي (فطره الله التي فطر الناس عليها) وهذا الطابع الفطري كما قلنا يعني الاعتقاد بأن الله واحد لا شريك له وأنه خالق الكل ومنزه عن النقص وان لهذا فالقران يذكر الإنسان بما في فطرته من علم فطري علي الدوام يذكره بما هو مرسوم بداخل كيانه ويدلل علي ذلك بأن الله قريب وما عليكم الا تنظروا في الكون لتروا جمال الله وجلاله وإحسانه وعطاءه وانعامه لتعرفوا ما وراء السبب الذي أوجد النعم ولهذا يعطنا الله مثال لذلك باستدلال ابراهيم في الكون الذي اوجده الله من العدم وانتظامه علي قوانين مطرده ونواميس محكمه وقيامه علي غايه التدبير والتكامل بين اجزائه والعنايه بما فيه من عجائب تدل علي الخالق سبحانه وتعالى فقال تعالي (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) اي يفتح فكره وعقله وقلبه في هذا الوجود ليتعرف الي خالقه وخالق الكون... فقد وجه ابراهيم قلبه وعقله ونظره إلي ملكوت السموات والارض وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

ان الحق يهدف من هذا أن يبين لك أن لاتقف عند الأسباب لأن الوقوف عند الأسباب تعني الوقوع في ضلال حيث أن هذا يعني عدم النظر إلي الموتر الحقيقي الذي تنتهي إليه هذه السلسله من العلل التي تربط جميع الموجودات في الكون فهي لاتقوم بذاتها وانما ترتبط بغيرها من الأسباب وجميع هذه السلسله من العلل تنتهي الي الله تعالي قال تعالي (وان الي ربك المنتهي)

ولهذا نجد القران يخاطب العقل وقلب وفكر الإنسان في أكثر من مواضع يطلب حضورهم ليتامل بحسه هذه الموجودات لينتقل منها الي ماوراءها ا ينتقل من ملاحظاتها في أوضاعها المختلفه الي ماوراءها اي ينظر إلي ماوراء الأسباب الي القوه التي تنتهي إليها جميع العلل والأسباب والمسببات وليدرك من هذه المقدمات الحسبه البديهيه ونتائجها القاطعه التي يظهر منها مظاهر الدقه في حركه الكواكب وما في الكون من موجودات ان لها ربا موجدا والها متفردا لا شريك له وأن له مطلق القدره والاراده والمشئيه و واسع العلم وأنه المستحق للعبادة و الطاعه ففري الشمس تتحرك في مجالها المحدد بدقه متناهيه وكذلك القمر فلا يمكن أن يتعدي منازلته تشاهد

كيف أن الكواكب والنجوم وكل ما في الكون يتحرك وفق نظام دقيق يدبر سيرها فيعلم أن لهذا الكون ربا موجدا والها متفردا لا شريك له وأن له مطلق القدره والارداه والمشييه و واسع العلم وأنه المستحق للعبادة والطاعة لانه لو لم يكن هناك مدبر ينظم سيرها من وراء الحجب لاختل نظام الكون كله وهذا دليل نافع للمتفكرين في هنيه الكون فالنظام الفلكي متعدد الإجراء وابتدات النصوص بقوله تعالي (فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي فلما أفلت قال لا احب الافالين) وبذلك يدور الدليل بين السمع والبصر والتفكر والنظر والمقدمات البديهيه القريبه ونتائجها السهله المسلمه وهذا النوع مع سهولته ويسره هو اقوي انواع الادله واقربها الي النفوس والقلوب واعظما في التأثير والاقناع لدلائها علي القلوب ومن اقصر السبل

فالقران يضع الإنسان أمام حقائق الكون والأشياء مباشره ليقون بنفسه أن الذي انواع هذا الكون ونظمه اله واحد لا شريك له هو رب العالمين الذي صدق المرسلين فيما بلغوه عنه من شان ولذلك يحث الحق عباده في النظر بـ الكون جمله قال تعالي (الم ينظروا في ملكوت السموات والارض

وماخلق الله من شي)

فهذا هو طريق الوصول إلي اليقين الذي يكون مطابقه الوعي والإدراك لما سكن في الفطره

الأمر الثاني

تبين النصوص أن اليقين أمر يجب أن يتعلم تعليم فقال تعالي (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال تعلموا اليقين فاني اتعلمه)

وهنا جاءت الآيات لتعطينا نموذج لتعلم منه اليقين أنه ابراهيم عليه السلام القدوه الحسنه للمسلمين فنجد الايه ابتدأت بالعطف (وكذلك نري ابراهيم)

اي الآراء المأخوذ من قوله نري ابراهيم اي مثل ذلك الآراء العجيب الذي اهتدي فيه ابراهيم بفطرته الي فساد عباده الاصنام وانها ضلال مبين نريه ملكوت السموات والارض اي نريه الحقائق والأسرار التي في الكون ندله علي المعرفه التي يهتدي بها الي ماوراء الأسباب ولفظ الملكوت صيغه مبالغه ل ملك مثل رحموت للرحمه وهي الأسرار التي تغيب وتحتجب وراء اسرار ما تشاهده بنظرك في الكون

فالعطف هنا يهدف إلي بيان اهميه أن تستجلب الصدق بمباحث الصدق في مواطن التفكر

يقول لك الحق إذا أردت أن تصل الي اليقين فعليك أن تسير في الطريق الذي سلكه ابراهيم فهو حيث أنه لم يخاف أن يصدع بالحق لانه شعر أنه مامون علي ما عرف من حقيقه فساد عقيدته الأصنام فلم يتردد في إنكار مايفعله قومه وابيه كان شجاعا وهو يقول لابييه (اتخذ اصناما الهه اني اراءك وقومك في ضلال مبين)

لم يبالي من رده فعل والده وقومه لأن المقام يحتاج الي الصراحه وإعلان البراءه فهو يدعو إلي ايثار الطاعه علي المعصيه ايثار العلم علي الجهل وإيثار الدين علي الدنيا

يري أنه مامون علي ما عرف من أحكام الحق وبالتالي فقد إدراك أن لهذا المعرفه واجبا عليه القيام به فالمعرفه امانه يحب يصدع بها وينقلها للآخرين ف الله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (يابن اني قد جاءني من العلم الخ

ولهذا يقول لك الله عليك الاقتداء بابرهم عليه السلام كي تصل الي اعلي مراتب اليقين ف الله عندما يعلم انك أمينا علي أسراره قائما بواجب العلم فإنه سبحانه وتعالى يمدك بمزيد من العرفان ولهذا قال تعالي وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين)

يطلعك الله علي ماغاب عنك من اسرار الكون فقلوه تعالي (ملكوت) تعني الاسرار الغائبه التي يغيب عنا معالمه وراء الأسباب والمسببات ولهذا يخطئ الكثيرون في تفسير ما في الكون من حركه ونحن نعلم من قصه موسي و الخضر كيف أن علم موسي وقف عند حد الأسباب فاستنكر خرق السفينه ...الخ

لانه لم يكتشف ما وراء الأسباب والعلم الذي كان عند الخضر

ثالثا

مما سبق يتضح لنا أن وسائل العلم يبدأ باليقين وقد ذكرنا علم اليقين وقلنا إن وسائله العقل والنقل فالقران لم يأتي بأمر الا وهو يذكر الإنسان بما هو في فطرته وماهو مرسوم فيها من إقرار فطري ولهذا فإن العقلاء يفكرون بما في الكون ونظرتهم تختلف عن النظره الماديين السطحيه فالعقلاء والحكماء ينظرون إلي بواعث الظواهر الكونيه ولذا فإنهم يهتدون بالنظر الي ما في الكون ونظامه الي دليل الواحدنيه لله بالخلق والأمر والحكم وحده لا شريك له حيث يتذكرون الخالق فيعبده وحده لاشريك له وتزد ادعقولهم صفاء وجلاء وتزداد عيونهم قدره علي الأبصار كما قال تعالي (أن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار)

وسيدنا إبراهيم كان موقن وقد أخبرنا الله أنه ابتلاه قبل أن يختاره ليكون للناس إماما فقال تعالي (إذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لابنال عهدي الظالمين) ومن ذلك الا بتلاء هو ابتلاء سلامه العقل والفكر وأمانه العلم محل هذا الدرس كما اوضحنا في بحثنا بسوره البقره ولهذا يقول لنا الحق هنا (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين)

والامر هنا لنا أن نواظب علي الاقتداء لابراهيم ليقوي يقننا كما قوي يقينه ولبيان كيف يكون الاتصال بالوحي وا لانتقال الي مرتبه علم عين اليقين الذي لايبقي بيننا وبين الشئ الذي نوقن به أي واسطه ومعال ذلك أن ما نشمه بحاسه الشم من الروائح وما نتذقه بحاسه الذوق ومائحه من الحراره والبرودة فعلمنا بغيبيات العالم الاخروي لا يبلغ درجه اليقين الا اذا تشرفنا بالوحي مباشره بلا واسطه وشاهدنا الكشوفات الالهيه الواضحه الصحيحه بأم أعيننا ولهذا قال تعالي (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) فابراهيم اتصل به الوحي في بدايه الامر عن طريق الإلهام والكشوف مثلما اتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم في بدايه الامر ب الرويا الصادقه

فابراهيم كان بحاجه الي الوحي الرياني المباشر لأجل اكتساب المعرفه الكامله كان يجد ظلماً وجوعاً لهذا العرفان ف الإيمان بالاله الحق الكامل القادر القيوم الحي الدائم لا يكتفي بمجرد المعرفه العقليه لأنها تكون ناقصه مالم يحصل لها الكمال بالوحي الذي إنما يحصل بالاستسلام بين يدي الله وان يكون حب الله فوق كل حب ليضحى الإنسان بنفسه وهو راض في سبيل الله و هذا إنما يكون بالمخاطبه والمكالمه مع الله فابراهيم كان يبحث عن باب المكالمه والمناجاه مع الله ولهذا تأتي النصوص مبينه ماذا راي ابراهيم وخطوات الوصول إلي علم عين اليقين فقال تعالي

(فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافالين فلما راي القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهداني ربي لآكونن من القوم الضالين فلما راء الشمس بارغه قال هذا ربي هذا اكبر فلما أفلت قال يا قوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)

الأمر الأول

ان المفسرون اختلفوا بشأن المقام الذي وردت فيه النصوص هل هو مقام نظر واستدلال ام مقام مناظره بين

ابراهيم وقومه وسبب الاختلاف يعود إلي أن النصوص ورد فيها قوله تعالى (هذا ربي) اي أشار الي النجوم فقالوا إنه تعريض وأنه استدراج لأن الله قد أثبت أن إبراهيم لم يكن قط من المشركين قال تعالى (وما كان من المشركين) وذهب البعض للقول بدون دليل أن هذا من ضمن الثلاث الكذبات المتسويه لابراهيم في الحديث اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا واسقطوا الثالثه التي دارت بينه وبين ساره واستبدالوا ها بهذه في حين ذهب الفريق الاخر للاستدلال بقوله (لئن لم يهداني ربي لآكونن من القوم الضالين) بأنه مقام نظر والحقيقه ان النص ورد في إطار تعليم المومنين اليقين فالإيهام مقصد من مقاصد البيان ليكون للنفس أن تذهب كل مذهب فالغرض تربيته المومنين علي عدم الوقوف عند الأسباب والمسببات وان تمتد النظره الي ماغاب عنها وراء الأسباب و المسببات والذي تنتهي إليه العلل والأسباب وهو الله تعالى في إطار تعليم اليقين فكان تصور المقام أنه مقام استدلال ونظر لما لابراهيم من منزله ومكانه في نفوسهم ليكون ذلك ابلغ في التأثير من مقام المناظره وان كان يجوز إطلاق المعني علي المناظره لأن الناس يحتاجون الي تعليم اليقين وللوصول الي الروحانيه الحقيقه وهنا تطرح عدده اسئله كيف الاهتداء إليه وكيف نظفر به فاخبرنا الحق أنه جعل لكل شي سنن ونواميس ومحرك لكل حركه وان طريق تحصيل كل نتيجته هو طريق الاستقامة الطريق المستقيم يقول لنا الحق أن أي شي لابد له من عمل ولا بد من الأخذ بالاسباب التي يتوقف عليها الوصول إلي أي غرض ولهذا لابد أن تحجري الوسائل التي توصلنا الي الطريق المستقيم وهذا يتطلب أن تفتح نوافذ الهدايه لدخول النور الإلهي الي قلبك فمن يغلق نوافذ غرفته كيف له أن يطلب دخول اشعه الشمس إليها ولهذا ابتدأت النص بقوله تعالى (فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافالين)

اي فلما دخل عليه الليل بظلمته واستعمل جن لافاده المبالغه في ستر الظلمه حتي صار كانه غطاء وهو وقت يكون فيها وحشه الإنسان الذي يحتاج فيه الي ما يونسه من وحشته فهو اي ابراهيم طلب الانس في مواطن الخلوه

وتدل علي أن أمر العقيدته صارت هي هم ابراهيم أنه نداء الفطره السليمه الذي يدعوه الي التأمل والتفكر في ادويه الفكر فالخلوه مهم في هذا المواطن كما قال تعالى (إنما اعظكم بوحده أن تقوموا لله معني وفردني ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه... الخ

فكان ذكر أن الليل غطي ابراهيم بظلمته واستعمل جن للتعبير عن الخلوه

فجاء تشبيه الليل كانه يحتويه فهو مشغول بربه الذي عرفه معرفه علم اليقين لكنه أراد أن يصل الي مرتبه عين اليقين وحق اليقين من خلال النظر في مخلوقاته تعالى ولهذا ابتدأت بذكر مشاهدته لأحد الكواكب والنجوم فجاء اللفظ بالنكره (راي كوكبا)

لأن النظام الفلكي يضم عددا لاتحصى من الأجرام الضخام .. فأراد أن يقول أن هذا النظام برغم ما فيه من اجرام وكواكب ضخامه وكبيره ومع ذلك فإن لكل منها مسار تتحرك في إطاره لاتخرج عنه ولا تتعدده ولا تتجاوزه فلا بد أن لها مدبر ينظم سيرها يمنع اختلال نظام الكون فلا يحدث التصادم فتسال بأسلوب التهكم والتعريض هل هذا الكواكب البارز بينهم هو المدبر الذي ينظم سير الكون من وراء الحجب الذي يمنع الاندثار والاختلال لهذا الكون فقال (هذا ربي) أنه علي سبيل التهكم كما تقول الفتاه لوالدتها عندما تري من شابا قبيحا المنظر وناقص بنظرها ولا تقبل به لأنها تراها غير اهلا لأن يكون خطيبها فتقول هذا خطيبي ... فقول ابراهيم علي سبيل التهكم ومناسبه ذلك مع ما قبلها من إنكار عبادته الاصنام لأن القوم كانوا يعبدون الهه متعدده الهه النور الشمس وآله الظلام القمر وآله النجوم الزهره اعتقادا منهم أنه ينزل الأمطار وصنعوا لها اصناما ترمز الي هذه الالهه وهم مقرون أن الخالق والرزق والمدبر هو الله ولا خلاف علي ذلك ولذلك كان الاشاره الي الكواكب علي سبيل التهكم واحتقار هكذا عقيدته

وليس أنه كان قابلا به وناسب هذا قوله بعدها (فلما افل قال لا احب الافالين) ولهذا نجد المد العارض للسكون ف

التطويل يراد به المبالغه لبيان ان ابراهيم يباليغ في إظهار عدم حبه الافالين

فالمراد بهذا كيف يكون النظر إلي الموجودات لمعرفة ما وراء الأسباب والمسببات فهو يقول إن الرب لا بد أن يكون قائما علي مخلوقاته لا يختفي عنهم وقت الحاجة فكيف يكون كوكبا ربا وهو يظهر ويختفي ولنفرض ان بقيه الكواكب خالفت النظام وهو غائب فمن الذي يمنع الفوضي في هذا الوقت فإن هذا لا يمكن أن يكون هو مدبر شئون الكون فلا بد من وجود قوه أكبر وأعظم وأقوي من هذا الكواكب قوي تستحق الحب العظيم تقوم بأمر المخلوقات ومصالحهم في جميع شئونهم

ولهذا جاء بعدها (فلما راي القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهداني ربي لاكونن من القوم الضالين)

اي لما رآه طالعت بضوءه وانارته علي نور الكواكب وتفردته بالحركة في الكون تسال علي وجه التهكم هذا ربي لأن الرب يعني السيد المطاع في امره ونهيه كما يفهم من قوله تعالي (قل اني هداني ربي صراط مستقيم دينا قيما مله ابراهيم حنيفا). والسوال هل هذا الذي يدبر شؤون الكون بهذا الانضباط فيها إنكار أن يكون هذا القمر هو الذي يقف وراء الأسباب والمسببات فهو له وظيفه محدده تنتهي بانتهاء الليل وظهور النهار ولهذا يقول (لئن لم يهداني ربي لاكونن من القوم الضالين) يريد أن يتلقي البشاره بالوحي والمكالمه مع الله في الدنيا في الاخره يريد أن ينعم الله ليكون من الذين أنعم الله عليهم والذي ندعوا الله في كل ركعه من الصلاه ونقول (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وهذه الانعام هي الكشوفات والإلهام التي ينعم بها الله علي أوليائه ويوتاهها إليهم مباشرة فهي نوع من الوحي ومن لم يرزق هذا النعم يكون قد وقف عند علم اليقين أو انحراف في الطريق ولهذا إبراهيم كان

يخاف أن لم يرشده ربه الي طريق السداد والتوفيق فإنه سوف ينحرف في الطريق الذي قد رآه أنه طريق ضلال فهو يعرف أن له ربا موجدا والها متفردا لاشريك له ولكن يريد أن يعرف اسماءه وصفاته وكماله كي يناديه ويدعوه ويحبه ويعبده يريد أن يتصل بربه بحيث إذا سأل ربه وجد الجواب يريد أن تصبح المكالمه والمناجاه مع الله هبه يتشرب منها من وحي الله المتدفق بالحياه والطهر والمتصف بالجلاء والصفاء فتزول الاغطيه التي تمنع الوصول إلي الله يريد أن يري عجائب عظمه الله والنور الساطع ومن هنا ذكر ان نقطه البدء في عقيدته التوحيد والصوره الاولي التي ينبغي أن املاء عقل الموحد ب الله ولهذا قال (فلما راي الشمس بارغه قال هذا ربي هذا اكبر)

خص الشمس بأنها أكبر من القمر في إطار بحث اين تنتهي الأسباب فالشمس هي الأخرى تتحرك وفق نظام دقيق ومحدد فهي لاتسبق القمر ولا الليل سابق النهار والكل في فلك يسبحون فكان الاستنتاج بأن هنالك قوه أكبر وأعظم تدبر هذا الكون وتنتهي الأسباب إليها أنها قوه موثره تتحكم وتهيمن وتحفظ هذا الكون فالسوال لأن مساله ان الله هو الخالق والرزق والمدبر ليس محل نزاع كثير فإذا سألتهم من خلق السموات والأرض فإنهم يعترفون أن الله هو الخالق وانما النزاع في عباده غير الله لذلك كان عاملهم باستنكار اتخاذ الهه مع الله وجاء بصيغه تهكم علي عباده النجوم والكواكب والقمر والشمس لبيان انه اذا كان الناس مقرون أنها مخلوقه فكيف تكون الهه ولهذا يختم القرآن هذا الحديث بقوله (فلما أفلت قال يقوم اني بريء مما تشركون)

اعلن البراءه من الاصنام ومن المشركين ومجي النص بالادغام في اعلان البراءه بالتنوين مع الميم (برئ مما تشركون)

اعلان البراءه من كل الأصنام وما ادخلوها في عبادتهم مع الله كما قال تعالي في موضع آخر (قال افرئتم ما كنتم تعبدون انتم واءباؤكم الاقدمون فإنهم عدو لي الا رب العالمين .. الخ

فالسوال لما كان الخلق والرزق والتدبير ليس محل نزاع كثير فالجميع معترف بوجود الرب

فالبراءه تعني أن يكون الحب لله وحده لا شريك له فلا يوجد بداخل قلبك حب غير الله ف الله يقول في موضع آخر (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكمإلي قوله احب اليكم من الله ورسوله وجاهد في سبيله فتربصوا أن الله لا يهدي القوم الفاسقين)

وهذا يعني أن الذين يحبون الأهل والأصدقاء والأموال علي حساب حب الله هم الهالكون لانهم أثروا في حبههم علي الله غيره

ولهذا فإن اعلان البراءه مهم هنا يستمد أهميته من اهميه الاستقامه الكامله للوصول إلي انعام الوحي الإلهام و الكشوف والاتصال بالله الاستقامه الكامله التي توصلك الي الاتصال الروحاني بالله بأن تبين نفسك لله تعالي بصدق وإخلاص ووفاء لتجد السرور والطمأنينه بعباده الله فإن هذا يعني أن تحب الله وحده وتخلص بطاعته بحيث لا ينبغي لاحد حب سواه ولهذا قال تعالي (لا احب الا فالين) فالحب العظيم لا يليق الا بالعظيم

وهذا التعلق بالله يعني أنك تنظر إلي الجميع دونه تعالي وكانهم قد ماتوا فالاجل أن تري الإله الحي الدائم القيوم الذي لا يموت لابد أن يطراً الموت علي ميولنا النفسانية ويطرا الموت علي حياتنا الماديه

فاننا نكون عميان مالم نصبح عميان عن رؤيه غير الله واننا نكون اموت مالم نصبح كالموتي بين يدي الله ولهذا توجه بإعلان الاستسلام والخضوع لله فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)

اعلان وصوله الي اليقين بأن الله هو الذي تنتهي إليه الأسباب والمسببات فليس هنالك شك في وجود الله وتدبره لشؤون الخلائق كلهم وهو خالق الكون والسموات والأرض بهذا الشكل كما قال تعالي (أفي الله شك فاطر السماوات والارض)

فاول مراد الحق من عباده أن يعرفوه من الوجوه التي إليهم منها فإنه قد تعرف إليهم من خلقه للخلق وتدبيره في الخلق ومن قدرته

القسم الثاني

بعد أن اختتمت آيات القسم السابق ببيان ان العلم لابد أن يترجم الي فعل ودلائل اليقين لابد أن يعبر عنها وهذا لا بد أن يكون فيه بيع النفس وما يملك لله ليكون له تعالي وحده لا شريك له

واستخدم الوجه لانه افضل ما في الإنسان للتعبير علي الإقبال علي الله باليقين الجازم ماثلا عن كل طريق غير طريق الهدايه وأنه لامجامله في العقيدة ولذلك بعد إعلان براءته من الاصنام يعلن براءته من المشركين الذين يعبدون الأصنام ف الله اكبر من الكون واكبر من كل شي وليس كمثل شي فهذا الإقرار هو نقطه بدأ الموحدين في معرفه الله تعالي

فاول ما ارده الله من عباده أن يعرفوه من الوجوه التي تعرف إليهم منها فإنه قد تعرف إليهم من خلقه للخلق وتدبيره في الخلق ومن قدرته على الخلق وتكفله بالارزاق الخلق وأمانته الخلق واحيائه الخلق فهو له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين

واراد منهم بعد هذه المعرفه أن يريدوا وجه الله بكل ما عملوا من أعمال البر ولا يروا غيره ولا يطلبون الثواب الا منه فالمعرفه قبل كل شي وهي أصل كل شي وهي تحقق العمل والأخذ والعطاء والحب والكره في الأعمال كلها ولهذا قال إبراهيم (ياقوم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)

فقد أعلن الاستسلام والخضوع لله تعالي حيث أن ثمره العرفان بالله أنه وجد من المعرفه والارداه القرب من

الله بالتفكر في آيات الله ما لا يجدها العبد بالكثير من الأعمال فقد وضع نفسه وكل ما لديه قربانا بين يدي الله لماذا ؟

لانه وجد بعد معرفه الله ان سعاده تكمن ان يقبل بأمر الله وان سعاده في طاعه الله وعبادته يخاف أن يطلع الله علي ضميره فيري فيها شيئا مما يكره ولهذا وجد في طاعه الله لذه لذه وسرور فهي غذاء الروح الحقيقي لتذوق طعم الجنه وانت في الدنيا فهذه هي ثمرات العباده وهذا يكون حافظا لبدايه نشاه جديده وحياه جديده للنفس المطمئنه وتطورها لتحل مكان اللوم الذي كانت النفس اللومه تكبل الإنسان لأجل تطهيره من الدنس وهي تفشل احيانا في أغلب الأوقات في تحريك الرغبات الحسنه فيه لتكون قوه الطاعه وتفشل احيانا في توليد قوه النفور للمعصيه

فالاستسلام تعني الفلاح بإحراق الحياه السفليه وإحراق الهتنا الباطله ونضع أنفسنا واموالنا وكل شي قربانا بين يدي الله حينها نورد هذا المعين نشرب ماء حياه جديده لتكون كل ما فينا من أعضاء وملكات كلها مرتبطه بالله تعالي حينها تخرج من قلوبنا نار وتنزل من أعلي نار تمتزحان معا لتحرق كل ما في قلوبنا من حب وهوي لغير الله ونبدا حياه جديده فقال تعالي علي لسان ابراهيم (وما أنا من المشركين)

يعني أن من آثار الحياه الروحانيه والوصول الي مقام النفس المطمئنه ان يطرأ الموت علي الميول النفسانيه و تخمد الشهوات من تلقاء نفسها وتهب علي الروح نسيم منعش فينظر الي تفسيراته السابقه بعين الندم وحينئذ يطرأ علي الفطره انقلابا عظيما يحدث تغيرا في حياته فيكون ولادته من جديد فيتعصل بالله اتصالا كانه يشاهده ويراه عينا عندها يزين الله له الحق ويحبه له ويقحتم جيش الحق مدينه قلبه فتكون كل حركه منه متصله بالله فيجد قوه من الله وتثار حواسه وملكاته الظاهره والباطنه تيدا حياه جديده تجذبه بكل شده ولهذا لا يخاف أحد لأن يصبح الله له عينا يبصر بها واذنا يسمع بها ويذا يبطش بها ولهذا تأتي النصوص مبينه آثار الحياه الروحانيه التي وصل إليها ابراهيم من خلال النص الذي يتناول الحوار والمناقشه بينه وبين قومه وردة علي ما اثاره من شبهات فقال تعالي (وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل)

عظفا علي ما قبلها من اعلان ابراهيم ما تواصل إليه من النظر والتفكر والتأمل في آيات الله المشهوده (قال يا قوم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

بيان انه تعالي جعل نجاه العباد برحمته في المعرفه ثم في الاراده ثم في ترك ما أمرهم بتركه ثم العمل بما أمرهم به ثم في شكر انعام الله الظاهره والباطنه والشكر علي قدر النعمه و مفتاح النعم وأفضلها وأولها هي نعمه المعرفه ولا اعظم نعمه بعدها الا نعمه العقل ونعمه الاراده

ولهذا تأتي النصوص بعد ذكر ما أنعم الله به علي ابراهيم وما انتهى من إعلان معتقده لقومه بأنه قد أخرج من قلبه كل الأصنام من دون الله وأنه قد استسلم لله وحده لا شريك له وأنكر كل ما سواه فقال تعالي (قال يقوم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) بجملة معطوفه عليها فقال تعالي (وحاجه قومه) لبيان ان قومه أخذ في محاجته فقال تعالي (وحاجه قومه) وعطفت بالواو دون الفاء لتكون مستقله بالأخبار بمضمونها مع أن تفرع مضمونها علي ما قبلها معلوم من سياق الكلام لأنها تبين رده فعل قومه بما يصور أن الجهل والشبهات والشهوات قد تمكنت من نفوس قومه وانهم وقعوا في الغفله فهم لم ينظروا ولم يتفكروا في آيات الله كما فكر ابراهيم عليه السلام فاول خطوه أراد الله من العباد أن يعرفوه من الوجوه التي تعرف إليهم منها فإنه قد تعرف إليهم من خلقه للخلق وتديبره في الخلق ومن قدرته على الخلق وتكفله بالارزاق الخلق وأماتته الخلق وحيائه الخلق وان له الأمر والخلق وهو ما توصل إليه ابراهيم فقال تعالي (قال يا قوم اني وجهت وجهي

للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين)وهنا جاء العطف بما يدل أنهم رفضوا القبول بالتوحيد ولم يقبلوا بما يدعوهم إليه من التوحيد (وحاجه قومه)

فالنصوص تبين أن رحمه الله إنما تكون لمن قبل الهدايه العامه ولهذا فإن قوم ابراهيم لم يقبلوا بهدايه البيان التي يدعوهم إليها والتي تتطلب منهم بعد معرفه الله أن يريدوا بكل عمل وجه الله و أن يعرفوا ما يكره الله وقمع ماتهوي أنفسهم مما يكره الله لأجل أن يجدوا النور الساطع الذي وجده ابراهيم في قلبه بل جاوا يجادلونه علي ما يدعوهم إليه

الأمر الثاني

لم تذكر النصوص ما هي الشبهات التي جادل القوم بها ابراهيم ؟

بيان انه جدل قبيح لانه وقع بعد وضوح الادله القاطعه علي وحدانيه الله تعالي وهذا أمر في غايه السقوط الي الحضيض فنزه المقام عن ذكر ماهو الجدل ولا الحجج التي احتج بها المشركون واكتفي بالاشارة اليها ايذنا بأنها لاتستحق الذكر ولاترتقي الي مرتبه الحجه لأنها لاتخرج عن شبهات حب الدنيا وملذاتها التي امتلكت نفوسهم وعناد وإصرار يعود إلي خوف فقدان الجاه والسلطان والمنزله عند المخلوقين كما قال تعالي عن مشركي مكة (أن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضا)

ولهذا نجد أن النصوص تنتقل الي جواب ابراهيم فقال تعالي (قال اتحاجوني في الله وقد هداني)

يقول ابراهيم مستنكرا عليهم ما يطلبون منه من الشرك فيقول لهم أبت معرفه الله أن يسكنها شي من مكاره الله وابت الاراده أن تنشغل بغير ما احب الله تعالي

هكذا هم أهل المعرفه ب الله وأهل اراده الله يكرهون أن يراهم الله سبحانه وقد اعتقدوا من ذلك شي حملتهم المعرفه بالاجلال لله وإيثار محبته علي الا ينظر إليهم سيدهم وفيهم شي مما يكرهه في مبلغ علمهم فهم يكرهون ما يكره الله في غيرهم فكيف يرضون به في أنفسهم

وذكر اسم الجلاله لبيان كمال التوحيد وجماله وجلاله سبحانه فهو يري حسنه وإحسانه وانعامه تعالي شاعرا بنعمه الايمان شغلته المعرفه بالفكر في كثره نعم الله عليه وشعوره أنه عاجز عن أداء شكرها مع عجزه عن احصائه وعدها فقلبه يحس بالافتقار الي الله والاقتراب منه ومن الدار الاخره حتي كأنهما رأي العين مقر بنعمه الله عليه واجلاله لله وتعظيمه قدرته ووعيده وأهوال يوم القيامة فقد كان استقرار ذلك في قلبه نورا أثار القلب وبدأ حياه جديده فيها عمران بعد خراب واضاءه بعد ظلمه فهو يجد في طاعته لله حلاوه دخول الجنه وهو في الدنيا فكيف يقبل ما يعيرون من خرافات بشأن الله والحال أنه تعالي قد هداه فقال تعالي (وقد هداني)

اي ارشدني علي الدليل القاطع ابي معرفه كل ما فيها سعادتني الحقيقه

ثانيا

ما علاقه قول ابراهيم (ولا اخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شي علما أفلا تتذكرون) بمعركه الأفكار والمعتقدات

عليك أن تعلم أن الأعداء اذا عجزوا من استهداف قوه المعرفه لديك في الجدل لانك تملك من المعرفه ما يكفي لدحض مايزعمون من أباطيل فإن السلاح الثاني الذي سوف يلجأون إليه هو محاوله أضعاف اردتك سوف يحاولون توجيه السهام صوب الهمة والعزيمه قاصدين بذلك الانتقاص من الهمة والتقليل من العزيمه

حيث والايات التي وردت في القران قد ذكرت أنهم بعد الجدل مع ابراهيم وعجزوا عن دحض الحجة التي أقامها عليهم ابراهيم عليه السلام فنكسوا رؤوسهم

وذلك لأن المقلد ليس لديه دليل اصلا ولهذا فمن الطبيعي أن يلجأ إلي وهم الخوف من مخوف فاستعملوا سلاح التخويف بأن من يترك عبادة الاصنام سوف يلحق به الآفات ويعتمد ذلك علي قصص وأساطير يتناقلونها جيلا بعد جيل

ولهذا جاء رد ابراهيم بقوله ١

(ولا اخاف ماتشركون به):-

وهذا فيه اهمية المعرفه وقوه الاراده فأظهر ابراهيم قوه أردته بقوله لهم اني لا أبالي باصنامكم التي تعبدونها فهي عاجزه لاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا واستعمل لفظ المضارع ما تشركون به للدلاله أنها في غايه العجز ؛ الحاضر والمستقبل في عموم الازمنه والجمله معطوفه علي ما قبلها (بعد أن هداني الله) وهذا فيه تربيته الداعيه علي الثقة ب الله وهذه الصفه وثيقه الصله بالإيمان فكلما قوي الايمان ورسخ بالقلب كلما ازداد بربه ثقته فلا يرجوا أحد غير الله ولا يخاف أحد غير الله

٢

(الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شي علما)

استثناء منقطع وفيه تفعيل ثقته الداعيه بربه بالإيمان القوي به وحده لاشريك له وتفعيل هذا الإحساس مهم لكل داعيه لانه يكسبه ثقته عظيمه بربه وأنه ستار أداء قدرته تعالي يستمد عزته من قوه إيمانه و إقراره بالتوحيد بأنه الاعتراف لله بالربوبيه والالوهيه والعبودية لله تعالي ولهذا فإنه لا يخاف الا من الله وحده تعالي ولا يرغب في شي أكثر الا الله فيكون مستلما بين يدي الله قابلا بقضائه وقدره ولا يحب الا في الله ولا يعادي الا في الله

فهو ينفرد بإشعار قلبه في تفويض قدره الي الله تعالي والتبري من الحول والقوة

يقول لهم أنه يتوكل علي الله ورعايته وعنايته تعالي فهو واثق ب الله متوكلا عليه اكتفي بعلمه ب الله عن الا شتغال بغيره لانه قد علم أن الذي يوصل اليه المنافع هو الله تعالي وحده لا شريك له

فالتوكل تعني أن تقطع رجاءك عما سواه تعالي في أي أمر أمور دنياك واخرتك في كل حاجاتك فأبراهيم يقول لهم أنه لايري نفسه موضعا لاختيار نفسه لأن الله حسبه فمن كان كذلك فقد سكن روح اليقين قلبه فهذه المنزله ارفع منزله في سكنون القلب الي الله والطمأنينة بموعود الله لأنه قد جعل الله حسبه من جميع خلقه ولهذا يقول لهم أنه استغني ب الله المعطي والمانع عن كل ما سواه وهو تعالي واسع علمه كل شي فأراد بهذا الاستئناف البياني (وسع ربي كل شي علما)

ازاله التوهم الذي قد يتبادر الي أذهان السامع في قوله إلا أن يشاء ربي شيئا)

فيقال أنه متردد فكيف يقول إنه لا يخاف شيئا ثم يذكر هذا الاستثناء

فجاء هذا الاستئناف البياني لبيان انه واثق بربه والمعني أن تركت الجزم وإنما تركته لعلمي بالعواقب اعلاما بأن تلك الأصنام عاجزه الا اذا اراد الله شيئا فإن ذلك يعود لاراده الله وهو تعالي له حكمه في ذلك

٤

أفلا تتذكرون

ان هذا الأمر يوقظ الفطره لانكم تعلمون أن الخلق مضطرون الي الله في كل حال وفي كل حركه وفي كل سكون فمن وثق بغير الله لا يغيثه وقد راي أن ملكا اكبر من ملك الله وهذه الجمادات عاجزه وناقصه ومسخره فكيف لها أن تضر أو تنفع والاستفهام إنكار عدم تذكرهم مع وضوح الادله وتذكر صفات الإله الحق التي دلت عليه مصنوعاته

وكما قلنا إن أول ما أراد الحق من عباده أن يعرفوه من الوجوه التي تعرف منها إليهم فإنه قد تعرف إليهم من خلقه للخلق وتديبره لشؤون الخليقه وقهره لهم وتكلفه بالارزاق فله الخلق والأمر فقضيه العقائد مأخوذ بالفطره وان اقبال النفس علي الملذات وتحصيل الشهوات هو ما يطمس الفطره ولهذا فإن المطلوب منك ليس تغيير فطرتك بل المطلوب منك أن تتذكر فالفطره تعرف ربها

ثالثا

(وكيف اخاف ماتشركون به)

يقول ابراهيم كيف يخاف من وجد الله وعرفه بأنه القوي ف الله يقول (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه)

فالتوكل علي الله لا يلتفت الي الدنيا لانه لايرها لنفسه خطرا ولايرها ونفسه وجميع ما فيها الا الله ويستوي عنده ركوب البحر أو المشي في البر والانس والوحشه والعمل والجلوس لأن الله كاف من توكل عليه

فالتوكل علي الله تعني اخراج من قلبه كل مخوف ولهذا يقول لهم لقد أخرجت العالم من قلبي فانا مستغني ب الله عما سواه لانني اعلم أنه لانا نافع ولاضار سواه والعجيب هو حالكم تريدون اني اخاف من أصنام عاجزه وانتم توقرون وتعظمون اصناما ولا تخافون انكم ابتدعتم او ثانا

(ولا تخافون انكم اشركتم ب الله ما لم ينزل به عليكم سلطانا)

لاتخافون عقاب الله عندما تخالفون أمر الله وتشركوا به تعالي مع العلم أنه لادليل علي صحه ما تعبدون فالأصل أن قوه الخوف هذه تودي الي شدة الإقبال علي الله وفهم كتابه فالأصل أن قوه الخوف اداه النجاه لكن هذا إنما يكون إذا استعملت في موضعه فالانتفاد هنا احتقار لعقول هولاء فهم لا يحسنون التدبير فلا يضعون كل شي في موضعه فهم يخافون الأصنام العاجزه ولا يخافون الله ولهذا جاء اخفاء الميم مع الباء بقوله (اشركتم ب الله) لالشاره الي فساد القوي العقليه المنطقيه الإيمانية لديهم والتي تفسد بالكفر فجاء الاخفاء لأن من يعبد اصناما من دون الله كافر والكفر الستر والتغطية فكان عباده الاصنام غطت علي قلوبهم بزياده الكفر فاخفته وسترته ثم عبد صنما سماه هو بنفسه أو أبواه ومن كان هذا حاله فهل استعمل عقله ام أخفاه لاشك أنه أخفاه وستره عن رؤيه الحقيقه وبالتالي بطلان عبادته وخفاء مشروعيتها فالخفاء ناسب الاخفاء

ولهذا جاء السؤال (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعملون)

فيقول أي الفريقين علي الصواب من عبد الذي بيده النفع والضرر أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل فأيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة أخبروني من الذي احق بالسلامه وسمي نفسه فريق وبقية القوم فريق فأراد بهذا اظهار التمييز بين المومنين وبين الكفار أراد اعلان البراءه من العلاقه التي تربطه بهم من صله نسب أو وطن أو غيره ليكون التمييز قائما علي الهدى والضلال علي الإيمان والكفر

والسؤال يتضمن الجواب لمن كان له شي من العلم الفهم لأن الأصل أن المهتدي هو من يعرف الغايه
فيقول لهم لاترغبوا عن الله بجهلكم فتخضعوا لمن دونه عند تخويف الشيطان فيستولي عليكم عند ذلك كما قال
تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفره منه وفضلا)

فما يضرك من مواعيد الشيطان مع ضمان الرحمن ولهذا قال بعدها (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك
لهم الأمن وهم مهتدون)

يقول لهم أن الذين آمنوا عن علم ومعرفة بربهم وصدق وإخلاص ووفاء بأن سلكوا الطريق المستقيم الذي حدده
لهم الله ولم يشركوا ب الله شيئا لانهم لايعرفون مع الله غيره فلم يخالطوا إيمانهم باي شرك فالظلم هنا الشرك
كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث والأحاديث النبوية نقلت لنا كيف تلقي المسلمون هذه الايه وانهم
خافوا من الهلاك فأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن معني الظلم هنا الشرك لقوله تعالى علي لسان لقمان
(يا بني لاتشرك ب الله ان الشرك لظلم عظيم)

ورده فعل المسلمين عندما سمعوا الايه تعطينا كيف كان المسلمون يتلقون الايات القرانيه فهم كانوا يشعرون أنهم
المخاطبون بالنصوص مباشره من الله وذلك هو سر ذلك الانقلاب في حياه المسلمون والنهضة التي أحدثت هذا
التغيير في واقع العرب فإذا أردنا أن تستعيد دورنا في قياده العالم فعلينا أن نسلك الطريق الذي سلكه السلف
الصالح

فالمهتدي هو الذي يكون عارفا بالغايه التي يسعى إليها والوسيله التي توصله إلى هذه الغايه ليكون قادرا على
مواجهه الأخطار التي تهدد بالخوف والعطل للمكات أو الانزلاق في تعرجات الطريق ولهذا فإن وسيله الوصول إلي
الغايه بالسلامه والأمان إنما تكون باتباع المنهج الرباني الذي يرسم لك طريق الهدايه ف الله هو خالق الإنسان
ويعلم ما يصلح للإنسان ولهذا يقول لنا أن الأمن حاصل بالتوحيد الخالص فهو تعالى يريد منا أن نتصل بمنهجه
اتصالا وثيقا بحيث تكون كل حركه موافقه لمنهج الله إذا أردنا الامن والسلامه فأنت لاتكون موفق في اي حركه
إذا لم تكون لحركتك غايه مرسومه فإذا أردت النجاح بالوصول الي الغايه فعليك أن تاخذ بما في كتاب الله فهو
تعالى يقول في موضع آخر (ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين)

.....

ثالثا

تبين النصوص ان اللازم علي الداعيه أن يشعر أنه صاحب قضيه يدعو إليها ويدافع عنها فآخبرنا الله أن هذا
السلوك هو سلوك الرسل وأتباعهم ولهذا ذكرت النصوص قول ابراهيم عن نفسه (فأي الفريقين أحق بالأمن أن كنتم
تعلمون)

مع أنه واحد فلم يؤمن به سواء لوط ومع ذلك يعلن أنه فريق متميز عن فريق المشركين يعلن أن لديه قضيه
يحملها يشعر أنه صاحب هذه الدعوه وأنه مكلف بالدفاع عنها ويشعر بان الله انعم عليه بالإيمان ولم يخالط
إيمانه بشرك وأنه يدعو إلي الحق يواجه الفريق الآخر بشجاعه وثبات فلم يضعف أمام الاكابر والملوك شاعرا أن
الله يقف في صفه وواثقا أنه علي الحق ولهذا قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم علي قومه نرفع درجات
من نشأ أن ربك حكيم عليم)

يخبرنا الله تعالى أنه يقف مع أولياءه ولهذا استخدام اسم الاشاره (تلك)

الي جميع مانكلم به ابراهيم في محاججه قومه هي برهان علمه الله إياه لتكون حجه عليهم واضاف إسناد
الحجه إلي ضمير المعظم لنفسه لتعظيم شأنها وصحتها ولبيان أنها فضل من الله ولهذا اتبعها بقوله (آتيناها

ابراهيم) والايلاء بمعني الاعطاء مثل قوله (واتي المال علي حبه)

ويكون المعطي هو من له اليد العليا وأما المعطي اليه فهو صاحب اليد السفلي واستعمل مجازا في تحريك العلوم سواء كانت في الذوات أو المعاني يقال أتاه الملك وأتاه الحجة وأتاه الحقيقه وهنا أخبرنا الله أنه أتى ابراهيم الحجة القاطعه التي افحمت المكذبين

فدل هذا أن كل داعيه يحتاج الي الحجة وهو العلم الذي هو الركيزة التي تقوم عليها أساس بناء الدعاه فهو السلا ح الذي يخوض فيه معركه الأفكار والمعتقدات والملل والنحل لبيان عظمه ما يدعون إليه ولهذا ذكر الله انه يرفع درجات من يشاء بمناسبة ذكر قصه مناظره سيدنا ابراهيم مع قومه وفي قصه احتيال يوسف وهذا يعود إلي مناظره ابراهيم كانت في العلم بالحجه فيها اظهار صدق الدين ودفع اوهام المكذبين فهو علم متعلق بدفع المضار عن الدين بينما في قصه يوسف فهو علم بما يدفع مضار الدنيا ويجلب منافعها اي علم بالسياسه أما علم ابراهيم بـ الحجج في الدين لتخليص ما يفسد علي الناس دينهم وكلا العلمين بهما يصلح صلاح الناس أو فسدهما فالبدع و الظلم من مفاسد أصحاب الرئاسه الدينيه والرئاسه القدرية

وتختتم الآيات بقوله تعالي (أن ربك حكيم عليم)

ان الله حكيم في أفعاله وأقواله يعلم من يستحق الهدايه فهو حكيم في عطاياه وعليم بمن يستحق العطاء وقدم حكيم هنا علي عليم لأن المقام مقام تفضيل فكان تقديم مظهر الحكمه ثم اتبعه بالعلم مناسباً للمقام

القسم الثالث

ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسي وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحي وعيسي والياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا علي العالمين ومن ءابائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الي صراط مستقيم ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبطينهم ما كانوا يعملون اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوه فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده قل لا اسالكم عليه اجرا أن هو إلا ذكري للعالمين)

اولا

بعد أن ذكر الحق ما انعم به علي ابراهيم وختم أنه يرفع درجات من يشاء وأنه حكيم في الاصطفاء والإختيار لمن يحمل رسالته ولهدايته فهو عليم بمن يستحق العطاء

(ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

يلفت الحق عباده الي عطاءه وانعامه وإحسانه علي ابراهيم وتكريمه له في الدنيا والآخرة بذكر عطاءه بأن وهب ابراهيم الولد وولد الولد فقال تعالي (ووهبنا له اسحاق ويعقوب)

وعطف الجملة علي ما قبلها التي اختتمت بذكر أنه يرفع درجات من يشاء من عباده فجاء العطف بكلمه ووهبنا فأراد بهذا أن يبين لعباده ان عطاء الله لعباده من غير استحقاق لأن عقد الهبه لا يتوقف علي مقابل فهو عطاء وإحسان وتفضل منه تعالي

فأراد بهذا أن تشعر أنه تعالى مصدر النعم كلها وهو أصل كل خير وهو سبحانه المتفضل ابتداء وانتهاء فهو الواهب تفضلا منه وإحسانا ومن ذلك التناسل والتكاثر فلا يعني التقاء الزوجين وانشاء علاقته جنسيه قوه إنجاب فالأمر ليس كذلك بل الأمر يعود إلي عطاء الله فهو الواهب كما قال تعالى (لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء ويهب لمن يشاء إنانا ويهب لمن يشاء الذكور)

ولهذا فإن الايه تريد بهذا المسلك أن تغوص في أعماق النفس الإنسانية لانه تعالى لم يرتب علي عطاءه حق له إلا التوحيد وكذلك فانه لم يرتب علي عطاءه إرغام الناس علي الإيمان بل هو يخص بالعطاء المومن والكافر وهذا يعود لانه يريد إيمانا ناتجا عن اراده حره ولهذا فالمطلوب منك أن تري حسن الله وإحسانه وكماله وعظمته وعطاءه وانعامه فانت تعيش في ملكه وانعام ساقها الله اليك

ليكون منك رؤيه جمال الله وجلاله وإحسانه والاتصال به فهو يقف وراء كل تجاربك في الحياه في حياتك بل وراء ماستقوم به في نفس الوقت بهذه التجارب فهو سر الوجود فعليك أن تتوق الي الائتلاف به فقوه الشعور الديني ليس ادركا ونظر فحسب أنه وجدان وانفعال والتقائه واتصال وتذوق ومناجاة القوه العليا التي تقف وراء كل شي

الأمر الثاني

يلفت انتباهه المخاطبين الي انعام الله وعنايته باوليائه وان الاسلام لايسرق الإنسان من الدنيا ولا يصادر مباحج الحياه بل إنه عندما دعا الي التغيير والاستسلام لله فإنه أقام هذا التغيير علي الأسس الإيجابية فالحياه الدينيه التي اوجب علي المومن أن يجري وراءها لن تكون بالحرمان من الحياه وما فيها من زينه فاخبرنا الله تعالى

أنه وهب لابراهيم إسحاق ويعقوب عوضا عن قومه المشركون الذين اعتزلهم وما يعبدون وخص بالذكر اسحاق ويعقوب دون اسماعيل لأن هذه النعمه كانت خارقه للعاده لأن ولاده اسحاق كانت من ساره وهي عاقر لاتنجب وايضا أن إبراهيم كان في سن كبير فقد وهب له اسحاق جزاء إيمانه وإخلاصه وكمال إسلامه بعد ابتلاءه بذبح اسماعيل

فاول هذه النعم التي تفضل الله بها علي ابراهيم نعمه رزق الولد اسحاق ثم رزق ولد الولد حيث بشرت الملائكه ابراهيم وامراته وهم في طريقهم لاستئصال قوم لوط فكانت البشره معجزه أثارت عجب زوجه ابراهيم كما قال تعالى (قالت ياويلتي الد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا أن هذا لشي عجيب) فجاء الجواب (قالوا اتعجبين من أمر الله... الخ

فكانت اعظم نعمه من البشاره بالمولود اسحاق هي البشاره بولد لهذا المولود في حياتهما لأن من كان في هذا السن يظن أنه لن يري ولد الولد فقال تعالى في موضع آخر (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب)

وهذا فيه فرح لهما بمثل الفرحة بالولد فرحوا بولد الولد وسماه يعقوب وهو لفظ مشتاق من العقب والذريه

فأراد بهذا أن يستلهم المومنون الصوره من قصه ابراهيم بمناجاة الله فهو لايعجزه شي لتكون حياه أهل الإيمان قائمه علي الامل بعطاء الله تعالى والقبول باختياره تعالى وإخلاص الاسلام لله تعالى والانقطاع لله تعالى فلا يأس من رحمه الله ولاقنوط من رحمته تعالى فهو تعالى حكيم في اختياره وعليم بمن يستحق ذلك

ثانيا

ان نعمه الذريه لاتكون مفيده الا اذا انعم الله علي الذريه بالهداية فعلينا أن نطلب من الله الذريه الصالحه ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى بعد ذكر نعمه رزق الله علي ابراهيم بالذريه يذكر أنه انعم عليه بنعمه رزق ذريته الا

استقامه علي طريقته واعطاهما اي اسحاق ويعقوب الكتاب والحكمة والهدايه فقال تعالى (كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل)

فأراد الحق بهذا

المفهوم الاول

ان نطلب من الله الذريه الصالحه عندما ندعوه تعالى ان يرزقنا الذريه إذ لافائده من الذريه اذا لم تكون صالحه فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر عن دعاء زكريا (فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا)

المفهوم الثاني

ان يغرس في قلوبنا الشعور بقيمه الهدايه والاحساس أنها أعظم النعم التي ينعم الله بها علي من يشاء من عباده ولهذا جاء إسناد الهدايه إلي ضمير المعظم لنفسه مما يدل علي عظمه الهادي وهو المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال ولبيان أن الاصطفاء والإختيار للهدايه نعمه يختص الله بها من يشاء من خلقه ممن يجعلهم اهلا للا نتساب الي أهل الإيمان ولحمل رسالته ومن يكون اهلا لعنايته ورعايته سبحانه وتعالى

المفهوم الثالث

تبين النصوص شرط الابواه الشرعيه التي يحرص عليها المومن بأنه يكون في اتباع منهج الله واقامه العهد ولهذا أخبرنا أنه تعالى انعم علي ابراهيم بالذريه الصالحه التي استقامت علي طريقته فقد عوضه الله بنعمه الذريه الصالحه عندما اعتزل قومه وتركهم وما يعبدون من دون الله كما قال تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) وهبنا قال (ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا)

فالتسلسل إنما يتم باتباع المنهج واقامه العهد وبدونهما ينقطع الارتباط وينقصم التسلسل ف الله سبحانه يقول في موضع آخر (وإذ ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين) ولهذا عطف علي ذلك بقوله (ونوحا هدينا من قبل)

لبيان انه جد ابراهيم عليه السلام الذي ينتسب إليه فذكر مدح اصوله وفروعه الذين التحقوا بمدرسه الحق الاسلا م التي انتسب إليها الانبياء ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم فليس العبره في مدرسه الابواه المسنده باتباع منهج الله بالتسلسل العرقي وانما باتباع المنهج ولهذا ذكر نوح أنه جد ابراهيم عليه السلام وأنه أصله بينما ذم ابيه ازر لانه مشرك وفي هذا اشاره الي انقطاع الارتباط والتسلسل بالانحراف عن الهدايه لأن ابن نوح نفي الحق أن يكون من أهله فقال تعالى (أنه ليس من أهلك) لأن عمله ليس صالحا وهذا ماقرره الحق في القران مقررًا ارتباط الأبوي للمسلمين (مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء علي الناس)

ثانيا

كما أن ذكر مواكب الانبياء والابواه التي ينتسبون إليها في معرض الامتنان بهدايه اسحاق ويعقوب ذكر الهدايه قبل ذلك لآبو البشر الثاني نوح من عليه السلام ودون النظر التسلسل التاريخي وهذا فيه

الأمر الاول

يعني أن عليك أن تدرك أن حقيقه الوصف الحقيقي لمدرسه الابواه الشرعيه التي يكون بينها الارتباط والتسلسل

في المراحل المتلاحقة تكون بحمل دعوه الله واتباع منهج والوفاء باقامه العهد فهذه هي مدرسه الاسلام التي ينتسب إليها الانبياء ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم في المراحل المتلاحقة وان تباعدت مسافاتهما فما بين نوح وإبراهيم آلاف السنين

فاخبرنا تعالي أنه هدي نوح الي الحق والي طريق الهدايه المستقيم فهذه الطريق هي نفس الطريق الذي سلكه ابراهيم وموكب الانبياء ومن اتبعهم من آباءهم وابناءهم وإخوانهم الذين اخترهم الله للهدايه

وهذا فيه تقويه البواعث في نفوس السامعين في التمسك بالمنهج طمعا في الالتحاق بمدرسه الابواه الشرعيه التي انتسب لها الانبياء و

فيه تكوين الانفعال الخلاق الذي يولد الاحساس انك في نعمه عظيمه عندما تحمل دعوه الله فأنت تقوم بعمل الا نبياء تشعر انك وريث الانبياء

تشعر وانت تبلغ دعوه التوحيد أن الله اختارك واصطفاك فتشعر بما أنعم الله عليك تشعر انك مكلف من الله بمهمه عظيمه لتكون هذه المشاعر والاحاسيس محرك للعزيمه فلا تضعف ولا تقف في منتصف الطريق

فالرسل جميعا من نوح الي خاتم الانبياء والمرسلين جميعا حملوا الدعوه الي الله والتوحيد فالدعوه الي الله هي وظيفه الانبياء وأتباعهم في كل زمان ومكان فعلي الداعيه الايمان بما يدعو إليه والاحساس بالمسؤولية والشعور أنه صاحب قضيه فلا تتوقف ولا تتواني فنوح عليه السلام ظل يدعو إلي دين الله تسعمائة وخمسين سنه ولم يستجيب له إلا اعداد لاتصل الي ثلاثه عشر شخص لكنه ظل يدعو إلى الله ويناهض الشرك فهذا هو اب البشر الثاني نوح و ابراهيم هو اب الانبياء كما قال تعالي

(وولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوه والكتاب) وقال تعالي أيضا (اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ومن ذريه ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذريه ابراهيم وإسرائيل ومن هدينا واحتببنا ...الخ

الأمر الثاني

علي من تعود الضمير في قوله تعالي (ومن ذريته دواد وسليمان وايوب ويوسف وموسي وهارون وكذلك نجزي المحسنين وذكريا ويحي وعيسي والياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا علي العالمين)

ذهب البعض للقول إنه يعود إلي ابراهيم لأن السياق فيه الثناء عليه وقال البعض إن الضمير عائدا الي نوح لأن لوطا ليس من ذريه ابراهيم فقال البعض أنه ذكر ذلك علي سبيل التغليب كما هو في قوله تعالي (ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وآله ابائك ابراهيم وإسماعيل واسحاق...الخ

وان اسماعيل ليس اب يعقوب وانما ذكر تغليبا ابليس مع الملائكه مع أنه من الجن كما قال تعالي (فسجد الملا نكه كلهم أجمعون الا ابليس)

فرد الآخرون أنه حتي هذا لا يكفي لأن يونس ليس من ذريه ابراهيم وهو ما يعني أن الضمير يعود علي نوح ...

والحقيقه ان الايه تهدف إلي بيان وصف التسلسل الأبوي لمن ينتسب الي مدرسه الاسلام الحق مدرسه الانبياء و المرسلين ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم اي أبواه المنهج الرياني فهذا هو الغرض الأساسي لانه بعدما ذكر كفر اب ابراهيم وذكر أنه عوضه تعالي بالذريه الصالحه ذكر أن الجميع ينتسبون الي أبواه المنهج فهذا هو التسلسل بينهم وان تباعدت المسافات بينهم مثلما ذكر الحق أن المسلمين هم ابناء ابراهيم فقال تعالي (مله

مما سبق يتضح لنا أن الایه تهدف إلي اعطاك وصف حقيقي لمعني مدرسه الخير الاسلام مدرسه الحق مدرسه الایه نبياء والمرسلين ومن اهتدي بهدایهم وتناسل علي منهجهم اي أبواه المنهج واقامه العهد فهذه مدرسه الهدایه ويقابل ذلك مدرسه والضلال ولهذا لم يراعي التسلسل التاريخي والزمني لارسال الرسل لان الترتيب ليس غرضا لایه وقد حاول بعض العلماء تقسيم الانبياء حسب فضلهم الي ثلاثه انواع بجمع بين كل قسم منها معني مشترك فقالوا القسم الاول:-

دواد وسليمان وايوب ويوسف وموسي وهارون فقالوا إن دواد وسليمان أيديهم الله بالملك والتبوه ووالحكم و السیاده... فدواد كان ملك وسليمان كذلك وقالوا إن ايوب كان غنيا أميرا محسنا ويوسف وزيرا وقد ابتلاههم الله في السراء فصبروا وفي الضراء فشكروا وقالوا إن موسي وهارون كانا حاكمين ولم يكونوا ملكين وقالوا إنه ذكرهم علي سبيل الترقی في هدي الدين فافضلهم موسي وهارون ثم ايوب ويوسف ثم دواد وسليمان وقالوا إن هولاء قد منحهم الله هدایه الدين والدنيا فوصفهم الله بالاحسان بأنهم أحسنوا الاستجابة والقبول فجازهم به الهدایة الي سبيله وشرفهم بالرساله وهو جزاء لكل من فعل فعلهم واهتداء بهدایهم

الصنف الثاني

هم زكريا ويحيى وعيسي والیاس وهولاء اتصفوا بالزهد عن الدنيا وزینتها وقد خصهم الله بأنهم من الصالحين با لاشاره الي هدايتهم الي مافیه الصلاح فحسنت أحوالهم وأقوالهم وسلوكهم وصدقت أحوالهم

الصنف الثالث

اسماعيل واليسع ويونس ولوطا فهم ليس لهم من الملك والریاسه والحكم ما أوتي الصنف الاول وليس لهم الزهد الذي اختص به الصنف الثاني وقد ذكرهم بالتفضيل علي عالمي زمانهم (وكلا فضلنا علي العالمين)

والایات وردت بعد ذكر أنه سبحانه وتعالی يرفع درجات من يشاء... ودرجات الفضائل اربعة في قوله تعالی (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

وبالتالي فإن الله يخبرنا عن هذه الفضائل فمن أراد أن ينال هذه الدرجات فعليه أن يتبع منهج الله. و سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه هي الوسيله للانتساب الي مدرسه الانبياء والمرسلين ومن اهتدي بهدایهم وتناسل منهم علي منهجهم فالابواه هي أبواه المنهج واقامه العهد

ولهذا قال تعالی (ومن اباءئهم وذريتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الي صراط مستقيم)

ف (من) للتبعيض تعني أن بعض أباء هولاء وبعض أبناءهم وإخوانهم من اصطفاهم الله واخترهم ليكونوا مهتدين بهدي الانبياء فتناسلوا علي منهجهم بأن من الله عليهم بالرعايه والتفضيل فدل أن هنالك بعض لم يهتدي الي مدرسه الانبياء والمرسلين وانما التحق بمدرسه ابليس الفسق الاتري قول الله (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوه والكتاب فمنهم مهتدي وكثير منهم فاسقون)

ولهذا فإن كلمه واجتبيناهم وهديناهم الي صراط مستقيم... تعني أنه سبحانه وتعالی خصص بهدایته من يشاء فرزقهم التوفيق والسداد فذلك فيض الهي من به علي من يشاء

رابعاً

بعد أن ذكرت النصوص استعراض موكب مدرسه الانبياء والمرسلين ومن اهتدي بهديهم وتنازل منهم علي منهجهم تاتي بتوجيهات مختلفه بعد هذه المقدمه فقال تعالي (ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون

فيها الآتي

المبحث الأول

(ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)

ان الايات وردت بعد ذكر اهميه العلم النافع الذي يزيل عنك اللبس الذي يغطي عنك رويه الحق من الباطل ولهذا فإن الإنسان بحاجة الي الاهتداء الذي يعرف به ربه واسماؤه وصفاته وكماله وما أوجب عليه من الأعمال والأوامر ومانهي عنه يحتاج الي معرفه حقوقه وحقوق بني جنسه والكثير من المعاملات الناتجه عن الاجتماع فهو بحاجة الي العلم المتعلق بالدين والدنيا حتي لا يقع في اللبس الذي يخلط فيه الحق والباطل كما أخبرنا الله فقال تعالي (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

وقد سبق قبله ذكر أن الناس ينقسمون الي فريقين فقال تعالي (فالي الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعملون)

لابراهيم وضع نفسه بمنزله فريق متميز والمشركون فريق انقطعت الصله بينه وبينهم برغم صله النسب

فاظهار أنه فريق مستقل عنهم فيه تقرير انقسام الناس الي فريقين مدرسه الخير(المهتدون) ومدرسه الشر (الفاسقون) وموسسها الشيطان

واساس هذا التقسيم يعود إلي بدايه فجر البشريه حيث أخبر الله آدم حينما سلم له مفتاح الأرض ليمارس الخلا فه عليها أنه جعل شرط ذلك التوحيد وأنه جعل للخير اهلا مثلما جعل للشر اهلا فجعل من يتمرد عن أمر الله من ابناء ادم أو الشيطان تابعين لفريق الشر

ومن اطاع أمر الله وقام بالوفاء بالعهد من بني ادم أو أبناء الشيطان تابعين لفريق الخير ومدرسه الخير فقال تعالي (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وجعل شرط الخلافه التوحيد والهدي المنهج الرباني الذي يحمله الرسل والأ نبياء ولهذا جاء اسم الاشاره (ذلك هدي الله) بعد ذكر موكب الانبياء والمرسلين للاشاره للآتي

الأمر الأول

تقرير اصل الابواه الشرعيه في مدرسه الانبياء والمرسلين بانها أبواه المنهج واقامه العهد فمن خرج عن المنهج ونقض العهد فقد انقطع التسلسل والارتباط الذي يرتبط به بنسب الانبياء فلا قيمه للتسلسل العرقي وانما يكون من فريق مدرسه الشر وموسسها ابليس واتباعه

الأمر الثاني

ان ينابيع الهدي في الأرض بأنه المنهج الذي حمله الانبياء والمرسلين لهدايه الناس فهو المصدر الوحيد الذي يكون فيه الهدايه الي الطريق المستقيم وتنفيذ مراد الله فالانبياء هم المصدر الوحيد للحديث عن مراد الله لانهم الوحيدون الذين يتصلون بالله بالوحي فما حمله الرسل فهو طريق الهدايه الواجب الإلتباع لمن اراد الانتساب الي مدرسه الانبياء ولهذا أشار الي مدرسه الانبياء والمرسلين والمنهج الرباني الذي جاء به الرسل بأنه هدي الله

فسماه هداه الذي فيه الأمن والنجاه

اي هدي الله الذي أشار إليه في قوله (فأما ياتينكم مني هدي...الخ

بأنه يكون باتباع منهج الله واقامه العهد وفقا للمنهج الذي يحمله الرسل

الأمر الثاني

ان اتباع منهج الله واقامه العهد توفيق من الله يخص به من يشاء ومن أراد من عباده بأن يوفقه الي الصواب وإخ
لاص العمل والتوحيد

والهدايه علي ضربان ضرب ليس فيه سعي ولاكسب كما قال تعالي (ووجدك ضالا فهدى) وضرب ينال بالكسب وا
لاستعداد مع اللطف الإلهي بتوفيق الله

ولهذا فإن الله جعل للاتصال به سبحانه وتعالى أمران الاستسلام له تعالي والدعاء (اياك نعبد واياك نستعين)

وايضا أن العلم النافع سواء المتعلق بالدين أو في الدنيا هو هدي الله يهدي به من يشاء كما أخبرنا الحق بقوله
(تلك حجتنا آتيناها ابراهيم علي قومه نرفع درجات من نشاء) وهنا قال (ذلك هدي الله يهدي به من يشاء)

فهذا الطريق هو الذي يحقق مراد الله تعالي

وكون الهدي هدي الله فعليك أن تطلب الهدي من الله تعالي فإن لم يهدك الله لن تجد طريق الهدايه ولهذا نقول
في كل صلاه (اهدانا الصراط المستقيم) وان نلتمس مواضعه كما نطلب الرزق ونلتمس أسبابه فلا تقف موقف
سلبي لا تطلب الأسباب التي توصلك الي الهدايه ولهذا يقول لنا الحق ان الرسل كانوا أول من التزم المنهج فقد
جمعوا عقولهم وملكاتهم فلم يلغوا عقولهم ولم يعطلوا ملكاتهم في تلقي أمر الله وتنفيذه فلو عطلوا مدراكهم
وحواسهم مثلما فعل المشركون لما فتح الله لهم طريق الهدايه فاللازم عليك ايه المومن أن تأخذ بالاسباب و
الوسائل الموصلة الي الهدي ليأخذ الله بيدك كما أخذ بيدهم فأخبرنا الله أنه لو اتخذ الانبياء موقفا مثل الموقف
الذي يقفه المشركين والكفار لضلوا فذكر هذا الشرط (لو) وهو لا يقتضي الوقوع وانما أراد تشديد أمر الشرك
وتغليظ شأنه وتعظيم ملابسته للتحذير منه فإذا كان الانبياء غير معذرون في ذلك فكيف بنا نحن البشر العاديين

المبحث الثاني

تقرر النصوص أن الاصول الثابتة التي يكون بها الوصول إلي الصراط المستقيم هي الاصول التي جاء بها الانبياء
والرسل فهي الاصول التي توافق العقل والمنطق فقال تعالي (ذلك هدي الله يهدي به من يشاء ولو اشركوا
لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوه فإن يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما
ليسوا بها بكافرين)

الأمر الأول

ان الايه فيها الاشاره الي أن رفعه الانبياء وانعام الله عليهم بالاختيار والاصطفاء الذي هو الرفعه والشرف كما
أخبرنا الله من قبل آيات هذا القسم (نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم)

ان الاصطفاء لهم وللمتهدين الذين اختارهم الله فيه المنزله والمكانه لان هولاء قد اقاموا امر العقيده علي أسس سليم واصوال ثابتة كما قال تعالي (افمن أسس بنيانه علي تقوي الله ورضوان خير ام من أسس بنيانه علي شفاء جرف هار فانهار في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين)

وقال تعالي (مثل كلمه طيبه كشجرة طيبه أصلها ثابت وفرعها في السماء ومثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتمت من فوق الارض وما لها من قرار)

فالتوحيد هو الكلمه الطيبه الجازمه التي يبني عليها المومن عقيدته فهي يجب أن تكون ثابتة في قلب المومن قال تعالي (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلمه الخبيثه تسكن قلوب الكفار

فا التوحيد هو المزكي للنفس فيكون عمله له أصل ثابت في نفس المومن وقلبه فسامها الحق كلمه طيبه فيثبت الله بها المومنون في الدنيا والآخرة فهو عنده اليقين والطمأنينة التي تملأ قلبه وتستقر فيه وضده الشرك الكلمه الخبيثه منتهي النقص والفساد والمدسي لها والمفسد للفطره فلا يبق في عمله آخر بترتيب عليها نجاته وفلاحه فاخبرنا الله انها استوصلت من فوق الارض (مالها من قرار) اي لا يوجد لها في قلب الكافر مكان تستقر فيه ف الله يقول في موضع آخر (وجعل لكم الأرض قرارا) اي ثبات ولهذا جاء تعديه حبط العمل بحرف الجر عن وهو فعل لازم لا يتعدي وفي هذا اشاره الي أن الأعمال التي يعملها الإنسان من شأنها أن تكون درعا تحميه ووقايه وترسا يتقي بها ضربات الحياه ولهذا فإن المشرك لا يجد فائده هذه الأعمال لأنها تتخلي عنه وقت الحاجه والشده وهذا معني أن فعل الشرك يجعل العمل وان كان من وجوه الخير مثل كفاله اليتيم بأنه يغيب عنه ويذهب فلا يجده فتخونه كالشجره الخبيثه التي اجتمت من فوق الارض مالها من قرار فمن كان معه كلمه طيبه أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الي الله فهو تعالي يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ومن لم يكن معه أصل ثابت فإنه يحرم الوصول لانه ضيع الاصوال ولهذا نجد أهل البدع والشبهات لا يصلون الي غايه محموده

الأمر الثاني

ابتداء باسم الاشاره اولئك اي الرسل والأنبياء عليهم السلام الذين أنعم الله عليهم رحمه بالعباد ولطفا منه بالخلق فشرفهم الله ليكون حاملين منهج الهدايه للناس الي مدرسه الخير ومنهج الهدايه فقد أعطاهم الله الكتاب والحكم والنبوه.... ثلاثه اشياء لبيان ان الاصوال الثابته انما هي الاصوال الانبياء وهو صراط الله المستقيم الذي انعم به علي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليبيان إنما بعث الرسل وانزل الكتب لأجل أن يكون هو المعبود وحده لاشريك له وانما يعبد بما أمر به أن يعبد علي السن رسله فقال تعالي (اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوه فإن يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين)

الكتاب مثل صحف ابراهيم والزرور والتوراه والإنجيل والقرآن لهدايه الناس

أما الحكم :-

فهي تحمل معني الحكمه السداد والفهم والفقه في الدين لإصلاح شؤون الناس

وأما أن يكون بمعني السلطان والقياده والرياسه والفصل بالخصومات

فابراهيم عليه السلام قال تعالي عنه أنه قال (رب هب لي حكما والحقني بالصالحين)

بعد ذكر محاجته مع قومه وقال تعالي عن موسى (فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين)

وقال تعالي (يادواد انا جعلناك خليفه في الأرض فاحكم بين الناس بالحق)

وذكر الله أنه اتي سليمان ملكا لم يوتي أحد من بعده

فالدين لا بد له من سلطان يحميه ف الله أرسل الرسل وانزل معهم الكتاب والميزان ليقوموا بين الناس بالقسط كما ذكر الله ذلك في سورة الحديد

وهذا فيه بيان أن الله أعطاهم العلم الذي يحصل به منافع الدين ودفع الأضرار عنه والعلم الذي يهتدي به الي جلب منافع الدنيا كما قال تعالي (نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم) وهنا يقول الحق ذلك هدي الله يهدي به من يشاء... الخ

يقول العقاد في كتابه ابو الانبياء

ان حقائق الكون لن تنكشف للعقل بالنظر الي الكون كانه أشعات متفرقه بين الارباب يتسلط عليها هذا بارداه منفردة ويتسلط عليها غيره باراده ينقضها ويصرفها الي وجهه غير وجهتها ولهذا فلم تكون عباده التوحيد افضل من عباده الشرك فحسب ولكن بل هو علم اصلح ونظر اصوب ومقياس لقوانين الطبيعيه أدق وارقي أما ميزان العدل الالهي فهو الذي أقام المساواه بين الناس علي دعامتها الراسخه وكل ما عدها من دعامة فإنما هي دعائم القوه ممن لا يقدر عليها وما كان للعدل بين الناس من سبيل وهم يقيسون بعضهم الي بعض

فإذا ارتفع الميزان الي اليد الالهيه فهذا القوي مهما تبلغ قوته وذلك الضعيف فهما يبلغ من الضعف فإنهما متساويان ومحكومان امام خالق واحد

والإله الواحد لم يكن خالق الكون والناس فحسب بل خالق الكون والناس وحاكم الكون والناس وكان منه الأمر و النهي وإليه المرجع والماب

فكانت عبادته مساله حيه تمتزج بسرائر النفس وفصائل الخير فلا تنزوي عنها زويه في الكون ولا في ضمير الإ نسان فكانت صحبه البيت والطريق المحيا والممات في اليسر والعسر في الدوله والمجتمع في الفطره والنظام صحبه الخلود الذي لا يعرف الفناء)

فاخبرنا الله إنما بعث الرسل والأنبياء وانزل الكتب لأجل أن يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به علي السن رسله وليس للناس أن يصنعوا لأنفسهم ااصوال يبتدعونه من عند أنفسهم بأن يجعلوا لأنفسهم دينا فهؤلاء هم أهل الضلال مثل المشركين الذي رفضوا القبول بما جاء به الرسول فإن تلك الأصول فاسده تحرمهم من الهدايه ولهذا يقول الحق (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فالذي يرفض القبول بمنهج الله ضال لانه ليس له ااصوال ثابتة وجاء هنا للتدليل علي ذلك بذكر أنه اعطاءهم الكتاب والحكم والنبوه فقال تعالي (اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوه فإن يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين)

تبين النصوص أن الذي يكفر بالقران الكريم يكون كافرا بجميع الرسل والأنبياء والكتب السماوية التي أنزلت معهم فقال تعالي (فإن يكفر بها هولاء)

اي أن يكفر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هولاء المشركون

فإن كفرهم هذا يعني الكفر بموكب الانبياء كلهم اشاره الي أن مدرسه الانبياء والمرسلين واحده هي مدرسه الحق والاسلام وهو موكب لا ينقطع لأن أبواه هدايه المنهج الرباني تجمعهم وتربطهم ببعض ولأن هولاء هم الذين لديهم الاصول الثابتة للهدايه فاصل معرفته وعبادته إنما تكون بما وصف نفسه في كتابه وما وصفه به رسله ولهذا يقول لنا الحق أن الذين يرفضون القبول بدعوه التوحيد وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه علينا أن

لانخاف من كفرهم لأن هولاء قد أعلنوا العدواه مع الله وبالتالي فهم لن يصل الي غايه محموده اطلاقا لأنهم ضيعوا الاصول وما بنوا عليه أقوالهم وأفعالهم هو مثل الشجره الخبيثه التي ليس لها أصل ثابت تستقر فيه ف المبطل كما قلنا ليس قوله ثابتا في قلبه ولاهو ثابت فيه ولايستقر كما قال تعالى (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) فهي تخونه ولاتنفعه وقت الحاجه ولهذا يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه قد أوكل بحمل دينه قوما آخرين سوف يومنون ب الله وجميع الرسل والأنبياء ويهتدون بهدايهم منهجهم وهذا فيه تبشير المومنين بالتمكين فالايه نزلت قبل أن يسلم الأنصار وبالتالي فالمقصود بهم المهاجرون وان كان الأنصار مقصودون بالذات لأن العز وقع بعد دخولهم الاسلام وهو أمر يعود علي المسلمين الي يوم القيامه ف الله يخبرنا أنه سوف يسخر من يقوم بحمل قضيه دينه عندما يتقاعس المتقاعسون فعليك اخي المومن أن تشعر أن مكلف من الله تعالى لحمل رايه الحق فهو سبحانه وتعالى يقول (فقد وكلنا) فعليك أن تشعر انك من وكلاء الله واصفياها أن قمت بحمل دينه بصدق وإخلاص ووفاء

المبحث الثالث

(اولئك الذين هدي الله فبهدئهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا أن هو إلا ذكري للعالمين)

الأمر الأول

ان مدرسه الانبياء والمرسلين هي مدرسه الابواه الشرعيه للمومنين ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم فالابواه مسنده بالمنهج

وقد أخبرنا القران الكريم بالعديد من الرسل الذين ارسلهم الله الي اقوامهم يشرع لهم ما يوافق أوضاعهم وذكر كيف عاملهم الناس ولم يفصل الرسالات السابقه في مساله الشرائع وانما إبراز معالمها وماكان سلوكه في دعوته وماهو رده فعل قومه وكلهم جاوا يذكرون الفطره بما تعرف لا لتعديل الفطره أو تبديلها وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى لنا أن نقتدي بهم والسؤال ماهو المراد بالاقتداء الخطاب يبين أن في مواقف هولاء ما ينتفع به فمطلوب من كل من يريد الخير أن يقتدي بهم وان يلتحق بمدرسه الحق مدرسه الانبياء والمرسلين ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم وهذا يعطينا الحلول للمشاكل المتعلقة بعمل الداعيه لماذا ؟

الجواب

ان الداعيه عندما يريد أن يدعوا الي الله يجد نفسه بحاجه الي معرفه كيف يودي رسالته يريد أن يعرف من أين يبدأ ويريد أن يسلك طريقا يضمن نجاح دعوته بحاجه الي وسائل وأساليب متعدده ومتنوعه وهي تختلف من مكان لآخر نظرا للأمراض والافات التي يعاني المجتمع المستهدف بالدعوه ولهذا جاء القران بنماذج الرسل والأ نبياء الذين اصطفاهم من نوح الي النبي صلى الله عليه وسلم فيه تنوع الوسائل والأساليب في دعوتهم الناس لناخذ منها العبره والعظه ونستفيد من الطريق الذي سلوكه في ابلاغ الناس ومن المواقف التي وجهه بها الرسل رده فعل الكفار وما اتصفوا به من اخلاق فالتجارب التي حصلت الانبياء توفر لنا المعلومه وتعطينا القدوه الحسنه في المواقف المختلفه فاوجب علينا الاقتداء بهم رضوان الله عليهم اجمعين فهم المحرك الذي يثير نار الانفعال في الرماد حتي تستعيد الحياه الوهج فهم القدوه الحيه والتجربة الواقعي للانفعال الخلاق لتكون الحركه قادره علي بعث الحياه في المجتمع

الأمر الثاني

عرض الدعوه مجردة من الأغراض والمطالب الدنونه فقال تعالى (قل لا اسئلكم عليه اجرا)

اطمنوا فأنا لا أطلب مقابل مادي علي ارشادكم الي ما فيه النجاه والسلامه وانما انفذ أمر الله وابتغي وجه الله

ولهذا فالواجب علي الداعيه أن يكون مومنا بقضيه الدعوه مخلصا لله شاعرا أنه صاحب قضيه وأنه مكلف من الله بالدفاع عن دين الله وتبليغ أمر الله فلا يكون مثل المعلم الذي يعلم الصبيان مقابل الراتب الشهري فإن هذا لا يكون شاعرا بأنه يحمل قضيه وانما ينظر إلي المقابل المادي ولايهمه بعد ذلك تربيته الناس ونشر الخير

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الله انزل القرآن ليتذكر الناس به وليرشدهم الي مافيهما الهدايه ويخرجهم من الظلمات الي النور ومن الكفر الي الايمان ومن الغي الي الرشاد وان القران جامع لجميع الأديان والديانات فهو ذكر للعالمين

القسم الرابع

بعد أن بين الحق سبحانه وتعالى للناس أنه إنما يعبد ويعرف بما وصف نفسه في كتابه وبما وصفه به رسله ولهذا تأتي النصوص مبينه فساد وضلال الكفار الذين أنكروا رساله الاسلام والنبوه ويصف هولاء المنكرون بأنهم لم يعرفوا الله حق معرفته وكمال حكمته وقدرته سعه علمه ورحمته فقال تعالي (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله علي بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسي نورا وهدي للناس تجعلونها قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه لتنذرا ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلا تهم يحافظون)

الأمر الأول

ان مما يجب الاشاره اليه أن هذه الآيات جاءت ردا علي المشركين الذين علي صلته باليهود في الجزيره العربيه ولم يكونوا ينكرون علي اليهود أنهم أهل كتاب وان موسي مرسل من عند الله وان التوراه منزل من عند الله وتوحي الآيات إن هنالك ثمه تنسيق بين المشركين واليهود في معارضه الاسلام حيث واليهود تنكر أن يكون هنالك رسل من بعد موسي وهو لاء المشركون أنكروا نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال إنه يستحيل ارسال رسل من البشر فهم ينكرون بشريه الرسول رغم قيام الادله ولهذا تأتي النصوص ردا علي هذا الحجود فهم لم ينظروا الي الله بالتوقير والتعظيم فلم يوصفوه بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى فالمعلوم أن معرفه عظمه الله إنما تكون بمعرفه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه وهو القرآن

فاخبرنا الله أن هذا القول إنما يصدر عن من لايعرف فضل الله وكرمه بإرسال الرسل وانزل الكتب فالقران كلام الله تعالي المنزل علي عبده مثلما أن الكون بعجائبه هو كتاب الله المفتوح المرئي وهو بعض كلماته

فالاصل أن الإنسان يشعر برحمته وتكرمه تعالي أن تفضل بالحديث إليه وارشاده الي وصاياه تعالي الي خلقه واحكامه بشأن حياه الانسان علي هذه الارض

فالله سبحانه وتعالى يمتن علي العباد أن أنزل عليهم القران الكريم وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور

الأمر الثاني

ومن المهم أن تعرف أن ارسال الرسل والأنبياء هو رحمه من الله تعالي لانه لو لم يرسل الله الرسل لاقام الحجه علي الناس لسببين الأول أنه قد أخذ علي الخلق وهم ذرات في ظهر ادم فقال الست بربكم ... والسبب الثاني حديث الله الرحيم للإنسان باستمرار وآياته وعجائبه في الكون لو تأمل لها الإنسان لادرك أن له خالق عظيم وانعامه وإحسانه عليك تدلك علي فضله وأنه المعبود وحده لا شريك له وهو ما يعرف بالعلم الفطري المودع في نفس الإنسان

ولهذا فلا تفسير لارسال الرسل وانزل الكتب الا محض كرم الله ورحمته سبحانه وتعالى فهو تعالى ذكر أنه لم يكن ليعذب أحد حتي يبعث رسولا رحمه منه بالعباد (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا) فالإنسان بحاجه الي بعثه الرسل والأنبياء لتصحيح صورته الخلق عن الخالق وعن الحق وليعود الإنسان الي منابع الايمان الاصلية لازاحه الأ وهام والخرافات التي تلوث الفطره ولأن أمور الغيب لايمكن لأحد الحديث عنها إلا الرسل لأن مصدر علمهم الوحي بينما علم الناس مكتسب ومن العقل وهو وسيله اكتشاف الحياه البشريه وغير قادر علي معرفه ما غاب عنه فكان الوحي هو المصدر الموثوق الذي يعول عليه في الحديث عن الله ولهذا فإن إنكار المشركون لنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وللقران فيه عدم توقيير ولا تعظيم الله حق تعظيمه

وبالتالي فتقدير الله يقتضي الاعتقاد أنه أرسل الرسل وانزل الكتب رحمه للعباد ولأجل أن نعرف ونعبده فهو انما يعبد ويعرف بما جاء علي السن رسله

الأمر الثالث

يجعل الحق سبحانه وتعالى قضيه الايمان به قضيه واحده لاتتجزا مع الايمان يرسله وكتبه واليوم الآخر...قضيه واحده لاتتجزا فمثلا لايمكن أن يقول شخص انا مومن بالله ولكن لا أومن بالرسول أو بالقران أو أومن بالله و الرسول واليوم الآخر والكتب ولكن لا أومن مثلا بعيسي أو موسي فهذا لا يكون مومنا فهذا يكون كافرا ولم يعظم الله حق تعظيمه

ولهذا نجد أن الابه الكريمه تخاطب المشركين الذين أنكروا علي الرسول بشريته مع أنهم لاينكرون أن موسي نبي وان اليهود أهل كتاب من جهه ومن جهه أخرى فان الابه تتوجه بالخطاب الي اليهود الذي أنكروا أن ينزل الله علي بشر من بعد موسي وقد تحالفوا مع المشركين في الحرب الإعلامية ضد الإسلام وأثاره الشبهات بقصد الطعن بالإسلام وحاولوا التشكيك بالإسلام من خلال طلب المعجزات الماديه هذا من جهه ومن جهه أخرى فقد ورد عن بعض المفسرين أن الابه مدنيه فشمّل الخطاب اليهود أن الإيما ن بالله وبموسى دون الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران يعني أنهم لم يقدروا الله حق تقديره ولهذا يأمر الحق نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتوجه الي هؤلاء المكذبين بهذا السؤال

(قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسي نورا وهدى للناس تجعلونها قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)

الكتاب هو التوراه التي انزلها الله علي موسي بن عمران الذي انزله الله وبين وظيفه الكتب السماوية (نورا وهدى للناس) نورا يستضاء به في كشف المشكلات ويهدي به من ظلام الشبهات وكما قال الحق في سوره ابراهيم (الر كتاب انزلنه اليك لتخرج الناس من الظلمات الي النور باذان ربهم الي صراط مستقيم.....الي قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسي بايتنا أن أخرج قومك من الظلمات الي النور وذكرهم بأيام الله أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

فالكتب السماويه إنما انزلت لتكون دستوراً يحكم الناس في جميع شؤونهم ويرشدهم الي طريق الهدايه ولتكون شريعته لهم يتبعونها والأصل ان تقابل بالجد والاجتهاد والتعظيم لأمر الله فهذا هو حق الله فكيف قابل هؤلاء ما أنزل عليهم من التوراه يخبرنا الله عن ذلك فيقول (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)

بالتلاعب بها والتحريف للأحكام حيث ان اردتهم انصرفت الي فكره تطويع المنهج لرغباتهم واهواهم يبادلونها معلما يريدون فجعلوها كأنها قراطيس اي قطعاً يكتبونها من الكتاب ويحرفونها وينسبون ذلك إلي أنه منزل من عند الله واخفوا الكثير من الأحكام التي تتعارض مع أهوائهم

مبيناً أن الأصل أن يقابلوا ما انزل الله بالتعظيم والجد والتوقير فقد اكرمهم الله بنعمه الهدايه والعلم الذي رفع

منزلتهم بما قص عليهم وما أخبرهم والأحكام التي أنزلها فأخرجهم من الجهل والضلال الي الهدايه وعلمهم مالم يكونوا يعلمون لا هم ولا آباءهم مثلما أن الله أنزل القرآن لإخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك الي نور العلم وا لايمان ولهذا يأتي الجواب (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) اي لاتحفل باللجاج الصادر منهم فدعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون فالاصل أن يقابلوا ذلك بالشكر لله علي انعامه كما قال بشأن موسي وقومه (وإذ تاذان ريبكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم أن عذابي لشديد وقال موسي أن تكفروا انتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد)

الأمر الرابع

تمضي سياق النصوص مبينه أن القرآن منزل من الله مثلما أنزل بقيه الكتب السماوية فاستخدم اسم الاشاره (وهذا كتاب أنزلناه مبارك)

فاستخدم نون التعظيم (انزلناه) للاشاره الي تضافر صفات عديده لله في أنزله من الرحمه والحكمه والعزه و القدرة ولذا فهو ذا البركه في أصله كونه منزل من الله وفي محله قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وفي أحكامه وما يحتويه وخطابه فهو يخاطب العقل والفطره والنفس ويلقي فيهم تنوير القلوب والابصار وشفاء الصدور فهو لا يقتصر علي السماع فقط بل يعرض الاداله العقلية والمنطقيه وأحكامه منقوشه في الفطره ويصطحب اداله عقلية فيها اعلي درجات وفيه نور ساطع وضياء ودليل عمل وتعامل مع الحياه بكل ما فيها

ومن أهم القواعد الأساسية أن كل كتب الله يصدق بعضها البعض ويكمل بعضها البعض ولا تختلف في أصل أو قاعده من قواعد التوحيد ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (مصدقا لما بين يديه) ولهذا فانه لا اختلاف بين القرآن والتوراه والإنجيل في التوحيد المنزليين من الله ولهذا فإن ما نري فيهما من العقائد الفاسده فهي ليست من التوراه و الانجيل وانما ناتجه عن التدخل البشري بالتبديل والتحريف كما أخبرنا الله في الايه السابقه

والله جعل سبيل الهدايه الوحي ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل ما فيها من تحولات فقال تعالي (لتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلاتهم يحافظون) والانذار لايعني مكه المكرمه ومن حوله اي الجزيره العربيه كما حاول المستشرقون القول وانما خص بذلك ام القرى لأن فيها الكعبه التي جعلها الله مثابه للناس وامنا وهي في وسط العالم وبالتالي فإن العالم كلها حولها فرساله الاسلام للعالم كله ولذلك قال تعالي (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلاتهم يحافظون) فأشار الي أهل الكتاب أنهم إذا كانوا يؤمنون بالآخرة والحساب والعقاب والثواب فهم يؤمنون به لانهم يحافظون علي أداء حق الله بتلقي امره ب التعظيم والطاعه لأمره تعالي والخلاصه أنه سبحانه وتعالى جعل كتبه دساتير الي خلقه لتكون شريعته يتبعونها ولهذا أخبرنا في الايه السابقه أنه لاعبره هنا بالتفني بها أو تعليقها علي جدران المنازل ا.و تقديسها مع عدم العمل بها فهو تعالي ينزل كتبه مع رسله لتكون واقع حياه يري سبحانه أثره في حياه الناس

ولهذا قال في الايه السابقه منكر ا علي اليهود عدم تطبيق التوراه (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)

فالله قد ذم الذين ما قدروا الله حق قدره وعدهم من الكفار في جميع المواضع التي ذكرت فيه هذه الجمله (وماقدروا الله حق قدره) وقد ذكر الله ذلك في ثلاث مواضع ليثبت عظمه ذاته سبحانه وتعالى وكمال صفاته ووحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك ليعلمنا من هو الإله الذي يدعونا لعبادته وطاعته فهو الإله الواحد القهار الكامل بالمحامد والمحاسن الذي له الهمينه والسلطان والملك ومطلق القدره والمشئيه وقادر أن يهلك الجميع في لمح البصر فآخبرنا أنه منزه من جميع العيوب سالم من النقص فهو القادر علي تخليصنا من الالم فقال

تعالى (أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب وما قدروا الله حق قدره أن الله لقوي عزيز)

ولهذا ينبغي على المومن الاطمئنان لله بأنه واهب الامان وقال في سورة الزمر (وما قدروا الله حق قدره والأرض
جميعاً قبضته يوم القيامة ...الي قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) فهو لامثيل له تعالى ولا ثبات قدرته على
اعاده المخلوقات الي الحياه

وهنا وردت الايه ليعبت مانزله على رسله وفي الثلاثه الموضع ذم الكفار لانهم لم يقدروا الله حق قدره يقول شيخ
الإسلام ابن تيمية فدل ذلك على أنه يجب على أن المومن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق
تقاته وان يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وقال (واتقوا الله حق تقاته)والمصدر
هنا مضاف الي المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذي امركم به وحق تقاته التي امركم بها واقدره قدره الذي
يبينه لكم وامركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر واطيعوا فيما أوجب وأمر وأما ما يخرج عن طاقه البشر فذلك لا
يذم أحد على تركه

القسم الأخير

(ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى الي ولم يوح إليه شيء ومن قال سائز مثل ما أنزل الله
ولوتري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما
كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فردي كما خلقناكم اول مره وتركتم ما
خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما
كنتم تزعمون

اولا

ذهب البعض الي القول إن الايات وردت في معرض حمايه الرسل من أن يكونوا مظنه التهمه في صدقهم وصدق
ما جاوا به من عند الله وهذا اللبس الذي أوقع بعض المفسرون في هذا الخطاء يعود إلي التباس الأمر عليهم كون
لايات وردت بعد قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل على بشر من شيء)

فاعتبروا أن تعليق إنكار المشركين الرساله واستبعاد أن يكون الرسول بشر أنها مبررا لما انتهوا مع أن النص فيه
اظهار فساد تصور المشركين للالوهيه وسوء فهمهم بدليل أن الحق قد رد على ذلك ببيان ان الرسول صلى الله
عليه وسلم بشر مثل موسى الذي لا ينكر أحد عليه ذلك ثم قفي بذكر فضائل وأنه مبارك في ما جاء به وأنه لم
ينزل الا ليكون منهج حياه يعاد به خلق حياه الناس وفقا لما يريد الله سبحانه وتعالى واخبرنا الحق أن القرآن و
الكتب السماويه هو دستور حياه ودم أهل الكتاب الذين حرفوا الكتب السماويه ثم ذكر أن القرآن معجزه واضحه
فقال تعالى (وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالاخره
يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) حيث ناقشت الايات ثلاثه اشياء هي أن الكتب السماويه إنما انزلت
لتكون دستورا يحكم وقائع واقضيه وشؤون الحياه في جميع مجالاتها وليست قراطيس قابله للتحريف و
التعديل كما فعل اهل الكتاب الذين ذمهم الله في القرآن الكريم وقال (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا... الخ فالقران يشترك مع الكتب السماويه السابقه بأنه منهج حياه ولهذا ابتدأت الايه هنا بقوله تعالى
(ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى الي ولم يوح إليه شيء ومن قال سائز مثل ما أنزل الله)

اي لا أحد أعظم ظلما ولا اكبر جرما ممن كذب على الله بأن اختلق كلاما من عنده ونسبه الي الله تعالى او حكما
وهو تعالى بري منه

فأراد بهذا التحذير من سلوك أهل الكتاب الذين حرفوا الكتب السماويه السابقه ولأن القرآن محفوظ من التحريف

اللفظي ولهذا فإن التحذير متعلق بمسأله التحريف في التأويل والتفسير حيث يعتمد البعض الي محاوله تطويع النصوص لخدمه أفكاره وفكرته وهذا اختلاق في الحكايه عن الله يشبه الي حد كبير ما اختلقه علماء واحبار ورهبان أهل الكتاب لأجل التسلط علي الناس فالبدع التي حاول الكثيرون إضفاء المشروعيه عليها وصبغتها بلون الدين والتدين أمر شائع في واقع الامه الاسلاميه كثيرا ولها رواج واسع واقبالا من العوام عليها حيث كان صناعه اصناما واليه عديده تعبد في الأرض اليوم باسم الإسلام وهذا يعود إلي فساد بعض العلماء الذين قاموا بتحريف معاني النصوص القرآنيه وتفسيرها بما يودي الي قبول الناس لما يدعونهم إليه ائمه الضلال والشرك فكان تشيد المزارات والقبور في البلاد تقدم لها القرابين باسم الإسلام والزمع أن الله أمر بهذا وزعموا كذبا أن القران أمر بذلك فعم الجهل وعادت الجاهليه الي حياه الناس مره اخري وبشكل اشد قوه وبصوره أقبح وابشع من الجاهليه ا لاولي حيث صار تخليد الصالحين والصحابه رضوان الله عليهم تخليد المعبود بدلا من تخليد مواقف توقظ الفطره وتدفع للاقتداء بهم بالسير في الطريق الذي سلكه الصالحون

فما الذي يدفع هولاء الي اختلاق الاكاذيب ونسبها الي الله؟

أنها الحرب ضد الدين بهدف تحويل منابع الطاقه الانسانيه عن مصدرها التوحيد واستبدالها بالخرفات والاهوام والجهل والتخلف

من خلال الاستيلاء علي العقول ومركز القياده الفكرية في الامه

استهداف الدين من داخله فاختلاق الاكاذيب ونسبها الي الله لأجل تهنيئه النفوس لتلقي الخرافه تحت ستار الدين وأحياء الماضي لأن الناس يبحثون عن مصدر الكمال الذي يشعرون أنهم محتاجون للتوجه نحوه يريدون أن يعود للإسلام منزلته يريدون أن يوردوا المعين الرباني ليشربوا منه ماء الحياه ليخرجوا من مقبره الاموات

حيث وان الدين يقوم علي الايمان والايمان شي في الفطره وهي تبحث عنه وهو حافز الي الاكتمال الذي يحقق الذات ولهذا فإن الإنسان يسعى لسد الفراغ الروحي بالتماس أسباب التبرك والسعاده ولهذا قال الله أن هذا التبرك في القران (وهذا كتاب انزلناه مبارك)

فمصدر الثقه الذي يسد الفراغ الروحي يكون التغلب به علي أزمات النقص والاضطراب الذان قد يخلان بالانتفاع من طاقه الفكر في إيجاد الحلول العقلية والماديه التي تمنح النفس السكينه وبما يتيح من تفكير يوصل الي بر النجاه ولهذا استقرار حقيقه ان الايمان هو الذي يسد الفراغ والنقص ويمد بالعون فقد لجأ هولاء الي اختلاق الأ كاذيب ونسبها الي الله لأجل تغيير اصول الدين وفروعه لأجل ان يطغي ركام الخرافات علي جوهر التوحيد لتصير جزء من السلوك الإسلامي بينما في الحقيقه والأصل أن الإسلام نزل لمحاربه هذا السلوك ولهذا أخبرنا الله أن هذا الافتراء اشد انواع الظلم واشنع لانه فيه تحريف لدعوه التوحيد والدين والتدين باسم الله ويدخل في ذلك من ادعي انه أوحى إليه مثل مسلمه وسجاح والاسود العنسي وايضا من ذكرنا لأن انحراف العلماء غالبا مايكون سببا لانتشار البدع والشبهات .ولهذا نجد أن الايه وردت بعد قوله تعالي (والذين يؤمنون بالآخره يؤمنون به وهم علي صلاتهم يحافظون)..لأن هذه الافتراء علي الله كذبا غالبا ماتكون بادعاء الكرامات وانهم أولياء الله وان لهم كشوفات والهجمات وكرمات نتيجة الاستعانه بالجن والسحر وغيرها حيث ذهب البعض الي استخدام القران في إطار السحر والشعوذه والترويح أن ذلك انزله الله في القران ولهذا اصبحنا اليوم نشاهد انتشار زياده القبور وسول الموتى أن يتدخلوا في حياه الاحياء والسحر والعرافه والتنجيم وقراءه الكف شي اصيل في حياه المسلمين حيث أن الكثير من الناس من يزعم أنه من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفه وادعوا أنه وحي من الله (اي الهام ومكاشفه) ونحن نعلم أن الوحي نوعان وحي من الرحمن ووحى من الشيطان ف الله يقول (وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم) وقال تعالي (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم لبعض زخرف القول غرورا) وقال تعالي (هل انبئكم علي من تنزل الشياطين) حيث نجد أن البعض يدعي أن له مكاشفات ومخاطبات وانهم يرون ويسمعون ما لا وجود له إلا في أنفسهم كحال النائم ويقولون هذه

كرامات وان له تسخير الجن ويدعون العلم بالغيب ولهذا أخبرنا الله أن ذلك أشد وأعظم انواع الظلم لانه فيه تغيير لاصوال الدين وفروعه وجراءه ووقاحه علي الله لانه يصدر عن أهل العلم العلماء ولهذا نجد أن الايه وردت بعد قوله تعالى (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلاتهم يحافظون)

فذكر خوف العلماء وخوف الصديقين كون الخطاب موجه لعلماء أهل الكتاب بعد ذكر اقامه الحجه علي قريش ومن حوله بما في القران من اعجاز أخبر أن علماء أهل الكتاب عليهم مسؤولية ميثاق أهل الكتاب فهم يعرفون الرسول بمارته ونعوته في كتبهم ولهذا فإن خوف العلماء له علامه وهي الخشيه والورع والاشفاق

فذكر الايمان باليوم الآخر لبيان ان العلم ليس مجرد نظريات فلسفيه فإن هذه التكاليف باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والانتقال الي القران لقراءه مراد الله هو التطبيق العملي هو قوه تحريك بتوجيه الاراده نحو الغرض الذي ينشده من أراد السير الي الله والدار الآخرة فهذا التذكير بالمستقبل لأن فيه قوه خشيه واشفاق وزهد تعين علي اتقان العمل اذ ان الايمان باليوم الآخر يناشده في التنفيذ لأمر الله والاذعان لمراد الله لأن اطمئانه علي مستقبله وخاتمه الكون يولد قوه صبر وتحمل مشقه الطاعه ويحقق الشعور بكمال الذات والسعاده بالاتصال ب الله والشوق لما عند الله ولهذا فهو يخشي أن يفوته الاجر والعباد فآخبرنا الله عن علامه آخري بأنه يبذل الجهد في طلب مرضاه الله بوجود الهيئه والاحتلال لله عزو جل فقال تعالى (وهم علي صلاتهم يحافظون)

اضافه الي أن الإيمان باليوم الآخر يزوده بقوه صبر وبالصبر والصلاه أمر الله اهل الكتاب أن يستعينوا للالتحاق بموكب الاسلام والتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاه وأنها لكبيره ا لا علي الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وانهم إليه راجعون)

ثانيا

كما أن النصوص قد ذكرت صورته ثلثه من صور واشكال الظلم الذي وصف بأنه اعظم ظلما واكبر جرما فالاول هو الذين يفترون علي الله الكذب والثاني من يدعي أنه أوحى إليه ولم يوح إليه وأما الثالث فهو (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله)

حيث ذكر البعض عن ابن عباس أن عبدالله بن سعد بن سرج كان قد أسلم ولما نزل علي الرسول صلى الله عليه وسلم سورة المومنون دعاه الرسول ليكتب الوحي فلما انتهى الي قوله تعالى (ثم أنشأناه خلقا آخر) عجب عبدالله بن سعد من فضل الله فقال (تبارك الله احسن الخالقين) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت عليا فشك عبدالله بن سعد حينئذ وقال إن كان محمد صادقا فلقد أوحى الي كما أوحى إليه وإن كان كاذبا فقد قلت كما يقول فأراد عن الإسلام والتحق بالمشركين

والسوال هنا لماذا ورد فيها القول (سأنزل مثل ما أنزل الله)

فهذا القول يفيد القول لأمر يدعي أنه سيقع في المستقبل وهذا مايدل علي ان المعني أكثر اتساعا من أن يحصر بأمر عبد الله بن سعد وان لها ارتباط بما قبلها والتي ورد فيها الرد علي مناهضي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار رساله لانه بشر وما ذكر بعدها من أن الذي أنزل الوحي علي الرسول صلى الله عليه وسلم هو الله الذي أنزل التوراه علي موسي حيث وبالوقوف أن الايات السابقه نجد أنها أوضحت الاتي

الأمر الأول

ان القرآن معجزه وعين المنهج فوصفه بأنه مبارك فأنت تري الكلمه من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير تتشوف إليه النفوس وتأخذ ه الأسماع ويرى به وجه الرونق الفاظ موافقه بعضها البعض في اللطف والبراعه فالأ لفاظ وفق المعني والمعاني وفقها ويقصد بالمعاني التي تتضمن في أصل وضع الشريعه والأحكام

والاحتجاجات في أصل الدين والرد علي الملحدين علي تلك الألفاظ البديعه ومواقفه بعضها بعضا في اللطف و البراعه مما يتعذر علي البشر ويمنع عنهم إنكار ما فيه من معجزه لانه قد أصاب أهل البلاغه بالحيره مما فيه ولهذا لم يشغلوا بالاثنيان بمثله وعجزوا عندما تحداهم أن ياتوا بمثله ثم أخبرنا الله أنه مصدق لما بين يديه فكان قوله (ولتنذر ام القرى ومن حولها)

لأن نظم القران نزلت باللغه العربيه الفصحى وهم أهل الفصاحه والبلاغه ومعلوم من حالهم وحميتهم أن الواحد منهم يقول في الهوام والحشرات وفي وصف الازمه والانتساع والأمور التي لا يؤبه لها ولا يحتاج إليها ويتنافسون في ذلك اشد التنافس ويتبجحون به اشد التبجح فكيف يجوز أن تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحه و العبارات الفصيحه ثم لا يفعلون شيئا من ذلك

فأهل مكه ومن حوله من القبائل العربيه كانوا أصحاب علم بالبلاغه والفصاحه والمعرفة بوجوها فالمتناهي في الفصاحه والعلم بالاساليب التي يقع فيها التفاسح اذا سمع القران عرف أنه معجز لانه يعرف من حال نفسه أنه لا يقدر عليه وهو يعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو فعلم صدق الرسول وأنه نبي من عند الله اذا أن المتناهي في صنوف البلاغات يدرك أنه ليس في العاده مثل القران فيجد القرآن قد جري مجري ما يعلم أن اخراج اليد البيضاء من الجيب خارج عن العادات لانه لايجوزه من نفسه وكذلك لايجوز وقوعه من غيره إلا علي وجه نقض العاده بل يري وقوعه موقع المعجز وان كان يفارق فلق البحر وإخراج اليد البيضاء ونحو ذلك من وجه وهو أنه يستوي الناس في معرفه عجزهم عنه فكونه ناقضا للعاده من غير تأمل شديد ولا نظر بعيد فإن النظر في معرفه اعجاز القران يحتاج الي تأمل ويفتقر الي مراعاة مقدمات فالبالغ المتناهي في وجوه الفصاحه يعرف اعجاز القران وتكون معرفته حجه عليه ولهذا يخبرنا الحق أن عدم اسلام الفصحاء يعود إلي ان صورافهم كانت كثيره فمنهم من كان يشك في إثبات الصانع ومنهم من يشك بالتوحيد ومنهم من يشك بالنبوه وخير دليل علي ذلك لما جاء ابو سفيان عام الفتح ليسلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم أما أن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله قال بلي قال أما أن لك أن تشهد اني رسول الله قال أما هذه ففي النفس منها شي) فكانت شكوكهم مختلفه وطرق شبههم متباينه فمنهم من قلت شبهته وتأمل الحجه حق تأملها ولم يستكبر ومنهم من كبرت شبهته واعرض عن تأمل الحجه حق تأملها ..ومنهم أصر علي العناد والحميه ومنهم من كان يستبعد العوده للحياه بعد الموت فقال تعالي (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلا تهم يحافظون)

ومن جهه أخرى فان النص يبين ان بناء نبوته صلي الله عليه وسلم علي دلالة القران ومعجزته وصار له من الحكم في دلائله علي نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله تعالي فقال تعالي (ومصدقا لما بين يديه لينذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم علي صلاتهم يحافظون)

حيث فهم أن فارق حكمه حكمه غيره من الكتب السماوية المنزله علي الانبياء لأنها لاتدل علي أنفسها الا بأمر زائد عليها ووصف مضاف إليها لأن نظمها ليس معجزا وان كان ما يتضمنه من الاخبار عن الغيوب معجزا فذكرت الايه أن القرآن يشارك الكتب السماوية في هذه الدلالة (مصدقا لما بين يديه) وخص بالذكر الايمان باليوم الآخر أنه من دواعي الايمان بالقران الكريم لأن الاخبار التي تضمنها عن اخبار الغيوب تكفي للدلاله أنه كلام الله لاهل الأديان السابقه لأن القرآن يشارك تلك الكتب بهذه الدلاله ولكن يزيد عليها أن نظمه معجز فيمكن أن يستدل به عليه وحل في هذا من وجه محل سماع الكلام من القديم سبحانه وتعالى لأن موسي لما سمع كلامه علم أنه في الحقيقه كلا مه وكذلك فإن من يسمع القران يعلم أنه كلام الله وان اختلف الخال في ذلك من بعض الوجوه لأن موسي سمعه من الله عز وجل واسمعه نفسه متكامل وليس كذلك الواحد منا لكن يتفقان من حيث المعني وهوان موسي يعلم أن ما يسمعه كلام الله من جهه الاستدلال وكذلك نحن نعلم مانقروه من هذا علي جهه الاستدلال

الأمر الثاني

ان القرآن هو عين المنهج ومعجزه الرسول صلى الله عليه وسلم الداله علي صدق نبوته وانه قد أعجز الناس فلا يصح دخوله تحت قدره العباد وانما ينفرد الله تعالى بالقدره عليه فلم لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز فجرت العاده بأن يتعذر علي العباد أن ياتوا بمثله وان لا يقدروا عليه فالقران قد خرق العاده

لهذا جاءت النصوص بقوله تعالى (ومن اظلم ممن افترى علي الله او قال أوحى الي ولم يوح إليه شي ومن قال سائزل مثل ما أنزل الله)

انه لا أحد أعظم ظلما ولا اكبر جرما ممن كذب علي الله بأن اختلق كلاما من عنده ونسبه الي الله أ و حكما وهو تعالى منه بري... كما اوضحنا سابقا وهنا يضيف أنه يدخل في هذا الظلم العظيم كل

وهذا كل من يزعم أنه يقدر علي معارضة القران ومن يزعم أنه في إمكانه ان ياتي بمثله فهذا القول منهم (سائزل مثل ما أنزل الله)

دليل أنهم عاجزون واورده الله مورد تقريرهم مثل قوله تعالى (لونشا لقلنا مثل هذا)

فلو كانوا علي ما وصفوا أنفسهم لكانوا يتجاوزن الوعد الي الانجاز والضمن الي الوفاء مع استمرار التحدي وتطاول زمان الفسحه لي في اقامه الحجه عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم اضافة الي أن الايه تدل أنهم ايقنوا أنهم عاجزون وأن مصدره ليس علم ارضي وانما ينزل من أعلي فقال قائلهم (سائزل) ولم يقل ساقول وهذا القول افتراء لانه اقتصار علي دعوي العاجز الناقص من كل وجه

مشاركه الغني القوي الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه في ذاته سبحانه وتعالى واسمائه وصفاته بدليل أنه لم يحصل معارضة من المشركين طيله هذه الأزمنة التي تعاقبت فيها الأجيال فلو كانوا يقدرون علي تكذيبه أو يستطيعون لفعلوا ولتوصلوا الي تخليص انفسهم واهليهم من حكم الاسلام بأمر قريب وسهل هو من عاداتهم ومالوف خطابهم وكان ذلك يغينهم عن القتال والجدل والمرء وعن الجلاء عن الاوطان وعن تسليم الأهل والذريه للسبي

ثالثا

لما ذم الله الظالمين ذكر ما أعد لهم من عقوبه حال الموت وفي يوم القيامه فقال تعالى (ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكه باسطوا أيديهم اخرجوا أنفوسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فردي كما خلقناكم اول مره وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم

الأمر الأول

ابتدأت الايه بالخطاب (ولو تري إذ الظالمون في غمرات الموت)

ترسم الايه لنا مشهد لحال من افترى علي الله الاكاذيب ومن ادعي النبوه ومن ادعي قدرته علي معارضة القران لنشاهد نهايه أولياء الشيطان لحظه الاحتضار تنقل لنا الايه صورته احوال فظيعة وكرب شنيعة أنه يفوق الوصف فاستخدام غمرات مفردة غمره وهي تعني سكرات الموت وما يتقدمها من كرب وشدند تحيط بهم كما تحيط غمرات الماء بالغرقى لبيان ضخمة العذاب وشدته عند الاحتضار

الأمر الثاني

ترسم النصوص مشهد الملائكه في هذا الموقف لحظه قبض أرواحهم فقال تعالى (والملائكه باسطوا أيديهم اخرجوا أنفوسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون)

يقول لنا الحق أن الملائكة يطلبون روح الكافر لتخرج بالعذاب والضرب كما قال تعالى في موضع آخر (ولو تري إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أي بالضرب حتي تخرج

لنعطينا الفارق بين موقف الملائكة لحظه قبض أرواح الكفار وبين موقف الملائكة لحظه قبض أرواح المومنين الذين استقاموا علي منهج الله ويتصلون بالله أي أولياء الله يجدون امارات هذا الاتصال كما قال تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياه الدنيا وفي الآخرة) من خلال المكالمه والمناجاه مع الله وكما قال تعالى (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنه التي كنتم توعدون)

هكذا يجدون الطمأنينة والسكينه في الدنيا وحال الموت

فما هو موقف الملائكة ودورهم مع أولياء الشيطان حال الاحتضار وقد كانوا يدعون أنهم اتصلوا بالله بالكشوفات والكرامات تأتي الايه بحكي أمر الملائكة علي سبيل التهكم والتوبيخ حين بسط ايديهم لنزع ارواحهم قال صاحب الكشاف هذا تمثيل لفعل الملائكة في قبض أرواح الظلمه بفعل الغريم الملح ببسط يده الي من عليه الحق ليعنفه عليه في المطالبه ولايمهله ويقول له أخرج لي مالي عليك الساعه ولا اريم ولا ابرح مكاني حتي انتزعه منك)

ويري البعض أن الامر حقيقي وليس تمثيل وانهم. يرونهم حقيقه والخلاصه

ان السياق يدل علي معني التنكيل والعذاب بمعني أن أنهم يحملون علي انتزاعها حملا بأنفسهم بما يجسد معني العذاب والقهر لهم والإذلال يخرج نفسه كارها بعكس المومن فإنه يكون خروج نفسه سهلا يسيرا فالله يقول في موضع آخر (يايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضيه مرضيه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

أما حال الكفار فالايه ترسم لنا مشهد الإذلال فقال تعالى (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علي الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون)

فهذا القول بالخطاب الموجه إليهم عند الاحتضار وقبيل الموت وبعد قبض الروح بان اليوم هو يوم الجزء علي اعمالكم فأنتم تلقون الذل والعون جزاء الكذب والاستكبار يلقي بضلاله علي شدة الكابه والضيق فمن مات قامت قيامته وفيه بيان عذاب البرزخ

الأمر الثالث

تنتقل سياق النصوص الي مشهد اشد إيلام للكفار فقال تعالى (ولقد جئتمونا فردي كما خلقناكم اول مره وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم)

الإنسان خلق بغير أردته وسوف يذهب منها بغير أردته ولهذا فليس له أن يصنع لحياته أهدافا من تلقاء نفسه وانما عليه أن يخضع لما يريد الله منه

وغالبا ما تكون اهداف الإنسان في إطار الشهوات والملذات والأموال والجاه والسلطان يظل منهمكا في جمعها حتي يفاجاه الموت وهو علي هذا الحال ولهذا يقول الحق انك ايه الإنسان لن تاخذ معك شي من هذه الأشياء التي اشغلتك عن الغايه من وجودك وهو عباده الله فها أنت تأتي وحدك بلا اولاد ولا مال ولا جاه لقد تركت الخشم والخدم والجنود والأموال والجاه وكل شي خلفك

فلم تنفعك ولن تمنع عنك العذاب فقال تعالى (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم)

كما قال تعالى في موضع آخر (قال رب ارجعون لعل اعمل صالحا فيما تركت)

الأمر الرابع

تستمر النصوص في رسم حاله التفرغ والتوبيخ لهم علي ما اتخذوا في الدنيا من اندادا واصنام علقوا عليها
أمالهم بأنها تنفعهم وقت الحاجه والشده فقال تعالى (وماني معكم شفعاكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء)

سواء الكهنه أو الأصنام أو الملائكه أو الجن أو الصالحين أو غيرهم الذين عبدوهم معتقدين أنهم يقربونهم الي الله
زلفي بتأثيرهم علي أردته وحملهم إياه علي ما تتعلق به أردته الازاليه وهنا يقول لهم اين ذهبت هذه الشفعا لم
تجدونها فقال تعالى بعدها (لقد تقطع بينكم)

اي تقطعت الصلات والأسباب التي علقت عليها الآمال والبين هي الصله والمسافه الحسيه والمعنوية الممتده بين
شئين أو أشياء وتضاف الي المثني نحو قوله تعالى (فاصلحوا بين اخويكم) وفي الجمع (أو إصلاح بين الناس)

وختم بقوله (وطل عنكم ما كنتم تزعمون)

غاب وذهب كل رجاء بالاصنام والانداد فامالكم خابت في من كنتم تتوهمون أنهم سوف ينقذوكم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع ١٢ من الانعام

(أن الله فالق الحب والنوي يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)

اولا

بعد أن نقلت الايات في المقطع السابق بيان ما يكون في الموت من قهر الإنسان فهو يغادر الدنيا بدون أردته ولا يأخذ معه شيئا مما انشغل به في الحياه وجعله غايه وهدف لحياته فقد تركها خلفه وجاء وحيدا مثلما خلقه الله فقد أخطى الطريق وهو يبحث عن الذات العليا عندما جعل تلك الاغراض اهداف حياته فتصور أنه بجمع الأموال والجاه والسلطان والاستعانه بالاصنام أو الجن أو ماشابهه ذلك يجد القوه التي تحقق له الذات العليا المفقوده يجد محبوبه الذي يحقق كماله وسعادته واشوقه ولهذا ذكرت الآيات السابقه أن تلك الالهه الباطله تغيب عن الإنسان فقال تعالي (وضل عنكم ما كنتم تزعمون)

ولهذا تأتي النصوص بعدها بقوله تعالي (أن الله فالق الحب والنوي يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون)

حيث وبالوقوف علي مدلولاتها وما لاحقها نجد أنها تتناول الآتي

الأمر الأول

تنبيه من الله تعالي لأولئك الذين جعلوا مع الله الهه وتعريف منه لهم فساد تصوراتهم وأفكارهم ومعتقداتهم فيما هم مقيمون عليه من عقائد الشرك فيقول الحق ايه الناس أن الاله الحق الذي تبحثون عنه هو الإله القوي القادر علي الخلق والحياه والاماته الذي يخلق الحب والنوي لمن قال إن الفلق هو الخلق أو الشق لمن قال إن معني الفلق الشق اي أنه شق من الحب من كل ماينبت من النبات فأخرج منه الزرع ومن النواه وهي القلوب التي بداخلها ما يغرس مما له نواه فأخرج منه الشجر برغم أنها يابسه أخرج منها نباتا اخضر فهو تعالي الذي له القدره المطلقه وليس الاصنام العاجزه التي لاتنفع ولاتضر ولا اي معبود من البشر أو الجن أو الملائكه فهؤلاء يضيعون وقت الشده وتدعونهم فلا تجدونهم كما ورد في الايه السابقه (وضل عنكم ما كنتم تزعمون)

فذكر براهين واداله من مصنوعاته تعالي للاستدلال علي انفراده بالخلق والالوهيه والعبودية والربوبيه المستلزم لا نتفاء الالوهيه عن لايقدر علي مثل هذا الصنع العجيب فلا يصح أن تعبد ولا أن تشرك مع الله في العباده فلا حق لها في الالوهيه ولهذا قال (ذلكم الله ربكم فاني تؤفكون)

ان الإله الذي فعل ما فعل هو الله ربكم الذي هو السيد المطاع المعبود لا الاصنام التي تعبدونها فاستخدام الاشاره (ذلكم) لزياده التعريض بغباوه المشركين لغفلتهم عن هذه الدلاله الواضحه التي تدلهم علي الإله الحق المتفرد بالا لهيه اي ذلكم الفاعل الأفعال العظيمه من الفلق وإخراج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ولذلك عقب بـ التفريع بالفاء (فاني تؤفكون) والافك يستخدم في التعبير عن البهتان والكذب ويستخدم للتعبير عن صرف الشي عن مكان أو عن عمل كما ورد في قوله تعالي (قالوا اجئتنا لتافكنا عن الهتنا) اي تصرفنا اي ماالذي حملكم علي الكذب والكذب والصرف واحد في الحقيقه لان الكذب صرف قول الحق الي الباطل

الأمر الثاني

افتتح الجملة (أن) مع أنه لا احد ينكر أن الله هو فاعل الأفعال المذكوره فما دلالة ذلك ؟

ان الابه تهدف إلي الاتي

١

اظهار قدره الله تعالي وهيمنته تعالي علي كل الامور في الحياه والممات وعموم كرمه فذكر أنه هو الذي يشق الحب والنوي والذي يخرج منها الزرع والأشجار حيث يخرج من النوي الجماد اليابسه الأشجار الخيه ومن الحب سواء التي يباشر الناس زرعها أو تلك التي تنبت في البراري وتخرج منها الزروع فإن المتأمل لها يري ما يبهر العقول من قدره الله وبما يدل علي قدرته تعالي الخالق علي الاحياء بعد الموت كما قدر علي اماته الحي ولما كان التأمل يحتاج الي نظر دقيقا وهو ما انصرف عنه المشركون فاخبروا بهذا علي انكارهم البعث بأن من قدر علي ذلك فهو قادر علي اعاده الخلق وبعثهم واماتتهم واحياءهم فقدرته مطلقه لا يعجزه شي فانكارهم للبعث كحال من شك أن الله فائق الحب والنوي

٢

ان الهدف المقصود هو معرفه الله ومحبه وعبادته فأشار الي كمال قدرته وأنه موجود الحياه فما في الحياه من نمو الكائن الحي بما ياكل من أشياء تدل علي أنه تعالي خالق الوجود وأنه تعالي لاشريك له فهو المتفرد بالخلق والامر في ذاته وصفاته وجلاله وهذا مايدل عليه اسم الجلاله فعندما تسمع اسم الله فإن هذا الاسم فيه جميع الصفات فالحق يريد منك أن الوقوف علي حسنه وجماله المتصف بها في الكون فهذا الوقوف من وسائل تحقيق غايه وجود الإنسان في الأرض (معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده)

لأن رؤيه حسن الله يعني أن تنجذب له القلوب تلقائيا لأن الإنسان يحب بطبعه رؤيه حسنه وجماله وحسن الله يعني مشاهده عظمته وجلاله لاشريك له ولهذا يقول لنا الحق أن كل مخلوق وكل ذره من ذرات هذا الكون وكل شي فيه من مخلوقات الله ويحتاج إليه فقال تعالي (أن الله فائق الحب والنوي)

فلا وجود في الحقيقه الا وجوده وكل مخلوق يستمد منه وجوده تعالي وحي بجمله (يخرج الحي من الميت) للذلاله علي أن الفعل اي نشاه الحياه وما فيها ليست علي سبيل المصادفه فالوجود كله اوجده الله فعندما تشاهد هذا الابداع وما في الكون من جمال فعليك أن تري جمال الخالق وجلاله يقول صاحب الظلال من البدايه أخرج الله الحي من الميت فقد كان هذا الكون أو علي الاقل كانت هذه الأرض ولم يكن هنالك حياه ثم كانت الحياه إخراجها الله من الموت كيف لاندري وهي منذو ذلك الحين تخرج من الميت فتتحول الذرات الميتة في كل لحظه عن طريق الاحياء الي مواد عضويه حيه تدخل كيان الاجسام الحيه وتتحول الي ذرات ميتة والعكس فلایقدر أن يصنع ذلك إلا الله ولا يقدر أن ينشي الحياه منذو البدء من الموت إلا الله ولا يقدر الا الله أن يجهز الكائن الحي ؛ القدره علي احواله الذرات الميتة الي خلايا حيه لايقدر الا الله علي تحويل الخلايا الحية الي ميتة مره اخري في دوره لايعلم أحد يقينا متي بدأت ولا كيف تتم فلا يمكن أن تكون كل حركه تجمع الخلايا قائمه علي المصادقه وانما هو فعل من أفعال الخلق سبحانه وتعالى)

ومجي الجملة الاسميه للدلاله علي ثبات هذا الوصف ودوامه لانه وصف ذاتي لله تعالي وهو وصف الفعل أو القدره وتعلقاتها لتشاهد من فلق الحب والنوي جلال الله وقدرته علي اخراج الحي من الميت

فقوله (مخرج الميت من الحي) اسم للدلاله علي الدوام والثبات فحصل بمجموع ذلك أن تكون تكون الجملة الفعلية متجرده اي أن كل ماتري من مفعولانه مراد معلوم وليس علي سبيل المصادقه

ولهذا يقول الحق (ذلكم الله ربكم فاني تؤفكون)

بأن هذا الإله هو بغيه القلوب لا من هو عاجز لا يقدر علي شي ولهذا جاء الاستفهام (اني) معني من اين استفهام انكاري تعجبي بأنه لا يوجد موجب يصرفهم عن الإله الحق وبني الفعل للمجهول (يوفكون) لبيان ان ما يصرفهم إنما هو اوهام وخرافات وساس الشيطان

الأمر الثالث

لماذا خص بالذكر الحب والنوي ؟

لأن منهما خلق جميع ما في الدنيا من الزرع والأشجار الذي فيه فائده تعود علي الإنسان والحيوان ... ولأن من وسائل حب الإنسان لربه هو الاطلاع علي حسنه وإحسانه فأراد من خلال النظر إلي مخلوقاته واعتناؤه سبحانه وتعالى بعباده ان يظهر إحسانه بأن أو جد الإنسان من العدم وأنه مازال يعتني بهم ويشملهم بربوبيته علي الدوام لأن الاطلاع علي إحسانه لا يكون إلا من خلال مشاهد عطاءه وانعامه ورحمته ولهذا جاءت النصوص بذكر خلق الحب والنوي اي سائر النبات التي الفائده منها للحيوانات والإنسان وعندها فانك تعلم عنايته بما هو قوت الحيوانات والإنسان لتعلم أن المقصود من خلق النبات والحيوان هو عنايه من الله بقوت الإنسان والذي خلق لمعرفة الله ومحبه وعبادته وتوحيده ولهذا يقول لك الحق انظر الي الأشجار والنباتات وقف علي ما فيها من حركه ونمو لتري أن انعام الله لاتعد ولا تحصي فمن عرف ذلك فلا شك أنه سوف يجد في قلبه حبا عظيما لله تعالي ولن يصرف حبه الي غيره فهذا الإله هو بغيه القلوب ويتوجه إليه بالشكر فأراد الحق أن تشعر أن كل ذره وكل خليه من خلاياك وكل ملكه من ملكاتك إنما خلقت لمعرفة الله ومحبه وعبادته وتوحيده

ثانيا

بعد أن ذكر القوت الذي فيه للإنسان ذكر السكن فقال تعالي (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

ان المتأمل للنصوص يجد انها تضمنت اربع كلمات احتج بها الحق علي ظهور قدرته ونفاذ امره بمناسبة ذكر ما أنعم الله به علي العباد من نعمه الايجاد من العدم .. وأنه تعالي الموجد لكل الخلائق وهو من اوجد الحياه وانشاءها وحده لأ شريك له فإن هذا العرفان يولد الشعور بحسن الخالق سبحانه وتعالى فتدرك أن كل ذره وكل خليه من خلاياك وكل ملكه من ملكاتك إنما خلقت لمعرفة الله ومحبه وعبادته وتوحيده وبما يودي الي تعلق القلب به تعالي وحده لأ شريك له وتخرج من قلبك كل ماسواه فهو سبحانه وتعالى بغيه القلوب ومطلوبها ولأن حب الله المطلوب هو الحب العظيم الذي لا يليق الا بعظيم ولا يستحق ذلك إلا الله تعالي ومحبه الله تكون بالا جلال والتعظيم والخضوع والانحان فهو من المألوه والوصول الي هذا المستوي لابد من الاطلاع علي حسنه وإحسانه وهذا إنما يكون بالإحساس بانعام الله ودوام عنايته ورعايته سبحانه وتعالى بنا مشاهده رحمته وفضله وعظمته وجماله بالنظر الي انعامه ولهذا يلفت الحق عباده الي أوجه عنايته ورعايته سبحانه وتعالى بالإنسان بتسخير الكون لخدمه الإنسان في أربع كلمات هي الأخرى تدل علي عظمه الله وجلاله حيث أنها تجمع جميع معاني البلاغه من التاليف والتلائم بينه فقد شمل الاطباق المليح والايجاز اللطيف والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل وليس ذلك فحسب بل إن كل كلمه منها علي انفراد تصلح بنفسها أن تكون عين رساله وبما يعطي النفس قبولا وارتاحا عند السمع الآيات فكل كلمه منها لها معاني عظيمه وتعطي صوره في غايه الجمال والزوعه والإبداع تدل علي عظمه الخالق وان القرآن هو كلام الله لا يقدر بشر أن يقول كلاما بليغا مثله ومع ذلك يلفت انتباه المخاطبين الي النظر في آياته الكونيه التي تتحدث عنها النصوص فاذا تأملت إليها تزيدك معرفه وإيمانا وهذا فيه تعانق الدليل النقلي مع الدليل العقلي ليغرس في النفوس محبه الله وان يكون الله هو مركز اهتمام افكارك ومشاعرك وتوجهاتك في كل شؤونك وهذا ما تهدف إليه الآيات كما يتضح من خلال الوقوف علي الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (فالق الإصباح)

فأراد بهذا التذكير بشق الصباح من ظلام الليل يدعوك الحق الي تأمل ذلك من جميع وجوه فلايقدر علي ذلك إلا الله تعالى فهو تعالى أخرج هذا البياض الوهاج من السواد

وهذا الأمر مظهر من مظاهر جمال الوجود حيث تشاهد فيه

بما يحقق فهو يقابل فلق الحب والنوي التي يخرج منها الزرع والأشجار وكذلك فإن فلق ضوء النهار بازاله ظلمه الليل هو مظهر يسر من يشاهد هذه اللحظات وبالتالي فإن هذا يدل علي جمال الخالق سبحانه وتعالى فأنت تري جمال الله وجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أن رعايه الله لك بأن جعل الإنسان سيذا علي الكون فمن جمال الله وعنايته أيضا بك هو أنه تعالى (وجعل الليل سكنا)

فهذه نعمه عظيمه لأن الجسم الإنساني يحتاج الي الراحة والسكون بالنوم يحتاج الي راحة الأعصاب والبدن و العقل والسمع والبصر من متاعب ومشاكل النهار فالإنسان يسترجع في وقت النوم قواه العقلية والنفسية و البدنية والعصبية فيصفاوا عقله وتهدأ أعصابه وتتحدد خلايا بدنه بعدما كف عن الحركة والتفكير وقضي الليل في هدوء وسكون وسكوت يقول صاحب كتاب معجزه القرآن عن النوم

ان النوم ايه عظيمه من آيات الله سبحانه وتعالى فهو ضروره للحياه ونعمه كما أنه راحه ورحمه فالنوم شرطا أساسيا لكل حي

حيث أثبت الطب الحديث ان النوم ناشئ عن تغييرات كيما ئيه تحدث من الحركة في الانسجه البدنية فهذه الخ لايا الميته لابد من أخرجها بالنوم لأن استمرار تلك التغييرات ومنع الإنسان من النوم قهرا يودي الي الموت حتما ولهذا فالنوم يعيد تجديد الخلايا ويعيد التغييرات الكيما ئيه الي ماكانت عليه قبل الحركة فاستعاده النشاط و القدره علي العمل والتفكير إنما يكون بعد النوم الذي يسترد الحي ما بذله من قوي ومافقدته من بدنه في سبيل العمل والسعي العيش

فالنوم تجديد يعيد الي الجسم نشاطه وقوته كما يعيد الي عقل الإنسان صفاءه وقدرته فكل حي لايحتمل استمرار الحياه بلا راحه بل لابد له أن يكف عنها حينما بالموت الوقتي وهو النوم ليستطيع أن يحيا ويعمل ويفكر فقال تعالى (جعل الليل سكنا)

وهذا دليل علي ضعف الانسان وان كل حي يحتاج الي الراحة بل الي ترك الحياه بالنوم من وقت لآخر

فأراد الحق بهذا أن تري عنايه الله بك ورحمته كما قال تعالى في موضع آخر (ومن رحمته جعل لكم الليل و النهار... الخ

فإذا شاهدت وشعرت برحمه الله وعنايته بك وأنه بعد أن خلقك شملك بالانعام التي تمكنك من العيش فعليك أن تري جماله الله وجلاله وكماله وعظمته فمن كمال الله أن تدرك أنه سبحانه وتعالى وحده الذي لاينام لانه لا يتعب ابدا كما قال (أو الم يروا أن الله خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر علي أن يحيي الموتى بلي أنه علي كل شي قدير)

فهو تعالى لا يحتاج الي راحه فلا تأخذه سنة ولا نوم مهما خلق من كواكب ونجوم ومجرات ومهما ابداع بين

السموات والأرض من مخلوقات فقال تعالى (والشمس والقمر بحسبان ذلك تقدير العزيز العليم) لأنه تعالى له الحياه الازليه الابديه وقوته قوه فائقه خارقه لانهاية وأشار إلي هذه القوه بأنه لايعتريها ضعف ولا وهن فلا تأخذه سنه ولا نوم من تعب كالانسان فهو ليس كمثل شي فقال تعالى (اللّه لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنه ولا نوم)

الأمر الثالث

يبين ان انعام الله علي الناس لاتعد ولاتحصي وان الآيات المشهوده التي في متناول كل انسان ترشده الي عظمه الخالق سبحانه وتعالى وجلاله وكماله وعظمته وجماله ومن ذلك أن الإنسان لو تأمل الي حركة الشمس والقمر فقال تعالى (والشمس والقمر بحسبان)

قال مجاهد كحسبان الرحي اي أنهما يجريان علي حسب الحركة الرحويه الدوريه علي وضعها حيث أنهما يجريان بحساب مقدر ومحسوب لايتغير ودقيق

وقال جماعه من العلماء بحساب ومنازل وقال آخرون أن الحسبان من الحساب اي أن المعني متعلق بالعدد من الأ شياء والأوقات فهي تحدد لك اوقات الصلاه وعدد الايام والشهور

ولهذا يقول أنه تعالى قدر لها حركتها بمقدار معين من السرعه والبط بحيث تكتمل دوره الشمس في سنه وقدر للقمر دورته في شهر وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم والفصول ويحصل للإنسان العيش علي الارض فلو أن الشمس اقتربت من الأرض فإن الإنسان لن يستطيع العيش ولن يجد أرضا ملائمه للحياه فشده الحراره سوف تقتل الكائنات الحيه والنباتات في الأرض وكذلك لو ابتعدت الشمس مسافه فإن ذلك سوف يجعل الحياه علي الارض مستحيله

فقال تعالى (ذلك تقدير العزيز العليم)

فهو سبحانه وتعالى يبين أن هذه الأفعال والآيات المشهوده صدرت عن علو الأمر ونفاذ القهر وبها يتجلي بهجه قدرته ويتحلي بخالصة العزه فعزته سبحانه وتعالى هي التي انقادت لها هذه المخلوقات فكانت مسخره بأمره لمنفعه الإنسان فهي تتحرك بدقه متناهيه فهو تعالى أحاط بكل شي علما فوضع لهذا الكون نظاما بديع يحير العقول في حسنه وكماله وموافقته للمصالح

ثالثا

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)

تبين النصوص أن من ابداع الخالق جلا جلالة هو خلق النجوم فذكر أن مهام النجوم أنها بالاضافه الي أنها زينه في السماء ورجوما للشياطين فإنها علامات يهتدي بها الإنسان للخروج من متاهات الصحاري والبحار حيث أن الإنسان في الصحراء يقع في متاهه لانه لايدرك اين الاتجاه الصحيح الذي هو غايته وهدفه لانه أن أخطى الطريق فقد هلك وهو في الصحراء لايري اي شي مختلف سواء كئبان رمليه وكذلك فانه في البحار لايري سواء مياه من جميع الجهات فالملاح في البحار والمسافر يكون في حيره وظلمات الخوف والحيره فهو يحتاج الي مايهتدي به ليخرج من المتاهات ومن ظلمات البر والبحر فاخبرنا الله أنه جعل للنجوم وظيفه وهي أنها مسخره لترشد الإنسان علي الاتجاهات وليخرج من الظلمات

والاهتداء بها يحتاج الي معرفه بمسالكها ومواقعها ومداراتها

ولهذا يقول الحق أنه مثلما ينتفع بعلم الفلك بمعرفه مواقع النجوم أهل العلم فيحصل الخلاص من الظلمات

الحسبه فإن الظلمات المعنويه تتطلب أن ينتفع العبد من الاهتداء من النجوم التي وضعت كعلامات يهتدي بها بأن يعلم أن الخروج من ظلمات الشرك والجهل والكفر إنما يكون بالبحث عن المعالم التي وضعت علي جانبي الطريق المستقيم والتي تمنع الخروج عن الطريق

ولهذا قال تعالي (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)

والآيات هنا أما أن تكون المسموعه في القران الورده في السوره أو الآيات الكونية التي تتحدث عنها النصوص وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تبين أهميه ربط الآيات المسموعه مع المشهوده لازاله موانع الخلافه الظلم و الجهل...وهذا يعني أن يقود العلم بالماده الي معرفه بخالق الماده فلا تقف عند عنصر الماده فالاصل أن العلم يفتح القلوب والعقول لتكون قابله لاستقبال انوار الحق لتزيل الظلمات الحسيه الواقعيه وتزيل ظلمات العقل و الضمير بحيث يكون التفكير في الكون قوه تحريك الارده الانسانيه وتوجهها نحو خالقها وبحيث يكون تحقق الذات بالاعتزاز بالعبوديه فيكون إشباع السعي الي الاكتمال من خلال معرفه خالق الماده فكل كائن حي له حركه تتجه صوب الاكتمال الخاص الذي يحقق الذات لكل عضو من أعضاء ه وكل ملكاته فكمال الحياه هو هدف الحياه فكما تكره الطبيعه كل فراغ فإن الكائن الحي يكره عدم الاكتمال فالإنسان يسعي الي الاكتمال بحيث يكون تنظيم جميع العواطف والأحاسيس والاتجاهات والأفكار المستساغه بالتركيز حول فكره محدد تودي الي التجانس الكامل للفرد كله فيكون السلوك متجها الي نتيجه يدركها العبد بمحض إرادته فطموحه وغرئزه كلها تتجه نحو إثبات الذات في كل عمل يعمله وهذا لايتحقق الا اذا ربط عقل الإنسان وتفكيره وضميره وغرائزه بمصدر السعاده وهو العرفان بالصحيح بالله ولهذا فإن الدين يتعزز بالعلم إذ تتعاون أدواته مع ما استودع الله في الإنسان من حواس وعقل وأدوات وما ارسل الله مع الرسل من كتب بالآيات الكونيه والمسموعه وترك للإ نسان أن يختار الطريق فإما أن ينصرف الإنسان الي ربه وحده لاشريك له أو أن يتخذ لنفسه الهه محاولا سد الفراغ الناتج عن عدم العلم بخالق الماده وهذا يظل في عذاب المتاهات والشك والظلمات لايجد مخرج فهي لا تظفي الظلماء ولاتعفي من الالتزام فهذه صفقه خاسره لاتقدم للعقل جديد ولهذا فإن القران يخاطب الذين يعلمون اي أهل العلم بأن التفاصيل تنفع أهل العلم أما الجهلاء فإن التفصيل لاتنفعهم ولاتزيل عنهم شبهه ولا يكشف عنهم مشكل

رابعا

تمضي سياق النصوص في عرض الاداله والبراهين المشهوده الداله علي عظمه الخالق سبحانه وتعالى وعطاءه وانعامه فقال تعالي (وهو الذي انشاءكم من نفس واحده فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)

الأمر الأول

والانشاء الايجاد الشئ وتربيته فالحق سبحانه وتعالى يمتن علي الإنسان بما أنعم عليه من الايجاد من العدم و النفس تطلق علي الروح وعلي الجسد والروح فذكر التناسل من آدم الذي تسلسل منه سائر الناس فالجميع اوجدوا من نفس واحده فأراد بهذا :-

١

تذكير الإنسان بنعمه الايجاد من العدم فاستعمل الانشاء الذي يفيد معني الخلق ومعني جعل وهذا لا يستخدم في القران بشكل متساوي إلا في قضيه واحده وبنفس المعني في موضوع خلق آدم وما تلاه من خلق حواء من جسد آدم (اي خلق الخليه الأنثويه من الخليه الذكرية) وهذه واقعه بيولوجية غير متكرره ولن تحدث مره اخري علي الارض فكان إمكانية التعبير عنها بما يفيد معني الخلق اي الانشاء من العدم فهي حادثه فريده في التكاثر لن تتكرر فصح التعبير بذلك والايه وردت في إطار الامتنان بأن صار علي هيئه معينه وتحوله من هئيه الي أخري

بعد ذلك في التناسل وهذا فيه تعريف الإنسان بضعفه وافتقاره الي الله وان الله غني عن العالمين وان الإنسان هو الذي يحتاج الي الله تعالى وان الواجب عليك أن تشكر الله تعالى علي انعامه

٢

ارشاد الي ما يجب من التعاون بين البشر فالناس تربطهم رابطة الانسان والانتماء لادم فلا فرق بينهم الا بالتقوي ف الللازم أن يسود العلاقات البشريه التالف والمحبه بدل العدواه والتقاتل

الأمر الثاني

كما أن الايه تلفت الإنتباه الي وحده النفس البشريه ولهذا اکتفي بذكر انشاء الناس من نفس واحده مع انها من الذكر والانثى اشاره الي نعمه الزوجه وأنها جزء من الإنسان اي النصف الآخر له لما يكون بينهم من موده ورحمه فذكر تاريخ نشاه الذريه أنه يكون بنطفه الرجل التي تخرج من اصلاب الرجل ومن بويضه المراه من صدرها

والمستقر يستخدم بما يدل على الشي الي لم يكن علي قرب الزوال

والمستودع ما يدل علي قرب الزوال

ولهذا ذهب المفسرون الي اراء متعدده فمنهم من قال إن المستقر صلب الرجل والمستودع رحم الأم لأن النطفه حصلت في صلب الرجل قبل حصولها في رحم الأم فحصول النطفه في رحم الأم تشبه الوديعة

الأمر الثالث

يقول الحق أن الذي ينتفع من هذه التفاصيل هم الذين يفقهون المراد من النصوص اي الفهم السليم لأن الحكم علي الشي يتطلب امران الاحاطه علما بالشي من جميع جوانبه...وفهم تأويله

ولهذا ابتداء بالعلم في الايه الاولي ..ثم ذكر الفهم لأن المعلومه قد توصل سليمه لكن سوء الفهم لها وعدم ادراك مدلولاتها تودي الي إصدار حكم خاطئ نتيجته ازمه سوء الفهم

ولهذا فإن الفقه أمر مهم فلا تنفع المعلومه وحدها وهو أمر يحتاج الي قوه إدراك وسلامه الحاله النفسيه من الاضطراب والانفعالات لأن الفقه يعني الوقوف علي المعني الحقيقي وهو أمر يحتاج الي الغوص في أعماق الشي وتفتيش الحقائق وفتح ما استغلق منها للوصول إلي أسرارها والأمر يحتاج الي حذاقه وتدقيق لمعرفه مقاصد الأ مور واعراضها وهذا يحتاج الي فقه النظر بالبصر والبصيره ولهذا ذكر هنا اهميه الفهم لملاحظه الادله في نفس الإنسان كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

القسم الثاني

تمضي سياق النصوص في عرض آيات الله وعجائبه يتحدث عنها الحق سبحانه وتعالى لعباده بكلامه الذي يتجلي فيها لعباده بصفاته المتعدده فقال تعالى (وهو الذي أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شي فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانيه وجنات من أعمال والزيتون والرمان متشبهها وغير متشابهه انظروا الي ثمره اذا أثمر وينعه أن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو علي كل شي وكيل لاتدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)

اولا

أنه بالوقوف علي الآيات نجد انها وردت في معرض حديث الحق سبحانه وتعالى عن ذاته وصفاته وكماله فهي معطوفه علي ما قبله

حيث نجد أن الايات تعرض مشاهد الحياه المتفتحه في جنبات الأرض بأسلوب فيه تلاوم الألفاظ فقال تعالى (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء)

فالمراء عندما يسمع كلمه نزول الماء وهو المطر فإن هذا الكلمه تجعله يدرك أن الحق سبحانه وتعالى يمتن علي عباده بنعمه عظيمه أنها نعمه الغيث وهذا الكلمه قادره علي جذب الأسماع وشد الأذهان

لما تتحدث عنه الآيات لان الكائنات الحية كلها تحتاج إلي الماء فالمطر من أعظم النعم وبه تخرج نبات كل شيء وقوله تعالى (هو الذي انزل من السماء ماء) وهذا فيه

الأمر الأول

تهدف إلي أن يستحضر العبد تجلي الحق سبحانه وتعالى بصفات الرحمة واللفظ والإحسان فيشعر أنه محتاج لربه ويحس بعنايه الرب فالماء منزل من الرب رحمه منه بعباده وقيام بمصالحهم ليكون تعلق رجاء العباد به تعالي وحده ويكون الاعتماد عليه وحده ولذلك يتعجب الحق سبحانه بعد هذه الآيات ممن يجعل مع الله شركاء بالعباده والاستعانه وقد علم أن كل ماسوي الله مخلوقات عاجزه عن النفع والضرر فالاصل أن مشاهده بر الله وإحسانه وكماله تودي الي تعليق الرجاء علي الله وحده ويكون ذلك باعنا للجدد في العمل

الأمر الثاني

تبين الآيات ان نزول الماء من السماء من جهه تعلق الأرض فيه ما ينفع الناس فهذا الخير النازل من السماء عندما يصل الي الأرض ما الذي ينتج عنه ؟

ومن هنا تصور الآيات صورته من واقع الحياه المحسوس لمشاهد تراها الأعين وبالفاظ تنجذب لها النفوس حيث نجد أنه سبحانه وتعالى يتحدث مباشرة لعباده بعدما كان الحديث بأسلوب الغيبه فجاء الالتفات بقوله تعالي (فأخرجنا به نبات كل شيء) فلم يقل أخرج .. فقد تجلي في جلباب العظمه والهيبه والجلال حيث أنك لو سالت اين كان من أنزل المطر فإنه سيقول الله فلا يمكن لأحد أن يقول إنه ينزل المطر ولهذا فإن النون هنا هي نون العظمه لا الجمع ومجي الكلام الذي تتحدث عنه النصوص من انزال المطر الي انبات العمار والأشجار متربطا بنون العظمه لله تعالي يعني أنه تعالي يريد منك أن تشعر بعظمه المنعم ولهذا التفت من الغيبه الي المتكلم

فأراد أن تدرك بأنه بتدبير من له العلو والعظمه سبحانه وتعالى وان كل شيء دونه فأخبرنا أنه انزل الماء الذي هو اعظم نعمه يضطر إليها الخلق كلهم من الادميين وغيرهم فأنزله من السماء متتابعاً وقت الحاجه فقال تعالي (فأخرجنا به نبات كل شيء)

فجميع النبات يتوقف علي وجود الماء كما قال تعالي (وجعلنا من الماء كل شيء حي)

وقد ذكرت النظريات أن الماء شارك في حياه التربه التي كانت ملتبهه في فتره ما حيث تفيد هذه النظريات أن نزول الماء مع بعض العوامل الجويه ادي الي جعل الأرض صالحه للحياه

فالماء يلعب دور أساسي لاستمرار الحياه فهو ذو علاقته وطيده بكل أنماط الحياه فما مصدره أنه منزل من الله ومن الذي أخرج النبات هو الله تعالي حيث أنبت به كل شيء يأكل منه الناس والانعام

وبالتالي فإن هذا بهيج النفوس علي الاستماع لما يقول الله تعالي والشعور بعلو كلامه سبحانه وتعالى ومعني

هذا أن يحصل له من الواقع في القلوب والنفوس من التمكين ومن ثم الانكسار امام الحق سبحانه و ان تخضع له أعناقنا فكيف لاي إنسان أن يتكبر عليه ونحن بحاجة اليه علي الدوام وهو الغني عنا

المبحث الثاني

تمضي سياق النصوص في عرض الاداله علي قيام الله بمصالح العباد وسوق أرزاقهم إليهم فقال تعالي (فاخرجنا به نبات كل شي فاخرجنا منه خضرا)

دعوه القلب الي استجلاء صفاءه ومشاهده ما يذهل ويبهج النفس بالنظر الي بدائع صنع الله و جمالها والا ستمتاع برؤيه مفعولات الله بهذا الجمال الدال علي كمال الذات للخالق فيكون استماله القلوب لتصبح فارغه من كل حب سوي حب الله تعالي وحده لاشريك له ولهذا ابتدا بالاجمال (فاخرجنا به نبات كل شي)

اي كل شي ينبت من الزرع والأشجار والفواكه والخضروات

ثم شرع في تفصيل ما اجمل من الاخراج فقال تعالي (فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعتها قنوان دانيه وجنات...الخ وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ان الله سبحانه وتعالى يمتن عليك بكرمه وعنايته الدال علي محبته ورحمته بالعباد يقول لك من الذي يصنع لك الغذاء أليس الله ؟

فإذا أردت أن تعرف كيف يصنعه وخطواته فإن عليك أن تنظر إلي مفعولاته في خطوات تكوين الحبوب والثمار لتري أفعاله تعالي لأن المفعولات لابد لها فاعل فصناعه الاطعمه تبدأ بانزال الغيث الذي جعله الله سببا لخروج كل ما ينبت بشكل عام اي الماء يخرج الله به النبات وان النبات والشجر والزرع بعد ذلك يخرج ماده (خضرا) سواء كان الزرع بالنسبه للحبوب أو الاوراق الخضراء في الاشجار الأخرى اي أن الخضره هي اللون الذي يعرف به حياه الشجره ومن تلك الاوراق الخضراء تأتي المواد التي تكون الثمار والحبوب وهذا ما توصل إليه علماء النبات الاوربيين في الوقت المعاصر الذين اردوا أن يعرفوا من اين تخرج الثمار والحبوب فقالوا لنراقب المكان الذي تخرج منه الثمار فما كانت النتيجة؟ نقلا عن صاحب كتاب (الاعجاز العلمي في القران الكريم)

لقد وجدوا أن الثمار تخرج من مكان الزهور... فأراد أن يعرفوا المزيد فقاموا بتشريح النبات لأجل تتبع من اين تأتي المواد التي تكون الثمار والحبوب فوجدوا انها تأتي من أوراق الشجر فشرحوا الورقه فوجدوا في الوريقات تركيبات مختلفه من هذه التركيبات شي اسمه البلاستيدات الخضراء شي لونه اخضر هو الذي يجعل لون الورقه ولذلك إذا شاخ النبات تحول الي اللون الاصفر لأن هذه المصانع تضعف وتضمحل فيتحول اللون الي لون آخر وجسم الورقه هو جسم الورقه .

ولهذا عندما يقول لك الحق (انظر الي ثمره وينعه)

فهو يريد منك أن تركز علي هذا المصنع لتعرف اسرار الخالق وكمال صفاته من مفعولاته فهي داله علي أفعاله لانه لابد للفعل من فاعل فهي داله علي صفاته ووحدانيته سبحانه وتعالى

فأراد منا اكتشاف هذه العلوم لكن نحن المسلمون لم تبذل جهودنا في دراسته وفهم هذه العلوم فجاء التركيز عليها من غير المسلمين ولهذا سوف نعود الي ما قام به العلماء الاوربيين بعد أن اكتشفوا أن المواد المكونه للثمار تأتي من الورقه الخضراء فقد ركزوا علي هذا المصنع فما ذا وجدوه يفعل ؟

وجدوه يحول الطاقة الشمسية وثنائي أكسيد الكربون من الهواء والماء الذي يأتي من الأرض في حوالي ٤٠٠ عملية متسلسلة متتابعة لازيميات مركبه بتركيب بالغ ليكون في النهايه سكر ثم يتكثف ذلك السكر فيصبح نشاء ويختزل ذلك السكر فيكون دهن ويضاف إليه ذره نثروجين فيكون بروتين يعني جميع الاكل من هذا المصنع الاخضر فإذا نزل الماء فإن الماء يخرج النبات والشجر يخرج الماده الخضراء والماده الخضراء تخرج الحبوب والثمار فقال تعالي (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) اي بالماء (فأخرجنا منه خضرا) اي من نبات كل شيء أخرجنا شيء لونه اخضر ولفظ خضر افضل من القول اخضر لانه ارق ظللال وأعمق الفه لأن العرب تقول خضرا للتعبير عن الشيء الذي لونه اخضر فطري وليس صناعي فاللون الصناعي يقال عنه اخضر ولهذا فإن لفظ خضر يعني أنه اخضر وزياده فيكون الكلام متلائم مع الموضوع الذي تتحدث عنه النصوص وهي اظهار قدره الله تعالي وانعامه وإحسانه وعطاءه ولهذا حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ ووقع المعني في القلب أنه اخضر فطري فهذا من جوده الكلام الذي يدعم صحه البرهان وحسن البيان في اعلي طبقات الاعجاز لمن كان جيد الطبع وبصير بجوده الكلام لأن الناس يتفاوتون في الإحساس ولهذا ختم أن المنتفعون بهذا البرهان و البيان هم المومنون لأن خضرا يعني اللون الاخضر وصف زياده عن قول اخضر لأن اخضر بخبر عن لون فقط و الذي يدرك بالنظر فقط أما خضرا فيدرك بالنظر ويعرف بالحس وبالأمس وهذا يحتاج الي تذوق حلاوه الايمان وهو ما يكون فيه تفاوت بين الناس كما اوضحنا

الأمر الثاني

ان الايات تبين أن من النبات شيء اخضر متخصص في إنتاج الغذاء البشري فقال تعالي (نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعتها قنوان دائيه وجنات من أعمال والزيتون والرمان متشبهها وغير متشابهه) اي يخرج من هذه الخضره مافيه حياه النبات وتكوين ماده الثمار والحبوب فالنمو يتوقف علي الماده الخضراء حتي يبلغ غايته من النماء ويثمر فذكر تفاصيل ذلك من خلال الامثله التاليه

١

(نخرج منه حبا متراكبا)

أخرج من الخضره الزرع حبوب مرصوه بعضها فوق بعض لتروا جمال الله وابداع الخالق فالناظر الي السنبله يجد أنها منظومه بشكل هندسي فيه منظر الجمال والابداع والإتقان في الخلق

ووصفه بأنه مركبا بعضه فوق بعض اشاره الي أن حبوبه متعدده فجاء الادغام التثني مع الميم (حبا متراكبا) متناسبا مع هذه المعني فهي رغم أنها ناتجه من ماده واحده فهي برغم كثرتها اي الحبوب فانها مجتمعها الاصول

٢

(ومن النخل من طلعتها قنوان دائيه)

اي كما أخرجنا من الخضر حبا متراكبا نخرج من الماده الخضراء في النخل يخرج من طلعتها والطلع اول شيء يبدو من ثمره النخل فهو الوعاء الذي ينشق ويخرج منه القنو وهو الفرع الصغير اي العذق الرطب الذي يحمل التمر

ووصف القنو (دائيه) للاتي:-

لأنك حين تنظر طلع النخل اول مره مايطلع تجده ينشق ويخبي نفسه بشواك الجريد حتي لاتاكله الحشرات فناسب هذا مجئ الاخفاء بالنون والبدال (قنوان دائيه) لانه يختفي في بدايه الامر حتي يعقل وينحي ويكاد ينزل علي الارض فيكون سهل المتناول

او ان المراد بهذا الاغراء بأنها قريبه سهله التناول فهي متداليه علي من اردھا لايعسر تناوله كما هو حال الطويله فاكتفي بذكر

القريبه عن البعيده لان النعمه القريبه اكمل واكبر وتبعث الاغراء في النفوس فهو ما يتمناه المرء لأنها سهلة المجتبي قريبه

٣

(وجنات من أعمال والزيتون والرمان متشبهها وغير متشابهه)

انه يخرج من ماده الخضراء شيئاً من العنب والزيتون والزمان متلونه بالوان عجيبه ولها مذاقات متنوعه تدل علي حكمه المبدع وقدره الصانع فجاء العطف علي ماسبق بذكر اسم الجنس جنات لان الانتفاع بهذا الجنس لا ياتي غالباً الا عند اجتماع طائفه من أفراده فالجنه تعني أن فيها نبات متكاتفه يستر بعضها بعضاً فذكر ما في مفعولاته من أشياء متنوعه فأراد بهذا أن يلفت انتباه المخاطبين الي تجلي الله بصفه اراده الفعل وان فعله ليس بـ الطبع حتي يكون واحد وان ما فيها من منافع ومصالح تدل علي كمال الحكمة

المبحث الثالث

(انظروا الي ثمره اذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

وبالوقوف علي هذا التعقيب نجد أنه تضمن ثلاثه اشياء

الأول :-

الأمر بالنظر الي الثمار اول ما تطلع وعند نزوجه وهرمه

الثاني

ان في النظر آيات داله علي الخالق ووحديته وأنه المستحق للعبادة

الثالث

ان المنتفعون بهذه الآيات هم المومنون

ولهذا سوف نناقش الآيات وفقاً لهذه الأشياء ومدلولاتها من خلال الآتي

الأمر الأول

ان الايه ابتدأت بالأمر بالنظر فلم يقل الحق كلوا من ثمره اذا أثمر ولكن قال انظروا لأن المجال هنا مجال تعريف العبد بربه فالله يدعوهم الي معرفته من خلال آيتين من الادله الأول النظر في مفعولاته ... والثاني أن يودي النظر إلي التدبر والتفكر في آياته المسموعه لأن آياته المشهوده شاهده بصدقه وصدق رسوله

ولهذا فإن النظر للأمور به يتضمن دعوه إلي الآتي

المساله الاولى

الي النظره التي فيها اعتبار فقال تعالي (انظروا الي ثمره اذا أثمر)

فاول ما يطلع الثمر يريكم الخالق من اين جاء)

فالمطلوب منكم أن تفكروا في قدره الله الذي اوجد الثمر من العدم الي الوجود بعد أن كان حطبا يابسا فاستخدم الظرف اذا أثمر فأمر بالنظر في أول حال حدوث الثمر وفي كمالها كيف تبدوا فقال تعالي (وينعه) حيث اذا هرم اصفر ومن هنا تدركون علاقته بالشي الاخضر فإن في ذلك آيات داله علي قدره الله تعالي

فاختلاف الأحوال والتغييرات التي تنقلها ابتداء الشيء في غايه الضعف والنقص ثم سوقه الي غايته ونهايته دليل علي وقوع المعاد والبعث والنشور

المساله الثانيه

ان المطلوب منك أن تنظر إلي نظره اعتبار لتغذي عينك بالمنظر الجميل حين تري الثمر طالعه كيف تبدو ثم كيف تنتقل الي أحوال مضاده لما كانت عليه حتي تنضج فهي تدل علي جمال الخالق جلا جلاله الأمر الذي يوجب علي القلب التعلق بالله ومحبهه

الأمر الثاني

يقول الحق لعباده أن عليكم أن تنظروا للظواهر نظره عميقه لا مجرد نظره سطحيه تتلذذون بما تشاهدون ف المومن مطلوب منه بمقتضي إيمانه أن ينظر إلي الماده ليري ماوراءها اي خالق الماده فعندما تنظر إلي جمال الكون فإن ذلك دليل علي جمال الله الذي ينبغي أن تتعلق به القلوب

فاللازم عليك أن تنظر إلي وحده النظام في الأشياء المختلفه (نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعتها قنوان دانيه وجنات من اعناب والزيتون والرمان متشابهه وغير متشابهه)

فهي تسقي من ماء واحد ومع ذلك مختلف في الاكل ويحكمها نظام واحد لايمكن أن يصدر عن اردات متعدده فهو يدل أنه إله واحد لاشريك له

الأمر الثالث

يقول الحق (أن في ذلكم لايات لقوم يؤمنون)

اي أن الغرض من دعوه الناس الي التفكير في آيات الله المشهوده هو التدبر بآيات الله المسموعه فالمصنوعات شاهده بصدق الآيات المسموعه فلو كان القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم فكيف عرف أن هنالك شي اخضر في النبات متخصص في إنتاج الغذاء البشري قبل الف وأربعمائه سنه

فإن هذه الآيات وما سبقها تدل علي وحدانيه الله تعالي وانفراده بالالوهيه والربوبيه والعبودية وحده لاشريك له

فاخبرنا الحق انه لاينتفع بها إلا المومنون لان الايمان هو الذي يفتح القلب وينير البصيره ويوقظ اجهزه الاستقبال

الأمر الرابع

يلاحظ أن الآيات جاءت متدرجه في بيان من ينتفع بالآيات فقال تعالي (لقوم يعلمون) (لقوم يفقهون) (لقوم يؤمنون)

لأن النظره اول ما توصل إليه هو العلم فإذا كان لصاحب هذه العلم قدره علي تجميع المعارف والاستنباط فإنه يكون قد وصل إلي الفهم وهذا العلم يكون منقوص الا اذا ربط ما توصل إليه باساسة الاعتقادي التوحيد فهذه

الحقيقه الكبرى تعني كمال القوه العلميه لانه يعرف بها خالقه باسماءه وصفاته وكماله ويعرف الطريق الموصل إليه ويعرف نفسه وعيوبها وافاتها

فإذا استبان له هذه الأمور فانه يعرف حقوق ربه وبالتالي يخلص في القيام بحق الله ويخاف أن يقصر في حق ربه ويعلم أنه بحاجة الي ربه للوصول إلي الطريق المستقيم ولهذا فإن نظرتة تزيدة إيماننا

ثانيا

بعد أن أخبر الحق سبحانه وتعالى أن آيات الله المشهوده شاهده علي صدقه تعالى وهي شاهده بصدق رسوله فهو خالق الكون وبالتالي فهو تعالى الشاهد والمشهود له فهو الدليل والمدلول له ودليل كل شي وان كان العارفون ب الله يدركون انه تعالى هو الحقيقه التي يستمد كل موجود حقيقته يتعجب من حال المشركون الذين يدعون مع الله الهه أخرى فقال تعالى

(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون)

النصوص تبين فساد تصوراتهم يفند اوهام وخرافات تلك المعتقدات كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

يلاحظ أنه لم يذكر من هؤلاء القوم الذين تتحدث عنهم الآيات بل جي بهم بقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) وهذا يرسم صوره قبيحه للشرك والمشركين فأراد بهذا تقويه بواعث البغض والنفور لفكره الشرك ولهذا جاء إبهام أشخاص الشرك هكذا في هذا الموقف وكان الحديث قبل هذا تحدث عنهم فهم الان في موضع التجريم والالتهام فقال تعالى (وجعلوا لله) فهم في حال ظاهره من الشرك بحيث انهم معرفون لكل إنسان فمن يريد أن يمسك بهم فالأمر سهل فهو لا يحتاج الي بحث ومعاناه

فلا مبرر ولا حجه لما أقدموا عليه فكون الخالق سبحانه وتعالى لاتدرکه الأَبصار ليس عذرا لما أقدموا عليه من الشرك لأن مفعولاته تعالى تدل علي وجوده ووحدانيته وأنه المستحق للعبادة وحده لاشريك له

كما أن الجن مادته من الجيم والنون كلها تدل علي الستر والتغطية فالجيم منه الجنون لأن العقل في هذه الحاله يكون مستورا وهم لا يرون الجن لأنها مخلوقات مستوره اي غائبه عنهم ومع ذلك جعلوها شريكه لله

فالآيات تبين خطوره الابتعاد عن التوحيد فهي تبدأ بأمور بسيطه وتنتهي بالابتعاد عن الدين بالكليه فأهل مكه لم يعبدوا الجن بمعني العباده ولكنهم اطاعوا الجن حيث أن الجن هم من زينوا لهم الشرور والابتعاد عن الإيمان حيث أنهم كانوا يزعمون أنهم علي دين إبراهيم وهم في الحقيقه إنما يعبدون الجن كما قال تعالى علي لسان اله لائكه وعيسي (سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مومنون)

الأمر الثاني

يتعجب الخالق سبحانه وتعالى من حماقه هؤلاء فإذا كانوا قد علموا أن الله خالق كل شي فكيف يعبدون معه مخلوقات من خلقه تعالى فقال تعالى (وخلقهم)

فهم اذا سألتهم من خلق السموات والأرض ومن فيهن ليقولن الله ولهذا يوجههم بهذه الكلمه (وخلقهم) اذا كنتم تعترفون أن الله تعالى هو خالقكم وخالق الجن فكيف تتخذون الجن الهه وانتم قد عرفتم أنه تعالى من له الكمال وان ما سواه ناقص يفتقر لصفات الالهيه بل هي مخلوقات فالاصل أن الإنسان يتجه الي عباده الله وحده لا شريك له كما قال (ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) اي أن الكلمه هنا توبيخ وتعنيف للمشركين في

عبادتهم مع الله مالا يخلق شيئا وهم مخلوق فالمخلوق لا يكون شريكا الخالق في العباده التي خلق لأجلها فكفي بهذه الكلمه برهاننا علي بطلان دعوه غير الله كائنا من كان فالتعجب هنا من مبدأ الشرك والانداد ولهذا قدم المَجْعول وهو الشريك علي المَجْعول منه وهو الجن فقال تعالي (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) مع أن العاده جرت أن يقدم المَجْعول منه علي المَجْعول وبالتالي فإن التعجب من فكره الشركاء بشكل عام ولهذا فإن الصوره تنقل صورته قبيحه عن حماقه هولاء الجهلاء بما يغرس في القلوب والنفوس الاشمنزاز والنفور من تلك التصرفات ولهذا تمضي سياق النصوص في عرض قبائح فكره الشرك فقال تعالي (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) وهذا فيه الاتي

١

استخدم كلمه (وخرقوا) فالكلمه في لفظها قادره علي إيصال المعني الي ذهن السامع لرويه شناعه تطاول هولاء علي الخالق سبحانه وتعالى فكلمه خرق تعني اختلق لأن الخرق تعني ايجاد فجوه في الشي المستوي كما قال تعالي (اخرقتها لتغرق أهلها)

ونحن نعلم أن الملائكه قالوا (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

فقد اعتبروا أن أي وصف يخرج عن إطار الثناء علي الله والتنزيه له إفساد في الأرض ولهذا يتعجب الحق من جراهه أهل الشرك علي الله باختلاق الأكاذيب واختراع الفريه التي تخرق وتشق الناتج عن الجهل بعظمه الخالق وعدم توقيره وتعظيمه فيما ذهبوا إليه من الأوصاف التي لا ينبغي أن تنقل عن الله فزعموا أن الله له ذريه بنين وبنات فقالوا إن الملائكه بنات الله من علاقته مصاهره مع الجن كما قال تعالي (وجعلوا بينه وبين الجنه نسبا.. الخ

٢

ان هولاء افتعلوا وافتروا تلك الاوصاف التي رددتها الألسن واختلقتها من أن يعرفوا ما قالوا هل هو صواب ام خطأ بل رموا بها عن عمي وجهاله من غير فكر فقال تعالي (بغير علم)

لان العلم يحصل به الكمال ولا يودي الي النقص اذا استقام الدليل وانما قالوا ما قالوا من تلقيات اوهامهم الضاله واهوائهم الفاسده فهو اختلاق لا يقوم علي علم ولا يستدل الي معرفه فالله سبحانه قد وصف نفسه بما يليق بعظمته ووصفه رسوله فهذا هو العلم المقبول الذي يكون فيه اكتمال القوي العلميه النظرية بأن معرفه الله واسماءه وصفاته والطريق الموصل إليه إنما يكون من خلال ما أخبرنا الله عن نفسه في كتابه وبما ورد في سنه رسوله صلى الله عليه وسلم فالوحي هو المصدر الموثوق به في الحديث عن الله تعالى لأن مصدر علم الانبياء هو الوحي وغيرهم مصدر علمهم العقل والعقل لا يمكن أن يتحدث عما غاب عنه

ولهذا عقب بقوله (سبحانه وتعالى عما يصفون)

فيه تنزيه الله عما يقولون وأنه متعالي عن ما يصفون والتعالي من معني الارتفاع والتباعد عن وصفهم القبيح وفريتهم الشنعاء

ثالثا

تأتي النصوص عقب ذكر فساد تصورات الجاهليه واستنكار فكره الشرك ولهذا تأتي هنا بالرد عليهم بالحوار الذي تطلب فيه حضور العقل لينظر خسه وحماقه وجهل المشركين فقال تعالي (بدابيع السموات والأرض اني يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شي وهو بكل شيء عليم)

يكشف عن فساد عقيدته الشرك من خلال الاتي

يخاطب عقولهم بالمنطق الذي يظهر رداءه تلك التصورات لإثبات وحدانيه الله تعالى فيقول لهم أنه تعالى مبدع السموات والأرض أي خلقها وأوجدتهما من العدم أي أحدثهما علي غير مثال سابق فهو تعالى الأول قبل شي من غير بدايه وهو الاخير بلا نهايه فما حاجته للذريه لأن الذريه إنما تكون نتيجة الرغبه في الامتداد للذين يموتون فالانسان مثلا يريد الولد كي يستمر ذكر اسمه بعد موته وبالتالي فما حاجه الله للذريه وهو تعالى الحي الدائم الذي لا يموت

ثم إن الذين يطلبون الأبناء هم الضعفاء الذين لا يقدرّون علي الإبداع فيطلبون الأبناء لمساعدتهم وتقديم العون لهم وبالتالي كيف تقولون هذه الفريه علي الله وانتم تشاهدون الاتقان والإبداع الإلهي في الكون علي غيرممثل فكيف يكون له ولد وهو ليس محتاج الي الولد وعونه فهو الغني عن من سواه وكل من في الكون محتاج الي الله وكرمه وعطاءه

يقول لهم بأسلوب التعجب (اني يكون له ولد) لبيان انه تعالى متصف بالواحدنيه ولفظ واحد تعني منفردا يقول الراغب هي الشي الذي لاجزه له البته ويقال وحده توحيدا أي جعله واحدا ولفظ الواحد مشترك لفظا ولهذا جاء الا ستنكار بالاستفهام (اني يكون له ولد)لبيان الفارق في الحالتين لمعني الوحده بأنها في جانب الخلق عارضه قابله للتحويل والتغيير والتبديل بل قد تكون مدعاه

اما في جانب الخالق فهي اصلية غير عارضه ولامدعاه فهي حقيقه يقنيه لاتقبل التحويل يقول الراغب الوحده كلها عارضه الا إذا وصف بها الله فانها اصلية وتكون بمعني الواحد الذي لايصح عليه التجزئ ولا التكاثر فكان مناسباً أن يلحق ذلك بقوله (ولم تكن له صاحبه)وانتم تعرفون أنه تعالى ليس له صاحبه حيث والعهاده جرت أن الولد إنما يتولد من ذكر وانثي متجانسين والله منزّه من المجانسه فليس كمثله شي فهو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد.... ولهذا يقول عطفاً علي ذلك (وخلق كل شي وهو بكل شيء عليم)

ومناسبه مجئ الايه بعد ذكر أنه تعالى مبدع السموات والأرض وإثبات وحدانيته تعالى بنفي ان يكون له شريك أو ولد يراد بها اظهار الأساس التي يقوم عليها أساس بناء الواحدنيه لله تعالى

فإذا كان الجميع مخلوقاته فكيف يكون له صاحبه من خلقه فالمخلوق لايمكن أن يكون مماثل للخالق ولايمكن أن يكون شريك له فحقيقه المخلوق أنه خلق لعباده الله تعالى وأنه لايجود من يماثله وهذا فيه المبالغه في وصف الله بالواحدنيه بمناسبه ذكر أنه مبدع السموات والأرض وإثبات وحدانيته تعالى بنفي ان يكون له ولد ونفي الشريك أشار الي الخلق لكل شي والعلم المطلق للدلاله علي اتصافه سبحانه وتعالى بالوحدانيه المطلقه البالغه غايه الكمال والثابته له سبحانه وتعالى قبل أن يكون الخلق جميعاً كما ورد في الحديث (كان الله ولم يكن شي غيره) وكما قال تعالى (هو الأول والآخر) ولهذا ذكر بعد الخلق عموم علمه واحاطته بكل شي علماً فقال تعالى (وهو بكل شيء عليم)

فعلم الله ذاتي وليس كذلك غيره .

وفي ذكر العلم بعد الخلق اشاره الي أن الدليل العقلي علي ثبوت علمه هو هذه المخلوقات وما اشتملت عليه من الخلق الباهر والنظام التام فهي تدل علي سعه علمه وكمال حكمته فهو الخلاق العليم

ثالثاً

بعد أن واجهه الحق سبحانه وتعالى المشركين بحقيقه الله وأنه خلق كل شي وعرض عليهم تجليات الله من

الرحمه والحكمه والعزه والقدرة والجمال والكبريا واختتم بقوله تعالي (وخلق كل شي وهو بكل شيء عليم)

حيث أن هذا فيه التجلي بصفات كمال العلم وهذا فيه ما يبعث في العبد قوه الحياء لأنه يشعر أن كل حركاته مرصوده لله فهو مطلع علي أفعاله وأقواله ما ظهر منها وما خفي عندها يستحي أن يري منه الله ما يكره أو يسمع منه ما يكره ولهذا فالعبد في هذه الظروف اذا استقرت هذه الحقيقه في اعماق نفسه لابد أن يكون حريصا علي أن تبقي حركاته وأقواله وخواتمه موزونه بميزان الشرع لانه يشعر أنه غيرمهمل ويشعر بالافتقار الي الله ولهذا فإنه يشعر بالحاجه الي كمال القوه النظرية العلميه والعملية ولهذا يقول لهم الحق (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي فاعبدوه وهو علي كل شي وكيل)

وبالوقوف علي الابه نجد الاتي

الأمر الأول

انها ابتدأت باسم الاشاره (ذلكم) يشير إلي الحقائق السابقه التي تحدثت عن تعريف الحق العباد بذاته والتي ركزت علي إبراز حقيقه الواحدنيه لله تعالي التي هي أصل الاصول جميعا والتي تحدث عنها القران باعتبارها الصفه الالهيه الجامعه لكل صفات الكمال فهو سبحانه واحد في ذاته وهو سبحانه وتعالى واحد في صفاته فلا يشاركه أحد في قدرته ولا أردته ولا حكمته ولاعلمه ولافي صفه من صفاته جل شأنه فهو واحد في أفعاله فلا يشاركه أحد من خلقه فهو ليس كمثل شي فهو واحد في اسماءه وصفاته لا يشاركه فيها أحد فالواحدنيه :-

صفه الله وهي حقيقته خاصه بذاته جل شأنه سواء اعتراف العباد بذلك ام لم يعترفوا فالواحدنيه قائمه بذاته سبحانه وتعالى

ولهذا فإن اسم الاشاره فيه بيان تقرير كل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته العليا التي تحدثت عنها النصوص مبينه أنها راس الايمان فقال تعالي (أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) وأنها لب الاعتقاد خاصه صفه الواحدنيه باعتبارها الصفه الجامعه لكل كمال يليق بالله تعالي ولهذا جاء التعقيب بإنكار الشرك فقال تعالي (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) ثم ذكرت النصوص أنه تعالي المنفرد بالواحدنيه المطلقه ولامثيل له فقال تعالي (بديع السموات والأرض... الخ

الأمر الثاني

أنه بعد تعريف الحق عباده بالواحدنيه المطلقه التي اتصف به الحق سبحانه وتعالى التي يدعوهم الي الايمان الجازم بها أي أن نفرد الله تعالي في ذاته وصفاته وأفعاله وان ننفي عنه الشركاء سبحانه وتعالى قولاً وفعلاً واعتقاداً وعلي الوجه الذي جاء به الوحي الإلهي الذي حمله رسله وهذا هو معني التوحيد

فذكر أنه تعالي يتجلي للعبد بصفات الالوهيه تاره وبصفات الربوبيه تاره أخري فيوجب له شهود صفات الالوهيه المحبه الخاصه له تعالي والفرح به والشوق إليه والانس والتودد إليه بالعباده والطاعه وحده لا شريك له فهو تعالي المتفرد بالملك والتدبير والخلق والرزق فله الخلق والأمر وحده لا شريك له فهو خالق كل شي فإذا كان الجميع عبيده فلما يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولابرهان بل مجرد الرأي والاختراع والابتداع فإن الملك العظيم الكامل في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه وعزه وغناؤه عن جميع خلقه وافتقارهم إليه جميعا ونفوذتصرفه وقدره فيهم لعلمه وحكمته لايجوز شرعا ولاعقلا أن يجعل له شريكا من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم فأمر بـ العباده... ثم أمر بالاستعانه بالله لأن شهود صفات الربوبيه يوجب الاكتفاء بالله والاستغناء به عما سواه بـ التوكل عليه والافتقار إليه والاستعانه به والنذل والخضوع والاذعان والانكسار له فلا يليق ولايمكن لعاقل أن يجعل المربوب ربا والعبد معبودا فقال تعالي (فاعبدوه وهو علي كل شي وكيل) فالقران يعتني ابلغ العنايه ببيان تقرير معني الواحدنيه باعتبارها صفه جامعته من صفات الله وكذلك فإنه عندما يتحدث عن التوحيد يهتم به

باعتباره راس الايمان والاصل الذي ينبغي أن يستقر في النفس والقلب قبل كل شيء ثم العمل والسلوك لانه مقياس كل شيء بعده فلا يقبل عمل بدون توحيد ولا تقبل طاعه بدونه ولا يعطي مغفره من كان مشرك

الأمر الثالث

تبين الآيات ان التوحيد مجموع أمرين الربوبيه والالوهيه اي أن تومن أن الله تعالى وحده الرب صاحب كل صفات التأثير والكمال وأنه تعالى هو وحده الإله المستحق للعباده والطاعه بلا شريك فالربوبيه والالوهيه متلازمان لا يمكن افتراقهما أو تجزئتهما فإذا أقر العبد بأحدهما لم يكن موحدًا فالله وصف أهل مكة مشركون رغم اقرارهم بربوبيه الله لكنهم اشركوا في الوهيته فالتوحيد لا يقبل التجزئه فمن أشرك في وصف فقد أشرك في الكل لانه لم يأتي بحقيقة التوحيد الشرعيه الجامعه ولهذا قال تعالى (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو علي كل شيء وكيل)

وكلمه الرب لها معنيان؛

الأول :-

المربي الذي يقهر خلقه والتربيه ويقضي الحاجات اي هو الذي المتصف بكل صفات التأثير من الخلق والاماته والا حياء والرزق والتدبير... الخ

الثاني

السيد المطاع النافذ حكمه

وكلمه الإله لها معنيان :-

الأول :-

المعبود وحده المستحق أقصى غايه التذلل والخضوع والاذعان والانكسار والخوف والتوكل وكل شيء

الثاني

المستعلي علي عباده الخليق بالطاعه بالأمر والنهي

فهما وصفان لذات واحده لا توجد في غيرها ولا يجتمعان في سواه وايضا يجتمعان في المعني الثاني لكلا منهما فالرب يعني السيد المطاع النافذ حكمه والإله هو المستعلي علي عباده الخليق بالطاعه بالأمر والنهي ولهذا نجد أن استعمال اللفظتين في المعني المشترك هنا فدللت الايه أن المراد بهذا الرب السيد المطاع النافذ حكمه في امره ونهيه اي فهو الإله المستعلي علي عباده الخليق بالطاعه بالأمر والنهي فجاء الجمع بين المعنيين بان هذا هو ملك العباد ورزاقهم وخالقهم وهو المعبود الذي لامعبود سواه فالخلق تدل علي معني الرب والأمر بالعباده عائدا الي معني الإله فهذه هي القاعده التي يقيم عليها السياق وجوب الهيته سبحانه وتعالى ووجوب ربوبيته التي يجب أن يكون الانطلاق في الحياه علي أساسها في جميع جوانب وشؤون الحياه

خامسا

تاتي النصوص بايه أخرى تعبر عن صفه الله تعالى فيها تأكيد وحدانيه الله تعالى وإظهار اهتمام القران البالغ بهذه الحقيقه الكبرى الواحدنيه والتوحيد فقال تعالى (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)

المبحث الأول

وهذه الايه الكريمه من الايات التي تعددت فيها الأقوال المنسوبه للمفسرون حيث ذكر البعض أن الرويه غير ممكنه وبين قائل انها ممكنه واستدلوا بحديث البخاري الذي ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (انكم ترون الله يوم القيامة... الخ

والحقيقه أنه لاتعارض بين الايه والحديث للاتي

الأمر الأول

فالايه فيها الرد علي اولئك الذين أنكروا وجود الله وطلبوا رويته عيانا فجاءت الايه تبين أن رؤويه الله بعين البصر وبانوار العقل وحدها تستحيل رؤويه الله سبحانه وتعالى في الأرض فالعين خلقها الله لاكتشاف ما في الأ رض والقيام بالخلافه وأنه للطاقه للمخلوق أن يري الخالق عيانا فإنه لايصمد ولايتماسك أمام جلاله وكبرياهه سبحانه وتعالى

فالنظر بالعين التي اله النظر أمر يستحيل علي البشر فكل القران ذكر لنا العديد من المحاولات التي حاولت رؤويه الله أو رؤويه قدرته وهي تعمل فقد أخبرنا الله عن موسي أنه طلب رؤيه الله واخبرنا عن إبراهيم الذي طلب رؤيه قدره الله وهي تعمل

وكان استحاله كلامهما حيث إن موسي الذي كلمه الله مباشره من وراء حجاب قد اندفاع وطلب أن يري الله فقال تعالي (ولما جاء موسي لمقياتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك)

فرده الله تعالي إلي حقيقه الالوهيه والعبودية برفق وحب فقال تعالي (قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني)

فالايه فيها تنبيه أن رؤويته سبحانه وتعالى مستحيله وساق له الحق الدليل علي استحالتها فحدثه عن الجبل وهو اقوي الخلائق فإذا استطاع الجبل الذي هو اقوي واصلب من الإنسان أن يتحمل تجلي الله عليه وأن استطاع أن يستقر في مكانه فسوف يمكن لموسي أن يري

فما الذي حدث يقول تعالي (فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين)

اي أنه حين تجلي الله عزو جل علي الجبل سجد الجبل لهيبه الله ولم يستطيع أن يتحمل فانهارت صخوره كان موسي ينظر إلي الجبل فتلاشي أمام عينيه فاغمي عليه وبعد ما فاق وبعد توبه موسي وعودته للحق حدثه الله فقال (قال ياموسي اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي وكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين)

عليك أن تقنع بما أنعمت عليك وان تكون من الشاكرين وان تقف في مقام العبوديه ولا تتجاوز ه بطلب الرؤويه من جلال الالوهيه وبالتالي فإن الله لايري في الأرض بالعين لانه احتجب عن عباده بجلاله وصار الايمان به إيماننا بالغيب

الأمر الثاني

ان العين اله النظر (البصر) قال الراغب وهي التي تطلق علي الجارحه الناظره كما قال تعالي (كلمح البصر) (واذا زاغت الأبصار)

والإدراك يعني اللحاق بالوصول الي الشئ كما قال تعالي (انا لمدركون) (حتي إذا أدركه الغرق)

قال أبو إسحاق أنه يستعمل في اللحاق بالشيء مثل الدرج لكن الدرج يستخدم باعتبار الصعود والدرك من بلغ أقصى الشيء (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار)

وهو يستخدم فيما بعد وأدق من الأمور اذا خف اي انه لبلوغ الشيء لابد من الاجتهاد في معرفه أدق الأشياء فهو بمعنى الاحاطه به علما كما قال تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما)

فنفى الاحاطه به علما لا يستلزم نفي العلم وكذلك فإن نفي أدرك البصر لا يستلزم نفي الرؤية مطلقا لأن الرؤية بـ البصر العين مستحيله فانت عندما تري الأمور المحسوسه فإن هذه الرويه لاتصل الي الاحاطه به من جميع جوانبه وانما هي رؤيه من زوايه محدوده لكن إذا بحثت عن المعاني التي وراء المحسوس بالنظر الي ابداع الصانع و التناسق بينها التي توحى بها الرويه فإن الرويه قد انتقلت من البصر الي البصريه قال تعالى (فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

ولهذا فإن الرويه بالعين مستحيله فالله لاتدركه الأبصار ولاتدرك أسراره فنحن نعلم أنه منع عن إبراهيم رؤيه قدرته تعالى وهي تعمل كما نعلم من قصه ابراهيم عليه السلام عندما طلب أن يري بعث الموتى ويشهد قيامه الحياه كان يريد أن يعاين يد القدره وهي تعمل وتخلق وتبدع فاطلعه الله علي الكلمه التي تبعث الموتى من العدم لكنه لم يطلعه علي اسلوب البعث وكيفته وسره لانه سر من اسرار الله

فالله لو امكن رؤيته لتحدد ولو تحد د لتجسم ولهذا فإنه تعالى لايري بالعين لكن رؤيته بعين البصيره ممكنه وهذا لايعني الرؤية التي تعاين وانما بمعنى القدره علي استحضار عظمه الله وجلاله وهي رؤيه مجازيه فالله اكبر من الرؤيه بعين البصر والله اكبر من الرؤيه بعين القلب ولهذا فإن رؤيه الله في الاخره لاتناكر عليها ولكن هذا التكريم للمؤمنين في الاخره يعني أنه سبحانه وتعالى سيجعل لهم خلقا في الجنه يتناسب مع هذا التكريم

المبحث الثاني

لما كان الله قد أخبرنا أنه منزه عن الانحصار تقديس عن إدراك الأبصار في الدنيا وأنه لا يمنع من رويه الله في الاخره لأن ذلك من أعظم النعيم لعباده كما قال تعالى (وجوه يومئذ ناظره الي ربها ناظره) اما في الدنيا فالله اكبر من الرويه بعين البصر والله اكبر من الرؤيه بعين القلب فذات الله تعالت علي الأبصار وتقدست وتنزهت عن إدراك الأبصار فقال تعالى

(وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)

وهذا فيه

١

ان الله تعالى يري العيون الناظره رؤيه إدراك واحاطه فلا يخفي عليه من حقيقتها ولا من علمها شي فقال تعالى (وهو يدرك الأبصار)

هذا فيه اعلام يدل علي أن خلقه لا يدركون حقيقه الأبصار فما يعلمونه عنه هو إداه البصر العين وهذا ما أكده العلم الحديث حيث وان العلماء عرفوا تشريح تركيب العين واجزاءها وطبيعه كل عضو فيها في ارتسام المرئيات كما عرفوا الكثير عن وظيفه النور في رسم صوره الأشياء في العين لكنهم لم يصلوا الي معرفه كنهه الرؤيه ولا كنهه قوه الأبصار ولا حقيقه النور

فأراد الحق بهذا النهي عن التخيل اي صورته الذي ترسمه العين في الذهن عن الأشياء فيقول لهم أن الحق لاتدركه الأبصار فهو تعالى لامثيل ولاشبيه له سبحانه وتعالى

مما سبق يتضح أن الإله وردت لتأكيد حقيقته وحدانيه الله وكماله في اسماءه وصفاته وكماله فلا يشاركه فيه احد فهو تعالي المتصف بذاته وحده لا شريك له فيما وصف به نفسه بحيث تخسا الأبصار دون إدراك حقيقته ولهذا وصف نفسه بأنه (اللطيف)

بأنه سبحانه وتعالى لطيف في ذاته لطيف بعباده لأن كلمه لطيف تستعمل في دقيق التكوين وهي صيغه مبالغه في اللطف فمن مظاهر اللطف هو تدبير أمورهم الدقيقه تدبيراً تحقق مصالحهم يوصل لهم المحاب من حيث لا يحتسبون ويوافقهم لمصالحهم من حيث لا يشعرون فأنت اذا قصدته اجابك فنعمة توصل اليك بالطف الأساليب

والخبير كلمه تطلق في حياتنا العمليه علي من نحتاج إليه في المسائل التي تحتاج إلي علم بادل التفاصيل ويستعصي علينا الاهتداء لنتائج ذلك إلا بالاستعانة بخبير ليقدم لنا تقريراً في أمر يحتاج الي متخصص فيه وعالم به

فما بالك بأن هذا الوصف أطلقه الحق علي نفسه بأنه الخبير فهو تعالي خبير بما دق فهو المحيط بالحقائق العالم بـ الدقائق لا يستعصي عليه شيء في ملكه فهو الذي يدريك الأبصار

سادسا

(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ)

الأمر الأول

(موقف القران من الواحدنيه والتوحيد)

ان موقف القران الكريم واضح من خلال الوقوف علي الآيات السابقه التي تناولت عرض الادله المتنوعه التي تعطينا المعرفه باليقين أن الله متصف ب الواحدنيه في ذاته وصفاته وأفعاله واسماءه وكماله وعظمته وجلاله وحكمته وقدرته وعلمه فهي راس الايمان وكذلك عرفنا ان التوحيد يكون بأفراد الله بتوحيد ه في الوهيته وربوبيته فهو الإله المعبود وحده لا شريك له فالقران يهتم بالواحدنيه والتوحيد اهتماماً بالغاً لأن العبد لا يعرف سر العباده وغايتها وحكمها إلا إذا عرف ربه وعرف معني الألوهية وانه الإله الحق وأن كل ما سواه باطل فالعباده لا تكون إلا لله ولهذا نجد أن الآيات تأتي بعد ذلك بقوله تعالي (قد جاءكم بصائر) وكلمه بصائر جمع بصيره وتطلق الحجج والبراهين والاداله لإثبات أمور لأنها تكشف الحقائق والأسرار وتطلق علي المعرفه الثابته باليقين والعبره والمشاهده المعتمده للأمر والحاجه وتطلق علي القوه التي تدرك بها الحقائق العلميه ويقابلها البصر الذي يدرك الا شياء الحسيه ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه تعالي قد أوضح لنا حقيقه الواحدنيه والتوحيد من خلال البراهين التي ساقها الموكده أنه المتفرد بالخلق والأمر سبحانه وتعالى

الأمر الثاني

(سبب ربط مجئ الادله والبراهين بصفه الرب)

لأن الرب هو الخالق ومن لوزام الربوبيه التربيه فهو تعالي يقول لنا أن مجموع البصائر اي الادله العقلية والنقلية فيها تزكيه النفوس وتهذيب المرء بما يحقق الكمال فالإنسان بحاجه الي ارسال الرسل وأنزل الكتب التي يعرفون بها ما يحقق لهم الكمال يحتاجون الي المعرفه العلميه النظرية التي يعرفون بها الخالق سبحانه وتعالى ويحتاجون الي معرفه الطريق الموصل إليه سبحانه وتعالى وكيف يعبدون الله ومعرفه ما غاب عنهم ولهذا فإن الرسل يبينوا للعباد كل تلك الأمور وكذلك فإن المنهج الرباني فيه تربيه الناس وتهذيبهم

الأمر الثالث

(سر اهتمام القران بالوحدانية والتوحيد)

لأن الواحدانية هي الصفة الجامعة لذات الله وصفاته وكماله وهي راس عقيدة الايمان وكذلك فإن التوحيد هي العقيدة الملزمة التي لا يقبل عمل للعبد الا إذا قام علي وجهها الشرعي ولهذا قال تعالي بعدها (فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ)

المسالة الاولى

التنبية الي اقامه الحجة علي المخاطبين فالبصائر هنا الايات التي ساقها الموكده لواحدانية الله تعالي وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فالايات تبين الحق الذي يظهر بها الحجة فيكون الإنسان علي بينه من أمره فيكون معني البصائر متعلق باقامه الحجة فيما يدعوهم إليه من التوحيد بتقرير واحدانية الله ونفي الشركاء والانداد وصرف جميع وجوه العبادة له وحده سبحانه وتعالى في العبادة والخوف والتوكل والرجاء والاستعانة ونحو ذلك فلايليق ذلك إلا ان يكون لله وحده لا شريك له فذكر أنه قد أقيمت الحجة عليهم

فمن استجاب للدعوة فإن هذا إنما ينفع نفسه لأنه قد سلك طريق الاتجاه المستقيم وان الذي اعرض عن الحق ولم يقبل به فإنه يكون قد أضر بنفسه لأنه يمضي في طريق الهلاك والضلال فذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه وليس إجبارهم علي الإيمان فقال تعالي (وما أنا عليكم بحفيظ)

المسالة الثانية

ان يكون المراد بهذا بيان أن الايات والبصائر سببا لنور الهداية الخاصة الانوار الربانية فأطلق المسبب واريد السبب فيقول الحق أن الايات المتنوعة المشهودة والمسموعة علامات علي أنه لا اله الا الله فالله سبحانه وتعالى عندما كلفنا بالإيمان فهو تعالي ليس محتاج اليها فهو الغني وانما نحن المحتاجين له تعالي فإن العباد لو اطاعوا الله كلهم لن يزيدوا في ملكه شي ولو عصوه كلهم لن ينقصوا من ملكه شي يقول لنا أن ماشرعه هو لمصلحتنا ولهذا عقب بقوله (وما أنا عليكم بحفيظ)

ولهذا فإن الأبصار هنا ليس المراد به النظر الحسي وانما يراد به الإدراك الذي يكون في القلب كما قال تعالي (فإنها لاتعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

فالابصار هنا هو القبول بهدائه البيان التي تولد الهداية الخاصة هداية التوفيق والسداد فالله يقول (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

فأراد هنا الإدراك القلبي الذي يولد الخضوع والانقياد والاستسلام لله تعالي ولهذا قال قبلها (من ربكم)

لبيان انه صاحب صفات التأثير المنعم عليك بنعمه الهداية والايمان وهو ما يوجب شكر الله علي ذلك فمن أبصر بدلائها الحق وعمل صالحا ثم اهتدي فإن هذا يقدم لنفسه الخير والصلاح وقد بلغ ما فيها سعادتته

فمن أراد النجاه فهو الذي يفتح أبواب حجرته لاستقبال نور الله ويجتهد كل الجهد في ابتغاء مرضاة الله فإن الله يجزيه بأن يهديه الي سبيل الهداية فيمده الله بالنور الذي يرشده الي الطريق المستقيم في الدنيا والاخرة يسعى نورهم بين أيديهم وأما الذين لم يريدوا الا الطريق الملتوية المعوجة فإن الله يقابل فعله هذا باعوجاج قلبه فقال تعالي (ومن كان في هذه اعمي فهو في الاخرة اعمي واضل سبيلا)

فهذا الاعمي يكون اعمي في الدنيا والاخرة ولهذا جاء الخطاب بعدها بالحكاية عن الرسول (وما أنا عليكم

(بحفيظ)

كنتيحه منطقيه لقوله تعالى (فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)

وقدم الجار والمرور (عليكم) لأن نفوسهم ستهمهم ولذلك قدم عليها خطابهم مع الوصف وأكد النفي بالباء وأكد به الجملة الاسمية والمعني وماانا بحفيظ عليكم من أن تقعوا في العذاب بانكاركم لآيات الله فالرسول صلي الله عليه وسلم نذير وبشير ومبلغ عن ربه

سابعاً

تأتي النصوص تتحدث عن تصريف الآيات وتنويجه بما فيه اقامه الحجه القاطعه فالاداله متنوعه ومتعدده و واضحه سواء فيما هو متعلق بالتوحيد أو بصدق الرساله والاشاره الي جملة وجوه اعجاز القران فقال تعالى (وكذلك نصرنا الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون)

الأمر الأول

يقول الحق أن هذا المستوى من التصريف اي التنويج البديع للآيات سواء المشهوده ا والمسموعه فيها ابداع في غايه الروعه والجمال من عده أوجه أنه جاء فيه تفصيل اخبار الأمم السابقيه من اليهود والنصارى وقوم عاد وثمود وإبراهيم وما دار بينه وبين قومه والحديث عن الأمور الغيوب ونظم القران الكريم والأساليب المتعدده فجميع الآيات التي يتضمنها القران تدل علي أنه معجزه وأنه الحق من الله تعالى

فالرسول صلي الله عليه وسلم بذاته دليل وايه تدل علي صدق ما جاء به أنه من عند الله فهو معلوم حاله أنه اميا لا يكتب ولا يحسن القراءه ومعروفة من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين واقاصيصهم وانبياءهم وسيرهم ثم انه اتي بمجمل ما وقع في الأمم السابقيه وذكر احداث عظام من ادم الي أن يرث الأرض ومن عليها

ومعلوم بالضروره أنه لا سبيل إليه إلا من تعلم فإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لاهل الآثار وحمله الاخبار ولا متردداً الي التعلم منهم ولا كان ممن يقرأ فكان هذا يكفي لتصديقه لكنهم لم يريدوا الاقتناع بالآيات ولهذا ذهبوا الي القول إنه تعلم ذلك من آخرين فقال تعالى (وليقولوا درست)

اي أن هؤلاء سوف يلجأون الي اختلاق الأعذار والمبررات الواهيه بالقول إنه درس هذه العلوم فهذا القول يدل علي عجزهم واقرارهم بأن القرآن معجز فيما تحداهم به

الأمر الثاني

يبين الحق أن تصريف الآيات فيها فوائد كثيره فهي يهتدي بها المستعدون للهدايه باختلاف العقول والافهام ولهذا يقول الحق أن هنالك فريق سوف يرفض القبول بالبراهين لانه ليس لديه استعداد لقبول الحق فقال تعالى (وليقولوا درست)

فالذي لا يريد الاقتناع وليس لديه رغبه بالتصديق ومن فسدت فطرته فهذا سوف يلجأ إلي اختلاق الأعذار و المبررات

والحال أن هذا العذر باطل فالرسول صلي الله عليه وسلم كما أوضحنا كان امي ولم يجلس لاهل علم ..ولا يمكن لا حد أن يخفي علي الناس امره اذا كان يشتغل بملاسه أهل صنعه فليس يخفي في العرف عالم كل صنعه ومتعلمها فهم كان فيهم من يحسن الشعر والفصاحه والبلاغه اضافه الي انه كان يعرف لهم من يختلف الي أشخاص للتعليم لأن الذين أهل علم فيهم نادرون فهذا التنوع في الادله التي تحدث عنها القران وعجيب نظمه وبديع تأليفه بما لا

ايتفاوت ولايتباين علي ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر القصص والمواعظ والحكم والأحكام والانذار والتبشير والوعد والوعيد وتعليم الاخلاق الكريمه وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها فيها مايكفي لاقامه الحجه ولكن هولاء لاتتقصهم الآيات وليس الأمر عائد الي غموض في عرض الحجه وانما هذا يعود إلي العناد وعدم الرغبه في العلم والفهم ولهذا فهم لم ينتفعوا بما أوضح الحق لهم في القران ولم ينتفعوا به فاللام في قوله (وليقولوا درست) لام العاقبه فهم يعجزون عن الرد علي الحجه الواضحه ولايجدون الا الادعاء الكاذب بانك درست ذلك ولهذا أخبرنا الحق بأن الذين ينتفعون به والذين يبين لهم الحق الآيات هم طلاب الحق عباده المومنون هم الذين يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم فقال تعالي (ولنبينه لقوم يعلمون)

ثامنا

يأتي بعد هذا التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو توجيه لكل المومنون الي يوم القيامه بقوله تعالي (اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل)

فالمقصود من نزول الوحي هو العمل به وليس مجرد التلاوه ولهذا عبر عن الأمر بالموصول (ما) دون ذكر الاسم لبيان سبب الإلتباع وبيان حقيقه المقصود من انزال القران بأنه ليحكم الحياه كلها لإنشاء دوله الموحدين لإنشاء دوله يحكمها القران والرسول صلى الله عليه وسلم اول من يخضع لحكم القران الكريم ولهذا قامت دوله الموحدين واستمرت عندما كان القرآن يحكم الدوله حتي حدث الخروج عن هذا المبدأ بعد صفين حيث أزاح معاويه حكم القران للدوله عندما قام بتوريث يزيد الحكم بعده وبهذا كان سقوط دوله الموحدين وبدا حكم الملك ولهذا فإن توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي (اتبع ما أوحى اليك)

يعني أن جميع المسلمون محكومون بما في القران حكام ومحكومين فإذا كان الله يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالامتثال لما في القران نصا وروحا فكيف يكون للحاكم المسلم أن يخرج عن ايمان من قيم ومبادئ الاسلام التي أمر بها الاسلام سواء الشوري والقواعد التي تحدد اختيار الحكم وشرعيه الحاكم إنما تكون مستمده من الشعب كما أمر القران بقوله (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)

فقوله منكم تؤكد حق الشعب في اختيار الحاكم كما أوضحنا في سوره النساء

فكم نحن اليوم بحاجة الي استحضار التوجيه الرباني (اتبع ما أوحى اليك من ربك)

كلا منا من مواقفه الذي هو فيه فالقران يخاطب الحاكم والمحكوم يخاطب الإنسان الخليفه الفرد والدوله علي كافه المستويات فالقران فيه تربيته للمومنين يجب الإلتزام بما جاء به

كذلك فإن مبدأ المسؤوليه الذي يقع علي عاتق كل مسلم باعتباره مسؤولا عن من يعول يوجب عليه أن يكون قدوه لمن يتبعه سواء ابناؤه أو العاملين معه أو الذين يقتدون به فيما يدعوهم إليه يوجب عليك أن تعمل بما تعلمه عليك أن تشعر أيضا أن ما في القران هو نعمه من الرب فيها تربيتك ولهذا أضاف الرب الي المخاطب لبيان التكريم بان هذا الوحي من ربك تقويه للإلتباع بأنه من الله ذو الجلال والاکرام المرابي فمنهج الله فيه اصلاح الحياه كلها

كما قوله (من ربك) فيه تقويه للإلتباع بانه فمن كان يحب الله فعليه أن يتبع الرسول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله)

واتباع الرسول يكون باتباع ما يدعو إليه من وحدانيه الله وتوحيده وطاعته ومحبتة وعبادته سبحانه وتعالى فقال تعالي (اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو)

فمساله تربيته القائد نفسه علي منهج القران وتربيته الإلتباع هو جوهر الرساله التي جاء بها كل الانبياء والمرسلين وهو المقصود من الوحي وبها يكون اعداد الدعاة والقاده والحكام والقاده وهي اي التربيته النتيجيه المقصوده من العلم فناسب مجئ الأمر باتباع ما أنزل الله بعد ذكر أن مافيه من بيان إنما ينتفع به طلاب العلم فالعلم لاقيمه له إذا لم يتحول الي واقع عملي فالتربيته أمر شاق ويحتاج الي جهد وطاقات لانه سوف يصطدام مع ركام الجاهليه فاؤل خطوه هي التخلص من ركام الفكر الجاهلي للاتباع وتنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من اوساخ الفكر الجاهليه ولهذا

يأتي الأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن المشركين معطوفا علي ماسبق (واعرض عن المشركين)

فالاعراض هنا لايعني السكوت عن دعوه الحق فهذا ليس المقصود وانما المراد به الترفع عن مجادلتهم بالدد والا عراض عن أفعالهم القبيحه من الاستهزاء والسخرية كما قال تعالي (فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين) اي أظهر دينك فعليك ان تجهر بالدعوه وعليك أن تتوقع الاذيه والسخرية من المشركين فيما تدعوهم إليه فعليك أن لاتهتم ولاتبالي بما يقولون ولا يعني هذا عدم مواجهه الشبهات والافتراءات التي يروج لها قاده الضلال والشرك التي قد تجد قبولاً عند العوام لعدم معرفتهم الحقيقه إنما هذا متعلق بشأن اولئك المعاندون من أكابر أهل الشرك نوع من التطمين للنبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يحزن علي إصرارهم وعنادهم علي الكفر والشرك يقول له الحق انت بحاجة الي هذه الطاقه لتربيته المومنين وإعدادهم لحمل الامانه لأن المرحله تتطلب الاستقطاب لمن يقوم بهذه المهمه فالحق يحدد للرسول صلى الله عليه وسلم وكل داعيه في كل زمان ومكان المجال الذي يجب أن يركز عليه الاهتمام في عرض الدعوه فأخبرنا ان فطره الإنسان ودوائر الخير في المجتمع هي المجال والموقع الحقيقي والرصيد الحقيقي لدعوه المسلم أو المكون الأساسي لخطابه في هذه المرحله الذي يوصله الي شرائح أخري وبالتالي فلا تعلقوا الآمال علي المعرضين المعاندين الذين قد أغلقوا منافذ الهدايه وطمست فطرتهم وعليك الاهتمام بأهل الخير الذين لديهم استعداد للقبول بالحق وأتباعه فهؤلاء هم الذين يجب أن ينصب تركيزك واهتمامك عليهم هم الذين يعمر العنايه في تربيتهم فيكون اعاده تشكيل عقولهم وصياغه أفكارهم وتصوراتهم وفقا للصوره التي يريدنا الله اما المعاندون فيكفي الانذار والبلاغ فقال تعالي (وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل)

فالنصوص تنظم علاقه الرسول صلى الله عليه وسلم بمن بعث عليهم وهي الدعوه فمن اجاب فقد احسن ومن أعرض فقد حمل ازر نفسه وتحمل المسؤولية عن اختياره ولهذا يقول الله لنبيه لست مراقبا لأعمالهم تحصيلها ولست بقائم بمصالحهم ترعاها وتديرها وتصرف أمورهم إنما أنت بشير ونذير فانت لست مكلف بحسابهم ولا تتحمل مسؤولية كفرهم فليس لك ماذكر من الوصفين كي يكون لك ما للملوك الديكتاتوريون من القهر وارغام الناس علي اعتناق فكره معينه فالإسلام جاء لتحرير اراده الإنسان وحرية من القهر ايان كان شكله ثم ترك له أن يختار طريقه لقد جاء الإسلام لهدم الوثنيه الدينيه والسياسية فلا يعقل أن يستبدلها بما يكرس تلك الانظمه ولهذا يضع الحق هذه القاعده نصب أعيننا بأن دعوه الناس الي الاسلام إنما تكون بالاقناع لا بالإكراه والقهر فيقول الحق لنبيه ماجعلناك حارسا عليهم تمنعهم من الشرك كما قال تعالي (وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد)

كما أن الايه تبين اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بهم وخوفه عليهم ولهذا قدم (عليهم) علي كلمه حفيظ بيان لاهتمامه بشأنهم وقلقه عليهم فهو يريد لهم الخير فبلغ الاهتمام منه بهم مثل الحارس الذي يخشي أن يهلك من يقوم بحراسته ولهذا أخبره الله أنه لم يكلفه بذلك وانما هو نذير وبشير فهم لا يستحقون منك هذا الاهتمام الزائد فجزاءهم الإهمال والاعراض بعد الدعوه والبلاغ

ثامنا

بعد أن أمر الحق نبيه أن يهمل المشركين ولا يهتم لشأنهم تأتي الآيات مبينه ماهو الأعراض المأمور به بأنه إنما يكون في اداب و وقار وترفع يأمرهم بأن يقدموا نماذج تتجسد فيها قيم ومبادئ الاسلام أمرهم بالتداب الذي يليق بشرف حمل مهمه الدعوه الي الله واستنقاذ الناس من الافساد وسفك الدماء يحدد لهم نوع الخطاب في هذه المرحلة فقال تعالي (ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

الأمر الأول

ان التوجيه الإلهي للمومنين هنا متعلق بنهي عن أمر مباح بل إن سب الأصنام والوثان وغيرها من عقائد الشرك أمر مشروع وخطاب مطلوب في الغالب فلماذا جاء النهي هنا ؟

ان النهي فيه تربيته للمومنين للتعامل مع قيم الإسلام كيف تقيم هذه القيم في واقع الحياه تربيته وتنزيلا وبناء وارتقاء من خلال واقعها فعليك أن تدرك أن خطاب الدوله يختلف عن خطاب الدعوه فأنت بحاجة إلي فهم الواقع اصولا وضوابط ليكون تنزيل الأحكام متناسبا مع هذا الواقع فهذا هو جوهر المعجزه البيانيه في القران فالكلمه الطيبه لها أهميتها وقيمتها

فالنهي هنا لسد الذرائع أمام الكفار فلا تجعل للمشركين ذريعه عندما تسب اصنامهم التافه كي يسبوا الله فهم جهلاء لا يعلمون عظمه الله وجلاله فمن صفتهم الحميه والعصبية في المدافعه عن اصنامهم فقال تعالي (فيسبوا الله عدوا بغير علم)

فالعنوان من صفه المشركون فجاء النهي وان كان فيه مصلحه لانه يترتب عليه مفيده أعظم وهي مقابله المشركين ذلك بسبب الله رب العالمين دافعا عن اصنامهم فاستعمل الاقلاب (عدوا بغير) التنوين مع الباء بأن يتحسمون فيكون رده فعل هولاء الجهلاء بسبب الله فهم لا يعلمون جلال الله وقدره وعظيم مقامه

فالسب لاصنامهم وسيله مباحه لكنها توصل الي مفسده في هذه الظروف والاحوال وبالتالي فهي منهي عنها وهذا فيه وجوب الاهتمام باختيار الوسائل المناسبه أثناء الدعوه والابتعاد عن كل وسيله تؤدي الي مفسده وان كانت مباحه

وان عليك أن تحسن التنزيل للأحكام فما يكون مباحا في ظروف وأحوال معينه لا يكون كذلك في ازمته واوراق وظروف أخرى فالايه تبين لنا كيف كان تربيته المومنين بهذا القرآن فإذا أردنا أن نخرج مما نحن فيه فعلينا إدراك هذه الحقيقه كيف نتعامل مع قيم القران تربيته وتنزيلا وبناء وارتقاء...الخ

الأمر الثاني

تمضي سياق النصوص في كشف اسرار النفس البشريه قوله تعالي (كذلك زيننا لكل امه عملهم ثم الي ربهم مرجعهم فيننهبهم بما كانوا يعملون)

فما هو التزين هنا ؟

التزين تصوير الشئ بصوره مغايره الحقيقه الشئ

ولهذا قال المفسرون أن معني الايه كما زيننا لهؤلاء العادلين بربهم عباده الأوثان والاصنام وطاعه الشيطان بالخلا ن عن الطاعه كذلك زيننا لكل امه اجتمعت علي العصيان ثم إن مرجعهم الي الله ويكون الحساب والعقاب

لكن الايه فيها معاني أوسع من هذا تتضح من الآتي

(ان الايه تتحدث عن طبيعه النفس البشريه)

حيث أن الايه وردت بعد الأمر باتباع باتباع القران والذي أخبرنا الله فيه أنه انزل لهدايه النفس البشريه فهو يخاطبها ويوجهها وفي سبيل هذا التوجيه يكشف لنا الحق عن بعض اسرار النفس وخصائصها المذمومه و المحموده

فاخبرنا الحق أنه تعالي أودع في النفس قابليه الخير والشر واستعدادها للهدى والضلال فهو تعالي يقول (انا هديناه السبيل أما شاكرا وأما كفورا)

فطبيعه الإنسان قابله لاستقبال الخير والشر وأنه مزود باستعدادات لعملها تتجاوزه صفات الجسد التي تشده الي الأ رض وصفات الروح التي تشده نحو العلو حيث أن النفس تحب وتكره وترجو وتخاف تأمره بالشر وتأمره بالخير توسوس وتغوي فطبيعه الإنسان تجعله يميل الي الشهوات فإذا استجاب لداعي الجسد كان انطماس إشعاع الروح المضيئه عندها يهبط الي منزله أقل شأنًا من الحيوان

لانه لا يستخدم طاقاته الروحيه حيث أنه يسي استخدام مافيه من صفات متقابله في محلها لأن قوه الحب و البغض تعني أن يكون الحب في الله والبغض في الله ليخرج من الانانيه والحسد والحقد وهذا يسي استخدامها فيما يخالف الغرض منها وكذلك فان الخوف والرجاء خطان متوزيان لكن ممن نخاف وماهو نوع الخوف ومن نرجوا

فهذه القوي أوجدها الله ابتلاء واختبار للإنسان هل يستخدم هذه القوي في طاعه الله فيخاف الله ويرجوا فقد اعطاءه قوه تدفع نحو الخير وقوه تمنع تشكل قوه نفور من الشر

إذا سلمت من الفساد فإذا انحرف الإنسان وزاغ عاقبه الله بتسهيل السير في طريق الانحراف كما قال تعالي (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم)

(بيان حاجه الناس للبعثه وإرسال الرسل .. ودور البئيه السليبي في إفساد الفطره)

حيث أن الإنسان تتنازعه كما أوضحنا ثلاث قوي قوي العقل والغرائز الشهوه والغضب التي أودعها في كيان الإنسان فإن قوه الشهوه والغضب تدافعانه الشر بمقتضي ما ركب فيه من غرائز وشهوات بينما تميل قوه العقل الي جانب الخير وتصده عن الشر ولهذا فالإنسان مسؤولا عن اختياره فالعقل يهدينا الي الخير ويعرفنا علي الهدى و الضلال لكن المشاهد في حياه الانسان والأمم السابقه أن العقل عندما تغيب عنه هدايه السماء يضل في تفكيره وتطغي عليه الشهوات وتميل به الأهواء عن سنن العدل وتضييق أفقه في إطار العنصريه والعصبية والحميه و العبادات المورثه وان كانت باطله ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوه

حيث وان قوه العقل ومقاييسه للخير والشر هو الاستحسان وهذا المعيار لم يحصل الاتفاق علي مقاييس موحده للخير والشر والفضيله والرذيله لماذا ؟

لأن المرء يولد في بئيه لها أعراف وعادات وتقالييد ينشاء في هذه البئيه ويكبر فيها ويتلقى علومه منها وتحديد وجهات نظره نحو الاشياء منها فيجد نفسه منقادا للحب والبغض والمدح والذم حسبما تلقي أوليات المعرفه و العلم من محيطه العام الذي نشاء فيه ولهذا فإن عليك أن تفقه أنه يصعب التحولات علي هولاء فتاثير البئيه من العوائق التي لاتقل خطوره عن مكائد شياطين الانس والجن فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول ما من مولود الا يولد علي الفطره الا أبواه فيهودنه أو ينصرانه أو يمجسانه ... الخ

فمن ينشأ في اسره ومجتمع فاسد فإنه يستسقي منهم الفساد وينجرف معهم ولهذا فإن هذا يجتمع فيه فساد من جهه العلم والاعتقاد مع فساد من جهه القصد لأن النفس تميل لما هو مألوف لها وهولاء عطلوا مدراكهم وحواسهم ولهذا ارسل الله الرسل بالمنهج الذي يحفظ للناس فطرتهم من الزيغ والضلال لأن الفطره وحدها قد تنحرف وقد

تعمي فلا تبصر نتيجة التعصب الأعمى والبئيه واستهواء الشيطان

القسم الأخير

لما أخبر الله عن طبيعه الانسان وقبوله للخير والشر ودور البئيه في إفساد العقول وطمس الفطره والتقاء ميل النفس الي المألوفات مع شبهه الاعتقاد لتكون قوه صارفه عن الإيمان والقبول بالحق لهذا يعطينا الحق لحال هولاء بما يفيد أنهم لا يطلبون الحق ولا يرغبون به فقال تعالى (واقسموا بالله جهد إيمانهم لئن جاءتهم ايه ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة

وبالوقوف علي الايه نجد فيها الآتي

تحدث النصوص عن حرص المومنين علي انتشار الدعوه وسعيهم الي إقناع المشركين بما يدعوهم إليه الاسلام فالايه تنقل لنا كيف أن أمر الدعوه الي الله أصبح هم المومنون وكل ما يشغل تفكيرهم وانهم لم يتركوا وسيله يمكن أن تكون لها قوه في إقناع القوم إلا استعملوها ولهذا لما سمعوا المشركين يحلفون بالله الايمان الموكده أنه ان جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بايه من ربه اي معجزه وخارقه مثلما انزل علي موسى أو عيسى أو صالح أو هود أنهم سوف يؤمنون فقد صدق المومنون القسم الذي أكده المشركون كما قال تعالى (واقسموا بالله جهد إيمانهم لئن جاءتهم ايه ليؤمنن بها) فولد ذلك في نفوس المومنين طمعا في انتشار الدعوه فطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطلب من ربه أن ينزل ايه لأجل أن يستجيب هولاء لدعوه الايمان والتوحيد ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون)

وهذا فيه الآتي

١

ابتدأت (قل) الخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى فيه اعلان أن المعجزات والخوارق مصدرها الله تعالى فاستعمل (إنما) صيغه حصر لبيان ان الرسول ليس بيده من الأمر شي وانما هو مبلغ عن ربه فأراد بهذا التوجيه أن يشعر المسلم بعظمه الله وجلاله فيقول لهم اذا عرفتم أن الآيات عند الله. وأنه القادر علي لإتيان بها وحده لا شريك له فإنه تعالى يعلم ما يصلح شؤون الناس فليس لأحد أن يقترح علي الله نوعا معين من المعجزات والخوارق فهو تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون...

٢

يقول للمومنين ان قسم هولاء لم يكن بقصد الاسترشاد وانما قصدوا دفع الاعتراض بعدما عرض الله عليهم الدلائل والبراهين وواجه الاعجاز الذي أفصح عنه القران فالقسم منهم علي سبيل الكفر والتعننت والعناد والفساد ولهذا يستمر الخطاب في تربيته المومنين وكشف لهم دورهم في الدعوه فقال تعالى (وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون)

اي ما يدريكم أن هولاء المشركون اذا استجابنا لمقترحتهم وانزلنا ايه أنهم لا يصدقون فالخطاب موجه للمومنين وما بعدها (ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

داخله فيها وليست جملة استنافيه مستقله كما ذهب البعض لانه لو كان ذلك لكان لازما أن كل من جاءته ايه قلب فواده وهذا غير صائب لانه أمن الكثير منهم

ولكن الايه تبين طبيعه هولاء بأنه غلب عليهم الحجود والتكذيب فهي راسخه في قلوبهم لأن الايات المبتوئه في الكون والاعجاز الذي تحداهم به القرآن وبعد هذا التعريف والتنوع العجيب الذي أوضحه القرآن الكريم فيه الحجه القاطعه لمن كان راغبا وباحثا عن الحق فصاحب الهوي يبحث عن المبررات لما يريد فيأتي بالشبهات لدعم ما تعلق به قلبه فهو عندما يعبد الأصنام انما يعبد هواه الذي تميل له نفسه فهذا ليس لديه استعداد لقبول الحق ف المحل القلب غير صالح لاستقبال فقلبه منكوس وهو اعمى البصر والبصيره فمن لم يري الايات حوله اول مره فإن العائق الذي منعه من الرؤيه والتفكير والفهم والإدراك لها سوف يكون عائقا أمامه فيما لو استجبنا لمقترحاتهم بانزال الخوراق فقال تعالي (ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

ان احاطه الشبهات وتسلطها عليهم يعود إلي فساد قلوبهم اي ضعف البصر والبصيره وقله العلم اي فساد من جهه الاعتقاد وفساد من جهه القصد لاتباع هولاء الهوي ولهذا نجد أنه تعالي عندما دعا الكفار الي التفكير الذي يوقظ الفطره في موضع آخر فقال تعالي (قل انما اعظكم بوحده أن تقوموا لله معني وفردني ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه.. الخ

أخبرهم أن ذلك إن يكون التفكير بعد أن يطرحوا عنهم العصبية الجاهليه وان ينظروا بعقول مجردة من الهوي وان يكون تفكيرهم عميق لايتأثر بموثرات البنيه الجاهليه وبعيدا عن تأثير العقليه الجماعيه التي تجرف الناس وتمنع عنهم التدبر ولهذا يخبرنا الحق هنا أن هولاء يفكرون بعقليه الجاهليه وقلوبهم منكوسه وغير قابلين ولا راغبين بالحق و

سنه الله أنه يقابل ابتعاد العبد عن ربه وعن منهج الله انه يزيغ قلوبهم وعندها يتركهم يتخبطون في متاهات الضلال لانهم لايستحقون الهدايه لانه لانجاه من الشبهات الا باتباع منهج الله الذي جاء به الرسول من ربه اي لا نهم لم يطلبوا الهدايه ولم يسعوا في طلب أسبابها نتركهم يتخبطون ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطبا المومنون(ولو أننا نزلنا إليهم الملائكه وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)

ان هولاء لاينقصهم الادله فليس ينفعهم الخوراق حتي لو أنزلنا إليهم الملائكه حتي يروها عيانا وكلمهم الموتى أن ما جئت به الحق وحشرنا عليهم كل ذلك وكل الغيبات وصارت مقابله لوجوههم يعاينونه أمامهم فإن هولاء لن يؤمنوا الا أن يشاء الله لماذا ؟

لانه تعالي جعل لكل شي سنن وهولاء لم يطلبوا الهدايه ولم يسعوا في طلب أسبابها فالسعي إليها إنما يكون ب العمل الصالح والتوبه النصوحا وان يسلكوا طريق الهدي لا طريق الهوي ولهذا فإن من يطلب الهدايه لابد أن يجاهد نفسه لإصلاحها وتزكيتها ف الله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وكما قال تعالي (

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه أن الله لغني عن العالمين)

وهذا إنما يكون بالحرص علي العلم النافع فهو السلاح الذي يقضي علي الشبهات

فالهدي جزاء من يسعي في طلبه ويسلك مسالك المهتمدين ويمثل أمر الله تعالي فهو إنما يكون لمن يجاهد نفسه و الهوي والشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع ١٣ من الانعام

بعد أن تحدثت النصوص عن تعنت المشركون في طلب الخوراك زاعمين أنه لو جاءت فانهم سوف يومنون وبعد إيضاح أن قصد هو التشكيك بالقران فهم لا يطلبون الهدايه ولا يرغبون بالحق وغرضهم التعجيز فهم لن يومنوا حتي لو انزل الله إليهم الملائكه وكلمهم الموتى... وشاهدوا كل شي مقابله فهم لن يومنوا وهنا تأتي النصوص مبينه حقيقه المعركه بين الحق والباطل فقال تعالي (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغي إليه افنده الذين لا يومنون بالاخره وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون اغير الله ابغي حكما وهو الذي أنزل الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم فلا تكونن من الممترين وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله أن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

اولا

ابتدأت النصوص بكلمه (وكذلك) فالكاف في تركيب الكلمه يعني مثل واتبعا بالاشاره للجعل اي المفهوم فيما تقدم اي مثلما جعلنا لك اعداء من قومك من ادوك وكذبوا بايتنا وصدوا عن سبيل الله وبالغوا في اذيتك جعلنا لانبياء قبلك اعداء من شياطين الانس والجن ينشرون الفساد ويقفون محاربين لدين الله ومنهجه فقال تعالي (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا... الخ

وكلمه وكذلك جعل تعني أنهم لم يتطوعوا تطوع وانما هم مسخرون لفعل العدوا فأراد بهذا

الأمر الأول

الايه فيها ارشاد لكل داعيه بالثبات علي الحق والصبر علي الاذي من أهل الكفر ولهذا يقول الحق لنبيه صلي الله عليه وسلم تسليه له علي ما لاقى من اذي الكفار من قومه عليك بالتاسي بالانبياء من قبلك كيف أنهم تحملوا الاذي من الأعداء فالله لم يجعل انبياءه أولي قوه وضيام وانما جعل قوتهم بالعزيمه والصبر والتحمل في سبيل

يقول لك الحق وانت تقرا الايه اعلم أن سنه الله قد جرت بأن يكون هنالك الشر والأعداء الذي يقفون أمام المشروع الرباني محاربين له ويقفون في طريق الدعوه مانعين الناس من الإيمان ويحاولون تشويه صوره الدعوه والدعاة للحق والتنكيل بالاتباع واذيه الدعاة فعليك بالتاسي بالانبياء والصبر والثبات وانتبه من القنوط واليأس ف الرسل وأتباعهم لم يضعفوا ولم يقنطوا من رحمه الله بل صبروا قال تعالي (ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا زلزلا شديدا... الخ فالدعاة عليهم أن يتحلوا بالصبر و الصمود والثبات على الحق والاستمرار في دورهم بحمل رايه الحق فلا ينسحب امام ضجيج الباطل فلا يكون تكاتف وتظافر أهل الباطل سببا لإضعاف نفوس أهل الحق فانخفاض الرويه نتيجته ضباييه الأحداث وظهور الباطل يعني أن عليك الاستعداد وإعداد العده لمواجهة الباطل فالاصل أن هذا يوذي الي تهيج نفوس أهل الحق لازاله الباطل وهذا ما يعبر عنه بسنه تنازع البقاء الناتج عن التفاعلات فتكون رده الفعل بمزيد من الثبات والصمود وإدراك ان العاقبه للمتقين فالنهايه عي انتصار الحق وبقاء الأصلح لقوله تعالي (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)

الأمر الثاني

ان ذكر العدو يعنى أن الحق سبحانه وتعالى يقول لنا أن هناك معركة بين الحق والباطل باعتبار التقسيم الأزلي للعباد منذ فجر الخليقة فقد جعل للخير اهلا وانصار كما جعل للشر اهلا وانصارو فقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) فأشار الي المنابع والاصوال والمنطلقات التي ينطلق منها أهل الشر وأهل الخير في مسيره الحياه فاصوال مدرسه الخير المشروع بدأت بادام عليه السلام واصوال مدرسه الشر المصنوع تعود إلي قائدها وموسسها ابليس اللعين

الذي رفض أمر الله بالاعتراف بفضل ادم فقال أنا خير منه .

فهذا هو المنهج الوضعي الذي انطلق منه موسس مدرسه الشر

فمرجع الكفر ابليس وموقفه من ادم وبين الكفر والشيطان تلازم وعلاقه لأن الكفر بكل ما يحمله من جنوح سياسيه شيطانيه فقد طلب الشيطان من الله الامهال وان يكون من المنظرين مبينا أنه أعطاه الله المهله فإنه سوف يفتن بني ادم وسوف يكون له نصيبا من الانس فقال تعالى (قال اريتك هذا الذي كرمت عليا لئن اخرتني الي يوم القيامه لاحتنكن ذريته الا قليلا) فأعطاه الوعد بإطلاق سلطته علي الغاوين فقال تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان لا غرورا) وقد استثناء الحق من ذلك فقال (أن عبادي ليش لك عليهم سلطان)

ومن هنا أخبر الله آدم بشرط الخلافه فقال تعالى (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقي ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ... الخ

وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

ومن هنا صار كل من يتمرد من الانس عن منهج الله الذي يحمله الانبياء تابعا للشيطان فكلمه الشيطان تعني المتمرد فصار تسلسل أبواه الشيطان أنها تشمل كل من يسعي الي ابطال المشروع الرباني ومن يحارب منهج الله سواء كان من الانس أو الجن بينما صار أهل الخير هم الذين يتبعون منهج الله الذي حمله الرسل من ربهم ف المنتسبون لمدرسه الخير هم المومنون الذين اتبعوا الرسل واهتدوا بهدايتهم وبالمنهج الرباني من الانس والجن فابواه المنهج هي التي تجمعهم والعمل علي تنفيذ أمر الله والمطلب الرباني في معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده وطاعته كما قال تعالى (وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون)

وجعل أهل الشر من الانس اي من ابناء ادم ومن الجن المتمردون عن طاعه الله الخارجون عن منهج الله بأن هولاء تابعين لمدرسه الشر لقوله تعالى بشأن انقسام الجن الي فريقين (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) ولقوله تعالى (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وحيث كان هذا التقسيم بعد أن تمرد مؤسس مدرسه الشر ابليس عن أمر ربه وقال أنا خيرا منه .

ولهذا صار ابليس ماده الشر في هذا الوجود وموسس مدرسه الشر وقائدها وإليه ينسب كل من عمل عمله وتمرّد من الانس والجن ولهذا قال تعالى (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا)

وقد أخبر الله آدم بعدوه ابليس فقال تعالى (أن هذا عدوا لك ولزوجك) وقال تعالى محذرا الناس (الم اقل لكم أن الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا) وأخبر ادم عندما سلمه مفتاح الخلافه علي الارض بأن شرط الاستخلاف لمن اراد النجاه والسلامه هو باتباع منهج الله فقال تعالى (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

ثانيا

وبناء علي هذا التقسيم صار هدف أهل الخير المنتسبون لمدرسه الخير والايمان والحق هو القيام بأمر الله وتحقيق

المطلب الرباني من الخلق معرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده وطاعته لقوله تعالى (ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهذا إنما يكون بالالتزام بالمنهج الرباني الذي يحمله الرسل والأنبياء الي الناس

بينما يكون مشروع أهل وأنصار مدرسه الشر التي يقودها ابليس واتباعه وجنوده من شياطين الانس والجن هو ابطال المشروع الرباني والوقوف بوجهه ومحاربهه تحت قاعده انا خير منه وقاعده التزين والاغواء التي أعلنها ابليس فقال تعالى حاكيا عن ذلك (ولاغوينهم اجمعين) وقال تعالى (ولا تيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ... الخ

فابليس له في عالم الإنسان حركه وملاحقه وتدخل مباشر فهو يسعي اغواء العقول وقلوبهم لإسقاط المجتمع المسلم من داخله فكان له من بني آدم من يخدم المنهج الابليسي ولهذا

أخبر الله آدم شرط الخلافه وسبيل الهدايه (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فجعل الانبياء والرسل هم الذين يحملون منهج الله للناس فذكر أن الذين يتبعون ما حمله الرسل والأنبياء فهؤلاء هم الذين يكون لهم السعاده والأمان فهم أهل الحق وأما المتمردون عن أوامر الله المكذبون لمنهجه ورسله فهؤلاء أهل الباطل الذين يكون للشيطان عليهم سلطان لقوله تعالى (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال تعالى (إنما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

ولهذا صار اتباع وجنود الشيطان هم الكفار الذين خرجوا عن ولايه الله الي ولايه الشيطان ولهذا فهم أعداء الله ويسعون لابطال المشروع الرباني الذي يحمله الانبياء في كل زمان فهم ادوات الشيطان من الانس والجن ولهذا قال تعالى (شياطين الانس والجن يوحي بعضهم لبعض زخرف القول غرورا)

وهذا فيه بيان الآتي

الأمر الأول

الاشاره الي التفاهم والتلاحم والتعاون القائم بين عصبه العمل الشيطاني من الانس والجن لابطال المشروع الرباني ومحاربه الانبياء فهم وان كانوا من عالمين مختلفين الا أنهم التقوا حول الباطل فلفظ الشيطان يطلق علي كل عاث متمرد من الانس والجن ويطلق علي كل من ركبت طبيعته بحيث يخرج من الرحمه ويعصي ابدأ فآخبرنا الله أنهم متعاونون علي أن يبعدوا الناس عن الله بإفساد عقيدتهم الصحيحه اجتمعوا علي البغي والفساد في الأ رض ومناصبه الله العدواه ومبارزه الانبياء والمومنين بالمحاربه فهم اجتمعوا علي أسباب العدواه وهي العصبيه والكبر والحميه حيث أن الشيطان كان أول من أظهر العصبيه وتبع ذلك الحميه وهي تعني ما حميته عن وصول الغير إليه والتصرف فيه فابليس تعصب لمادته النار ورفض تنفيذ الأمر الإلهي لأجل حميته لعنصره فهو أمام المعتصبين وقائد المستكبرين فهو أول من وضع أسس العصبيه وخلع قناع التذلل وادرع بلباس التعزز ثم كان انتقال هذا الداء بطريق العدوي منه الي من خالطه من البشر وبعض الجن ولهذا فهو يستنهضهم لما يريد أن تباطوا فصاروا أعوان السوء وهم الذين صدق عليهم ابليس ظنه من ولد ابن ادم بالاغواء الغشماء أبناء الحميه الجاهليه ف الذي جمعهم هو التعصب والكبر حيث ابتدا ابليس بنقل داءه الي من صدق عليهم ظنه من بني ادم بتهمج مافيه من نزعات العصبيه والكبر حتي إذا استحكمت فيهم انتقل بهم من وسوسه الصدر الي حاله يكونوا فيها مطايا له فصارا السنه شياطين الانس والجن ترجمان له ينطقون بما يريد واعيونهم اداه مايري به عندها تكون وظيفتهم الوسوسه فهو له في كل امه جنود واعوان وفرسان حيث ينفخ فيهم الشيطان افه الكبر والحميه والعصبيه فيكون البغي والافساد ومحاربه الانبياء والدعاه من قبل أعوان وجنود الشيطان وهم شياطين الانس والجن فيقول الحق أن هذه الملاحق التي لقح بها ابليس اتباعه وأعوانه التي خدع بها الأمم الماضيه والحاليه فعليكم الحذر منها

الأمر الثاني

ان الايه فيها التنبيه للمومنين من خطوره هولاء الفريقين لان شرهم خطير يعسر الاحتياط منه لأنه يخفي عمله ويخفي أثره وانت إنما تتقي ما يظهر ويستعلي لا ما يخفي ويستتر فقال تعالي (يوحى بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا)

اي أنهم يتحرون اخفاء أعمالهم واخفاء أسرارهم فيحاولون أن يظهر أعمالهم بمظهر الخير ولهذا استخدم كلمه يوحى

والوحى اعلام بخفاء لانهم غير قادرين أن يتجاهروا فهم يريدون اخفاء حقيقه شرهم ليكون لها تأثير على الآخريين

والوحى يراد به الوسوسه وقد وصف القران الشياطين بوظيفة الوسوسه فقال تعالي (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا) اي يلقي بعضهم الي بعض القول المزين الذي يغتر به سامعه وينخدع حتى يقع في شباكه

فشاطين الجن ميسر للشرفكل من عمل عمله من الانس فهو مثله وقد ورد في الأثر أن لكل إنسان قرين وقد ورد عن ابن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا واياك يارسول الله قال واياي إلا أن الله اعاني عليه فأسلم فلا يامرني الا بخير)

وقال تعالي (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال تعالي (وقيضنا لهم قرناء)

فالإنسان الضعيف يلازمه قرين من الجن يزين لهم القبائح

فتاره يوسوس للناس مايفسد صلتهم بربهم وتاره يفسد عليه عبوديته وعبادته فعمله تغطيه السوء وستر ما فيها من قبح فكثيرا ما يملي شياطين الانس والجن بعضهما لبعض بوساسهما وحيله الماكره حتى تزداد إفساد للناس وصدا لهم عن الطاعه

ولهذا يقول تعالي (وأما ينزغنك من الشيطان نزغا فاستعذ بالله)

الأمر الثالث

كما أنه من بلاغه القران تقديم أحد المتلازمين في ايه لسر من اسرار البلاغه يقتضيها ذلك المقام ثم يوخره في مقام اخر حيث نجد في سوره الناس قدم الجن علي الانس فقال تعالي (من الجنه والناس) لأن المقام حديث عن الوسوسه وهي من شياطين الجن اخفي وأدق وان كانت من شياطين الانس أعظم واخطر وادهي

بينما قدم ذكر الانس في هذه الايه لأنها وردت في معرض الكلام عن عدواتهم للانبياء فالمقام فيه أن شياطين الانس أظهر ودواعي تكذيبهم وايداهم الانبياء أوضح وايضا فإن الطغيان والشر قد يصل بشياطين الانس الي درجه تتعدي وتفوق شرور شياطين الجن لما يقومون به من مكائد وخطط وبرامج ماكره لإفساد الناس يعجز عنها الشيطان

ثالثا

يخبرنا الله أن اثر فعل هولاء إنما هو بمشيئة الله تعالي فلو شاء أن لايفعلو ذلك لما فعلوه ولهذا ابتدأت الايه بالاشاره الي هولاء الأعداء مسخرون لفعل العدواه ولهذا قال تعالي (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وهنا تبرز عده اسئله

لماذا لم يبعث الله الرسل اصحاب قوه وضيام بحيث يكون للانبياء مال وجنود من الوحوش وغيرها ف الله لا يعجزه شي ؟

ولماذا جعلهم ضعفاء وأتباعهم كذلك وتكبدوا المعاناه والألم ؟

لدرجه انه سبحانه وتعالى يخبرنا أن ذلك هو سنه الله في ارسال الرسل والأنبياء عليهم السلام بما ترسم الآيات أنهم في أعين الناس ضعفاء من حيث القوه الماديه فياتي الجواب

بقوله تعالي (ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغي إليه افنده الذين لا يؤمنون بالآخره وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

الأمر الأول

يخبرنا الله انه لو جعلهم أولي قوه بحيث تخضع لهم أعناق الناس فإن هذا فيه ابطال لعقيده الجزء والثواب و العقاب لأن الدخول في الدين سوف يكون اضطرارا وهذا فيه إلغاء لاراده الإنسان واختياره التي علي أساسها تقوم قاعده الجزء

وايضا فإن الشر يجعلنا نحس بقيمه الخير فالناس عندما يعم الباطل والظلم يتسالون متي يأتي الحق لينقذنا

فيكون التنافس فوجود الشر يهيج النفوس الطيبه للتضحيه والبذل فالالم والمعاناه يكون به صناعه الرجال وإظهار القاده

الأمر الثاني

ان في ذلك تمحيص للمومن من الكاذب ومن جهه ثانيه فإن هذا فيه تدريب المسلم في حياته العلميه والعملية تدريب فكره علي اختيار الانفع من النافع وتدريبه علي الصبر الذي يحتاجه عند العمل ليكتسب قوه يتمرس فيها علي اختيار الانفع وحب الخير وادته والقيام به ولهذا قال تعالي (وكذلك جعلنا) اشاره الي أنهم لم يتطوعوا للعدواه وانما هم مسخرون لفعلها فالكون فيه المتقابلات المتضاده التي تعبر عن الخير والشر ويتصلان اتصالا

ويحيطان به من جميع الجهات فتكون أعماله الكسبيه في الحياه مكتنفه بهما اي أما موصوفه بالخير أو الشر

فاصل المخلوقات كلها قابله للخير والشر وما خلقت الا حكمه

فإن كان ما ينشأ عنها من اثار خيرا فهو خيرا وان كان ما ينشأ عنها من أعمال وآثار شرا فهو شرا فمنها ما يكون خيرا محض كالملائكه والأنبياء ومنها ما يكون دائرا بين الخير والشر ومنها ما يكون شرا محض وهذه المخلوقات من حيث نسبه الخلق الي الله فهي مخلوقه من الله وكذلك نسبه الأعمال من حيث التكوين والتقدير فهي من الله أما من حيث التكليف فالله لا يرضي بالشر ولا يقبله ولم يكلف به أحد اي أن ارده الله نوعان

اراده كونييه وهو المشئيه الشامله علي جميع الحوادث كما يقول تعالي حاكيا عن نوح (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن انصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم)

اما الارده الشرعيه فهي المتضمنه المحبه والرضا ف الله أن كان يريد المعاصي قدرا فهو تعالي لا يحبها ولا يرضاهها لعباده بل يكرهها ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي مواجهه هذه المنهج الذي يبين ما يحب الله ويرضاه ليكون علي بينه فيما يكسب ويقترب فالمال مثلا ذكره الله في كتابه أنه خير ونعمه منه تعالي يمتن بها علي عباده ولهذا فإن المكلف اذا أساء استعماله كان يستعملها في المعصيه أو يكون كسبه بطريق حرام فإن هذا المال يكون شرا لسوء تصرف المكلف لا في أصل ذاته اي المال و هذا العالم الإنساني المكلف هي مجال تجلي الخير والشر وهما يتصلا

ان به

وانما عيب عليه الشر وقبح منه لانه قادر علي تميزه واجتنابه فهو مكلف بذلك لأن الله قد أرسل الرسل يوضحوا لهم الحلال والحرام والنافع والضار واعطي قوه التميز ولهذا فإن المخدول هو من سوغ له الرضا به من تلك الجبهه وقد عرف هذا المخدول أنه شر

رابعا

يقول الحق أنه علي مستوي السطح ينقسم الخلق الي عباد الله وأعداء الله وفي العمق البعيد نري كل مخلوق خلقه الله جنديا من جنود الله حتي فرعون الذي حارب الله كان جنديا من جنود الله رغم انه فقد كان ينفذ باستخدام حريته وجوده حكمه عليا وكان اداه قهر وفتنه ليري الله من يستسلم لفرعون ومن يتبع موسي ويستسلم لله

فالجندي في الأصل هو الذي يتلقي الأوامر وكل مخلوقات الله تتلقي أوامره وفي الجنود من يمثّل الأمر فيدخل في رحمه الله كالاتسان والجن وفيهم من يعصي الأمر فيعرض نفسه للعقاب كالانس والجن وفيهم من ركبت طبيعته بحيث يطيع دائما كالملائكة ومنهم من ركبت طبيعته بحيث يخرج من الرحمه ويعصي ابدا كالشيطان ولهذا يقول لنا أن تلاقي شياطين الانس والجن واجتماعهم علي الوسوس بأن يوسوس كلا منهما للآخر الشر له حكمه فقال تعالي (ولتصغي إليه افنده الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

الأمر الأول

فهؤلاء يقومون بتزين الشر بتزييف حقيقته بأن يلبسه قناع يغطي وجهه القبيح ليراه الناظر أنه جميل تحت الوهم ولهذا قال (ولتصغي إليه افنده الذين لا يؤمنون بالآخرة)

فالغوايه سلاح الشيطان من الانس والجن لاضلال الناس فيقوم بتزين الشر ليجد استجابته من العبد لما يدعوه إليه والإصغاء يعني أن يلفت انتباه السامع ليكون حريصا علي التسمع فهو يختلف عن السمع لأننا نسمع الكثير من الأشياء لكننا لانلتفت إليها لكن إذا سمعت حديثا يشد انتباهك فإنك سوف تتوقف لتسمع لانك تراه مهم وهذا ما يسمي الإدراك فهو يختلف عن السمع لانك عندما تصغي للحديث يعني أنك تستمع به فيكون الاستماع له من اعماق قلبك فدل هذا أن هؤلاء يعملون علي إيصال الشر الي سلطان الجوراح القلب لانه اذا صلح القلب صلح الجسد كله واذا فسدت فسدت الجسد كله

وهنا قد تصغي لكن النفس اللومه تمنعك من الاستجابته فإذا كانت القلوب مريضه تتحكم فيها الشهوات والأهواء فإن هذا الصوت ينتقل من الإدراك الي الواجدان فقال تعالي (وليرضوه)

ولهذا فإن الشيطان ينفذ من خلال ما تشتهي النفوس وماتراه حسنا فكلما اتسعت دائره تلك المشتبهيات ازدادت مداخل الشيطان فإذا طغت الشهوات فقد وثق الشيطان صلته بالإنسان فيكون عبدا له ولوساسه يحركه كيف يشاء فيقع بين العدو الداخلي والخارجي وعندها يكون الوصول إلي المرحله الثالثه وهي النزوع في ارتكاب الجريمة فقال تعالي (وليقتروا ما هم مقترفون)

الأمر الثاني

كما نجد أن النص ذكر أن الذين ينخدعون هم الذين (لا يؤمنون بالآخرة)

فعليك أن تعلم أن العبد لو كان مومنا بالآخرة حقيقه لما ارتكب المعصيه لانه سوف ينظر إلي العواقب فاللذه قليله مقارنة بما يعقبها من عذاب فلو استحضر حقيقه اليوم الآخر فإنه سوف يكون متقيظا ولن يغفل

ولهذا فإن انحراف هؤلاء يعود إلي عدم الإيمان باليوم الآخر أو

التساهل بشأن العقاب بأنه لن ينزل حقيقه ويدخل في ذلك النظر إلي رحمه الله والطمع بها دون التوبه النصوحا

المفاهيم مما سبق

١

عليك أن تصبر فالله قد جعل الأزمات امتحان لنا ليظهر مدي قدرتنا علي الصبر علي ما نلاقي من اذيه من أعداء الله وفيه اظهار حقيقه العباد ومدي قوه إيمانهم

٢

عليك أن تميز علاقاتك بالآخرين وان تبني امورك علي الامتحان والاختبار في معرفتك بالناس فلا يكون الحكم علي ظواهر الأمور فهناك من يظهر الصلاح قاصدا أن يخدعك ويفسد علاقتك مع ربك

٣

ان من أخطر ما يقع يجعل الناس يقعون في مصيده الشياطين برغم ادركهم خطوره الشيطان وضروره الحذر منه هو أنهم يقعون في حيله نفسيه ومدخل شيطاني يجعلهم يشعرون بالطمأنينة لما هم فيه وإن ما يفعلونه هو الصواب حيث الشيطان يلجأ إلي حيل ومداخل لها وجهه الخير في ظاهرها مثل تضخيم جانب من جوانب الدين علي حساب بقيه الجوانب ولهذا عليك الإنتباه من هذه المداخل وايضا عليك الاستعاذه ب الله من الشيطان فهذا مو أعظم الاسلحه وعليك أن تدوام ذكر الله لأن الشيطان يخنس اذا ذكرت الله قال تعالي (أن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

ومعلوم أن الإنسان إذا لم يعط قوه اماته الخواطر ولا القوه علي قطعها فانها تفسد التصورات فتأخذها الفكر الإ دراك ولهذا كانت المرحله الاولي (ولتصفي إليه افنده الذين لا يومنون بالآخرة) عند غياب عنصر مراقبه الخواطر والوساس فانها تهجم عليه هجوم النفس وعندها فإن التصورات تدعوا الي الارده لأنها تصل الي مرحلة الوجدان فقال تعالي (وليرضوه) فإذا لم تحاربها ولم تدفعها فإنها تصير شهوه وعزيمه وهمه فتنتقل من الارده(الوجدان) الي مقتضي ذلك وقوع الفعل بالجوراح (النزوع) وعندها يصعب عليك الانتقال منها ولهذا فإن المومن اذا فجاءه الشي واعجبه فإنه يعرض هذا الشي علي الشرع فإذا كان مخالفا فإن قوه الايمان والعقل السليم يمنعه من قبول ذلك فيكون قوه اماته الخواطر ودفعها نابعا من مراقبه الله له وشعوره أنه تعالي يراقبه ويعلم أعماله

٤

عليك أن تستحضر لحظه الوقوف بين يدي الله لحظه الحساب والعقاب فانظر الي عواقب الابتعاد عن منهج الله وسنه رسوله عليك أن تنظر إلي من تتخذ اصدقاء حتي لاتقع في شبكه مصيده شياطين الانس فتندم يوم القيامه حيث لاينفع الندم كما قال تعالي (يوم يعرض الظالم علي يده يقول ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويليتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا)

عليك عندما تخلل صحبه شخص أن تحذر أن يستولي بسلطان مودته علي قلبك فتصير أقواله وأفعاله كلها مرضيه عندك ولاتري عيوبه فتقع رهن بنانه و اشارته يوجهك حيث شاء ويصرفك عما أراد فهذا من أخطر احوالك لانك تسلبك تميزك وتخسر اردتك وعندها قد تري الخير شرا وتري الباطل حقا ولهذا قال تعالي (ولتصفي إليه

افنده الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

خامسا

(افغير الله ابغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله أن يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

المبحث الأول

ان الايات وردت بعد أن ذكر الله سنه الله في جعل اعداء من الانس والجن لكل نبي والامم السابقه مبينا أن ذلك ابتلاء من الله وذكر في نهايه ذلك (ولتصفي إليه افنده الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا ما هم مقترفون) حيث فيها التحذير من الأكابر والساده الذين يتكبرون عن حسبهم ويترافعون فوق نسبهم اولئك الذين أصيبوا بعدوي داء الشيطان ابليس اللعين اعتزازا بالجاهليه والتفاخر بالانساب والكبر والحميه فهي أسس العصبية الجاهليه واول من وضع هذا الأساس ابليس اللعين ثم اتخذ أكابر القوم والوجهاء ومن يملكون القرار في الامم مطايا له من خلال تلك الملاقح التي استولى بها علي الأكابر والساده فصاروا مطايا له وسلطانه وصول بهم علي الناس ينطق بالسنتهم وسيطر علي عقولهم ولهذا فهم يقومون بوظيفه الشيطان بالسوسه ومحاربه الانبياء و الدعاه والمؤمنون وايضا دعاه للشر واغواء الآخرين ولهذا قال تعالي (ولتصفي إليه افنده الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

فالكثير من الأمم تم القضاء عليها من داخلها من خلال الواجهات والعلماء والمفكرين والمثقفين حيث صاروا حاملين للمنهج الشيطاني وهم ادوته وسلاحه في اغواء ضعاف الإيمان والعوام من الناس فعليكم أن تطفئوا ما في مكان قلوبكم من الكبر وحميه الجاهليه فهي من خطرات الشيطان فلا تطيعوا ادعاء الجاهليه فهم من أعوان الشيطان فهم شياطين الانس ف الله لم يرخص لأحد من عباده بالكبر فلو رخص لأحد من عباده لرخصه لانبياءه واوليائه ولكنه كره إليهم الكبر ورضي لهم التواضع والتذلل بالعبوديه له تعالي وكانوا مستصفيين في الأرض ولو أراد الله لجعل انبياءه أولي قوه بحيث يرغم الناس علي اتباعهم لان ذلك فيه ابطال للجزء وايضا فيه وضع مجاهده ابليس من القلوب ولهذا قال تعالي (افغير الله ابغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا)

فابتداء بالهمزه للانكار والفاء للعطف في (افبغي) علي مقدر غير مفعول ابغي وحكما حال وجاء تقديم المفعول للا يذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره حكما لا مطلق الابتغاء والحكم ابلغ من الحاكم فهو يطلق علي ما يتحاكم إليه الناس ويرضون حكمه فيدل علي الرسوخ لانه لا يطلق الا علي العادل فيه تقرير لجهه الحاكميه في كل شأن من شؤون الحياه علي الاطلاق وبأن الجهه التي لها الحاكميه في الأمر كله هو الله تعالي ونفي أن يكون لأحد غير الله اي اتجاه في أي أمر من الأمور فكل شيء يطلبه هو من الله وفي هذا القاء التعزز تحت الاقدام وخلع الكبر عن الأعناق بالتذلل لله باللوهميه وإخراج الخلق من معاملته الله فجعل أبتغي اي حكما في شأن من الشؤون أمر مستبعا وهذا فيه اخبار من الله أنه تعالي لم يرخص لأحد من عباده بالكبر فلو رخص لأحد أن يتكبر لرخص ذلك لرسله فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر امتثاله لربه وادعائه وخضوعه لأمر الله في كل شأن من شؤون حياته لقد فهم ما أخبره الله به انه تعالي يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بهؤلاء لاعداء إخراجا للتكبر من قلوبهم واسكاتا التذلل في نفوسهم ولهذا حرس الله عباده المؤمنين من الكبر والظلم الا ت ابليس واسلحته التي لاينجوا منها العالم فمابالك بالجاهل بالاحكام التي انزلها في كتابه فقال تعالي (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا)

ان القرآن فيه النجاه من مصايد ابليس ومكايده التي تساور النفوس حيث فيه احكام مفصله لجميع شؤون الحياه

ترشدك الي الطريق المستقيم تتعبد الله في كل حكم منها اذهابا للخيلاء عنكم فهو نعمه من الله تعطيك المعرفه النظرية العلميه فيها قمع بواعث وطوالع الفخر والكبر ذلك أن المتأمل لما يتعصب له المتعصبين من الأشياء إنما يكون عن عله تمويه الجهلاء ففي القرآن الكريم الأحكام التي تحرس المومن من الوقوع في مصيده ابليس التي لم يسلم منها العالم فمابالك بالجاهل فقال تعالي (والذين اتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)

فهم يدركون أن القرآن كتاب الله وأنه منزل من عند الله بالحق في أصله وأحكامه لكنهم يرفضون التصديق والايمان لداء الحسد الذي اصابهم نتيجة العدوي بداء ابليس فقد تعصبوا لأن النبي لم يكن منهم ثم قال تعالي (فلا تكونن من الممترين)

فالرسول صلي الله عليه وسلم لم يكن شاكا فأراد الحق بهذا الخطاب للمومنين بالثبات فوعد الله فلا يكون تكذيب المكذبين من المشركين وأهل الكتاب سببا للتعمر عن حمل رايه الحق

المبحث الثاني

بعد أن أخبر الله عباده ان الابتلاء من الله هو مقدمه النصر فلو كان الانبياء اولي قوه لوضع الجزء لانه لن يكون هنالك مجاهده ابليس في القلوب وزال تلاطم الشك من صدور الناس بما توعد الله به المكذبين لانهم سوف يكونون مضطرون للإيمان وأمتن الله علي المسلمين بانزل القرآن الذي جاء فيه تفصيل كل شي وأنه لاغموض فيه ولابس وان أهل الكتاب يعلمون صدق أنه منزل من عند الله لكن هولاء لم يدخل قلوبهم حقائق الإيمان لما فيها من الكبر والحسد كما قال تعالي (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأن يروا كل ايه لا يؤمنوا بها وأن يروا سبيل الرشدايخذوه سبيلا وأن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا)

توجه بالخطاب الي النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود به المومنون فقال تعالي (فلا تكونن من الممترين)

يعني عليكم أن تثقوا بنصر الله فكلمه الله هي الفاصله فلا ميدل لها بفعل الخلق مهما بلغ كيدهم

فقال تعالي (وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم)

وهذا فيه بيان تحقيق ماوعد الله رسله من النصر والتمكين في الدنيا والآخرة حيث وان الايه وردت بعد قوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن...الي قوله (فلا تكونن من الممترين)

وقد ورد أيضا في القرآن الكريم في موضع آخر قوله تعالي (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علي ما كذبوا واذوا حتي آتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين)

فذكر في كلا الايتين لامبدل لكلماته...وذلك يعني بيان أن وعد الله الذي وعد به رسله من كلماته التي لامبدل لها فهو تعالي قال أيضا في أولياءه (لهم البشري في الحياه الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)

ولهذا فإن قوله (لامبدل لكلمات الله) فيه تحقيق كلام الله الذي هو وعده كما قال تعالي (ولاتحسبن الله مخلف وعده رسله) وقال تعالي (وعد الله لا يخلف الله وعده لكن أكثر الناس لا يعلمون)

ف الله لا يخلف وعده فهو صادق في وعده ووعيده لاتبديل له فهو يقول في موضع آخر (مايبدل الفول لدي) بعد قوله (وقد قدمت لكم بالوعيد) ولهذا فإن المومنون يقولون (ربنا واتنا ماوعدتنا علي رسلك ولاتخزيننا يوم القيامه انك لاتخلف المعياذ)

فالمنهج فيه حراسه المومنين من الشيطان واولياءه وحمائيتهم من نزغات الشيطان فهو صدق وعدلا أرشد الله

عباده الي مافيه الفوز والنجاه والطريق الموصل الي ما وعدهم فالعبد المومن لايعتمد علي تدبير عقله كل الاعتماد فلذلك حدود ينتهي معه بصر العقل وانما يتوكل علي الله واثقا من وعده ويسلم امره الي الله بعد الأخذ بالاسباب التي امره بأخذها ثم يفوض امره الي الله في عاقبه ما يقدره له من عطاء أو حرمان فهو تعالي ارحم بنا من أنفسنا ويعلم ما ينفعنا وما يضرنا فهو سبحانه يسمع الأقوال ويعلم الأعمال وهو يعلم ما يصلح لنا وينفعنا كما قال في موضع آخر (والله يعلم وانتم لا تعلمون) وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (أن الله ليحرب أحد بالبلاء وهو أعلم به كما يحرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز فذلك الذي نجاه الله تعالي من السئيات ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالذهب الاسود فذلك الذي قد فتن)

المبحث الثالث

بعد بيان أن منهج الله فيه الصدق والعدل وسلامه الإنسان ونجاته من المخاوف والأحزان يقول الحق (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله أن يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

تبين النصوص أن كل من خالف ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه (القران الكريم والسنة النبويه)

لم يكن عندهم علم بذلك ولاعدل ولا هدي ولا صدق فجمله ما عندهم هو الجهل وظلم الظن وكما قال تعالي (وماتهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

فما جاء به القرآن والسنة هو حق ظاهرا وباطنا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه ولهذا فإن الا اعتقاد بالنقيض لا يكون علما وكذلك فإن ما أمر الله به هو العدل وبالتالي فإن مخالفته ظلم لأن العدل ضد الظلم وبالتالي فإن ماخالف منهج الله إنما هو ظلم وجهل وظن وماتهوي الأنفس والظن لا يغني عن الحق شيئا فصاحب الظن يعني أنه بلا دليل بل ما لديه تخمين وهم لا يأمرون بالحق فقال تعالي (أن هم إلا يخرصون) والخارص الذي لا يقول الحق بل يقول الباطل

ولهذا فإن اللازم اتباع منهج الله فهو القائد الذي يقع به الاهتداء الي الله تعالي وتزكيه النفوس وصلاحها وهو المنهج الذي ينظم شؤون الحياه فهو المصدر الذي فيه اليقين الجازم الذي يوصل الي السلامه والنجاه

ولهذا يأمر الحق نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحذر من طاعه الناس في أمر من أمور الحياه يخالف منهج الله مهما كانت أعدادهم كثيره يقول لك الحق ايه المومن لاتضعف لكرهه أعداء الإسلام وتظافرهم وتكاتفهم في محاربه الحق فلا تستوحش لقله المومنين فتقوم بتقديم التنازلات في أمر من الأمور التي جاء بها القرآن تحت شعار اغراء الناس علي الالتحاق بالإسلام فلا عبره لرأي الاغلبيه في الأمور التي جاء بها المشرع فكل طريق لم يمشي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخلو من الظلام ولا يامن أحد ممن مشي فيه علي نفسه من الهلاك لانه هو طريق الضلال فعليك أن تدور مع الشرع حيث دار وكيفما كان فما لاح لك من منهاج فعليك أن تعرضه علي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تحرك جارحه من جوارحك إلا أن يكون لديك علم من الشارع الحكيم يجواز ما تفعله وصحته والا كان تصرفك عليك لا لك فإن من عمل علي غير دليل فإنه يفسد أكثر مما يصلح

ثم قرر أنه تعالي هو الذي يحكم علي العباد بمساله من ضال ومن هو مهتدي فهو سبحانه صاحب الحق في وضع هذا الميزان وليس للمجتمع إصدار الأحكام فالاصل أن يكون التعامل بالظاهر اي أن اللازم علي جميع رعايا دوله الموحدين الاحتكام الي منهج الله دون التنازل عن اين منها فإذا حصل هذا فقد صار لكل واحد من الحقوق والواجبات ما لبقيه المسلمين دون تميز طالما التزم بمنهج الله تعالي واما مساله الهدايه والضلال فهي أمر يعود لله

فأنت لاتعرف بواطن العباد ونواياهم وانما الله وحده هو الذي يعلم ذلك لأنه مطلع علي مافي الصدور ،

القسم الثاني

قال تعالي

(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه أن كنتم مؤمنين وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم أن ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الإثم وباطنه أن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون)

المقدمه

ان اول ما يشد الإنتباه هو أن الايه ابتدأت بتكليف المومنين بالاكل من الذبائح التي يذكر اسم الله عليها والنهي عن الأكل من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها بعد أن تناولت النصوص عدده احكام منها سنته تعالي في أن يكون أعداء للانبياء والعلاقه بين شياطين الانس والجن وعدم مخالفه أمر الله في أي شأن تلبيه لرأي الناس قليل كانوا أو اغلبه فما دخل الاطعمه والذبائح في هذا المقام بماورد في سياق النصوص قبلها خاصه وأنه جعل ذلك التكاليف علامه الايمان فقال تعالي (إن كنتم مؤمنين)

لمعرفه العلاقه سوف نتناول بيان ذلك من خلال الآتي

اولا

ان قوله تعالي (إن كنتم مؤمنين)

ان الايه تهدف إلي تثبيت العقيدة في النفوس اي عقيدة التوحيد التي جاءت تقرر أن الحاكميه لله في كل شأن و التي لاتقبل التنازل عن أي أمر من الأمور ولهذا فإن هذا لايتحقق الا عندما يشعر المومن أنه يعمل في مجالات المومنين وفقا لأمر الله رب العالمين

فالإيمان اذا لم يولد هذا الشعور في نفس العبد فإن هذا يعني أن الانفعال سطحي لم يصل الي أعماق النفس الداخليه لانه لو حصل ذلك لكان الاهتزاز قد زلزل أعماق النفس بما يترتب علي ذلك اهتزاز جميع الاجزاء بعكس الانفعال السطحي فإنه عباره عن ضربات سطحيه تزوال بزوال أثره ولهذا قال تعالي للاعراب لما قالوا امنا (وقالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من اعمالكم شيئا)

فالأمر يعني أن افعالكم يجب أن تصدر عن انفعال مغاير جديد فالانفعال الجديد يكون فيه كل حركه تصدر عن الإنسان في كل أمر تتجه أردته لعمله باستشعار أنه يعمل في مجال المومنين فيجتمع هذا الانفعال مع العناصر المكونه للعقل فتنصهر في بوتقة واحده ثم يخرج منها وقد صبت افكار جديده تودي الي تحطيم وكسر الحواجز والصعوبات

التي تمنع تحويل الأفكار والنظريات الي حقائق واقعيه ولهذا يقول الحق بعدها (وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم إليه)

اي ما الذي يمنعكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه والحال أنه تعالي قد فصل في القران اي وضح ما حرم من الاطعمه والذبائح الا في حاله الضروره وهذا يشير إلي قوله تعالي (قل لا اجد فيما أنزل علي محرما علي طاعم

يطعمه... الخ في هذه السوره وليس كما ذهب البعض للقول إن هذا يراد به ما ورد في سوره المائده (حرمت عليكم الميتة.. الخ لأن سوره المائده نزلت في المدينه بينما سوره الانعام مكيه اما من يقول كيف يكون فيها تفصيل ما حرم اي الايه في سوره الانعام وهي لم تشمل كل المحرمات

فالجواب أن الإسلام يضع خطوط عريضه في القران ويترك التفاصيل للسنة النبويه التي يجب اتباعها ف الله يقول في موضع آخر (ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والله يقول أيضا (ما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحيا يوحى)

ثانيا

ان من مما يفهم أيضا من قوله تعالى (أن كنتم مؤمنين)

أنه يناشد هم بمقتضي الايمان بالعمل علي تنفيذ أمور وافكار نظريه يراد تحويلها الي واقع عملي وهو ما يفهم منه ان هنالك انتقال من الاحكام النظرية لمفهوم الايمان الي الميدان العملي للإيمان يقول لنا الحق أن هذا هو البرنامج العملي التطبيقي لاختبار حقيقه الايمان فهنا تظهر حقيقه ايمانك ولهذا فإنه العلقه بما سبق تتضح من خلال الآتي

الأمر الأول

ان الايه تبين أن مقتضي الايمان بالله يلزمك أن تثق بالله وبحكم الله فيكون منك الامتثال لأمر الله دون التعلق بالعله للحكم فأنت في معركه مع الباطل الذي يلتمس اي ثغره في المنهج للتشكيك في دينك ف الله قد أخبرنا في القسم السابق ان سنته تعالي اقتضت أن يجعل لكل نبي عدوا من الانس والجن يسعون لابطال المشروع الرباني من خلال اثاره الشبهات حول دينك فعليك أن تسد الثغرات وقد انزل الله اليك القران مفصلا ومن هذه المحاولات التي سعي المشركون للتشكيك بديننا أنهم قالوا إذا كانت الميتة قتلها الله فكيف ترفضون أكلها وتاكلون ما قتلتموه انتم فأنزل الله الايه

يقول لنا عليكم أن تثقوا بحكم الله وأنه فيه سعادتم فلا تنظروا الي تشكيك الاعداء

ولهذا يقول الحق (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم مؤمنين ومالكم لاتاكلون مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم إليه)

فطالما أن الله قد أوضح لكم الحلال والحرام فما الذي يمنعكم لأن الخوف إنما يكون من الوقوع في الحرام وبالتالي فعليكم التقه بمنهج الله وتنفيذه لأن فيه تحقيق السعاده الابديه لكم ولهذا فان الايمان يقتضي التصديق بما أنزل الله وان لم نعرف الحكمه من ذلك فعدم اكتشافنا الضرر من تحريم نوع من الاطعمه فإن ذلك لا يعد مبررا لعدم التنفيذ فمقتضي الايمان يوجب علينا أن ننفذ الأمر طالما وأنه أمر من الله فنحن نعلم موقف ابوبكر عندما سأله اهل مكه عن واقعه الاسراء والمعراج فقال لهم إذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقد صدق فهذا هو الإيمان المطلوب منك

الأمر الثاني

يأمر الحق عباده بامتثال ما يأمرهم به ويحذرهم من أن يكون الميزان ماتهوي الأنفس في الحلال والحرام ف التشريع سلطه الهيه فيها سعاد تكم فالبشر لا يستطيعون تحقيق السعاده لأنفسهم بما أوتوا من علم محدود فهم يتبعون الظن فالذوق والوجد يرجع إلي حب الإنسان وما يجده بذوقه وطعمه فهم اذا طلبت منهم الحجه لن تجد منهم سوي أنهم أقاموا نظريتهم علي التقليد ذلك أن كل صاحب محبه فله في محبوبه ذوق ووجدان فإذا لم يكن لهذا الذوق سلطان من الله وهو ما أنزل علي رسوله كان صاحبه متبعا لهواه وهؤلاء لن يجدوا السعاده لأن علمهم

محدود ولن يسعفهم علي النحو الذي يسعدهم الا اتباع منهج الله فهو الخالق سبحانه وتعالى وعلمه محيط بكل شي يعلم اسرار خلقه وما يصلح لهم وما يسوغ لهم السعادة في الدارين فكل نظريه خارجه عن دائره منهج الله لا يتاتي معها اي سعادته ولا تنظيم بين جزئياتها

ولايمكن أن تكون مسلك موصلا الي مافيه الارتقاء بمستوى الكمال للإنسان

اما منهج الله فإنه يتحقق فيه السمو الروحي بالتوازن الذي يرضي الوظائف العضويه والروحانية جنباً الي جنب ولهذا قال تعالي (ومالكم لاتاكلون مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وإن كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم أن ربك هو أعلم بالمعتدين)

ولهذا فإن العمل بالاهواء والتشريع من قبل الناس فيه اعتداء علي شرع الله واعتداء علي حق العباد بدون علم و لاهدي ولا كتاب منير

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الدين الاسلامي يتصف بالشمول فالايامن يعني أن تخضع لحكم الاسلام في جميع جوانب وشؤون الحياه السياسييه والاقتصادييه والاجتماعيه والثقافيه وكل شأن ولهذا تبين لنا النصوص أن الإسلام ليس للضرورة فقط كما يتصور البعض فيقول إن دور الإسلام أو الأديان إنما كان في الارتقاء بالإنسان البدائي فحسب وأنه بعد أن حصل الارتقاء بالإنسان واستطاع أن يتعامل مباشرة مع سنن الكون وكشوفات العلم وبما يحقق الرفاهيه فإن زمن الدين قد انتهى .. فلم يعد هنالك اغراض ترتبط به ولهذا تأتي النصوص مبينه أن الدين لا يستهدف الحفاظ علي قوي الفرد ونوع الإنسان فحسب بل السمو به وترقيته فهو قد ضمن العيش الكريم لكل الناس فقد ضمن لكل الناس الاكل والشرب والكرامة الإنسانية سواء كان مسلم أو كافر فقال تعالي (ولقد كرمتنا بني ادمكلو من طبيبات)

ولهذا أكد علي حقوق غير المسلمين من رعايا الدوله المسلمه علي دوله الاسلام أن يوفر لهم الاكل والشرب ويحفظ كرامتهم فهدف الدين السمو بالإنسان الي الكمال حتي لاتستغرقه معركة القوت والأمن فحسب ولهذا فإن الاسلام يستولي علي أعماق نفس المومن ويوسع آفاقه فهو مثلما يحتاج غذاء الجسد بالاطعمه يحتاج الي تكون هذه الاطعمه تلبي احتياجات الروح من الغذاء فالإسلام لايعزل العامل الاقتصادي عن بقية العوامل الأخرى فلا بد أن يكون هناك تقدير متوازن يلبي احتياجات الإنسان الماديه والروحانية

ولهذا إزام أن تأكل مما ذكر اسم الله عليه وهو مايعني أن يكون ما تأكله فيه غذاء للجسد وغذاء للروح

الأمر الرابع

وبمناسبة ذكر اهميه أن الاهتمام بالسما الإنسان من خلال الموازنه بين متطلبات الجسد والروح فكما أن الجسد يحتاج غذاء فإن الروح يحتاج الي غذاء

ولهذا يقول لنا الله تعالي (وذروا ظاهر الإثم وباطنه أن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون)

فالغذاء الروحاني لا يحصل الا عندما تجد اللذه والسرور في امتثال أمر الله فتكون متعبد في ذلك تجد السلوان في ترك مانهي الله عنه عندها تنتصر انت علي شهواتك فتجد الراحة والسعاده بعكس الذي تنهزم نفسه أمام شهواته فإنه بعد اللذه العاجله بالمعصيه يجد الم المعصيه تعصر بقلبه وصدرة ولهذا جاءت الايه بقوله تعالي (وذروا ظاهر الإثم وباطنه أن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون)

فالاثم كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم (ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس)

فدل هذا أن الجنه والنار ماهم الا اثرا من آثار أعمالنا فمن عمل المعاصي فانه يجد في صدره نيران تشتعل تعصر بقلبه ولا يجد السعاده وان الذي يجتنب ما أمر الله فإن هذا يجد السعاده في طاعه أمر الله وترك معاصيه ويدخل الجنه وهو في الدنيا بتذوق غذاء الطاعه لأمر الله

ولهذا فاذا اردت ان لتجد لذه الطاعه فعليك اذا عرفت الحق أن تجعل لنفسك في الحق نصيب فلا تكتفي بالاقرار به وان تقوم بما فرض عليك من فرائض ظاهره لا فإن ذلك الحق يقتضي أن لله عليك مع الفرائض الظاهره فرضا باطنا ليحصل لك طهاره الظاهر الجسد وطهاره الباطن الروح فيكون غذاء الروح الباطن يقول الفقيه المحاسبي رحمه الله عن الفرض الباطن (هو تصحيح السرائر واستقامه الارداه وصدق النيه ومفاتشه الهمة ونقاء الضمير من كل ما يكره الله وعقد الندم علي جميع ما مضي من التويث بالقلوب (التويث اي الوقوع في المعاصي والاثم) و الجوراح علي مانهي الله عنه ولهذا فإن الأمر بالترك يشمل كل المعاصي الظاهره والباطنه لأن اعمال العبد لها ظاهر وباطن فما صح من أعمال الظاهر أنه وافق اعمال الباطن فقد صلح ولهذا فإن فساد الباطن يودي الي خساره الظاهر

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات)

الأمر الخامس

بعد أن أخبرنا الله أنه انزل الكتاب اي القران مفصلا وأن احكام صدق وعدلا يخبرنا الله أنه تعالي افترض علي عباده فرائض ظاهره وباطنه وشرع لنا شرائع وقد دلنا عليها وأمرنا بها ووعده عباده أن أحسنوا العمل بجزيل العواب وتوعد من ضيعها بالعقاب فهذا المنهج رحمه بالعباد وتحذيره شفقه منه تعالي بعباده

ولهذا فإن اللازم عليك ايه العبد اتباع منهج الله والتزم شرائعه ووافق سنه نبيه واتبع اثاره وألزم سيرتهم وتادب بادبهم ولهذا قال تعالي (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) فالحق يريد من عباده أن تكون حركتهم كلها منضبطه اتخاذ إجراءات وقايته فأنت محاط بالمومره الشيطانيه من جميع الجهات فقد توعد ابن ادم بالاغواء فقال تعالي حاكيا ماتوعد به الشيطان (ثم لاتيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم.. الخ

فإن هذا يعني أنك بحاجه الي الوقايه لمنع الاختراق الذي يسعى فيه الشيطان الي التسلل من اي ثغره ولهذا فأنت بحاجه الي سد الثغرات ووضع حواجز لصد محاولات ومومرات الأعداء ولهذا فان الله لم يترك الإنسان الذي اختاره ليكون خليفته في الأرض يتخبط بدون ضوابط تضبط حركته حتي لا يقع في الهلاك فقد انزال الله المنهج الذي يبين الضوابط لحركه الإنسان ولهذا يقول لنا (وذروا ظاهر الإثم وباطنه)

اي أن الحق سبحانه وتعالى يريد من العبد ان تكون حركته كلها لا تاتي بالشر فهذا المنهج بمنابه الكوابح التي تضبط حركته بها يكون قياده البشريه وهذا يتطلب احسان استخدام الضبط والربط والاحساس بالمسؤولية من جهة ورسم التفاول بالالتزام بالمنهج لتجنب افات الطريق كما ترسم معني المسؤوليه المعتمبره لفن القيادة

ولهذا يقول الحق أنه قد أنزل الأحكام التي تدلك علي الطريق فما الذي يدفعك الي الوقوع في المغامره علي طريق الانتحار لما لاتأخذ الحيطة والحذر فتكون خطواتك كلها محسوبه تعرف أين تضع قدمك فلا ينبغي أن تنطلق بغرائذك واهواك ورغباتك فقال تعالي (وان كثير من الناس ليضلون باهوائهم بغير علم)

فعندما ينطلق الناس وفقا لرغباتهم واهوائهم فإنهم يقعون في مصيده الشياطين واغرائهم بهدف كسر حاجز الوقايه بدفعك نحو اللذه العاجله ف الله يقول (كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدوا مبين .. الخ

ما يفهم منه أن الطعام والشراب سلاح اغواء سوف يلجاء اليه الأعداء لكسر حاجز الوقايه ولهذا فعليك الحفاظ

علي حركتك بالالتزام بالضوابط وإدراك المسؤولية وانتبه من المغامرة فالله يقول (أن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون)

ومن هنا عليك أن تحاسب نفسك وتراقبها وتتفقد أحوالها وابتحث عن عقد ضميرها بعنايه منك وشفقه عليها مخافه تلفها فانتبه من الغفله فالزام اداب الشرع وفارق الهوي والغضب واعمل في أسباب اليقظه فلا تنخدع بمفاتن الدنيا وزينتها فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول اعدي اعدائك نفسك التي بين جنبك)

المبحث الثاني

كما أن الاستفهام الانكاري بقوله تعالي (وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه و قد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم...الي قوله تعالي (وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم وان اطعموهم انكم لمشركون)

فإنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد فيها الآتي

المفهوم الاول

يقول الحق ايه المومنون عليكم الشعور بالمسؤولية التي اختصكم الله بها بحمل امانه الخلافه واختاركم للهدايه و الايمان فإن كنتم مومنون حقيقه فإن هذا يحتم عليكم تحمل المسؤولية والحفاظ علي الامانه وهذا المسؤوليه تقتضي منكم اعاده قراءه الأمور والحقائق والأشياء كلها في الحياه باسم الله ووفقا لمراد الله ولهذا جاء الا استفهام الانكاري اي ما الذي يمنعكم من الاكل مما ذكر اسم الله..ما الذي يخوفكم من ذلك ؟

لأن الخوف لا يكون إلا من ارتكاب المنهيات التي أمرنا الله باجتنابها ولهذا قال تعالي (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم إليه)

وبالتالي فما الداعي للامتناع من الاكل مما ذكر اسم الله عليه طالما وأنها ليست مما حرم عليكم

فأنت ملزم باتباع منهج الله وسنه رسوله صلي الله عليه وسلم

فيكون المقياس للأشياء وميزانها منصب حول ما يرضي الله في الفكر والسلوك بحيث تتبلور الأفكار والخواطر و العواطف كلها حول وحدانيه الله

وبذلك تتحرر من عبودية البشر والهوي ..عندما ينصب اهتمامك في كل أمر بالبحث عما يرضي الله تعالي والا بتعاد عن التقليد وكم نحن اليوم بحاجة الي اعاده القراءه لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية لترتيب المفاهيم التي حملتها الشريعة الغراء بالنظر الهادي والدراسه المتأينه بوعي بعيدا عن الأهواء للخروج من عنق الزجاجة التي وقعت بها الامه عندما ابتعدت عن قيم ومبادئ الاسلام لكل ماتم تدوينه من كتب الفقه والتفسير و الحديث والتاريخ والظروف التي أحاطت بالحياه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمع الإسلامي وماتعقب ذلك من تحولات حيث أدت إلي إغراق الفكر الإسلامي بالكتب المختلفه التي احتوت في أغلبها علي مايفرق ويمزق حياه المسلمين نتيجه الخلط للأمور خلطا يتعذر معه التميز الواعي لوجود ضبايه تحجب الرؤية وصعوبه تميز الحق من الباطل ناتج عن التعصب الأعمى للمذاهب والأحزاب نتج عنها اساءه استخدام الألفاظ لأجل دعم كل فريق ما لديه من أفكار وبالعوده الي جذور ذلك نجد أنه تزامن مع مرحله سقوط دوله الموحدين كما عبر عنها مالك نبي بظهور الملك العضوض علي يد بني اميه حيث كان تنحيه دور القرآن كونه حكما لدوله الموحدين وكان استعماله كسلاح للتكيل بالمعارضين ومن هنا بدأ التحريف للألفاظ والمعاني صحيح أنه بقي الإنسان المسلم موحدا لكن توحيد الفرد لا توحيد الدوله صار يوجد الإنسان الخليفه الفرد وغياب الخلافه كدوله فما الذي حدث لقد سعي المشروع الشيطاني الي إسقاط خلافه الفرد من نفوس المسلمين بعد إسقاط خلا

افه الدوله ومن هنا ظهرت الفرق المتعدده التي اضاع أغلبها بوصله الهدايه وصارت اداه للشيطان باسم الإسلام حيث صار السحر والتنجيم والطلاسم يمارس باسم الإسلام وصارت اسماء الله الحسنی وصفاته ينظر إليها أنها ادوات لتلك التصورات الفاسده واصاب العقول الجمود بالتعصب والتقليد دون برهان ولا دليل فظهر من المشايخ من يزعم أنه له كشوفات والهامات وكرمات يزعم أن الملائكه تخاطبه وتتصل به وادعاء العلم بالباطن وبما فيه قدح في الشريعه والأعمال التي أمرت بها وكما قال الجنيد هولاء وصلوا الي سقر وهذا من أعظم خداع الشيطان وغروره لهولاء لم يزل يتلاعب بهم حتي إخراجهم من الإسلام ولهذا يقول الحق (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه و أنه لفسق وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم وان اطعموهم انكم لمشركون)

فهولاء إنما يخاطبهم الشيطان فيما يقولون فالالهامات والكشوف لايعني أن تخالف ما أنزل الله علي رسوله صلى الله عليه وسلم فهولاء يتبعون ظنا ولو اعتصم بالكتاب والسنة لتبين لهم أن هذا من الشيطان لكن كثيرا منهم يتبع ذوقه ووحدته وما يجده محبوبا إليه بغير علم ولاهدي ولا بصيره فيكون متبعا لهواه بلا ظن فأنت اذا سألته عن البرهان والحجه ستجد قوله لا يختلف عن قول المشركين فالمشرك اذا طلب منه الحجه ذكر تقليده لمن يحبه من آباءه واسلافه كقول المشركين (انا وجدنا آباءنا علي امه وانا علي آثارهم مقتدون)

وكذلك حال المقلدون لمشايخ الضلال من الفرق الاسلاميه اليوم ليس لهم دليل الا التقليد وهو ما نهى عنه الله في الايه فقال تعالي (وان اطعموهم انكم لمشركون)

فليس حديث المهيمين بأفضل من حديث الصحابه ابوبكر وعمر وعلي وعثمان فقد وافق القران الكريم عمر رضي الله عنه في كثير من المواقف لكن هل كان ذلك سببا لخروج عمر عن كتاب الله وسنه رسوله كما فعل هولاء الذين اخطوا وضلوا وتركوا الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله تبعا لما جاء به الرسول وظنوا أن الهامات والكشوفات تغنيهم عن اتباع العلم المنقول والحقيقه ان هولاء إنما يوحى إليهم الشيطان لانهم أوليائه وليسوا اولياء الرحمن ومن هنا نجد أن القران يكشف لنا المدرسه الشيطانيه ويبين لنا أساليبها و وسائلها وخطورتها علي البشريه التي بكلها هدف للشيطان يسعي الي اضلالها الأمر الذي يجب الإنتباه من التقليد الأعمى والتقليد للأشخاص فكل قول مردود الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح فيما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

المفهوم الثاني

عليك أن تدرك أن اتباع الهوى فيه الهلاك لان متبع الهوى يكون اناني يزن الاشياء بميزان المصالح الشخصية وبذلك تضيق أفقه ويكون عابدا هواه ولذلك فهو ينحرف عن الطريق لانه يقيد كل شي بقيود مطالبه التي يهواها ولذلك فإن ذلك يشكل ضغطا عليه يدفعه للعمل علي تلبية رغباته دون ان يعمل في حسابه اي اعتبار للآخرين

وبالتالي فإننا نكون أمام انسان مسعور تورقه شهواته وتضغط عليه فلا يقبل منه هواه اي اعدار أو تسويق لما يطلب بعكس من يعبد الله فإن شريعه الله فيها العدل ولايكلف الله الإنسان إلا بحدود طاقاته ولهذا قال تعالي (الا ما اضطررتم إليه)

ولهذا فإن الذي يعبد هواه يتحول الي وحش عديم المسؤوليه لاينظر لمساله أنه سوف يحاسب علي اعتدائه سواء كان في أعماله اضرار بحق الخالق أو المخلوقات فهو لاينظر الي أن هنالك ضوابط وقيود علي الحركه فيسعي الي كسر تلك الضوابط في اعتداء صارخ لاينظر الي علم الله محيط به فقال تعالي (والله اعلم بالمعتدين)

فلا نجاه لنا الا بالفرار الي الله تعالي

القسم الثالث

تكشف النصوص طبيعته الايمان وما يقابلها من الكفر وبيان حاجه الناس الي بعنه الرسل وفوائد ذلك وكيفيه الوصول إلي أعلي المقامات الروحانيه وتبين ماهي طبيعته الكفر والشرك من المكر والخداع وارداه تطويع الدين لمصالحهم وتكشف لنا النهايه للحضارات الماديه الفاسده ونهايه قاداتها والاكابر فيها فقال تعالي (أومن كان ميتا فاحيناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قريه أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم ايه قالوا لن نؤمن حتي نوتي معل ما أوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته

اولا

تشير الايه إلي أنه يجب الاستجابه لأمر الله فيما يأمرهم به فجاء التعبير بالحياه لمن استجاب لله والرسول لما يدعوههم إليه وإن المعرضون اموات بهذا الإيحاء الموتر من خلال هذا التصوير للإيمان والكفر بما فيه تجسيم هذه الحقيقه يقول لك الحق أن الإنسان له حياتان

الاولي

حياه الجسد وهذه الحياه تحصل بنفخ الرسول الملكي الروح في الجسد وانت في بطن أمك ومن هنا فإن هذا الجسد الارضي يحتاج الي غذاء لينمو ويكاثر يحتاج الي ما ينفعه واجتناب ما يضره فهو يكون قويا كلما كان سليما من الأمراض وكلما كان الغذاء موجودا

الثانيه

حياه الروح والقلب وهذه الحياه تحصل بنفخ الرسول البشري فيها الحياه ولهذا سمي الوحي روحا كما قال تعالي (وكذلك اوحينا اليك .. الخ

لانه عليه يتوقف الحياه الحقيقه حيث أنه بالوحي يكون تزويد العبد بقوه التميز بين الحق والباطل فيكون الوحي هو الفرقان الذي يعرف به ما ينفع الإنسان وما يضره

والقبول بمنهج الله يزودك بالاضاءه والاشراق الذي تري به الحق رؤؤيه حب وارادته وتري الباطل بالبغض و الكراهيه فتتفر منه فتكون تلك قوه دافعه وتلك قوه مانعه وبهذا يكون الاستناره فالله يقول (أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

ولهذا جعل الحق وحيه روحا ونورا فمن لم يحيا بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل الله له نور فهو يعيش في ظلمات الجهل والقلق والتوتر والحيره والظلام لايدري اين يمشي ولن يطلع عليه النهار ولهذا سماهم الله في موضع آخر بأنهم أقل منزله من الانعام (ام تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا)

لماذا لأن هولاء لايميزون ما ينفعهم ولا ما يضرهم فهم متساون في ذلك مع البهائم أو هم وحوش مفترسه بل إن من الانعام من تهدي بهدايه من يسوقها أما هولاء فهم خاضعون لسيطره اهوائهم وشهواتهم وبالتالي فهم اموت وان كان لهم ابدان لم يستجيبوا لوحيه لانهم قبلوا أن يعيشوا حياة خسيسه فقد فقدوا الكرامه ومات فيهم الا نسانيه وما تميزت به عن سائر المخلوقات وهو الروح الذي هو مصدر الكرامه قال تعالي (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

فالبشر ميزهم الله علي سائر المخلوقات وأمرها بالسجود له ولهذا فحياته تختلف عن الحيوانات التي تكمن سعادتها بامتلاء بطونها فلا يقبل من كان قلبه حي أن تصير أماله وطموحاته بهذه الخسه بأن يعيش ماتعشيه البهائم

ولهذا فإن حياه القلب والروح واشراقه تكون بالاتصال بمصدره فالروح نور بينما الجسد ارضي ظلام

ولهذا فإن الوحي هو السبيل لاتصال الروح بمصدره وهذا يعني أن التأثير الحقيقي بالشريعة الحقه هي تلك التي تحدث تغييرا في حياه الانسان حيث تنشئ له بها حياه جديده يعرف فيها ربه وحقوق خالقه وحقوق الآخرين من بني جنسه فيتعهد الي قانون التعامل مع خالقه والآخرين والكون حيث أن الإيمان يزِيل الاغطيه التي تحجب عنه الرؤيه تزيل الاحجبه التي تمنع الوصول الي خالقه عندها يطرأ علي روحه حياه جديده فيها الخير كله لأن الحياه والنور هو اصل الخير كله فيكون محب للخير ويعرفه ويريده ويعمله وكارها للشر ومعرضا عنه ولهذا فإن المحل يكون قابلا لاستقبال انوار الله

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أن كمال حياه روح الإنسان وقلبه مرتبطه بمقدار الغذاء الروحي وقوته فمتي كانت قوه اتصالك ب الله من خلال منهجه اقوي كلما كان الكمال اقوي وكلما ضعف الاتصال ضعفت قوته لأن ذلك مرتبط بصحه القلب وحياته أو موته

فالقلب المريض بالشهوات المعرض عن منهج الله بضعفه المرض حتي يموت وكذلك فإن كثره المعاصي والاثم و الذنوب تشكل ظلمات تحجب الرؤيه ويكون موت القلب

وكذلك فإن القلب اذا قوي نوره واشراقه فانه تنكشف له الصورة وحقائقها ويراهها علي ما هي عليه فيري الحسن حسنا ويرى القبيح قبيحا ولهذا جمع الحق بين الحياه والنور الذي يجعله سعيدا عزيزا يمشي بسكينه واطمئنان لوعده ربه قد استغني بربه عن كل الناس يعيش حياه طيبه يتذوق حلاوه الايمان ويشرق قلبه بنوره فتشرق معه جميع أعضائه وجوارحه بالعلاقه التي تنشأ بينه وبين ربه فقد ورد في الحديث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أن للحسنه لنورا في القلب وضياء في الوجه وقوه في البدن وسعه في الرزق ومحبه في قلوب الخلق وان للسئيه لظلمه في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن وضيقا في الرزق وبغضه في قلوب الخلق)

ولهذا قال تعالي هنا (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات)

ليبان ان هنالك فرق بينهما فلا يستويان فالجهل والحيره والظلام والتخبط يختلف عن العلم والاطمئنان والنور السكينه فهذا حياه بينما الكفر والشرك والجهل والظلام موت كما قال تعالي (أن الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور)

فالجهل موت لأهله قبل الموت واجسامهم قبل القبور قبور لاروحهم في وحشه البعد عن الله وظلمات الجهل و الكفر

ولهذا يقول الحق في موضع آخر (أن هو إلا ذكر....الي قوله (لتنذر من كان حيا) فالالانتفاع به إنما يكون لمن كان حي القلب ف الله يقول (أن في ذلك لذكري لمن كان له قلب)

فحياتنا إنما تكون بالاستجابة لما يدعونا إليه الله ورسوله من العلم والايمان وبدونهم يكون موت العبد وهلاكه وهو حي الجسد لكن بلا روح ولهذا قال تعالي (أو من كان ميتا فأحيناه)

أنه من كان كافرا ميت القلب مغمور في ظلمات الجهل والشرك فهو لايعرف ما ينفعه ولا ما يضره حتي حصل له الحياه بالقران الكريم وانوار الله فإن هذا العبد قد حظي برحمه الله التي ميزته عن غيره فإن هذا لابد أنه يختلف عن الكافر الذي لم يخرج من الظلمات وهذه النعمه لايمكن أن يعرفها الا من تذوق حلاوه الايمان وهذا إنما يكون بذلائه أمور كما ورد في الحديث الصحيح عن أنس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (ثلاث من كن فيه وجد

بهن حلاوه الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)

الأمر الثالث

ان المومن يعيش حياه طيبه حيث يكون انشرح صدره ويرزقه الله التوفيق والسداد فيعتولاهم الله برعايته ويضع لهم القبول في الارض بأن يجعل الناس يحبوه بما يحدث في القلوب من الموده منه تعالي ولهذا قال تعالي (وجعلنا له نورا يمضي به في الناس)

وايضا من ثمار ذلك أن يرزقه الله الحكمة والفراسه بأن يضع الشئ في موضعه فيكون نظره للأمور بفكر ثاقب وعقل راسخ نتيجة صفاء النفس وراحتها وطمانيتها أنه نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الحق والباطل و الهدى والضلال والنافع والضار فعندما يكون القلب معمورا بالتقوي فإنه تنجلي له الأمور وتنكشف بخلاف القلب الخراب المظلم قال حذيفه بن اليمان أن في قلب المومن سراجا يزهر كلما قوي الايمان في القلب قوي انكشاف الأ مور له وعرف حقائقها من بواطنها وكلما ضعف الايمان ضعف الكشف وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم ولهذا قال بعض السلف في قوله تعالي (نور علي نور) قالوا هو المومن يطبق بالحكمه المطابق للحق يقول صاحب كتاب تزكيه النفس وان لم يسمع بها في الاثر فإذا سمع بها في الاثر كان نورا علي نور فالإيمان في قلب المومن يطابق نور النور وورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (اتقوا فراسه المومن فإنه ينظر بنور الله) والمومن الحقيقي الخبير بحقائق الايمان كما يقول ابن تيميه هو الذي يفرق بين الاحوال الرحمانيه في الإلهام والكشوف وبين الاحوال الشيطانيه بما آتاه الله من نور الايمان واستشهد علي ذلك بقوله تعالي (ياايها الذين امنوا اتقوا الله وتمنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به .. الخ

ولهذا يخبرنا الله أن هنالك اختلاف وفرق بين المومن الذي امده الله بحياه الروح بالقران وامده بالانور التي تجعله يري بوضوح كل شئ امامه من خلال اندماج تعاليم القران مع كيانه بحيث تتعاقب فطرته معها وبحيث أن تجد كل ملكه من ملكاته وكل عضو من أعضائه ما يهتدي به الي الوظيفه والغايه التي خلق من أجلها فإن هذا قد شكل ولاده جديده للمسلم شعر بما كان عليه في الماضي من تخلف وجهل وظلمات فنظر إلي الماضي بالبغض و الكراهيه كره أن يعود إليها كما يكره أن يقذف في النار نظر إلي نعمه الاسلام التي أنقذه الله به من الجهل والكفر فإن هذا الشعور من أهم عناصر التغيير ولهذا فإنه يدريك أن هنالك فرق بين حاله وبين الماضي فجاء التنبيه (كمن مغل في الظلمات ليس بخارج منها)

ان حياه المومن تختلف عن حياه الكافر الغارق في ظلمات الجهل والكفر والشك والحيره لا يستطيع الخروج منها فهو في ضيق وشقاء. فكانه قيل فكيف يوتر من له ادني مسكه من عقل أن يكون في هذه الحاله من الظلمات فقال تعالي جوابا لذلك (كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون)

ان هولاء وقعوا في الخديعه التي زين لهم الشيطان أعمالهم القبيحه فروها حسنه فامراضهم خفيه عليهم لأن سكره الجهل والهوي تحول بينهم وبين إدراك الالم فالكفر انقطاع عن الحياه الابديه وانعزال عن القوه الفاعله و الموتره في الوجود كله وانطماس في اجهزه الاستقبال والاستجابه الفطريه فهو موت يصيب القلب بالعمي فلا يدري في اتجاه يمضي ولايعرف ماذا ينتظره في الطريق معرض لأن يصطدام بما يقف في طريق لينتهي به الحال الي الهلاك فهو لايري ولايحسن ولايفرق بين الحق والباطل

ثانيا

تمضي الآيات مبينه السر في انغماس الكفار في الظلمات بأن ذلك يعود انطماس القلوب وانخدعها بالدنيا وزينتها فاخبرنا الله بسنته التي ابتلاء بها العباد بأن جعل في كل قريه أكابر مجرميها يحيكوا المومرات ضد الدعوه و

الدعاه فسمات الحضارات الماديه هو تسلط الاكابر اي الروساء والقاده علي الناس فقال تعالي (وكذلك جعلنا في كل قريه اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

ان قيام الحضارات الماديه يعني انحطاط في القيم الروحانيه واختلال المعايير حيث ان هولاء الاكابر يقومون باستغلال ما لهم من سلطه لهدم مبادئ وقيم وتعاليم الدين من خلال تزيين الباطل للعوام التابعين لهم وهو ما نشاهده اليوم من انحدار القيم الروحانيه كلما ازدادت الحضاره الماديه تقدما فأصبح ينظر لحمله الخير بأنهم حمقاء وأصبح الشرير نموذجا للرجل الذكي بينما ينظر لعامل الخير بأنه غبي واحمق

وكل هذا يعود إلي أن كل طاغيه يزين طغيانه فهكذا هي طبيعه الوثنيه السياسيه أن الاكابر والساده يتكاتفون علي حمايه مصالحهم الشخصيه ويجعلونها هدفا وغايه حياتهم ولذلك فإن هذا يولد فيهم مشاعر الخوف من الدعاه للحق ينظرون لهم أنهم يشكلون خطرا علي مصالحهم فالأمر فيه التحذير من طاعه الاكابر في كل قوم فهم دعاه للشر بالخديعه أنهم ادوات تابعه للشيطان يقفون محاربين الحق والاذي للانبياء والدعاه

الأمر الثاني

يخبرنا الله بخطوره الاستعلاء بالجاه والسلطان والمال والقوه والأنصار فقال (وكذلك جعلنا في كل قريه أكبر مجرميها ليمكروا فيها) فإن هذا فيه الاشاره الي أن هولاء انخدعوا بنعمه الله عليهم بالغني والاقترار وهذا ادبي الي عدم مرعاه نعمه الله فهم للنعمه اضعادا فتتج عن ذلك تبدل الاحساسيس فيهم فاخبرنا الله أنهم يلجأون الي حياكه الموامرت لإيقاف نور الله ويجتهدون في وضع المكائد والمؤامرات لصد المومنين وفي الحقيقه إنما يمكرون بأنفسهم وهم لا يشعرون أنهم بذلك يصنعون النهايه لأنفسهم فقال تعالي (ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وهم لا يشعرون)

الأمر الثالث

ترسم لنا الآيات مشهد يصور القاعده التي ينطلق منها دعاه الحضاره الماديه الابليسه بإعلان الحرب علي الخير وأهله ووضع المكائد والعوائق والحواجز أمام الدعوه والدعاه بانها تكون من خلال النظره السطحيه الماديه البحتة الناتجه عن الاغترار بالنعمه التي انعم الله عليهم بالاعجاب بالنفس والحسد والبغي واراده التحجر علي فضل الله وإحسانه عليهم دون غيرهم ولهذا أخبرنا الله عن عله اعتراضهم فقال تعالي (واذا جاءتهم ايه قالوا لن نؤمن حتي نوتي مثل ما أوتي رسل الله)

كما قال تعالي في موضع آخر (وقالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجلين من القريتين عظيم) الحسد واره احتكار رحمه الله وفضله والإعجاب بالنفس هو الباعث علي صدهم عن دين الله

ولهذا يأتي الرد من الله بقوله بأن اصل علم الانبياء هو الوحي فإلله قد طهرهم ليكونوا اهلا لحمل رسالته (الله اعلم حيث يجعل رسالته) يرد به علي اعتراضهم الفاسد فأخبرهم ان السر يعود إلي علم الله بحقيقه رسله ف الرساله تكريم وشرف عظيم فهي انوار اختص الله انبياءه ورسله الذين جعلهم يتميزون عن باقي البشر بالصفاء و النقاء فعلم الله بمن يستحق لهذا الشرف

فاصل حركتهم يعود إلي اصطفاء الله لهم (الله يصطفي من الملائكه رسلا ومن الناس) فاصل حركتهم هي اصطفاء الله وسر اختيار الله لهم هو علمه سبحانه وتعالى بحقيقته

اي أن ذلك يعود الي أمرين علم الله واختياره سبحانه وتعالى فأراد الحق بهذا

المفهوم الاول

يأمرنا الحق أن ننظر الي الانبياء والرسول نظره صحيحه ندرك بها أنهم ليسوا مثلنا وان تساوا معنا في الخليقه البشريه فإنهم متباينون علينا غايه التباين في الخليقه النفسيه من حيث الطهر والكمال فنفسهم معصومه من الدنس والاوساخ بينما نفوسنا لاتخلو من الدنس والاوساخ ولهذا فنحن بحاجة الي تطهير وتزكيه أنفسنا علي الدوام فالانبياء والرسول فضلهم الله علينا بالوحي ولهذا كانت قلوبهم طاهره وأكثر نقاء وذكاء وقدره علي الا حتمال في الله كما قال تعالي (أن نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن علي من يشاء من عباده) فعلم الانبياء هو الوحي الذي يهدف إلي توحيده ودعوه الناس لذلك كما ورد في موضع آخر (قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهلكم اله واحد) فالله خصهم بهذا المقام الإيحاء الذي يعني الطهاره والكمال فالرسول انسان ذو روح طاعره بو لايته سبحانه وتعالى بها تأتي له تلقي الوحي من الملائكه وذو جسد بشري فهو وإن كان يشبه البشر في الخليقه من حيث الجسد فهذا حتي لاتحجب أعيننا واسمعنا عن تلقي الوحي منه فالله يقول (ولو جعلناه ملكا لجعلناه ..الي قوله ..ولبسنا عليهم ما يلبسون)

وبالتالي فالحق يقول لنا لاتنظروا الي الجسمانيات الحسيه دون ماوراءها بل عليك أن تعبر من الظاهر الي البواطن وتنظر من المحسوس الي المعقول فروح الرسول تتصف بالكمال والعصمه ولهذا فإن الجسد الذي تجري عليه ضروريات البشر الخليقيه فإنها مصرفه بتلك الروح فهي لاتاتي الا بالخير وبهذا الجسد البشري تأتي تعلم الأخذ عنه والاقْتداء به فهو تعالي يقول (اولئك الذين هدي الله فبهدئهم اقتده)

فاقروا ما قصه القران عنهم ومن أحوالهم لتأخذوا العبره والعظه

المفهوم الثاني

علينا أن نحذر من الاعتراضات السطحيه أو نحكم علي الاشياء بالانظار السطحيه دون بحث عن الحقائق علينا أن نحذر من طلب الحاق شي بغيره ودون فحص جميع الفوراق فإن النظره السطحيه للأشياء دون الالمام بما في أعماق الاشياء وأسرارها وكذلك عدم النظر للفوراق بين الأشياء من الأسباب التي تفسد الحياه ولهذا يقول الله أنه أعلم بمن يستحق نعمه حمل الرساله ردا علي المعترضين الذين نظروا أنهم أولي بالرساله من الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالي (قالوا لولا نزل هذا القرآن علي رجلين من القرينتين عظيم)فهذه النظره السطحيه الفاسده التي جعلتهم يغترون بالقوه والجاه والمال فظنوا أن ذلك يوهلهم لنيل الرساله اذ انهم نظروا أن تلك النعمه التي انعم الله بها عليهم كرامه تجعلهم أحق بالاختيار والاصطفاء بموضوع الرساله من الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا لماذا لم يعطي الوحي لاحد الرجلين الوليد بن المغيره وصاحب الطائف لما لهم من جاه وكرامه عند الله فرد الله عليهم أن نظرتهم سطحيه لأن العبد لايقترح علي خالقه أن يختار أو يصطفي فلان فهو تعالي يعلم حيث يجعل رسالته وماعلي العبد الا أن يقبل باختيار الله فلا يعترض علي اختيار ربه فالله يختار رسله ويصطفيهم ولهذا فلا قول بعد اختياره فقال تعالي (الله أعلم حيث يجعل رسالته)

الأمر الرابع

تبرز لنا الآيات بواعث المسيره التاريخيه الحضاره الماديه الابليسه وأعمالها وأساليبها حيث يبرز القران التوافق التام والمتلام بين اسلوب الحضارات الماديه جميعا وبين العذاب المناسب الذي يحل بهم في نهايه المطاف ولهذا جاء ذكر العله التي منعهم من الإيمان فقال تعالي (واذا جاءتهم ايه قالوا لن نؤمن حتي نوتي مثل ما أوتي رسل الله أعلم)

ان تلك البواعث من الحسد واردة احتكار رحمه الله وفضله تجعل هولاء يسعون الي محاوله تطويع الدين لمصالحهم فالكبر دفعهم الي التناول الي مقام الرساله واستغلالهم ما يحظون به من استعلاء عند الإبتاع لصددهم عن الإيمان هي أوصاف الأكاير وسمات الحضارات الماديه أنها تحارب القيم والمبادئ الدينيه فلة نظرنا الي من تزعم محاربه نوح نجد أنهم الأكاير فقالوا (ومانراك اتبعك الا اردلنا بادي الرأي) فكان عقابهم بالطوفان واتسمت حضارتهم بعباده الأوثان وكذلك فإن أصحاب عاد كانت حضارتهم عمرانيه وعبدوا الأوثان بالصيحه وفساد قوم لوط شذوذ مع ما هم فيه من رفاهيه ورخاء الرمي بالحجاره وهكذا الفراعنه ... بالفرق بالبحر فقد اتصفوا بالكبر وارتكبوا الجرائم لغفلتهم وتصورهم أن ما لديهم من مصادر القوه سوف تمنع عنهم العذاب فقد التقوا حول صفه الكبر ولهذا يقول لنا الحق (سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله كما تكبروا علي الحق يتوعدهم الله بالذل والهوان

ولهذا نجد الاظهار في قوله (صغار عند الله) اي الذل والهون الظاهر امام الخلق في ساحه الحشر علي الاستكبار فالصغار يقابل الاستعلاء عند الإبتاع والاستكبار عن الحق والتناول الي مقام الرسل ..وذكر بعدها قوله تعالى (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون)

اي العذاب الشديد الموجه المولم مقابل المكر ولما كان المكر إنما يكون في الخفاء وهو التلطف والخديعه قوبلوا بـ العذاب الشديد فناسب الاخفاء في قوله (عذاب شديد) تهويل العذاب وأنه يفوق الوصف والخيال ثم ذكر ان ذلك هو أنه ينقلب عليهم جزاء مكرهم فقد ورد انه يوم القيامة (ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان بن فلان)

والحكمه أنه لما كان الغدر يتم بالخفاء لا يطلع عليه الناس فيقوم القيامة يتم فضحهم علي الأشهاد اضافه الي شدة العذاب

ثالثا

(افمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون)

تبين الآيات أنه تعالي من يريد أن يهديه يوسع صدره بتيسير له طريق الحق حيث أنه يجعل له استناره بنور الايمان فيجد الراحة والسكون واللذة في طاعه الله فيكون سعيدا بطاعه الله فهذه علامه التوفيق وسلوك اقوم الطريق فهذه علامه سعاده العبد

مبيناً أن الذي يرد الله أن يضلّه فإنه يضلّه عن أسباب الهدايه فيجعل صدره ضيقا لايقبل الهدايه وهذه علامه شقاوه العبد

وهذا فيه الآتي

الموضوع الأول

ان الايه تبين أن هنالك علامات يعرف بها أهل السعاده وأهل الشقاء كما قال تعالي في هود (افمن كان علي بينه من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهوائهم) ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد بيان أن أسباب هلاك الامم يعود إلي اتباع أهوائهم وشهواتهم وانهم تركوا ما جاءتهم به انبياءهم من البينات والهدى ولهذا جاءت النصوص تربط الهدايه الخاصه بالهداية العامه حيث دلت النصوص أن الوصول للهدايه الخاصه التوفيق والسداد مرهون

بقبول الهدايه العامه وهي اتباع الرسول والقبول بما جاء به من عند الله لقوله تعالى (فما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري)

اي أنه تعالي سوف يسهل له الوصول إلي طريق الهدايه الخاصه والسعاده والفلاح
وذكرت أن المخذول هو (وأما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري)
اي سوف نسهل له طريق الشر فيكون مخذول غير قابل للحق حيث يجد مشقه وضيق في صدره من الحق
فهو تعالي يقول (والذين اهتدوا زدناهم هدي) ويقول (فلما ازغوا ازغ الله قلوبهم والله لا يهدي
القوم الفاسقين)

فالمقبلون علي منهج الله يجدون النور الذي ينيير لهم الطريق والمعرضون يتيهون في ظلمات الشرك والجهل والظلام

فهدياه السداد إنما يكون لمن اتبع الرسول وما جاء به من ربه ولم يتبعوا اهوائهم (وهذا صراط ربك مستقيماً... الخ
وهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (قل هذه سبيلي ادعوا الي الله علي بصيره انا ومن اتبعني)

فمن اتبعه يدعو إلي الله علي بصيره والبصيره هي البيئه وهو تعالي يقول (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له
نوراً يمشي به في الناس) فالنور الذي يمشي به هو البيئه والبصيره وقال تعالي (الله نور السموات والأرض)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

قال ابي بن كعب وغيره هومثل نور المومن وهونوره الذي في قلب عبده المومن الناشئ عن العلم النافع والعمل
الصالح وذلك بينه من ربه ولهذا قال تعالي هنا (فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام... الخ وقال تعالي
في موضع آخر (افمن شرح الله صدره للإسلام فهو علي نور من ربه)

ومن هنا نفهم الارتباط بين الايه وبين قوله تعالي (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس)

فأراد بهذا بيان أن شرح الصدر لقبول الانوار هو تيسير وتسهيل ذلك للعبد هو من النور الذي قذفه الله في قلب
عبده اي البيئه وهو الهدي المذكور في قوله تعالي (ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين... الي قوله (اولئك علي
هدي من ربهم) يقول ابن تيميه أن استعمل حرف الاستعلاء في هذه الايه لأن القلب لا يستقر ولا يثبت الا اذا كان
عالماً موقناً بالحق فيكون العلم والايمان صبغه له ينصبغ بها كما قال تعالي (صبغه الله ومن احسن من
الله صبغه) ولهذا يقول الحق (كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لا يؤمنون) يجعل للكافر علامه الشقاء والخذلا
ن

لأن النور يحتاج الي مكان صالحا كي يستقر فيه كما قال تعالي (قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اني عامل فسوف
تعلمون)

والمكانه أو المكان تطلق علي ما به يستقر الشئ عليه ولهذا فإن المتهدون لما كانوا علي هدي من ربهم ونور وبينه
وبصيرة صار مكانه لهم استقروا عليها فهم واقفون مطمنون واثقون بالله

بعكس من عبد علي حرف أن اصابه خير اطمأن به وان اصابه سوء انقلب علي وجهه فإن هذا ليس ثابتاً مستقراً
مطمناً فهو مثل الذي واقف علي حرف الودي فإذا اصابه سوء سقط علي وجهه

الموضوع الثاني

لماذا اختار الصدر للانشراف وما علاقه هذا بقوله تعالى عن القران (شفاء للصدر)

الجواب

الصدر دائره أوسع من القلب والنفوس حديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري)

فالربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فشبه القرآن أنه به الحياه للقلوب والنور الذي تحصل به الإضاءة والاشراق وايه السابقه قد جمعت الاضاءه والاشراق فقال تعالى (أو من كان ميتا فأحيناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس)

وهنا جاء بذكر النور أنه عطاء لمن اراد الله له أن يخرج من الظلمات فذكر شرح الصدر لانه أوسع من القلب فجاء التشبيه بأنه اي النور يسري من الصدر الي القلب لانه قد حصل لما هو أوسع منه ولهذا ذكر بعدها أنه معلما يملي الصدر انورا تجعله منشرا مطمئنا فإنه يملي صدور الكفار الذي يرفضون الايمان بالرجس

الموضوع الثالث

تبين النصوص اهميه أن يتعاهد العبد قلبه بتذكيره بالآخره وان يعرضه عليه وان يصنه من اسباب الدنيا ومن ذكر ما يجز الي الحرص والرغبه فجاءت الايه بعد بيان هلاك الذين يتبعون اهوائهم من الأمم

فهؤلاء قد طلبوا الدنيا وما فيها من جاه ومال فالنفوس مبيته علي اساس الطمع فهم يطلبون الزيادة من الدنيا و اله الطمع الحرص وهيجان الرغبه فيها ولهذا فإن الدنيا قهرته علي موافقه هواها فصرف عقله وقلبه إليها فامتلا صدره بالظلمات ولهذا فإن هذه القلوب غير صالحه لاستقبال انوار الله لأن قبول المحل لما يوضع فيه مشروط بتفريغه من ضده ولما كانت قلوبهم مملئيه بالباطل ومحبتة واعتقاده فإنه يجد مشقه وضيق يصل في شدته لحاله ضيق من يحاول صعود السماء لانه لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبتة موضع فهو لا يفهم الحق لان صدره امتلي بالشبهات والشك والخيالات التي لا وجود لها والعلوم التي لا تنفع

فهو قد استصحب ما يعسر عليه قبول الهدايه التي هو بحاجه اليها في جميع شؤونه

فإن خراب القلوب هو سبب نفوذ الشيطان إليه فانه اذا وجد القلب خرابا ومغطي بدنس الكفر والمعاصي فإنه يجد منفذا ومدخلا كي يتسلط علي الإنسان فإذا وجد القلب عامر بذكر الله وبنوره فإنه يخنس ويفر

ونور القلب إنما يكون مع اليقظه وحياته لانه إذا غفل مات واظلم وطفي نوره فتسور عليه ابليس بالاثام فإذا أصر عليها ورضي بها علاه الرين فاظلمه واستقر ابليس فيه ثم سلك به سبيل الاثام الي أن يوصله ويوقعه في الكبائر

فأكثر ما يعجب ابليس هو ظلمه القلب وسواده وانطفاه نوره ولهذا قال تعالى (كذلك نجعل الرجس علي الذين لا يؤمنون)

المبحث الثاني

يقول الحق أن هدايه الله إنما تكون لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه اي الكتاب والسنة فقال تعالى (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون)

فمن اعتصم بحبل الله المتين الذي فيه العلم النافع المنافي الجهل والعمل الصالح الصادق متوجها إلي الله بإخلا

اص وصدق ومحبه ليس في قلبه الا الله تعالى موقنا وثابتا علي الحق فالله قد فصل الشرائع في الخير والشر في وضوح لالبس فيه لكن لاينتفع به إلا من كان في يقظه بدوام محاسبه النفس ودوام الذكر لله ينظر الي مافيه النهايه المحموده فمن أراد الاخره فعليه أن يحضر ااداتها وان يشتغل في طلبها ويستعملاتها بالشوق الي ما عند الله ولهذا قال تعالى (لهم دار السلام عند ربهم وهووليهم بما كانوا يعملون)

وسميت الجنه دار السلام لأنها خاليه من كل عيب ومن المنغصات فهي في غايه الكمال

فاهلها هم الذين اتبعوا ماجاءهم الرسول من ربه ولم يتبعوا اهوائهم وشهواتهم وهم قد اتبعوا منهج الله طلبا لرضوان الله

فان الخير يهدي الي الخير معلما أن الشر يهدي الي مزيدا من الشر

فهم قد امتثلوا لله في العباده والاعانه فاخرجهم الله من ظلمات الحيره والشك والظلمات الي نور الايمان والحق فهو تعالى يقول (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)

وهنا يخبرنا أنه ولي من اتبع صراط ربهم المستقيم فهو تعالى يتولي تربيتهم وتديبير أحوالهم بأن يوافقهم الي مافيه سعادتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع ١٤ من سورة الانعام

(ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياءهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار معوئكم خالدن فيها إلا ماشاء الله أن ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياه الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمه أن يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما انشاكم من ذريه قوم آخرين أن ما توعدون لات وما أنتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا علي مكائتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون)

اولا

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (ويوم يحشرهم جميعا)

ويوم ظرف زمان فالسامع عندما يسمع هذه الكلمه يدرك أن النص فيه تذكير بحدث وقع أو سوف يقع علي وجه التأكيد.....ولهذا نجد أن النص جاء استطرادا وامتداد لما سبق فناسب هذا مجئ الايه معطوفه علي ما قبلها بحرف العطف (الواو) لازاحه الشبهات

وكشف نهايه وعاقبه كل فريق حيث والحدث الذي تناقشه الآيات هي إثبات مساله البعث والنشور والحشر و الحساب والعقاب والعواب لأن الكفار من الانس والجن ينكرون حدوثه ووقوعه كما أبرزت النصوص في المقطع السابق والتي أوضحت أن ذلك يعود إلي عدم الإيمان باليوم الآخر فقال تعالي (ولتصفي إليه افئده الذين لا يؤمنون بالآخرة وليعرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

وبينت النصوص أن شياطين الانس والجن يستغلون الغفله الناتجه عن حب الدنيا وايعاره لاضلال الناس و علمنا كذلك من المقطع السابق ان النظرة الماديه للحياه جامع مشترك بين أهل الكفر اي ان نظرتهم محصوره في تحصيل الشهوات والملذات وينكرون أن يكون هناك حساب وعقاب ومن هنا كان مكر الاكابر لاضلال العباد والا فساد ومحاربه دين الله وانبيائه والاعتداء علي سلطان الله فهم يستبعدون العوده للحياه بعد الموت ولهذا فهم يعيشون في ظلمات الكفر والشرك والشك والحيره لا يخرجون منها بينما المومنون ينظرون أن الحياه الدنيا دار عمل لدار القرار التي يكون فيها أما الي الجنه او النار فأخبر الله أن هولاء في يقظه دائمه ولذلك لهم دار السلام ولهذا انتقل الي كشف نهايه الكفار من خلال بيان مصائر الانس والجن وعاقبتهم لبيان الآتي

الأمر الأول

تحذير المومنين من الغفلة ومن النظرة الماديه للدنيا فيقول لنا أن نهايه ذلك الهلاك والتعاسه والهلاك فالمومن ينظر للدنيا أنها مزرعه للآخرة وان السبيل الوحيد للنجاه والسلامه إنما يكون بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يوصل الي دار السلام والسعاده وان من يسلك طريق آخر فإنه يبعث ويحشر مع فريق الهالكين والأشقاء ولهذا جاء العطف اي واذكر يامحمد يوم يجمعهم الله جميعا في ساحه الحشر لتقويه قوي العقل والفرائز فينظر ان سعاده في الآخرة

الامر الثاني

ان فساد اهل النظره الماديه للدنيا يعود إلي اقامه نظام حياتهم علي فكره العقلانيه المجرده التي كان ابليس اول من قال بها عندما اعتراض علي أمر الله له بالسجود لادم فقال أنا خير منه اي عارض منهج الله تحت هذا الشعار القائم علي العقلانيه المجرده ولذلك وصف الله مكر الأكابر في المقطع أنه يلحق بهم وهم لا يشعرون لبيان ان عقول هولاء مخادعه تزين لأصحابه الشر خيرا فهم يؤثرون المعصيه علي الطاعه والدنيا علي الدين والجهل علي العلم يقول معاذبن جبل :-

العلم حياه القلوب من الجهل ومصباح الأبصار من الظلمه وقوه الأبدان من الضعف يبلغ بالعبء منازل الاخيار والا برار والدرجات العلي في الدنيا والآخرة)

ولهذا فإن الذي لا يعمل لاخرته فهو جاهل مهما كان لديه من العلوم الماديه فالعقل ينبغي أن يكون تابعا للشرع لا عكسه ولذلك ارسل الله الرسل وانزل الكتب فيها تفاصيل الأمور الغيبيه فيها الاخبار عن ثوب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في الحسنات وترهيبا من المعاصي فالعقل البشري لا يستقل بمعرفته في إثبات المعاد وأحوال الجنه والنار والحشر وما يرضي الله وما يغضبه

ولهذا قال تعالي (ويوم يحشرهم جميعا) حيث وبالإجابه عن السؤال الذي يطرح نفسه وانت تتأمل الإيه وهو لماذا جاء الحديث عن الله تعالي بضمير الغيبه فقال تعالي (ويوم يحشرهم جميعا) ولم يقل (ويوم نحشرهم)

فالمخاطبين هنا بالأخبار هم المومنون الذين آمنوا باليقين الجازم بما جاء به القرآن فهم يقروان كل ما يعرض عليهم وفقا لما أخبرهم به القرآن ولهذا لابد أن نقف علي معني الحشر وما يراد لنعرف الجواب لماذا جاء الحديث عن الله بضمير الغيبه وعلاقته بموضوع الفرق بين نظره المومن للحياه ونظره الكافر

ان الحشر لغه يعني الجمع كما قال تعالي (وأرسل في المدائن حاشرين)

والحشر اصطلاحا:-

عبارة عن سوق الخلائق بعد بعثهم ونشرهم احياء من قبورهم وجمعهم في ارض المحشر للعرض والحساب وفصل القضاء

ثم يساقون الي دار الجزاء وهي إما الي الجنه او النار

والحشر اربعة ائنان في الدنيا وهو سوق اليهود بني النضير من المدينة الي الشام لقوله تعالي (هو الذي اخراج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) والثاني المذكور في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال إن الساعه لن تقوم حتي تروا عشر آيات منها نار تخرج قبل يوم القيامه من حضرموت فتسوق الناس الي ارض المحشر)

وأما الحشران اللذان في الاخره فمهما

الأول حشر الناس بعد بعثهم الي ارض المحشر للحساب والثاني

فهو سوق الناس من ارض المحشر بعد الحساب أما الي الجنه او النار

ولهذا فإن الحشر من الأمور السمعيه التي يجب الإيمان بها كما تتلقاها عن الله في كتابه وسنه رسوله سواء العوده للحياه باجسادنا أو الحساب أو الصراط والميزان والجنه والنار كلها أمور غيبيه لايعرفها العقل الأمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فإن المومنون تلقوا ذلك بالقبول والإيمان بها كما أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء التعبير عنها بضمير الغيبه لأن المومنون تقرر عندهم باليقين الجازم ان الله سوف يحشر الخلائق كلها

في حين خفي علي الكفار والمشركين لأن نظرتهم للأمور ماديه كما أوضحنا ولهذا كانوا ينكرون وقوعه

فهذا هو الفرق بين سماع المومنين وسماع الكفار يعود إلي ان نظره المومنون الي الموت أنها بدايه لحياه جديده ولهذا فهو يتشوق الي مشاهده المستقبل فهو يتذوق النصوص عند قراءتها يقف علي ما تعرضه الآيات من مشاهد شاخصه وهو يسمع الحوار بين الرب وهؤلاء المكذبون والحكم عليهم فتتشعر جلده خوفا من ذلك يشعر بالاهوال ومن هنا فإنه ينتقل به من السمع الي مشاهده ذلك المستقبل كأنه مائل أمامه فهو يتراقب الموت فيكون ذلك باعنا لليقظه ومحاسبه النفس فهو يمكن أن يداهمه في أي لحظه ولذلك فهو يسارع الي عمل الخيرات فالتصوير العجيب الذي ترسمه النصوص في حذف كلمه فيقول من جمله (يامعشر الجن) قادر علي نقل السامع المومن إلي اليقين من العلم باليقين الي العلم عين اليقين حيث ينتقل الي ذلك المستقبل ويتفاعل معه فينظر إليه كأنه واقع حقيقه أمامه يشعر بخطوره الاستخفاف بوسوسه الشياطين فيكون في يقظه دائمه

الأمر الثالث

لماذا قال جميعا فمن هم المقصودون بهذا ؟

سبق واوضحنا سابقا ان المقطع امتداد للمقطع السابق عليها والذي كما نعلم قد أوضح لنا أن أهل الشر هم من الانس والجن وانهم انقسموا الي فريقين

الفريق الأول:-

وهم القاده والاكابر والرؤساء وائمه الضلال الذين يقومون بوظيفه ابليس في ابطال المشروع الرباني ومحاربهه واغواء الآخرين فهم ائمه الضلال وقال عنهم تعالي (يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا) واخبرنا تعالي أنهم الاكابر والساده والمترفون فقال تعالي (وكذلك جعلنا في كل قريه أكابر مجرميها ليمكروا فيها...الخ

وأما الفريق الثاني ؛-

فهم الإبتاع المخدعون الذين لديهم استعداد للقبول بما يدعوهم إليه ائمه الضلال من الانس والجن وهؤلاء هم الذين يقعون ضحيه التزين والاغواء التي يدعوهم إليها شياطين الانس والجن فقال تعالي (ولتصغي إليه افنده الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

فاخبرنا الله أن ضلال هؤلاء واستعدادهم للغوايه يعود إلي أنهم ينظرون للحياه نظره ماديه فهم ينكرون وقوع البعث والنشور والحشر ولهذا يقول لنا الحق أنه سبحانه وتعالى يحشر الخلائق كلها وأنه سوف يحشر هؤلاء الذين أنكروا الحشر جميعا اي القاده والاكابر والرؤساء وائمه الضلال من الانس والجن

وكذلك الإبتاع المخدعون الذين اتبعوا الاكابر والساده وائمه الضلال من الانس والجن فأراد بقوله (جميعا) اي حشر كلا الفريقين أن الحديث الذي نتحدث عنه النصوص متعلق بمصائر الكفار في إطار هذان المعنيان حيث تعرض الآيات في المشهد الاول مصير القاده والاكابر والرؤساء للضلال من ائمه الكفر من الجن والانس ثم تعرض في المشهد الثاني مصير الإبتاع المخدعون الذين اتبعوا الاكابر والساده والمترفون

ثانيا

بعد أن أخبرنا الحق أنه حشرهم جميعا القاده والاكابر والرؤساء وائمه الضلال وكذلك الإبتاع المخدعون تعرض لنا النصوص ذلك من خلال مشهدين منفصلين الاول يصور مصير القاده والاكابر والرؤساء للضلال وائمه الكفر من الجن والانس ولهذا ابتداء النص في المشهد الاول بالنداء بقوله تعالي

(يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياءهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار معوثكم خالدين فيها إلا ما شاء الله أنريك حكيم عليهم)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

لاشك أن النداء بقوله تعالى (يامعشر الجن) ومعشر يقتضي الاجتماع والاتفاق والتعاون علي القيام بأمر التقت اردتهم حوله وانصرفت لتحقيقه ولهذا يطلق علي الأطباء معشر الأطباء ومعشر المهندسين وهكذا ولهذا فإنه يفهم من النداء أنه توجه إلي طائفه من تلك الطوائف التي أخبرنا الحق أنه يحشرهم جميعا

وهذه الطائفه هم ائمه الضلال الذين جمعهم المشروع الابليسي وهو الأغواء وتزين الباطل والسعي لنشر الفساد في الأرض وابطال المشروع الرباني وهذا يشمل ائمه الكفر من الانس والجن

فالله يقول لنا في موضع آخر (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الي صراط الحليم وقفوههم أنهم مسئولون)

ولما كان الحشر المتعلق بالآخره نوعان الأول الجمع في ساحه الحشر بعد البعث لأجل الحساب والنوع الثاني هو السوق الي الجنه او النار والايات تناقش كلا النوعين

ولما كان القرآن الكريم قد أوضح لنا أن الحشر يكون جمعهم غير مختارين وانه يكون بعد الجمع التفريق بين اهل الجنه واهل النار ثم يكون جمع كل صنف من أصناف الكفر والشرك مع ما كانوا يعبدون ولما كانت النصوص قد بينت أن المشركون يعبدون الجن ويعبدون الأكابر والساده من البشر عندما يطيعونهم من دون الله

ولهذا يعرض النص علينا مشهد ائمه الضلال من الانس والجن

الأمر الثاني

ان الايات تعرض لنا أساس منابع الانحدر الفكري وأسس مناهج الشر في تصوير دقيق لتسلسل مدرسه الشر التي اجتمع حولها ائمه الضلال من الانس والجن ولهذا كان تقديم ذكر الجن بالنداء علي ائمه الضلال من الانس . مع أن الله أخبرنا أن ائمه الضلال من الانس والجن شياطين يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا ولهذا فإن تقديم التوبيخ لشياطين الجن اشاره الي منابع مناهج مدرسه الشر بأن ابليس اول من أسس مدرسه الشر وذريته في بدايه الامر فقد ظل دورهم في الأغواء محصورا عليهم حتي زمن تأسيس مدرسه الشر البشريه علي يد قابيل الذي يعد أول بشري ارتكب الجريمة في الأرض وحينها كان اندماج مدرسه الشر الابليسه ومدرسه الشر البشريه في إطار واحد

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (قد استكثرتم من الانس)

اي شددتم في طلب الكثره من الانس فأشارت الايه الي أن الهدف الذي اجتمعوا حوله هو السعي لحشد عدد كبير من الناس

فالسعين والتاء في (استكثرتم) للطلب فدل هذا علي أنهم نالوا هذه الكثره والتي تعبر انه صدق ظن ابليس في الكثير من البشر كما أخبرنا الله فقال تعالى (قال رب بما اغويتني لازين لهم في الأرض ولاغويتهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين)

فالاخبار من الله للجن بهذا مع أنهم يعلمون أنهم قد جمعوا اعداد كبيره من الانس يراد به تسجيل الجريمه عليهم

لأن منابعها واصوال جذور منهاج مدرسه الشر تعود إلي ابليس والمردة من ذريته ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى يقول لنا أن البشريه كلها مستهدفه من الشيطان واعونه بهدف جمع اعداد كثيره من البشر علي الضلال فالله يقول في موضع آخر (قال اريتك هذا الذي كرمت عليا لئن اخرجتني الي يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا منهم)

فابليس وأعوانه قادرون علي حشد الأنصار وهم أصحاب مهاره في انتقاء الأهداف وحشد العناصر اللازمه للنجاح واستثمارها بما له من قدره علي الاغواء واستغلال ما بداخل الناس من غرائز وشهوات ليكون انطلاق البشر به تحت قيادته بغرائزها وشهواتها فيكسر اعداد العاملين في مجال الشر والاغواء والعصاه المتمردون عن أمر الله فأراد بهذا التحذير من اتباع الشيطان وخطواته فكلمه الحشر فيه أنه جمعهم غير مختارين وان الكثره لم تنفعهم ولهذا كان التائب والتقريب علي الجريمه في هذا الحشد المجموع

الأمر الثالث

لم يأتي الجواب من شياطين الجن علي السؤال الإلهي (قد استكثرتم من الانس)

بل جاء الجواب من اولياءهم من الانس فقال تعالي (وقال اولياءوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

المبحث الأول :-

ان مبادره ائمه الضلال وقاده الشر من شياطين الانس بالجواب

له عده مدلولات نذكر منها الآتي

١

فيه دلالة علي أنهم هم المتهمون اصلا فهم قد استجابوا لدعوه الشيطان فقد ترددوا في ظلمات الشك والجهل والظلام والتخبط باتباع الهوي الذي اوقعهم في سناك الشيطان وانقادوا لما يدعوههم إليه فالايه تشير الي نهايه من استسلم لهواه فيقول لنا الحق أن ذلك تكون عاقبته الهلاك في الدنيا والآخرة فقد أخبرنا الحق بوصفهم في الدنيا فقال تعالي (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكنون الا بأنفسهم وهم لا يشعرون)

٢

في الايه ايماء أن كل انسان يوسوس له الشيطان الخفي بشي من الباطل فإنما يكون تأثيره لمن لديه استعداد لقبول الباطل والشر حيث أن دور الشيطان هو تقويه دواعيها وعندها يمتزج ويختلط الشيطان بكيان الإنسان فيصير جزء منه

٣

الايه توصف حال من اتخذ ابليس مطايا ضلال فمسارعه ائمه الضلال من الانس بالاجابه تبرز كيف أن إبليس تمكن منهم فصاروا تراجعهم ينطق علي أسنتهم كأنهم بلا عقول

فأراد الحق بهذا أن يجعل العبد يشاهد مستقبل من اتخذهم ابليس مطايا ضلال المغفلون فهذه هي طبيعتهم بعدم تقدير عواقب أقوالهم وافعالهم لبيان اهميه سد الثغور التي قد يجد الشيطان منها مداخل ينفذ منها قبل أن تقفوا في مواقف هولاء الذين استخفوا بالعواقب ولم يستعدوا لليوم الآخر

المبحث الثاني

ماهو الاستمتاع المذكور. في قول شياطين الانس (وقال اولياءؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

المتاع من اللذه حيث أن النص متعلق بقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الي اوليائهم ليجادلوكم)

وقال تعالى (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا)

فمن اللذه ما احس به من متاع الاستلذذ بتسخير الجن له كما هو حال السحره وقد أخبرنا الله أن هولاء اشتروا تعلم السحر والتنجيم والطلاسم والكهانه مقابل بيع نصيبهم من الاخره فقد أعلمنا تعقيبا علي الذين يتعلمون السحر في سوره البقره (واتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمان.....الي قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخره من نصيب)

وكذلك فإن استمتاع الجن بالانس وهو أنهم اطاعوهم ومنها أن الجن تجد المسراه عندما يجد من الانس من يلوذ إليه مستعاذ بهم لأن ذلك يزيدهم شرفا في أنفسهم وعظما في نفوسهم لأن الاستعاده إنما تكون متوجه الي الأ قوياء الذين تحتاج إليهم لانتقاذك من شرور هاجمتك أو ضيق اوشده فتبحث عنمن ينقذك من ذلك وهذا شرك كما قال ال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

والاستمتاع بالشئ هو أن يتمتع به فينال به ما يطلبه ويريده ويهواه ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء كما قال تعالى (فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضه)

ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وائمه الرئاسه كما يتمتع الملوك والساده بجنودهم ومما ليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس ومنه قوله تعالى (ومتعوهن علي الموسع قدره وعلي المقتر قدره)

وفي الجملة فإن استمتاع الجن بالانس حيث يخدم كلا منهما الاخره بما يشبع كلا منهما هواه فتجد ان الانسي يستخدمه في الاخبار بالامور الغائبه كما يخبر الكهان قال تعالى (الا انبئكم علي من تنزل الشياطين...الخ

وكذلك فإن الشياطين من الجن تجد اللذه بطاعه الانس لهم ولهذا أخبرنا الله أن من التجاء أو استعاذ بغير الله فقد أشرك وخرج من الإسلام الي الكفر وذلك فيه اعتداء علي ربوبيته تعالى ولهذا ابتدا حديتهم بقوله تعالى (ق) الو ربنا) فقد اقروا واعترفوا بربوبيه الله التي طالما انكروها

المبحث الثالث

قوله تعالى (وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

قالوا لقد انتهى الامهال الذي امهلتنا إياه قد انتهى بالموت وهذا متعلق بالاستمتاع لانه تعالى كما قلنا قال بشأن من يتعلمون السحر (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخره من خلاق)

والخلاق يعني النصيب كما قال تعالى (فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم...الخ

فهم باعوا الاخره بالدنيا

ثالثا

بعد هذا المشهد الذي ترسمه النصوص للمجرمين من ائمة الضلال من الانس والجن وبعد اقامه الحجج عليهم يأتي الحكم فيقول الله (قال النار معوثكم خالدين فيها إلا ما شاء الله أن ربك حكيم عليم)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

اخبار من الله تعالى جل شأنه بما هو فاعل بهؤلاء الذي أخبرنا أنهم تعاونوا علي اضلال الناس فاخبرنا أنه قال لهم أن النار هي المكان الذي أعده وادخره لهم يقيمون فيه اقامه دائمه فقد تضمن هذا التهديد لهؤلاء الذين وعدهم الله به في رده علي ابليس عندما أعلن أنه سيكون له من الانس مطايا اضلال فقال تعالى (قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاءكم جزاء موفورا) ولهذا يقول لهم الحق أن نار جهنم هو المدخر لكم فيه العذاب الذي وعدناكم به فقد وجبت لكم عذابي وسنزيد كلا بقدر كفره واضلاله عذاب يفوق الوصف لاملجا لكم منه وانتم ماكنون فيه

الأمر الثاني

قوله تعالى (الا ما شاء الله)

يبني عقيدة المسلم علي الاعتقاد بالمشئيه المطلقه لله تعالى في كل الامور فهي من أهم قواعد التصور الإسلامي فهو تعالى يرفع من يشاء فله كمال المشئيه وله السلطان المطلق في الجزاء ولكنه جعل مايشاء متعلقا بكمال حكمته و بعلمه وحده لا بعلم غيره ولهذا جاء التعقيب (أن ربك حكيم عليم)

فالمخاطب هنا بالتعقيب الرسول صلى الله عليه وسلم وليس اولئك الذين أخبرنا الله أنه حكم عليهم بالعذاب الدائم

وهذا لارتباط التعقيب بقوله تعالى (إلا ما شاء الله)

لبيان ان الحكم من مقتضي حكمته فهو حكم في تدبيره في خلقه وفي تصريفه إياهم وفق مشئيته من حال الي حال وغير ذلك من الأفعال فهو سبحانه وتعالى (عليم) بعواقب تدبيره وما إليه صائر أمرهم

رابعاً

بعد أن انتهت النصوص بذكر فصول المشهد الاول الذي تناول مشهد قاده وائمه الضلال من الانس والجن فختتم بـ الحشر الثاني وهو سوق هو لاء الي النار باعلان الحكم تأتي النصوص بعدها بقوله تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)

هذه الايه تبيانت حولها اراء المفسرون لعهه اراء حيث ذهب البعض للقول انه يراد بها أنه ما من ظالم الا ويسلط الله عليه ظالم مثله بسبب عمله القبيح كما سلت الله شياطين الجن علي الانس

وقال البعض أنه وكذلك يجعل الله بعض الظالمين أولياء بعض

الي غيرها من الآراء

وبالوقوف علي النص الذي ابتدأ بقوله تعالى (وكذلك نولي)

في إطار الحديث عن الحشر والحساب للفريق الأول من الكفار وهم الاكابر والساده شياطين الانس والجن الذين

جمعهم مع بعض لانهم اتفقوا علي مصلحه محاربه المنهج الرباني واغواء الاخرين ولانه تعالي قال في موضع آخر (احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله)

فذكر انه بمثل ما تم جمع الاكابر والساده والمترفون شياطين الانس بشياطين الجن يتم توزيع الاصناف بعد ذلك من الذين ظلموا اي انه يجمع الاشباه ونظائرهم كما ذكر في الايه السابقه وكما قال تعالي (واذا النفوس زوجت) فيجعل الزناه مع بعضهم. والطفاه والمستبدين وحدهم بحيث أن كل جماعه تتبع بعضها بعضا في المولا ه وهو المتابعه بين الشئ والشئ كما قال تعالي (ويوم نحشر من كل امه فوجا ممن يكذب بايتنا فهم يوزعون) اي أنه يحشر من كل امه جماعه وهم رؤساءهم المتبعون (فهم يوزعون) يجمعون برد آخرهم الي أولهم ثم يساقون الي جهنم

ومما سبق نفهم سبب مجئ هذه الايه (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) بين المشهدين التي عرضتهم النصوص فالمشهد الاول حكي جمع ائمه الضلال الرؤساء والقاده الذين كانوا يدعون الي الضلال وهم شياطين الانس والجن فقال تعالي (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياءهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا قال النار معوئكُم خالدين فيها إلا ما شاء الله أن ربك حكيم عليم)

وبين المشهد الثاني (يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا علي أنفسنا وقررتهم الحياه الدنيا... الخ

فإن الخطاب في المشهد الثاني هو للضعفاء الذين اغواهم المستكبرين من الانس والجن وذلك للاتي:-

الأمر الأول

ان المشهد الاول عرض حصول الحشر أن اللذان في الاخره حشر الجمع للحساب واقامه الحججه عليهم بقوله تعالي (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياءهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

وهذا فيه بيان أن هولاء الائمه الذين كانوا يدعون الي النار كما قال تعالي بشأن فرعون وهامان وجنودهم (وجعلناهم ائمه يدعون الي النار ويوم القيامه لا ينصرون واتبعتهم في الدنيا لعنه ويوم القيامه هم من المقبوحين) وهم كانوا يستكبرون بالقوه والجاه في الدنيا ولهذا أظهر حاله الضعف وانهم لم يعد له عذر ولبيان قبح صورتهم ولهذا إعلان الحكم (قال النار معوئكُم خالدين فيها... الخ

وهذا فيه عرض حصول الحشر الثاني وهو السوق الي جهنم

ولهذا فمن غير المعقول أن يعاد النداء مره اخري لنفس الطائفه بعد إعلان الحكم والامر بسوقهم الي فدل هذا قوله تعالي (يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي.. الخ متعلق بصنف آخر غير الصنف الاول

الأمر الثاني

ان المشهد الاول عرض فيه الاجابه من شياطين الانس بقوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

ولم نجد النقاش واللوم الذي أخبرنا عنه القران الكريم في أكثر من موضع بل نري استسلام للعذاب من قبل هذا الفريق من الانس (استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

وكذلك فإن الجن لم يجيبوا ولم يظهرُوا عذرا ...

ولو أخذنا بقول من قال ان المشهد الثاني هو لنفس الفئه فهذا القول يعني التعارض بين النصوص لكن الخطاب في المشهد الأول لطائفه الأكابر والساده من الانس والجن بينما الخطاب في المشهد الثاني هو للاتباع الضعفاء من الانس والجن يلحق كل صنف برسائهم من ائمه الضلال للاتي

١

ان القرآن الكريم عندما أخبرنا عن الجدل والتخاصم بين أهل النار أخبرنا أن ذلك بين طائفتين الأكابر فقال تعالى (وبروزا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص)

فدل هذا أن المستكبرين موقفهم قبيح فهم مستسلمون فهو ينسجم مع قوله تعالى (استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا)

٢

ان الحق ذكر في موضع آخر قول المستضعفين (ربنا ارنا الذين اضلانا

من الجن والانس نجعلهما تحت اقدمنا ليكونا من الاسفلين)

اي من سن الضلال وهما ابليس وقابيل وشياطين الانس والجن

٣

وكذلك أخبرنا الله ان تعالي ينادي يوم القيامة كما قال تعالي (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هولاء الذين اغويانا اغويانا هم كما غويانا تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون)

كون طاعه الأكابر في معصيه الله تعني عبادتهم ففرعون لم يعبده قومه كما تعبد الأصنام وانما اطاعوه علي ما فيه تنازلهم عن كرامتهم وعقولهم قال تعالي (فاستخف قومه فاطعوه)

ولهذا فإن الخطاب في المشهد الاول هو للاكابر وائمه الضلال من الجن والانس

الأمر الثالث

فالخصام إنما يكون بين المستكبرين من الانس والجن وبين الإلتباع المخدعون من الجن والانس كما ورد في أكثر من موضع في القرآن

ومنها قوله تعالي (واحشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهداهم الي صراط الحجييم ...الي قوله تعالي (واقبل بعضهم علي بعض يتسالون) اي يتلاومون ويتخاصمون (قالوا انكم كنتم تاتوتنا عن اليمين) اي أن الإلتباع يقولون للمتبعين عن الجهه التي كنا نثق فيكم لحلفكم اليمين انكم علي الحق فصدقكم واتبعنكم والمعني انكم اضليتونا وهنا يقول المتبعون (بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما ظالمين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغوياناكم انا كنا غاوين) يقول الحق بعدها (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين)

بمثل اشتراكهم في العقوبه كذلك نفعل بالمجرمين حيث نعذب التابع والمتبع بسبب أعمالهم ولهذا قال تعالي هنا

(كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون)

اي نجمعهم في العذاب حيث يكون إلحاق كل تابع بمتبوعه التي تجمعهم معه في الجريمة ولهذا يأتي الخطاب لهو لاء الإلتباع لاقامه الحجه عليهم فقال تعالي (يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا علي أنفسنا وغرتهم الحياه الدنيا وشهدوا علي أنفسهم)

وهذا فيه الاتي

المبحث الاول

ان الجن مكلفون مثل الانس وان الجن اصناف فيهم المسلمون وفيهم الكفار وان الكفار اصناف فيهم الشياطين وهم اكابر مجرميها متبوعين وفيهم ضعفاء تابعين مثلما أن الانس اقسام اكابر قاده ومتبوعين وضعفاء تابعين وهذا ما أخبرنا الله به في سوره الجن قال تعالي (ومنا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا)

وقوله تعالي (ومنا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)

ولهذا قال تعالي (الم ياتكم رسل منكم)

والسؤال هنا هل هنالك رسل من الجن ارسلهم الله للجن ؟

الجواب :-

الظاهر كما ورد في سوره الاحقاف والجن أنهم ليس لهم رسل من جنسيه الجن وانما الرسل البشر هم مرسلون لانس والجن بدليل قوله تعالي في الاحقاف (وإذ صرفنا اليك نفر من الجن يستمعون القران فلما حضروا قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الي قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الي الحق والي طريق مستقيم...الخ

وأما قوله (منكم) فهي للتغليب مثل قوله تعالي (مرج البحرين يلتقيان)(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

مع أن اللؤلؤ والمرجان يستخرج من المالح دون العذاب وكان يقال لجماعه الدوران في هذا الدور شرا وان كان الشر في واحده منها فيخرج الخير عن جيمعها ولهذا فإن المراد هنا بالرسول ما يعمر ارسال الرسل فهو تعالي أخرج العذر وازاح العله بسبب أنه أرسل الرسل بالايات الواضحه فكان في هذا اقامه الحجه عليهم ولذلك

ابتدأت النصوص بالاستفهام (الم) الهمزه استفهام انكاري فيه توبيخ وتقريع لهؤلاء علي استجابتهم لائم الضلال و التقرير بقطع الأعذار عليهم بالاشاره الي أن هؤلاء الضعفاء يتعللون بمن اغواءهم من الاكابر ولهذا يقول لهم الحق (الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وهذا فيه

نفي وجود عذر لهم فهم مشتركون بالعذاب مع رؤوساهم من ائمه الضلال لانه قد أرسل إليهم الرسل الذين بلغوهم أوامر الله يدعونهم الي التوحيد وعباده الله فقال تعالي (الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا)

والسؤال هنا هو ؟

ماذا كان رده فعلكم من دعوه الرسل والأنبياء الذين ارسلهم الله اليكم

يخبرونكم بما يريد الله منكم ويرضاه وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي يوم القيامه والوقوف بين يدي الله هل

تجاوبتم مع دعوه الحق ؟

ام انكم اتبعتم قادتكم واصفيتهم لا باطلهم ؟

فأراد اظهار أن هولاء لاعذر لهم فهم كانوا ادوات في يد الاكابر تنازلوا عن كرامتهم وعطلوا حواسهم لم يكونوا يشعرون بالمسؤوليه فقد كذبوا الرسل واشركوا بالله وبالتالي فلا عذر لهم

فياي الجواب

(قالوا شهدنا علي أنفسنا)

اي اعترفوا بأن الرسل قد بلغوهم بأمر الله وحذرهم من عذابه فدل هذا علي أنهم اعترفوا بأنهم كذبوا آيات الله وانكروا حصول البعث والنشور

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي الوصف الإلهي الذي يبين فيه ما الذي حمل هولاء علي اذيه الرسول عندما بعثه الله إليهم ومحاربه الدعوه واستجابتهم للساده والاكابر ورؤساءهم فقال تعالي (وغرثهم الحياه الدنيا وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

فأشارت النصوص الي انحراف هولاء ليس لنقص البينه أو عدم وصول العلم بشأن اليوم الآخر إليهم والجنه والنار أو أنه ليس لديهم عقول فليس الأمر كذلك بل إن وقوعهم في الغوايه يعود إلي أنه كان منهم ايثار الدنيا علي الاخره فهو سبحانه وتعالى سبق وأن أخبرنا انه إنما يستجيب لائمه الضلال الذين لا يؤمنون بالآخره فقال تعالي (ولتصفي إليه افئده الذين لا يؤمنون بالآخره وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون)

فهم كانوا منخدعون بزينه الدنيا يطلبون العزه من خلال طاعه الاكابر والظلمه يطلبون الاستعلاء بالجاه والسلطان والمال والقوه فقد كانوا يطلبون العلو في الأرض والافساد ولهذا انخدعوا بالدنيا وكان منهم ايثار المعصيه علي الطاعه وإيثار الكفر علي الدين

واكتفي الحق بذكر الحياه الدنيا عن ذكر المعاني التي غرثهم اكفاء بدلاله الكلام علي ماترك ذكره وذكر شهادتهم علي أنفسهم فقال تعالي (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

للاشاره الي نهايه أمرهم فأراد بهذا التحذير من سلوك هولاء

والسؤال هنا كيف ورد ذكر أنهم شهدوا علي أنفسهم بالكفر مع أنه تعالي ذكر في موضع آخر قوله (والله ربنا ما كنا مشركين)

وهذا لا تعارض فيه كون الايه تناقش اقامه الحججه علي هولاء وقد أخبرنا تعالي قبلها أنه يكون تقسيم الإلتباع مع المتبوعين وفقا لما اكتسبوا من اعمال الظلم والشر ولما كانت الأعمال من الجوراح فإن الشهاده علي النفس هنا لا تكون باللسان وانما من الجوراح وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في سوره فصلت بذلك فقال تعالي (ويوم يحشر أعداء الله الي النار فهم يوزعون حتي إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي أنطق كل شي وهو خلقكم اول مره وإليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون... الخ

خامسا

بعد إغلاق موضوع الحشر المتعلق بالكفار وتقرير عقابهم تأتي النصوص بقوله تعالى (ذلك أن لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون)

وبالوقوف على الايه نجد الآتي

الأمر الاول

ابتدأت النصوص بالاشارة الي نفي اهلاك القرى بشر أعمالها قبل الانذار فقال تعالى (ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى) اي أن سنه الله أن لايهلك القرى قبل ارسال الرسل يحذرون الناس من العقاب والايه ذكر فيها هلاك
القرى والهلاك إنما يكون بهلاك أهلها وحذف الأهل يشير إلي عموم العذاب وشدته وانه لا قبل لهم به وأنه يلحق به
الذي صنع الظلم الذي تسبب بهلاك الحضاره أو اولئك الذين يعيشون في تلك القرى اي التابعين للقاده والاكابر
وقد أخبرنا الله في المقطع السابق أنه جعل في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها فهم من يخرجون الأرض
عن صالحها بارتكاب الظلم الذي هو وضع الشيء في غيره محله من خلال المكر السيء الذي يخدعون الإبتاع به
وهنا قد يقول قائل ما ذنب الضعفاء أن يهلكوا مع أنهم لم يكونوا أصحاب قرار في هذا الأفساد الذي هو عله الهلاك
فمن صنع الأفكار والنظريات والتصورات الفاسده وإخراج الأرض والحياه عن صلاحها هم الأکابر

ولهذا ابتدأت الايه بقوله تعالى (ذلك) لبيان ان ما ذكره تعالى في الايه السابقه من ارسال الرسل للناس قيل أن
يعاقبهم هو لقطع الأعدار عن الناس والتعلل بالجهل وكذلك لقطع اعدار الإبتاع الذين يتبعون قادتهم ورؤساءهم
فيقول الحق هنا أن ارداه الله الكونيه بتمكين الأکابر وتسلمهم بما أعطوا من مظاهر القوه في الدنيا والتي
انخداع بها الضعفاء ليس عذرا للاحتجاج من قبل هو لاء الضعفاء علي عدم المسؤوليه عن أتباعهم الأکابر فليس
الخوف من بطش الأکابر والطمع في التقرب منهم لانه بايديهم كل مافيه القوه والنصر والرفاهية سببا مانعا من
مقاومه الظلم ولا مبررا للتنازل عن كرامتهم ولا يعفي عنهم المسؤوليه في القيام بالخلافه وعباده الله وحده والا
ستعلاء به وحده ولهذا جاء نفي ارداه الله الشرعيه في اهلاك القرى بسبب ظلم وفساد الأکابر دون أن يرسل
الرسل الذين يحذرون الناس من مغبه ما هم فيه من فساد ف الله يحاسب الناس علي ما كانوا فيه مختارين
وطالما قد أرسل إليهم الرسل فقد كانوا مختارين لو انهم نظروا الي الدنيا أنها زائفه وان السعاده الحقيقيه في الا
خره فإنهم حينها سيكون لهم عظيمه عاليه وهمه قويه تسعي إلي الاستعداد ليوم لقاء الله تعالى ولهذا نفي الله
عنهم الغفله وقال تعالى (واهلها غافلون) وحذف القرى هنا

الأمر الثاني

كما أن الايه تكشف عن التلاوم والتوافق بين اعمال الأمم والحضارات والعقوبه التي نزلت بها ولهذا جاء الاشاره
الي أن الظلم سببا لهلاك الأمم فقال تعالى (بظلم) والظلم يعني وضع الشيء في غير محله سواء كان ظلم الإ
نسان لنفسه بالشرك أو ظلم الإنسان لبني جنسه واي نوع من انواع الظلم

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن سنه الله تعالى اقتضت أن لايهلك الأمم بعذاب الاستئصال الا بسبب اقترافها الظلم بكافه صوره في أصلها أو
فرعها والظلم يعني وضع الشيء في غير موضعه وهو يعني هنا الشرك لأن النصوص إشارات الي ارسال الرسل بعد
ذكر جمع المجرمين من كل الأمم فقال تعالى (الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا)

فالله قد جعل مدخل الرسل كلهم لتغيير حياه الجاهليه هو التوحيد فاخبرنا هنا أنه قد أقام الحجه بما أنزل مع

الرسول من آيات الله سواء اداله التوحيد أو المنهج الرباني فإذا قبل الناس ذلك سهل عليهم بعدها الخلاص مما هم فيه من فساد الأمر الذي يتطلب تطهير أنفسنا من الظلم ولهذا يخبرنا الله أن الظلم من دواعي الهلاك والاستئصال بالعذاب في الدنيا والآخرة سواء كان الشرك بعباده الأصنام أو كان ظلم الإنسان لبني جنسه برفض القبول بمنهج الله أو كان الاعتداء علي سلطه الله تعالي واستعباد الناس فالايه امتداد لما قبلها فيقول لنا تعالي أن ارسال الرسول بسبب أنه تعالي لم من سنته في تربيته خلقه أن يهلك الأمم بعذاب الاستئصال بسبب ما ارتكبوا من ظلم قبل ارسال الرسول ليبيّنوا لهم ما يأمرهم به ربهم

المفهوم الثاني

تبين النصوص أن العذاب الذي يقع علي الظالمين يتناسب مع الجرم الذي ارتكبته من جنسه ولهذا يدعوا الحق السامعين الي السير في الأرض وقراءه الحضارات الماديه وما كان من أحوال أهلها ومعرفه أسباب السقوط للحضارات الماديه ومظاهر السقوط والاستئصال فسوف تجدون أن كل امه حل بها عذاب يتناسب مع الذنب الذي تم ارتكبه كما قال تعالي في سوره العنكبوت (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحه ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

ولهذا جاء تنكير الظلم فقال تعالي (بظلم) اي أن كل امه انزل الله عليها عقاب يتناسب مع ذنبها

المفهوم الثالث

يلفت الحق نظر الخلق الي سنته الماضيه في الاستخلاف ويحدثهم أنه يهلك الأمم بالذنوب رغم قوه هذه الأمم فيخبرنا أنه من يتأمل دليل الحدث التاريخي ويربط ذلك بالدين وما حمله الرسول الي قومه منذ فجر البشريه الي اليوم يجد أن هنالك قانون الخلفه المطبق في الأرض فمن تجبر في الأرض واستكبر علي آيات الانبياء ونسي نعمه الله ووجد كما جحدت الأمم السابقيه فإن هذا يكون قد انسحب من قانون الاستخلاف فابيد وطويت صفحته وهذا كله يتم بعدل الله ف الله لا يظلم أحد انما الناس يظلمون أنفسهم

ولهذا يقول الحق (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون)

الأمر الثالث

يقول لنا الحق بأن من قواعد الاجتماع علي الشئ هو القبول به وان ذلك يعني أنك سوف تعاقب بذات العقوبه التي لحقت بمن ارتكبه ومن استلذ به ولهذا جاء تنكير (بظلم) وذكر بعدها أن الهلاك عم جميع أهل القرية (بظلم واهلها غافلون) اي ان العقوبه قد شملت جميع المجرمين قاده واتباع رؤساء ومروسين فلا عذر للاتباع الضعفاء ولامفر لهم من العذاب وان هذا العذاب بحقهم عدل من الله لانهم قد اشتركوا بالجريمة للاتي

المفهوم الاول

أن هولاء خضعوا للاكابر بالخروج عن طاعه الله وهذا يعني الخروج عن شرف الخلفه التي تعني أن يحافظ الإنسان علي مكانه في الوجود الذي سخره الله لخدمه الإنسان وأمر الله الكون كله بما فيهم الملائكه بالخضوع لادم ولهذا فإن علي الإنسان أن يتخلص من الجهل بأن يعرف قيمه ذاته وان شرف إنسانيته ان يكون عبدا لله فمن كان جاهلا بقيمه ذاته وكرامته وأصبح بلا ارده فإن هذا يكون ظالما لنفسه ويكون في غفله ولذلك ارسل الله الرسول لحاجه الناس الي ازاله الجهل والظلم اللذان من أوصاف الإنسان فقال تعالي (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

وهذا يعني أن التخلص من ذلك إنما يكون بالعلم والعدل ولذلك

فكل رسول أرسله الله الي قوم جاء لمدواهم امراض تلك الامه الناجمه عن الامراض التي تسلت إليهم نتيجه ظلم ا
لاكابر والمفسدين بالأرض وقد انزل مع الرسل المنهج الذي فيه الدواء والعلاج لتلك الامراض ولهذا فإن قبول الإ
تباع ما هم فيه من داء ورفضهم الاستجابة للرسول يجعلهم شركاء بالجريمه مع القاده فهم قد حذرتهم الرسل ف
الغفله تكون بغيب عن الإنسان بعض الحقائق او احدها حيث أن الحضارات الماديه تقوم علي معرفه الماده وإنكار
خالق الماده ولهذا يرسل الله الرسل ليبينوا لهم الحقيقه التي تغيب عنهم وهي الإرشاد للطريق المستقيم الموصل
لخالق الماده فلا تأثير في الحياه الا تأثير الرب ولهذا يخبرنا سبحانه وتعالى أن اهلاك القرى بعد الانذار هو تربيته
منه للمجرمين وإرسال الرسل ولهذا استعمل لفظ الربوبيه فقال تعالي (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم
واهلها غافلون)

المفهوم الثاني

ولما كان المنهج الرباني وإرسال الرسل نعمه من الله لعباده لانه تربيته لهم وإرشادهم الي طريق الصواب لأن الغفله
تعني نسيان الإنسان ذكر الله وبالتالي فإن هولاء في غفله عن ربهم فإن ذلك يدفعهم الي طلب العون والقوه من
غيره تعالي فهم وان كانوا تابعين الا أنهم يلحق بهم العقاب مثل الاكابر

فالظلم الذي هو الشرك إنما يتسلل الي الإنسان من خلال مشاعر القلب فمعلما أن الإيمان منه أمور خفيه واجزاء
ظاهره فإن الشرك مثله وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك قاعده فقال (الشرك اخفي من دبيب النمل
علي الصفاء في الليله العلماء وادناه أن تحب علي شي من الجور وان تبغض علي شي من العدل وهل الدين إلا
الحب والبغض فعندما يكره الناس العدل ويحبون الظلم وعندما يصير مألوفاً علي الناس مسانده الظالمين ولو ي
السكوتة آزاء الحق وعندما ينسحب منهج الله من حكم النفوس والحياه والسلطه فإنه يعني انكسار قانون من
قوانين الخلافه في الأرض ويعني أن الناس كلهم مذنبون لانهم قبلوا ورضوا إهدار دور التوحيد في حكم اسلوب
الحياه وهيئته عليها وهذه هي قمه الغفله والظلم الموجب للهلاك

الأمر الرابع

أن تركيز النصوص علي أن الظلم بأصله وفروعها سبب هلاك الامم وأنه يؤدي الي الغفله التي تمنع العبد من الا
نتفاع بمنهج الله الذي فيه تربيته الناس وتخليصهم من الجهل والظلم يعني أن عليك تكون في يقظه من أمرك فالإ
يمان يزيد وينقص فإذا زادت نسبه الظلم علي نسبه العدل زحزح العبد عن مرتبه الايمان الي مرتبه أخري فإذا
دخل في مرتبه الفسوق وزاد فسقه بالمعاصي والتعدي علي حدود الله استحق النار والعذاب هو والكافر تعني أن ا
لإيمان يزيد وينقص وكذلك فإن الكفر يزيد وينقص ولهذا يقول لنا الحق،(ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل
عما يعملون)

فاشار الي أن توزيع الناس في العذاب أو الثواب في الجنه مراتب ومنازل كما هم في الدنيا مراتب ومنازل كما قال
تعالي (انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)

ولهذا فإن عليك أن تركز اهتمامك بالتنافس علي منازل الجنه لتكون في العليين فالله يحصي الأعمال ويجازيهم
عليها ولهذا أشار إلي أنه أحاط بها علماً ليكون ذلك أوقع علي النفس بأن عمله كلها مسجله ولهذا فإن ذلك يقتضي
محاسبه النفس قبل أن تحاسب وهذا من عوامل اليقظه

المبحث الثاني

القسم الثاني

تأتي النصوص بعدها بقوله تعالي (وربك الغني ذو الرحمه أن يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما

انشاكم من ذريه قوم آخرين أن ما توعدون لات وما أنتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون)

وهذا فيه الاتي

اولا

ابتدأت النصوص بقوله تعالى (وربك) وهذا فيه لفت الإنتباه الي أن الفاعليه والتاثير بيد الله وأنه يعطف علي عباده بعباده وانعامه وإحسانه ولهذا استخدم لفظ الرب لأن من معاني ذلك أنه الخالق والرزق والتدبير اي وخالقكم ورزقكم ومولاكم في سائر الامور فالايه فيها

أن عليك ايه العبد أن تشعر انك محتاج الي الله وأنك في غايه الضعف وأنه تعالى عندما أمر عباده بعبادته وأرسل رسله إليهم وجعل العقاب والثواب علي الاعمال فهو تعالى لايعني بذلك أنه محتاج الي الناس فلن يزيد في ملكه عباده الناس كلهم شي وان عصيانهم لن ينقص من ملكه وعظمته وجلاله وكماله سبحانه وتعالى شي تعالى جل جلاله عن ذلك علو كبيرا ولهذا قال (وربك الغني ذو الرحمه)

فالنص يدل علي قصر الغني به تعالى وحده لاشریک له كما قال تعالى (ياايها الناس انتم الفقراء الي الله والله هو الغني الحميد)

فدل هذا أن العبد محتاج الي الله تعالى وقد وصف الله نفسه بعد ذلك بأنه (ذو الرحمه)وكلمه ذو تعني صاحب اي صاحب الرحمه المطلقه بعباده رحمه وسعت كل شئ فهو تعالى ارحم بعباده من آلام علي طفلها فلو تأملت صور الرحمه الانسانيه علي الارض من رحمه الأمهات والاباء بالابناء والعشاق بمن يحبون ورحمه الإخلاء والأصدقاء كل رحمه في الأرض موجوده أو فنيت منذو خلق الأرض الي أن تقوم الساعه فهذه الرحمه الهائله كلها جزء من مائه جزء خلقه الله ف الله قد احتفظ لنفسه بتسعته وتسعين جزءا وانزل الي الأرض جزء واحد فقط

فرحمه الناس ببعضهم البعض سجينه بحدود طاقه الإنسان وهي مقيده بقدر عطاءه الذي ينفذ وهي لاتتسع الا قدر مايسعه احتمال عقله وعطاء قلبه أما رحمه الله فلا حدود لها ووسعت كل شي فلا يمكن أن تقاس عليها الرحمه البشريه أو تقارن بها فرحمه الله عرفت طريقها لك قبل أن تولد منذو أن كنت ايه الإنسان ذره في صلب ادم حين تعرف الله اليك واشهدك علي الوهيته فشهدت وأخذ عليك عهدة فاقررت قال تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم علي أنفسهم الست بربكم قالوا بلي شهدنا)

فقد تعرف عليك قبل أن تولد وتولي رعايتك وانت في بطن أمك منذو كنت نطفه وادوع في قلب امك من الرحمه ما يدفعها الي العناية بك ورعايتك لقد ساق اليك إحسانه وعطاءه وانعامه وأرسل اليك الرسل والأنبياء يحملون المنهج الرباني الذي به تعبدونه ولم يعاقبكم علي العهد الفطري الذي أخذه عليكم فأرسل الرسل رحمه من الله تعالى

ولهذا قال بعدها (أن يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما انشاكم من ذريه قوم آخرين)

أنه تعالى كما احدثكم وابتداعكم بعد خلق آخرين كانوا قبلكم لمن قال إن معني (ذريه) من ذر فنقول ذرا الله الخلق بمعني خلقهم لأن اصل الانشاء الأحداث

وبالوقوف علي النص نجد انها توجهت بالخطاب الي المكذبين في زمن الرسول و أن الايه فيها اظهار رحمته تعالى بأنه لم يهلك

المخاطبين بعذاب الاستئصال بسبب الذنوب كما حدث مع الأمم السابقه مثل قوم نوح الذين أهلكهم الله وكان

نشأه البشريه من ذريه المومنين وهذا المعني الذي ينسجم مع السياق التي وردت فيها النصوص فهو تعالي يقول أنه أرسل الرسل بشكل عام رحمه للناس وهذا من رحمته ولم ياخذهم بمقتضي عهد الذريه الذي اعترف الخلق ب الله وهم في عالم الذر اي عالم الارواح والغيب فلم تكن الأرواح قد ارتدت ثيابها الجسديه ذات الصور المختلفه و المصالح المتباينه فقد اعترفوا بربوبيه الله وهم أرواح في ظهر أبيهم آدم ولهذا نجد المقطع جاء فيه تكرر كلمه (وربك) في أكثر من ثلاثه مواضع (أن ربك حكيم عليم) (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى.. الخ

وهنا قال تعالي (وربك الغني ذو الرحمه) لان النص امتداد للمقطع السابق جاء فيه استطراد ذكر ربوبيته تعالي وايضا للاشاره الي إقرار العباد بربوبيته وهم في عالم الذر وأنه بقي عليهم أن يعترفوا بعبوديتهم لله وهم أجساد علي الارض فالاعتراف بالربوبيه يقود مباشره للاعتراف بالعبوديه لانه لا تنازع من حيث ربوبيته تعالي وانما النزاع حول الوهيته ولهذا أرسل الرسل رحمه بالناس

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تهديد العباد من بطش الله وعذابه فقال تعالي (أن ماتوعدون لات وما أنتم بمعجزين) النص جاء فيه (أن ما توعدون لات) ما اسم موصول بمعني الذي وقد حذف الضمير من الصله والمعني أن الذي توعدون لات لتأكيد حصوله لأن هذه الامه انجاها الله من عذاب الاستئصال وجعل العذاب في الاخره ولهذا كان الكلام بالبناء للمجهول لمزيد من التهديد وهذا الإبهام مقصد من مقاصد البيان يهدف للوصول بقوه الي أعماق المشاعر الداخليه للنفس ليذهب كل واحد في تصوره له كل مذهب فيكون له تأثير علي السامع لبيان اهميه الايمان باليوم الاخر في توجيه السلوك نحو الطريق المستقيم لانه يتضمن الاشفاق من العذاب في نار جهنم فعندما تدرك باليقين انك سوف تعاقب علي أفعالك فإنك لن ترتكب الجريمه فارتكاب الجرائم يعود إلي عدم الإيمان باليوم الاخر باليقين أو التساهل بالركون لمساله الإفلات من العقاب كمن ينظر أن انتسابه للصالحين يعفيه من العقاب ولهذا قال تعالي بعدها (وما أنتم بمعجزين)

استعمل الضمير (انتم) ليغرس في نفوسهم الاحساس والإدراك أنهم لن يستطيعوا الإفلات من عقابه فهم ضعاف وفي قبضته فليس من شأنهم الوقوف امام أردته تعالي ولا قوه لهم في ذلك

ولم يذكر الحق سبحانه وتعالى اسمه الكريم لنفي عدم قدرتهم علي إعجازه لبيان انه يستحيل علي احد أن يعجزه وقد نفي عموم الاعجاز عنهم بعد أن ذكر في الايات السابقه احاطته علما بكل شي والقدرة والعلم بهما يكون الجزاء

ثالثا

تختتم النصوص بقوله تعالي (قل يا قوم اعملوا علي مكائتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون)

ابتدأ النص بالنداء (قل يا قوم) فيه التودد يذكرهم بصله القرابه التي تربطه بهم بمعني أن هذه القرابه الأصل أن تدفعكم الي الايمان والتصديق بما انذرتكم به فأنتم تعرفون من اكون اي أنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه الصادق الامين فلماذا يتركون الاصرار والعناد فما هم فيه نهايته معروفه وهو الهلاك والعذاب في نار جهنم فدل أن هذا يعود إلي أنهم ينظرون إلي المال والجاه والسلطان أنه فيه القوه والنصر والعز فهم في شك وريب من الاخره ولهذا قال

تعالي (اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون)

فدل هذا أن الإيمان استقر في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وترجع في مكانه فهو واثق من نصر الله لدينه

في الدنيا والآخرة ولهذا يقول لهؤلاء علي سبيل التهديد أمضوا علي مكانتكم واعملوا باقصي قدرتكم واستطاعتكم من الكيد والاجتماع علي الباطل فإن النهايه معروفه

فعندما قال تعالي (قل) يعني قل هذا بعقبة بنصر الله تعالي فلا تبالي بهؤلاء قل ذلك باليقين الجازم الواثق بوعد الله بنصر أوليائه كما وعدك بقوله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ..في الحياه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنه ولهم سوء الدار)

ولهذا جاء التأكيد (فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار)

القاء لترتيب ما بعدها علي ما قبلها وسوف لتأكيد وقوع ما يخبرهم به في المستقبل اي اعملوا ما شئتم وانا سوف اعمل علي طريقتي ومكاني الذي ارشدني إليه ربي وسوف تدركون في نهايه المطاف من الذي يصل الي العاقبه المحموده نحن ام انتم

فذكر سنه الله (أنه لا يفلح الظالمون)

فالنص فيه بيان اهميه أن يدخل التوحيد لمنطقه المشاعر الداخليه للإنسان فيحب الإنسان ويكره بناء عليه فاخلاص التوحيد يعني محبه العدل وكراهيه الظلم فعندما تستقر هذه الحقيقه في النفس فانه ينزل التوحيد الي عمله الطبيعي ويكتسب معناه وفاعليته وهذا إنما يكون لمن كان علي بينه من ربه وبصيره ونور من الله يري فيه المستقبل أمامه فلا يضعف أمام الاغراءت ولايهتز أمام العواصف فهو يستعلي بالحق ويحب في الله ويكره في الله فهذا هو الأسس الذي استند إليه الاسلام في بناء عقيدته الجماعه الاسلاميه الاولي فحدثت ذلك التغيير لقد اعتمدوا علي الوحي الإلهي في قراءه الأحداث بربط الأسباب والمسببات المتعلقة بالعواقب برابط الدين والتدين وهذا أمر يحتاج منا اليوم أن نعيد ترتيب المفاهيم القرانيه بناء علي البحث والدراسه للتاريخ الإسلامي وربط ذلك بالدين ومواقفه الأحداث لمراد الله ام أن هنالك مخالفه المنهج الرباني في وصلنا إليه من الخيال والتخلف من الموكد أن النتيجة ستكون مرتبطه بالابتعاد عن منهج الله فإذا عرفنا البدايه لما نحن عليه اليوم فسوف نكون قادرين علي صناعه خط نخرج به من دائره الاختلاف والتخلف الذي نعيشه اليوم ونحن لاندرک اين خط البدايه من خط النهايه فالتخلف يقودنا الي الاختلاف والاختلاف يقودنا الي التخلف وهكذا ولهذا فلا نجاه لنا الا بدراسه التاريخ وان نحسن التشخيص للعلل ونحذر من الرضا بها أو أن يكون اساءه التشخيص فانه يستحيل ايجاد الدواء للداء ويتعذر بسبب أحدي تلك المسائل أو فصل تفسير الأحداث عن الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع ١٥ الانعام

بالوقوف علي ماورد في هذا المقطع نجد أنه جاء امتداد للمقطع السابق الذي تناول بيان أوجه المعركه بين الحق والباطل وان الناس ينقسمون الي فريقين فريق المومنون الذين ينتسبون الي مدرسه الانبياء والمرسلين ومن اهتدي بهدايهم وهؤلاء هم فريق مدرسه الخير والايامن والتي كان الاسلام هو الوريث لجميع صور الدين والتدين من ادم الي بعثه النبي وأنه في المقابل قد جمع الكفر كله في قالب واحد وإن تعددت صورهم فهم تابعون لمدرسه الشر الشيطانيه وان نهايتهم واحده وهي النار والهلاك والزوال وختم بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات علي عقيدة التوحيد فالعاقبه للمومنين فقال تعالي (قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون)

فقد اختتم الآيات ان الظالمون محرمون من السعاده والفوز والنجاح ولهذا ابتدأت النصوص ببيان أسباب هذا الحرمان فقال تعالي (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الي الله وما كان لله فهو يصل الي شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء ما فعلوا فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لايطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام

اولا:_____

أن أول ما يلفت الإنتباه أن الايات ابتدأت باداه العطف على ما قبلها (وجعلوا لله مما ذرا... الخ

اي أن الايات امتداد لما سبق والتي تناولت النصوص فيها بيان النهايه للمجرمين وفريق الشر والضلال من الانس و الجن الذين اجتمعوا علي محاربه الانبياء والمرسلين في كل زمان واخبرنا تعالي بمصائر الكفار من الانس والجن وما يلحق بهم من الهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة وختم بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم بالثبات علي العقيدة فالعاقبه للمومنين المتقين بإعلان المفاصله فقال تعالي (قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون)

ثم ذكر الله جل شأنه اوصافا للمشركين فقال تعالي (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لايطعمها الا من نشأ بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها

والسؤال هنا لماذا جاء الحديث بأسلوب الالتفات من النقاش بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركين الي العطف بذكر أوصاف تصور أحوال وأوصاف المشركين بالحكاية عن جوانب متعدده لأحوال المشركين فقال تعالي (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا..... الخ

وما هي أوجه الامتداد بما سبق في المقطع السابق كل هذا يتضح من خلال الآتي

الموضوع الاول

ان النص يهدف أن يعرف المومنين بسبيل المجرمين فلما ذكر العاقبه المفضله لما انتهت إليه شياطين الانس و الجن وأتباعهم وذكر السلامه والنجاه للمومنين واختتم بقوله تعالي لنبيه (قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار أنه لايفلح الظالمون) اي أن طريقي يختلف عن طريقكم فأنا علي

بينه ونور من ربي وبصيره وهدايه كما قال تعالي (قل هذه سبيلي ادعوا الي ربي علي بصيره انا ومن اتبعني وما أنا من المشركين) ولهذا كان الالتفات من الخطاب المباشر الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتوجه به للمشركين بإعلان المفاصله الي الوصف الذي يرسم أحوال المشركين وظروفهم وأعمالهم والأسباب التي كانت وراء الخذلان فهو تعالي يكشف ويوضح سبيل المجرمين بعد أن كشف سبيل المومنين غايه البيان حتي يشاهدها المومنون مشاهده البصائر للضياء والظلام وهذا إنما يتحقق بالمعرفه المفصله لسبيل المومنين وسبيل المجرمين حيث يستبين للسالك الطريق الموصل الي مقصوده والطريق الموصل الي الهلكه

فإن معرفه العبد مانال وما ظفر به ومقداره إنما يكون بمعرفه الأضداد لأن ذلك يودي الي تقويه الحب للخير وطريقه وايضا كراهيه الشر وطريقه ولهذا اختتم المقطع بقوله تعالي (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

فمن لم تستبين له سبيل الكفار فإنه تلتبس عليه السبل فيقع في سبل المجرمين فاللبس إنما يقع من الجهل بكلا السبيلين ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون)

وبالوقوف علي الآيات نجد انها تبين فساد المعتقدات والتصورات للأشياء والحقائق من قبل أهل الجاهليه كما يتضح من الآتي

الأمر الاول

تبين لنا أن الفكر الجاهلي يقوم علي الاساطير والخيالات التي يتناقلها الناس والرويات والأحلام دون أن ينتبها من صحتها ولهذا فسدت عقولهم حيث أن عقائدهم النصقت بالاساطير والخرافات فقال تعالي (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا)

والجعل تغيير هنيه شي وتحويله الي صوره مغايره لما كان عليه والنص هنا فيه وصف يذم افكار وتصورات المشركين

بيان ان نفوسهم وعقولهم وصل بها التعمق بالذهاب خلف الأوهام في مزاعم طلب الاسرار الي تفسير الأمور والأشياء والظواهر الطبيعيه كنزول المطر وخروج الثمار والحبوب والمزروعات من باطن الأرض وكل ما يخص شئون حياتهم والنشاط الإنساني الذي يزواله في الحياه من زرعه وتجاره وتربيته ثروه حيوانيه كلها تقوم علي فكره السحر والتنجيم والطلاسم والكهانه والأساطير والخرافات فصارت الأوهام والخرافات والكهنه هي التي تحكم أحوالهم واداه تفسيرهم للحقائق والأشياء فقال تعالي انظر الي هذا المثال لتري مدي سيطره الأوهام والخرافات عليهم فهو عطلوا مدراكهم وحواسهم حيث أنهم يقرون أن الله خالق الحرث والمزروعات والحبوب ويقرون أن الحيوانات الانعام الله هو الذي اوجدهما وابداع خلفهما ومع ذلك قاموا بالقي أوصاف عليها تعطي نتائج مغايره للحقائق التي خلق الله تلك المخلوقات ولهذا استخدام كلمه (وجعلوا) والتي تعني أنهم قاموا بإطلاق أوصاف وتفاسير لهذه المخلوقات يخالف العقل والمنطق إذ أن الأصل أن الخالق هو الذي يتصرف بمخلوقاته لأن الخالق هو المالك ومن له صفات التأثير في مخلوقاته والتصرف بها في حين أن هولاء قاموا بإطلاق بتقسيم مارزقهم الله تعالي من الحرث اي الزرع وكل ماتنبت الأرض والانعام قسم جعلوه لله وقسم لاصنامهم فقال تعالي (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا)

والمعني هنا يتجاوز أن يكون ذلك مجرد قول كما ذهب الكثيرون بل فيه وصف قبح تفكير هولاء وبيان أن عقولهم

مغلولة بقيود الأوهام والخرافات والمراد بهذا إبراز أن هولاء واقعون تحت أسر وخوف الأوهام التي قامت الأديان الجاهلية علي فكره تخويف الإنسان من اي شي لغرض السيطرة عليه وابقائه تحت نفوذ الموسسه الدينيه ورجالها ولهذا تذكر النصوص ولهذا نجد أن النصوص تظهر لنا كيف أن تفسير هولاء للظواهر الطبيعية والنشاط الإنساني جاء مختلط (وجعلوا) فأراد بهذا أنهم قاموا بتفسير القوي التي لها تأثير علي نشاط الإنسان والظواهر الطبيعية التي يكون بها نمو الثمار والحيوانات والتجاره بأنها منها ما يكون لله ومنها ما جعلوها للاصنام والكهنه فقالوا (هذا لشركائنا)

ثم بينت النصوص بعدها أن ذلك يعود إلي فكره تخويف الإنسان التي غرسها الكهانه في نفوس الناس جعلتهم يتجرون علي ما جعلوه لله بحيث إذا حدث اختلاط جزء منه بما جعلوه لاصنامهم تركوه وأما إذا انتقل شي مما خصه باصنامهم لم يعيدوه فهذا يعود إلي وقوع الإنسان تحت تأثير الخوف الذي حرص عليه الكهنه حيث خوفه من الطبيعه ومن المستقبل ومن نفسه ورسوموا صورهم مرعبه لله ليقولوا للناس أنه لا خلاص لهم من كل هذه المخاوف الا رجال المعبد فهم الوحيدون القادرون علي التخاطب مع الطبيعه واسكات غضبها ومعرفه أسرارها وهم الذين يتوسطون عند الله ويغفرون الأخطاء ويخلصون الإنسان من العذاب

ولهذا تجد من الناس التعامل مع الله بلا ادب ولا تعظيم ولانوقير لدرجه

ه انهم عندما يندرون نذرا لله فإنهم لايتلزمون به وفي المقابل فانهم اذا نذروا لاصنامهم بشي فإنهم يجتهدون غايه الاجتهاد بالوفاء بما يرونه حقا لها

الأمر الثاني

ترسم النصوص لنا صورته كامله لما هم عليه من أحوال في غايه القبيح والشنيع لبيان أن الخذلان يعود إلي أعمالهم الفاسده الناتجه عن فساد العقول والافهام فجاء وصف حالهم (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الي الله وماكان لله فهو يصل الي شركائهم ساء ما يحكمون) فالفهم العميق للايه يتجاوزالنظر فيه مجرد القول بأن يقولوا ماذكر أنهم قالوا وانما فيه وصف أعمالهم القبيحه التي استحقوا ماهم فيه من خذلان وحرمان من النجاح والفوز فهم عندما يقومون بالنذر لله أو إعطاء المساكين والفقراء يظهرون شي من التعالي من جعلهم له نصيبا مع اعتقادهم أن ذلك تبرع منهم ولهذا جاء بصيغه المجهول (نصيبا) فلم يعرفوه وهو تعالي مالك كل شي فالاصل أن العطاء يكون وفقا لحكم الله لا وفق الهوي وهذا فيه وصف لأعمالهم

في أن أعمالهم عندما تتعلق باصنامهم فإنهم يظهرون الموده والتقدير لها فهم يشيرون إليها (وهذا لشركائنا)

فلم يقولوا لاصنامنا فدل هذا الوصف أنهم يهتمون بما يكون للاصنام والاوثنان لشده التعلق بها فهم قد اشركوا الشركاء الذين لم يرزقوهم

فمن كان هذا وصفه فإن عمله يقتضي الخذلان والضللال والقول يقع مدلوله في القلب حالا اي الجزء وليس كذلك العمل فقد يتأخر جزؤه طويلا والايه قبلها متعلقه بالعمل وذكر العاقبه فذكر أن هولاء قلوبهم وهمتهم متعلقه بالا وهام والخرافات ولهذا ختم الايه (ساء ما يحكمون)

ساء من التعجب اي قبح ما يحكمون لبيان خسه هذه النفوس وسخافه العقول والافهام فالقسمه ضيزي لايقبلها عقل لبيان ان المنهج الإسلامي يرفض الخروقات والتقليد

الموضوع الثاني

(الدعوة الي تحرير الإنسان من كافه المخاوف)

لما ذكرت النصوص أن فكره الجاهليه تقوم علي فكره تخويف الإنسان من اي شي لغرض السيطرة عليه وابقائه تحت نفوذ الموسسه الدينيه ورجالها وذكر الحق أن من ناتج ذلك اذعان المشركين لما يمليه الكهان وجراتهم علي الله وختم أن هولاء يعانون من خلل فكري والحاله النفسيه التي يعيشتها هولاء تجعلهم يرون الاشياء والواقع بصورة مغايره لما يراها الإنسان الذي تحرر من كافه الضغوط التي أفرزتها الجاهليه فهم يرون القبائح أنها حسنه لانهم واقعون تأثير تخاويف الفكر الجاهلي

ولهذا اختتم بقوله تعالي (ساء ما يحكمون) فالقسمه ضيزي لايقبلها عقل لبيان ان المنهج الإسلامي

يرفض الخرافات والأساطير والتقليد الأعمى والتقديس للأشخاص ويدعوا الي تحرير الإنسان من كل يستبعده لأ ن تلك الضغوطات لها مخاطر علي الإنسان وتقيد حريته وتجعله اسير الأوهام والخرافات

ولذلك تأتي النصوص بعدها مبينه صوره أقبح وابشع واشنع بنظر الإنسان فقال تعالي (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون)

يقول الحق أنه بمثل ما حصل من ظلم المشركين لأنفسهم بأن جعلوا الأصنام والاوئان لها نصيبا مما خلق الله من الحرث والانعام فلم ينظروا أن الانعام نعمه من الله توجب منهم شكر الله وعبادته نتيجه الأغواء الذي صنعته شياطين الانس والجن اي الكنهه لإبقاء الإنسان تحت نفوذها وسيطرتها فإن الأوهام والخرافات لم تكن عقيدته فحسب لهؤلاء أفسدت قوي العقل بل إنها تجاوزت لتحكم جميع انواع شوون الحياه والإنسان نفسه وأسرتة فكان تخويف الإنسان من كل شي ومن المستقبل وغيرها من الأمور من الأسباب التي جعلت الجاهلي يقتل أولاده فقال تعالي (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

كيف أن قيام العقيدته علي المنفعه الماديه تودي الي اختلال منظومه القيم في المجتمعات فغياب المبادئ والقيم المستمده من عقيدته راسخه

تبنى مجتمع أشبه بالوحوش لاقيم له ولا انسانيه ولهذا تأتي النصوص مبينه كيف أن الموسسه الدينيه ورجالها الكهنه أفسدوا غريزه الابواه لأجل مصالحهم النفعية الماديه فالاصل أن الإنسان فيه غريزه حب الامتداد والذي يعني حب الأبناء فهم الذين يمتد ذكره بهم بعد موته فالإنسان يفرح عندما يسمع أن له مولود

لكن هولاء وصلت بهم الهمجيه أن يقتلوا أبناءهم سواء كان ذلك بشأن من قتل أبناءه خوف الفقر المدقع الذي يعيسته فقال تعالي (ولاتقتلوا أولادكم من املاق) أو خوف المستقبل (ولا تقتلوا أولادكم خشيه املاق) أو خوف العار بود البنات فكل هذا يعود إلي أن شياطين الانس والجن زينوا لهم هذا الفعل الشنيع نتيجه الوقوع تحت تأثير الأوهام والخرافات فقد وقعوا تحت تأثير الشياطين الذين استولوا علي قلوب الإبتاع وتحريكهم وفق اهوائهم فالكهنه استفادوا المنافع الماديه والجن استفادوا طاعه الناس لهم ولهذا قال تعالي (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم)

الأمر الثاني

ماهو الدين في قوله تعالي (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم)

يراد بهذا الاشاره الي دور البيئه الفاسده في إفساد الفطره التي خلق عليها الإنسان فهي الموافقه للإسلام فاخبرنا الله أن تعطيل العقول والافهام والوقوع تحت سيطره الأوهام والخرافات يعني أنك تكون صيدا سهلا لعصبه العمل

الشیطان ولفظ التزین یعنی أنه قبیح فی شکله فالفطره السلیمه لا تقبله لكن هولاء یخدعوا هولاء بتزین الفعل القبیح

الذی یفسد علی الإنسان تصور المعلومات ویفسد علمه فیجعله یری الحق باطلا والباطل حقا فیکون فی ذلك هلاک المغتر بهم الراکن علیهم

لدرجه ان یضع نفسه فی الهلاک (لیردوهم) و قتل الانبیاء هو أشد أنواع الهلاک لانک تقطع امتدادک فمن فسد علیه قوه تصوره فسدت أفعاله والجاهلیه من الجهل واللبس إنما یقع فیہ الجاهل ضعیف العلم فآخبرنا الله أن غرضهم أن یلبسوه بالباطیل لیجعلوه غامضا بالباطیل علی الفطره فلا یهتدوا الی رویه الحق فتغیب عقولهم ویبدأ فعلهم بقتل أولادهم وتهدم انظمه حیاتهم فهم واقعون تحت سلطان الشیطان لدرجه ان الواحد منهم یعجز عن التحکم بنفسه

ثالثا

یقول الحق أنه تعالی یصرف عبادہ وفق أردته ومشئئته عن حکمه بالغه وملك تام فتأثیر شیاطین الانس والجن علی الاتباع یعود إلی اراده الله (ولو شاء الله ما فعلوه)

ولهذا فإن علیکم البلاغ فالهدایه والرحمه من عطاء الله وفضله والاضلال والعذاب وتوابعها من صفه المنع

فقال تعالی لنبیہ (فذرهم وما یفترون) ای دعهم فلا تشق علی نفسك فهولاء فقدوا حریتهم وعقولهم فنفسهم لا ترید الحق ولا تطلبه فهی خسیسه قدره فهم ینظرون للدنیا أنها غایتهم فهم متمسکون بها فکلهم إليها فإنها اللائق بتلك النفوس لفساد ترکیبها فنظرتهم لاتتجاوز الحیاة الدنیا ولا یعلمون بالعواقب لفساد قوه التصور لديهم ولهذا قال بعدها (وما یفترون)

و (الافتراء) یعنی اختلاق الأكاذیب ونسبها الی الله فهی توثر الباطل یقول ابن القیم (أن نفس الکاذب معرضه عن الحقیقه الموجوده نزاعه الی العدم ومؤثره للباطل) وقولوبهم ونفوسهم متعلقه بالمطلب الادنی فكانت تلك المواد سببا لفساد القلب فالکذب یفسد القلب فاصل اعمال القلوب کلها من الصدق وضدها الکذب یعنی کل الصفات القبیحه فالکذب یهدی الی الفجور والفجور یهدی الی النار وبالتالی فإن هذه النفوس فارغه من اراده الحق وهی لاتطلبه فنفس هولاء متعلقه بما اعتادت من الاباطیل ولهذا نجد أن النصوص تنقل لنا صورته لتماذي هولاء فی الکذب والتضلیل بالاعتداء علی سلطه التشریع فقال تعالی (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا یطعمها الا من نشأ بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا یذکرون اسم الله علیها افتراء علیه سيجزیهم بما كانوا یفترون)

وهذا فیہ الاتي

الأمر الأول

لبیان ان المجتمعات لاتكون قابله لتغییر ما فیها من عادت سلبیه الا اذا كان أبناءه قد وصلوا لمرحلة بغض وکراهیه تلك العادات ومن هنا فإن أساس التغییر من داخل النفوس بحیث یكون تنقیه الأوعية القلبیة والنفسیة و الذهنیه من ركام الخبال والتخلف والجهل أما إذا كان أبناء المجتمع غیر شاعریین بما هم فیہ من ضلال فإن هذا یؤدي الی مزید من الجمود بالتعصب لما لديهم من عادت فلا یری قبح ما هو فیہ بل العکس فإنه یظل أسیرا لها ویزداد استراقاق عقولهم فإن ذلك یجعل المستهدفین غیر قابلین لما فیہ سعادتهم فعندما جاء الإسلام یدعو العقول للحضور والتأمل یدعوهم الی التحرر من هیمنه الأكابر كان هولاء الناس اول من وقف ضد دعوه التوحید التي تستهدف حمایه حریه الإنسان وصیانه العقول من الاسترقاق وفي ذلك خیر للانسانیة کلها لكن هولاء لم ینظروا الی ما فیہ سعادتهم لأن نفوسهم خسیسه

ولهذا فإن جوهر دعوه الاسلام هو تحرير الإنسان فالإسلام يقدر حريه الإنسان ويدعو الي احترام العقول نتيجته فساد قوه التصور والافكار الرديئه تفسد العقول والافهام وتكون غير قابله علي هجر ما اعتادت عليه فذكر صورته لما هم عليه من الجمود وما في أنفسهم من أوهام تصور لهم أمور كاذبه (وقالو أهذه انعام وحرث حجر لايطعمها ا لا من نشأ)

وانهم يرفضون التجاوب لما فيه مصلحتهم وحريرتهم لبيان صعوبه قطع العوائد فيجد المرء مشقه ويعجز صاحبها

الأمر الثاني

تبين الآيات ان عليك أن تحذر أن يتمكن الشيطان من بيت افكارك واردتك لانه إذا تمكن منك فإنه يفسد عقلك وقلبك وعندها فإنك تعين الشيطان علي نفسك لتحول بينك وبين ما ينفعك ولهذا يقول نجد النصوص تبين لنا أن تزين الشياطين لبعض المشركين جعلهم يقتلون اعز ما لديهم أولادهم الذي صور لهم الباطل حقا والحق باطلا فافسدوا قوه التصور لديهم وافسدوا علمهم المغروس في النفس فقال تعالي (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم) فأراد بهذا أنهم أفسدوا العلم الفطري ثم قال (فذرهم وما يفترون) اذا رأيت امثال هؤلاء فدعهم لانه من فسدت قوه تصوره وعلمه فلا امل فيهم فكلهم الي ما هم عليه لأن اصل ومبدا كل فعل ارادي فإنه عندها تفسد عليه الأ عمال والافعال الصادره عن الإنسان وسري حكم الكذب إليها عندها تصير الأفعال الصادره عنه كصدور الكذب عن اللسان فلا ينتفع لا بأعماله ولا بلسانه ولهذا ابتداء الآيات بذكر (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لايطعمها الا من نشأ بزعمهم)

فهو خبر عن الله موصول بما قبله لانه يوصف أحوال هؤلاء الجهله فهم كانوا يحرمون بعض الانعام والمزروعات عن الناس لتكون حكرًا للكهنه ورجال الموسسه الدينيه وكان حرمان العوام عن هذه الانعام التي سخرها الله لعباده وان هؤلاء اعتدوا علي سلطان الله في التشريع فقال تعالي (حجر لايطعمها الا من نشأ)

والحجر :-

تعني المنع والتحرير اي أنهم كانوا قد شددوا الحكم وفقد جعلوها محرمة علي غير الكهنه كتحرير انعام البحيره والسائبه والوصيله والحام فقد عزلوها لالتهتهم المزعومه فجعلوها للكهنه

وقد جعلوا الناس يتصورون أن هذا شريعته الله

فقال تعالي (لايطعمها الامن نشأ) والايه تبين أن التحريم كان مشدد في منعه فاستعمل كلمه (لايطعمها) والطعم يعني تحريم مجرد التدوق اي لاينال منها أي قدر ولو بالذوق (الا من نشأ بزعمهم) فاستخدام الزعم لبيان ان المنع افتراء وزعم باطل وكذلك منعوا أن يركب علي ظهور بعض الانعام وكذلك حرّموا أن يذكر اسم الله علي بعضها عند الذبح

فدل هذا أن الجاهليه كانت تدعي أن نظام حياتها قائما علي شريعته الله فكانوا يختلقون الأكاذيب ويخترعونها وينسبونها الي الله ولهذا قال تعالي أن ذلك (افتراء على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون) فاخبرنا تعالي أنه سوف يعاقبهم بما كانوا يفترون علي الله كذبا واستخدم السين في كلمه (سيجزيهم) لتأكيد وقوعه في المستقبل وأنه سيكون جزء وفاقا في شدة عذابه علي الكذب

الأمر الثالث

تبين النصوص كيف يكون حال الإنسان عندما تسيطر علي عقله الأوهام والخرافات والشرك يضل وتصبح الأفكار الرديئه تجول في قلوب الكثيرون يقول ابن القيم الكذب اول ما يسري من النفس الي اللسان فيفسد ثم يسري

الي الجوراح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد علي اللسان أقوله فيستحكم عليه فتغيب عنهم حقيقه أنفسهم ويظهر الاستعلاء بالجنس أو القبيله أو غيرها من الاصنام فقال تعالي (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم علي ازوجنا وان يكن ميتته فهم فيه شركاء)

فاخبرنا الله أن من سخافه العقول هو التعصب للذكوره وهضم حقوق النساء لدرجه جعلوا للرجال مافي بطون الا نعام خالصه لاتشاركهم النساء فيه شي اعتقادا منهم أن ذلك شريعته الله أن ولدت ذكر وان ولدت انثي فلا تذب وان كان ما انجبت البقره أو الشاه ميتته اكلوها هم وزوجاتهم فهذا فيه وصف لحالهم المتوحش ولهذا فإن القول هنا لايراد انهم يقولون ذلك باللسان وانما أراد بهذا وصف حالهم فأراد أن يخبرنا كيف يكون تأثير الأفكار والخواطر الرديئه عندما تتمكن من بيت افكارك وارتكك قال ابن القيم الكذب اول ما يسري الي النفس فيفسد عليها اقوالها ثم يسري من اللسان الي الجوراح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد علي اللسان اقوالها فيعم الكذب أقواله وأعماله وجوراحه فيستحكم عليه الفساد ويترامي دواه الي الهلكه إن لم يتدراكه بدوا الصدق ويقتلع تلك الماده من أصلها كما قال تعالي (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علي الله الكذب أن الذين يفترون علي الله الكذب لايفلحون)

ولهذا ختم بقوله تعالي (سيجزئهم وصفهم انه حكيم عليهم)

أن الله تعالي يصرف خلقه بين عطائه ومنعه وهؤلاء محرمون من عطاء الله جزاء لهم وعقوبه لهم علي رفضهم القبول بدين الله

وان تصرف الله في خلقه صادر عن حكمه بالغه وملك تام وعلم منه تعالي بهؤلاء

ولهذا يقول بعدها تعالي (قد خسر الذبن قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء علي الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين)

فإن قتل أولادهم ماهو الا عقاب من الله لانه تعالي يعاقب الكذاب بأن يقعه ويثبطه عن مصالحه ومنافعه لقد خسروا ما جاء به الإسلام من دعوه لتحرير الإنسان من قيود الأوهام والتقليد وتحطيم الاغلال التي صنعتها الجاهليه خسروا عقولهم وحريرتهم

وانت تقرا هذه الآيات تري كيف كان حال الناس قبل نزول القران في جفاف العواطف وقسوه القلوب الاب يذب ابنه ويحتقر زوجته فلا يسمح لها أن تأكل من الطعام الذي أعدته لزوجها فالاهواء تحكم الناس والسبل ملتسبه وفقدت الانسانيه فالناس وحوش فمن لم ينتفع بهدائه القران فإنه يقع في الخساره قال تعالي (قد خسر الذبن قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء علي الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين)

فاوضحت الايه أن الخساره محققه في الدنيا والآخرة خسران الولد وحرموا أنفسهم الطيبات كيف عم الفساد حياتهم كلها

١

أن هؤلاء حمقاء سفهاء اذا كيف لعاقل أن يقدم علي ضرر محقق وهو القتل خوفا من ضرر موهوم ومحمتم وهو الفقر فهو لاء عطلوا مدراكهم وحواسهم فلو تصوروا مافي ذلك من الالم والحسره لما فعلوا ذلك فلايصدر الفعل عن عاقل

٢

أن هؤلاء بلا علم بما ينفعهم ولا علم بما يضرهم

أن هولاء يطلقون الأحكام جزافا علي سبيل التحريم والتحليل فقال تعالي (افتراء على الله) ولذلك عقابهم بذلك العقاب

ولهذا فإنهم في شقاء وذنك فقال تعالي قد ضلوا

وعقب بنفي الهدايه عنهم فقال تعالي (وماكانوا مهتدين)

بعد أن ذكر ضلالهم وقساوه قلوبهم كما قال تعالي (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا) فهو تعالي يجمع بين الهدى والانا به ويجمع بين الضلال وقساوه القلوب فهذا هو حال المشركين الفاسد الذي كان سببا لحرمانهم من الهدايه والتوفيق والسداد والفوز والنجاح

القسم الثاني

سبق وأن تناولت النصوص احوال الدين التوحيد والنبوه والبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب والقضاء و القدر ثم أخبرنا الله عن مفاصد المشركين ومن ينحرفون عن منهج الله فذكر اوصافا لأحوال الناس عندما تغيب هدايه السماء كيف أن الإنسان يخسر نفسه وكرامته لانه يصبح عبدا لبشر مثله أو جماد وكذلك فانه يتحمل من الأعباء ما تجعله مثقلا بقيود واغلال الخرافات والأوهام التي تجعله يقتل فلذات كبده فتصبح حياتهم مضطربه وجحيم وعذاب استعباد الطبيعه له والأهواء ولما كان من ضمن الامثله التي أخبر الله بها أنها من أوجه الخساره أنهم حرموا علي أنفسهم بعض الثمار والزورع والانعام ابتدأت النصوص بقوله تعالي (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا من ثمره اذا أثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا أنه لا يحب المشرفين ومن الانعام حموله وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدوا مبين

وهذا فيه أنه تعالي يردهم الي الحقيقه الاوليّه التي ضلوا عنها المشار إليه بقوله (وجعلوا لله مما ذرا من الحرث و الانعام نصيبا فقالوا.... الخ

فهو سبحانه يردهم الي مصدر الحرث والانعام التي قاموا بإطلاق الأحكام في التصرف بشأنها بالاهوام و الخرافات والتقليد ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات.... الخ

اعلام من الله أنه تعالي هو الخالق الذي خلق وأوجد الجنات والانعام ابتداء فأخرج الحياه فهو تعالي الذي جعلها تنمو في تلك الأطوار والاحوال حيث أنه تعالي اوجد الجنات سواء المعروشه وهي التي تحتاج إلى سقف و دعائم مثل الكروم لتنمو عليها أو تلك التي تنمو في الارض فلا شئ يخرج عن كونه مخلوق من الله وحاجته الي رعايه الله ومن ذلك النخيل والزرع الذي يشرب من ماء واحد وارض واحده مع اختلاف أنواعها وطعمه وكذلك الزيتون والرمان المتشبه والمختلف في اللون والطعم

وأنه تعالي كذلك انشاء الانعام من الحيوانات لخدمه الإنسان فمنها ما يركب عليها ومنها ما ينتفع باكلها واصوافها واوبارها واشعارها فأراد بهذا الآتي

اولا

أن الآيات فيها دعوه العقل للحضور والتأمل والتفكير في مخلوقات الله وانعامه وإحسانه وعطاءه في إطار

مناقشه قضيه الحاكميه لله والالوهيه له وحده لاشريك له فأراد بهذا الحوار الرباني مع العقل البشري

الأمر الأول

اخراج الإنسان من سجن الخرافات والتقليد والاستبداد يقول له انظر الي مصدر الحرث والانعام فالذي خلقهما هو الله تعالي فهو المالك لهما وبالتالي فلا يجوز أن يتصرف في هذا المال الا بما أمر الله به وهو ما بينه في المنهج الرباني الذي انزله علي رسله وليس التقليد الأعمى

فإذا كان الله هو خالق كل شي وكل شي مخلوق خلقه الله تعالي لهذا يقول الحق لماذا تخاف من طبيعهه وتتنازل عن حريتك أمام الكنهه خوفا من غضب الطبيعهه فهي محكومته بسنن أوجدها الله تعالي لاتملك من امر نفسها شي ولا من أمر سواها

ولهذا فإن المومن كافر بكل ما عدا الله تعالي ولهذا فهو يتحرر من كافه الضغوطات والنزوات التي تثقل كاهله فهو لايرضخ لغير الله

الأمر الثاني

لفت الإنتباه الي قدرته تعالي وعطاوه وجزيل انعامه وإحسانه للناس فأخبرهم كيف انشاء الحرث وكيف سخر الا نعام وذلكها للإنسان لتذكير الإنسان بهذه النعم لبيان انه تعالي هو الرزق وبالتالي فهو المستحق للعبادة والطاعة وحده لاشريك له

فاخبرنا سبحانه وتعالى أنه هو من أودع سر الحياه في النواه فأخرج وأوجد الجنات والبساتين والثمار بأنواعها وكذلك اوجد الانعام وجعل لها أجهزتها واعضاءها المتعدده والمتنوعه بما يتناسب مع الوظيفه التي لأجلها كونها مسخره لخدمه الإنسان فمنها ما يوكل ومنها ما ينتفع بها في حمل الإنسان وامتعته فهذا التسخير لخدمه الإنسان لأجل أن يقوم بالخلافه علي الارض ولذلك علم الله الإنسان كيف يجعلها مذلله له وهذا من أمر الله لها ولهذا فإن علي المومن أن ينظر إليها في حدود الايمان ولو عزل نظرتة عن الإيمان وإخضاعها للمحسوسات الماديه فإن هذا يعني التصادم مع فكره الايمان والخلافه وأنه يصبح تابعا لطريق الشيطان الرجيم الذي أعلن العدواه للإنسان حسدا لأن الله فضل الإنسان وكرمه واتباع طريق الشيطان تعني فقدان الإنسان مصدر القوه والتكريم فكيف تسلّم زمام نفسك لعدوك فتكون بلا قوه وقد ظهرت عدواته

الأمر الثالث

اخراج الإنسان من سجن الانانيه والنفعيه ولهذا قال تعالي أن الإنسان ملزم بشكر الله علي انعامه الذي أنعم عليه بها فقال تعالي (كلوا من ثمره اذا أثمر) فأراد بهذا أن يتذكروا انعام الله فهو سبحانه وتعالى يشفق علي الإنسان أن يكون تابعا للذه أو عبدا لهواه فأراد بهذا لفت الإنتباه الي الملاحظه والتأمل والتفكير لأجل الحفاظ علي الطاقه الا نسانيه من أن تبدد تحت تأثير الأهواء ولهذا تأتي النصوص لإنقاذ الانسان أن تستهلكه الأهواء الباطله ويعلمه من يعبد فيقول الحق ليكن من هذا الغذاء الذي انعم الله عليك غذاء للجسد وغذاء للروح بأن يكون الاكل من الاطعمه التي اباحها الله تعالي في المقام الأول بالإحساس انك عبدا لله تعالي بما تاكل فدعوه الله لعباده أن ياكلوا تذكيرا لهم وإلا فما حاجه الحق لدعوتهم للاكل فكان يكفي الاباحه وانما أراد التذكير فجاء القيد (اذا أثمر)

تقيد للأنظار بالتأمل في الجنات والبساتين وملاً حظه أطوار حياتها فهي لم تصل لهذا الطور الا باراده الله حتي صارت صالحه للاكل وفيها الغذاء فكذلك ينبغي أن يكون الاكل غذاء للبدن فأنت بحاجه الي غذاء فأنت عندما تشاهد سر الخلق ودوره الحياه تجد أن القوه الدافعه الكامنه وراء تلك دوره هي التي منحت لها ذلك الجمال فهذه الملاحظه والتأمل تجعلك تنظر وتري تجلي قدره الله وتتكشف لك القوه التي يمنحك الله إياها فتنتطلق بكل

قواك وطاقتك من أمر الله ومنهجه بالفعل والسلوك والتشريع وكذلك ينبغي أن يكون الدين هو الذي تنطلق منه في الارض بالفعل والسلوك والتشريع متحررا من كل القيود فلا تفعل شي الا بعد معرفه حكمه هل هو حلال ام حرام فتكون حياتك كلها منضبطه بضباط مستقيم عارفا بنفسك وضعفك وحاجتك الي الله وعارفا بحق الله علي انعامه فقال تعالي (واتوا حقه يوم حصاده)

فأراد بهذا الأمر بالعطاء يوم الحصاد القيام بحق الله علي انعامه وإحسانه فالحق مضافا لله علي الأرجح لا كما ذهب البعض للقول إنه عائدا الي الزرع فاضافه الحق لله أولي من إضافته للزرع لأن الايه جاءت في إطار الدعوه للخضوع للحاكميه لله الرد على ما كان منهم من تقسيم الحرث والانعام فردهم الي حقيقه ان مصدر الحرث والا نعام هو الله فهو تعالي المالك لها والخالق سبحانه وتعالى فالحق بالنسبة لله تعالي اصيل اما بالنسبة للثمر فهو تابع وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول :-

أنه تعالي أراد منك أن بهذا التذكير بحق الله هو شكر الله علي ما أنعم عليك وذلك بإعطاء الفقراء والمساكين ذلك الشئ الذي يحقق حق الله بالاعتراف أنه المنعم وشكر الله علي انعامه بالعطاء وان هذا لايتحقق الا عندما تنفق وتخرج حق الله بدون استعلاء فلا منه فيه لكم علي الفقراء استشعار انكم أن ذلك هو حق الله تشعر انك تاخذ وانت تعطي وتحرص علي الوفاء به

المفهوم الثاني

الايه فيها تطهير للنفس وتزكيتها من حب المال والتعلق به والبخل في إنفاقه ولهذا جاء الأمر بالعطاء حال الحصاد دون تأخير لأن النفس قد تصاب بالطمع اذا تأخر عن مواعده فأراد بهذا تقويه الروابط بين أفراد المجتمع وبهذا تحقق الصدقه أهدافها في تقويه الايمان وتعميق عقيدته التوحيد في النفس ولهذا جاء الأمر بالعطاء للفقراء يوم الحصاد وهذا الزمن لم تكن الزكاه محددده ولم تكن قد شرعت لان حكمها كان في السنه الثانيه للهجره ؟

والسوال هنا :-

ما المقصود بالعطاء اذا لم تكن الزكاه قد شرعت ثم ماهو الغرض من ذلك ؟

المقصود منه الصدقه في الحب والثمار فقد ورد عن سعيد بن جبير أنه قال كان هذا قبل الزكاه للمساكين القبضه و الضغث لعلف دابته وقالوا إنه ما يلقط الناس من سنبله ولهذا جاء الأمر قبله (كلوا) و المراد بهذا تهئيه النفوس وإعدادها لمرحله الانتقال والعبور من عصبه الي دوله فلم تكن للإسلام دوله تنفذ شريعته الله فسان احكام الشريعه من أن تتناولها الألسن بالاستهزاء قبل أن يهئ لها المجتمع الذي يخضع لأحكام الشريعه ولهذا اقتضت النصوص علي بيان حقيقه المال تعود ملكيته الي الله سبحانه وتعالى فهو الخالق والرزق وهو المنعم المتفضل وهو المالك الحقيقي الذي وهب للإنسان المال وجعله وديعه بين يديه ينفقه في مرضاته ويوتي الفقراء حقهم الواجب منه فاخبرنا أنه سبحانه وتعالى جعل هذا المال لعباده امتحانا لاستجابتهم واستقامتهم علي أمر ربهم فقال تعالي (كلوا من ثمره اذا أثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا أنه لايجب المسرفين)وكما قال تعالي (إنما أموالكم واولادكم فتنه)

وقد ذم الله الذين يصرمون ولايتصدقون فقال تعالي (إذ اقسما ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم)

ولهذا فإن الصدقه متعلقه بالامتحان ف الله يمتحن الغني بغناه والفقير ممتحن بفقره والمال هو مال الله والعبد مستامن عليه

ولهذا فإن المنفق عليه أن يشعر أن ذلك حق الله وبهذا تحقق صدقه أهدافها في تقوية الايمان وتعميق عقيدة التوحيد في النفس التي هي الأساس الأول للتزكية فهي برهان علي ايمان صاحبها واستجابته لأمر الله سبحانه وتعالى وهذا مصدق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الصدقه برهان) ولهذا نجد

أن الايه جاء بعدها النهي عن الاسراف الذي يعني التجاوز للحد أما التجاوز الشرعي أو الفطري والاخير يعني تجاوز حد الشبع الي التخمة فقال تعالى (ولاتسرفوا أنه لا يحب المسرفين)

ولايمكن أن يكون معني الاسراف هنا أنهم تجاوز الحد في الإنفاق فهذا القول لاينسجم مع الخطاب القرآني الذي حرص علي تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من الشح في أغلب آياته وطبيعه الإنسان أنه شحيح في الغالب والنص جاء مطلقا وبالتالي فلا يمكن القول أنه يعالج حالات نادره

فالاسراف المنهي عنه في قوله تعالى (ولاتجعل يداك مغلوله الي عنقك ولا تبسطها كل البسط... الخ

متعلقه بالاسراف الذي يكون فيه العبث اي في غير محله

ولهذا فإن المراد بالنهي عن الاسراف في الأكل من الاطعمه بما يودي الي التخمة وعيون الفقراء تنظر اليك وانما عليك أن تأكل من الثمار وتعطي الفقراء منها فهذا هو حق الله فقوله تعالى (أنه لا يحب المسرفين) يقول لك ان أفعال الخير تهدف إلي ابتغاء رضوان الله تعالى لأجل أن تحظي بحب الله ولهذا فإن التحذير من الاسراف الذي يكون فيه الاعتداء على الحد والزياده علي قدر الحاجه الفضول لأن ذلك حظ الشيطان ومدخله الي القلب فيقول لك انتبه من أن تعطي النفس تمام مطلوبها من غذاء اونوم أو لذه أو راحه لانك بذلك تفتح ابواب وثغرات ينفذ منها الشيطان فعليك اغلاق هذا الباب اذا اردت الامان وهنا الامر بعدم الاسراف في الأكل لأن هذه الزياده هي حق الفقراء فعليك أن تخرج ما زاد عن حاجتك فمثلا نجد أناس لهم بساتين للاكل الفردي لا لغرض البيع والشراء فإن اللازم عليك أن تنظر إلي أن العمار في الشجره أوجدها الله لتكون لك ولجيرانك والمحتاجين فلا تنظر أنه لك وحدك لتأكل منها وتمتنع أن تخرج ما زاد عن حاجتك فان الزياده التي تدخل بطنك هي من حق الفقراء واما إذا كان للتجاره فإن المتعارف عليه أن مايسقط منها أو حسب العرف يكون من حق الفقراء فنحن كان لدينا عرف أنه عند قلع ثمار البطاط أن ما يخرج في حراثة إخراجها بالمره الاولي يكون لصاحب البطاط أما المعني اي ما يحرق فيخرج ما كان مخفي فهذا يكون للحاضرين والفقراء والمحتاجين وهكذا ينبغي أن يكون لكل ثمره عرف خاص بها يحدد ماهو لصاحب البستان وماهو للمحتاجين

الأمر الرابع

كما أن هذا فيه توجيه الإنسان لعدم العبث فيما خلق الله من الأشياء كما ورد في الحديث عن النهي بالعبث بـ الماء وكذلك فإن الإسلام نهى عن العبث بالحيوانات الا في حدود ما أحل الله لك من أكل لحومها وعدم الاستهانه بها أو التعامل معها بقسوه فحرم كل ذلك فقد ورد في الحديث من قتل عصفور بدون وجه حق سأل الله عنه يوم القيامه وقد ورد أن امرأه دخلت النار بهراه

فالإسلام حريص علي أن تكون هنالك علاقه محبه بين الإنسان والبيئه

الأمر الخامس

أن الخروج عن منهج الله يعني الخروج عن شرف الخلافه فتصبح تابعا للشيطان ولهذا قال تعالى (فكلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدوا مبين)

فالذي يحلل وفق هواه أو يحرم وفق مزاجه فهذا إنما يكون تابعا للشيطان مقتفيا لاثاره وبالتالي فهو يسلك طريق التعاسه والهلاك

ثانيا

تأتي النصوص بعد هذا بالحوار الرباني الذي يدعو فيه المخاطبين من المشركين الي احترام عقولهم فلا مبرر لمثل هذه السخافات التي شكلت ثقافه المجتمع الجاهلي الذين حرموا الانعام وجعلوها انواع بحيره وسائبه ووصيله وحام فيقول الحق من اين ابتدعتم تلكم العقيده في الثمار والانعام وحرمتهم اكل بعضها علي بعض الناس وحرمتهم ركوب بعضها والحال أنه تعالي خلق الانعام لخدمه الإنسان أكلا وركوبا ومنفعه ولهذا ابتدأت الآيات بذكر أصناف الانعام مبينا أنه تعالي لم يحرم شيئا منها فقال تعالي

(ثمانيه ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الاثنيين ام ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين نبئوني بعلم أن كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الاثنيين ام ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين

ام كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى علي الله كذبا ليضل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم الظالمين)

الأمر الأول

يقول لهم الحق أنه خلق الضأن والماعز اربعة اثنين ذكور واثنان اناث

وخلق الإبل ذكر وانثي والبقر ذكر وانثي اربعة فصار الجميع ثمانيه ازواج

والسؤال اين منهم حرم الله وعلي من حرم ام التحريم لما في بطونها وهذه الاسئله مواجهه للمشركين بمناسبة ما قالوا (مافي هذه الانعام خالصه لذكورنا ومحرم علي ازوجنا وان يكن ميته فهم فيه شركاء)

ولهذا قال (أو ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين)

الأمر الثاني

يأتي التعقيب في الاولي (نبئوني بعلم أن كنتم صادقين)

يعني أن المصدر الوحيد الموثوق للحديث عن ما حرم الله هم الرسل ولهذا يقول لهم أحضروا الدليل والبرهان أن الله حرم هذا فيما انزله علي السنه الرسل طالما انكم تنسبون ذلك التحريم الي الله وهذا يحتاج الي الدليل القاطع فشنون التحليل والتحريم والفتوي لاتكون الا بالدليل لا بالظن والتقليد فلا يقضي فيها بالحدس ولا يشرع فيها بغير سلطان معلوم

فإذا عجزوا عن إحضار الدليل فهم كاذبون يصورون المعدوم موجودا

ويأتي في الثانيه بقوله (ام كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا)

اي هل حضرتتم وشاهدتم ربكم يوصكم بهذه الوصايا مشافهه بغير واسطه

فإذا لم يحصل هذا ولا ذاك فإن ما تصفون محض افتراء علي الله كما قال تعالي (واذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها اباؤنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يامر بالفحشاء... الخ

فالإخلاص؛

أنكم لم تومنوا بشي فلا طريق لكم الي علم ذلك وانما ترددون ذلك تقولات بحسب الأهواء ولهذا قال تعالي محذرا من ذلك

(فمن اظلم) اي لاشد ظلما وجور من هولاء الذين يتجرؤون بالافتراء علي الله كذبا لاضلال الناس عن جهل ونفي العلم عنهم تسجيل عليهم الانقياد للهوي والتقليد من غير عقل وأنه لا يوافق للرشاد من أسري عليه الكذب فالضلال والضحك عقاب له علي الزور والبتهان فلا تجد طريق الهدايه فتعيش في تخبط واضطراب

القسم الثالث

(قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم وعلي الذين هادوا حرمانا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمانا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فإن كذبوا فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين)

اولا

ابتدأت آيات هذا القسم بقوله تعالي (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم)

وبالوقوف علي الايه ومدلولاتها نجد الآتي

المبحث الأول

(من هم المخاطبين بالايه)

انه بالتأمل لايه نجد أنها وردت في سياق يفهم منه أنها استئناف بياني عن ما ذكر من ابطال تحريم المشركين بعض الحيوانات والانعام والتي ذكرتها الآيات السابقة (قل ءالذكرين حرم ام الاثنيين ام ما اشتملت عليه أرحام الا نثيين)

فذكر فيها ذم المشركين وافتراءهم بتحريم ما حرموا وافتروا علي الله عندما نسبوا ذلك إلي الله

حيث يفهم من ذلك انه بعد بيان ماسبق ساد الجدل من جانب المشركين وتمسكهم بارائهم الفاسده وفي المقابل بدأ المسلمون يتسالون عن المحرمات بعدما عرفوا التحريم الباطل ولذلك كان افتتاح الكلام المأمور به بقوله تعالي (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه..الخ

ادماجا للرد علي الجدل من المشركين وبيان ما حرم علي المسلمين وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن الايه تعطينا صورته لكيفيه تلقي الصحابه الآيات القرآنية فهم عندما ذكر الله أنه ليس لأحد أن يحرم شي الا بإذان الله وهو وحيه الذي انزله علي رسله وأخبر أن من يفعل ذلك يكون مفتري علي الله

فقد احدث ذلك فيهم اهتزازات عنيفه وعميقه احدثت ارتجاج لكيان المرء المسلم جعلتهم يبادرون الي سوال النبي صلى الله عليه وسلم عن المحرمات التي حرمها الله تعالي

ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي قل لا اجد.. الخ

المفهوم الثاني

أن القرآن الكريم كتاب الانسانيه العليا الذي أشرق به الانوار وازيلت الظلمات فالناس كانوا قيل الاسلام وحوشا يأكلون الميتة والدم لا يعرفون الحق من الباطل وأنه فيه الهدايه والنجاه والفلاح وبه يكون الخروج من الظلمات الي النور وان الانتفاع به يحتاج الي امعال الصحابه رضوان الله عليهم فالقران لاياتي بمعجزه ولايوتي اثاره في إصلاح النفوس الا إذا تولته بالفهم عقول كعقول الصحابه وتولته التطبيق العملي نفوس سليمه فالمسلمون حكموا القرآن في نفوسهم وجعلوا ا هوائهم تابعه لما في القرآن ولهذا بدوا يتخرجون من الاكل حتي يعرفوا حكم الرب في كل الاطعمه والذبائح ولهذا سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن المحرمات من الاطعمه حتي لا يقعوا في الحرام بينما المشركون استمروا في الجدل العقيم الذي لامبرر فهم لم يريدوا القبول بهدايه القرآن الكريم ولم يأخذوا بأسباب الهدايه فجاء الدمج في الايه متضمنا الرد علي سفاسفه المشركين وجدالهم بالباطل وايضا فيه بيان ما حرم الله

المبحث الثاني

(تبين الايه حاجه الناس الي الرسل وفوائد الرسالات)

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

ليبان انه لا طريق للتحريم الا بأعلام الله تعالي فسلطه التشريع حق الله باعتراف المشركين أنفسهم بدليل أنهم كانوا ينسبون التحريم والتحليل لما يزعمون الي الله ولهذا كان محاوره هولاء في الايات السابقه بسؤالهم ((قل ء الذكرين حرم ام الاثنيين ام ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) حوار منطقي يطلب حضور العقل البشري لأن فساد الناس يعود إلي الجهل المضاد للعلم وضعف الارداه وسبب الخير يعود إلي معرفه الحق واتباعه بالعلم والعمل ف العلم اصل العمل واصل الارداه والمحبه وهو مستلزم اذا لم يحصل معارض مانع من حسد او كبر ولهذا كان العدول من الغيبه الي المتكلم فقال تعالي (قل ءالذكرين حرم ام الاثنيين) فذكر بعدها الاستفهام الانكاري الذي فيه ابطال ما قاموا به من تحريم ونفي أن يكون ذلك التحريم من عند الله ولهذا قال (نبئوني بعلم) فهي بمنزله المنع وهذا فيه تهكم لأن العلم يقابله الجهل اي أنباء عالم فدل هذا أنهم عاجزون عن الأنباء لانهم لا علم لهم من وحي السماء و جاء أيضا باستفهام آخر يراد به التهكم (ام كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) يعني ماهي مصادر العلم لديكم فإذا لم تكن لكم مصادر عن الرسل فإنه يستحيل أن يكون الله هو من تحدث معكم مشافهه وهذا أمر مدحوض فالله يقول (وماكان لبشر أن بكلمه الله الا وحيًا أو من وراء حجاب) فالله سبحانه وتعالى يقول إن معرفه مراد الله ونواهييه والتحليل والتحريم من الأمور الغيب التي لاينبغي أن تأخذ الا عن طريق الرسل فهم وحدهم الذين يملكون حق الحديث عن الله فالتحليل والتحريم والفتوي لا طريق لها الا بأعلام الله فهو من يحق له أن يحلل ويحرك وفق علمه وحكمه وان ذلك الإعلام إنما يكون عن طريق الوحي أو ما استنبط منه فإذا كان الحكم غير موجود في الوحي أو في فروعه فهو افتري وحكم باطل والناس بحاجه لمعرفة الحق واتباعه والعمل بما فيه وان تحبه فالإنسان خلقه الله (ظلوما جهولا)

فلا نجاه له إلا بالتخلص من الجهل والظلم ليكون اهلا لحمل امانه الخلافه ومعرفه الله ومراد الله والانبيا هم

الذين يستطيعون أن يقولوا لنا آخر ما يمكن قوله في هذا المجال والسبب في ذلك هو الوحي ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالى (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه... الخ

لبيان أن مصدر علمه اي النبي صلى الله عليه وسلم هو الوحي بعد أن ذكرت النصوص أنه من أشد أنواع الظلم أن يتناول البعض بالحديث عن مراد الله بدون علم فهذا افتري علي الله لأن هذا اجتمع فيه الجهل المضاد للعلم واراداه الاضلال يوجب عقاب فاعله بالحرمان من الهدايه فقال تعالى (أن الله لا يهدي القوم الظالمين) فالإنسان بحاجه

إلي الهدايه التي تجعله اهلا للقيام بحمل امانه الخلافه بالتخلص من الاخلاط الرديئه الناتجه عن الجهل والظلم و التي تفسد الفطره

لأن الفطره اذا سلمت من الفساد فإنها اذا رأت الحق اتبعته واحبته

والحق نوعان

موجود فالواجب معرفته والصدق في الأخبار عنه وضد ذلك الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان و الواجب أردته والعمل به وضد ذلك اراده الباطل واتباعه ولهذا أخبر الله أن هولاء لا يريدون الحق ولا يطلبونه فسمي فعلهم افتراء واراده الاضلال

فالله خلق في النفس محبه العلم دون الجهل ومحبه الصدق دون الكذب ومحبه النافع دون الضار اذا لم يدخل ضد ذلك معارض من هوي وحسد وكبر فمن كان في الضلال يزداد رسوخ الكفر في نفسه ولايستطيع أن يخرج من دائره الضلال فالعقل يعجز عن هدايه الناس في غياب المنهج الرباني ولاينتفع بالمنهج الرباني

فاشار الحق أن العائق والمعارض من اتباع الحق هو الهوي والكبر والجهل المضاد للعلم مانع من الهدايه فإذا اندفع عن النفس المعارض من الهوي والكبر والحسد وغير ذلك احب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح

الأمر الثاني

أن الإنسان بحاجه الي الكمال الذي يتخلص فيه من الجهل والظلم فهو بحاجه الي المعرفه التي يعرف بها الحق و العمل به وارادته ومحبته وهذا إنما يكون من خلال الوحي الذي جاء به الانبياء فهم الذين ارسلهم الله لمدواه البشر من الاقات والأمراض فقال تعالى قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه) والمراد بالوحي الذي ذكرته الايه هو جميع ما أنزل الله في الكتب السماوية لأن المشركين كانوا يدعون أن تحريم ما حرّموا إنما هو من شريعته اسماعيل التي انزلها الله عليهم وفيها أيضا بيان أن القرآن جامع لجميع الأديان ومراحل التعدين فالايه تبين أن المصدر الوحيد الموثوق به للحديث عن مراد الله هم الانبياء وأنه قد بحث طويلا فيما أوحى الله إليه فلم يجد مما ذكر المشركون من الحيوانات الانعام أنها محرمة فأراد بهذا تقويه دافع العلم ومقتضاه علي الجهل يقول لهم هذا هو الحق فأراد تذكيرهم لأجل إيقاظ الفطره فالنفس إذا سلمت من الفساد فإنها تبع الحق وتحبه وتطلبه فهي تحب العلم والصدق وتكره الجهل والكذب وتحب النافع من الضار إذا سلمت من معارض كالحسد والكبر والهوي فتري فيه المنفعه فيحب القلب ماينفعه من العلم النافع والعمل الصالح

فالإنسان إذا جلس للطبيب المختص فأخبره أن عليه أن يجتنب اكل بعض الاطعمه وأمره بتناول الادوايه لأنها فيها العلاج لمرضه فإنه بهذا يعلم ما ينفعه وبالتالي فهو يمتثل أمر الطبيب لانه من يحق له أن يتحدث عن أمور الطب وكذلك فإن الانبياء المصدر الوحيد الموثوق بالحديث عن الله هم الانبياء فهم وحدهم لأن مصدر علمهم هو

الوحي ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالى (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه)

فيه اعلام أن الاعتماد علي العقل البشري والتقليد يوصل الي الضلال فعلم الناس مكتسب وبحدود العقل البشري بينما علم الانبياء مصدره الوحي وبالتالي فالناس بحاجة الي الاهتداء بما يحمله الرسل من عند الله لأن العقل يعتمد علي الاستحسان في تصنيف الخير والشر ولهذا قال (محرما علي طاعم يطعمه) والطاعم يقال للشخص اذا أكل الطعام ولا يقال طعم الا اذا ذاق المطعومات والمشروبات ولهذا استعمل اللفظ هنا لبيان ان التذوق الطعم الذي يكون به استحسان الشئ أو استقباحه أمر لا يمكن اعتباره مقياس الخير أو الشر لأن العقل محدود والتذوق متفاوت فذكر أن هولاء أكلوا الميتة والدم المسفوح المهرق ولحم الخنزير وهو قدره تعافه النفس السليمه ومع ذلك فإن هنالك من يستلذه فأراد بهذا لفت الإنتباه الي صلاح الإنسان هو بهذا العلم والعمل به فمن أراد الكمال لنفسه والعلاج من الآفات فعليه الثقة بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لان معرفه أمور الله لا تكون الا ب الوحي وهذا فيه صلاح الإنسان فضعف العلم يعود إلي غلبه عارض الهوي ولهذا ابتدأت النصوص بقوله (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما حرما علي طاعم يطعمه)

فأراد بهذا التذكير للفطره لعل القران يحدث لها ذكرا... وهنا يبين كذب تلك المزاعم واستعمل بعد التهديد الورد في (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا... الخ الفاظ محرما علي طاعم يطعمه ثم جاء بألفاظ محصورة في نطاق دائره عله (الرجس) . الخ بذكر أن ما حرمه الله تعالى

من الاطعمه انما هي صيانه لحق مقصود هو النافع للإنسان والواجب أردته والعمل به وضد ذلك اراده الباطل واتباعه

موجود فالواجب معرفته والصدق في الأخبار عنه وضده كما قلنا الجهل والكذب ولهذا أراد بها التذكير من خلال بيان منافع الاغذايه مضارها وهذا فيه تذكير الفطره بالحق وان الوحي فيه كمال الإنسان وهو محتاج إليه وفيه منفعتة فقال تعالى (إلا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به)

فانه لو تركت للناس عمليه البحث والتجارب لمعرفة منافعها ومضارها لما وفت أعمارهم للوصول لذلك فذكرت النصوص تحريم الميتة التي تموت حتف أنفها والدم المسفوح المهرق ولحم الخنزير بأنه (رجس) اي خبيث يعود فيها امراض خبيثة والعقل بمفرده لم يتمكن من معرفه سر التحريم ثم لما تقدم العلم الحديث وأجريت الدراسات والبحوث والتجارب استطاع الأطباء أن يعرفوا ضرر ذلك علي الجسم وفهمنا الحكمة من تحريم الله لهذه الأشياء فمن الرسل عرف الناس خواص الأشياء ومنافعها وأضرارها وهذا العلم موجود والواجب معرفته والصدق في الأخبار عنه وضد ذلك الجهل والكذب فتدخل تحت هذا التحريم كل ما كان ضار وخبيث مستقدر فيه ضرر علي الإنسان فكل ما اتصف باحدي المحرمات الثلاثه فهو محرم لانه ينسب إليها في الخبث والضرر مثل النطحيه و المترديه والموقوذه... الخ

وكذلك لحم السباع والكلب والحمير فإنها تدخل ضمن الخبث المنسوب للخنزير وهكذا فإن الايه لاتعارض مع النصوص الأخرى في المائدة وغيرها وانما وردت مجمله هنا وترك التفاصيل للسنة النبويه

ثم ذكرت النصوص (أو فسقا أهل لغير الله به) لفساد معنوي وهو ما ذبح للاصنام أو لغير الله وهذا شرك والفسق يعني الخروج عن طاعة الله وعن الايمان وهذا فيه التهديد لأن السامع يعرف ماذا يعني الفسق بأنه الخروج عن طاعة الله وعاقبه الفسق انك تلحق بمصير الشيطان الرجيم الذي فسق عن أمر الله وهذا فيه صيانه الإنسان من الوقوع بالباطل والشرك وهذا حق مقصود وهو النافع للإنسان والواجب أردته والعمل به وضد ذلك اراده الباطل واتباعه ولهذا قال (اوفسقا) فهذا الاجمال فيه أن كل طعام يكون فيها التعدي لحدود الله وأمره سبحانه وتعالى وخروج عن طاعته وربوبيته والوهيته هو محرم لان فاعله يعني أنه متمرد عن طاعة الله نتيجته حسد او كبر أو نحوه ولهذا خص بالذكر من ذلك الذبيحه عند الاصنام أو الأوثان أو ماشيه ذلك لأن هذا اعتداء علي ربوبيته تعالى

والوهيته فذبح الحيوان إنما يبدأ بالتسميه باسم الله ولهذا قال تعالى في ذم المشركين (وانعام لا يذكر اسم الله عليه)

فالدبج إنما يكون باذان الله فأنت لا تقوم بذلك اعتداء علي مخلوق خلقه الله (الانعام)

وانما تذبحه لأن الله منحك هذا الحق فهو له حرمة لا يجوز لك انتزع روحه الا اذا كان الله قد منحك هذا الحق لا نه تعالى قد خلق الانعام وجعل لها وظيفه تقوم بها لخدمه الإنسان منها ما نركب عليها ومنها ما ناكلها ومنها ما نستفيد من اشعارها واصوفها ولهذا فإن هذا الاستخدام محكوم بضوابط أمرنا الله بها فلا تذبح الا لله وايضا عندما نركب عليها نقول باسم الله وعندما نذبحها نذكر اسم الله عليها وهذا فيه العلم بالحق المنعم الذي يذكر ب الله فلا تخالف امره ولا تخرج عن طاعته وايضا فيه الخشيه المانع من اتباع الهوى وهذا فيه صلاح الإنسان فإذا قوي العلم والتذكر دفع الهوى وإذا اندفع الهوى بالخشيه أبصر القلب وعلم ولهذا كان المسلمين في غايه الحصر علي امتثال أمر الله لانهم حريصون علي ما فيه صلاحهم يريدون القضاء علي المعارض وان كلفهم ذلك المشقه ولهذا ذكرت الآيات بعدها (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم)

اشاره الي رحمه الله بأن جعل الرخصه للمضطر أن يأكل من الميتة والدم وما ذكر من المحرمات لكن أن لا يكون متلذذا بها ولا متجاوز الحد بأن ياكل زياده عما يحتاج لإنقاذ نفسه من الهلاك ويذيل ذلك بالتعقيب (فان ربك غفور رحيم)

ويلاحظ أنه استخدم لفظ الربوبيه بعكس في سوره البقره قال تعالى (فإن الله غفور رحيمًا)

وهذا لأن المقام فيه الحديث عن ولايه الله لعباده فلفظ الرب من التربيه والولايه

فهو تعالى تعهد أوليائه بالربوبيه والرعايه والعنايه فأريد بها هنا الربوبيه الخاصه ولهذا كان الاضافه (أن ربك غفور رحيم) ا

أضاف ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم بما يفيد الاختصاص وهو ما يشعر المومنين بأن رب النبي غفور رحيم اي يعاملهم بأثار الولايه كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الي النور والذين كفروا اولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات)

فناسب ذلك بعد بيان أن الاكل مما أهل لغير الله به فسقا اي خروج عن طاعه الله فمن فعل ذلك التحق بمدرسه الفسق التي أسسها ابليس اللعين فالايه مثل قوله تعالى (ذلك بأن الله مولي الذين آمنوا وان الكافرين لا مولي لهم) فالايه وقعت في سياق حجاج المشركين

بينما في البقره كان الخطاب للمومنين (ياايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم... الخ

ثانيا

أن الايه السابقه ورد فيها تقرير حقيقه ان الله تعالى جعل الوحي هو طريق الهدايه وهو دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ولهذا جاء عطف حكم متعلق بحاله خاصه من أحوال بني إسرائيل لبيان ان التحريم منه ما يكون لأن الاطعمه فيها مضره بالصحه ومنها ما يكون تاديبا وعقاب للعصاه فذكر حاله بني إسرائيل كمثال للتحريم الناتج عن العقاب لهم فقال تعالى

(وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون)

هذا حكم خاص ببني إسرائيل حيث حرم الله عليهم كل مالم تفرق بين أصابعه كالابل والنعام وحرم عليهم الشحم كالعرب وشحم الكلي واستثناء من ذلك ما علق بالظهر أو ما حملته الأمعاء وما اختلط بعظم كالراس وغيرها والايه فيها امتنان من الله علي المسلمين أنه تعالي لم يعاقبهم بما عاقب بني اسرائيل

تقديم المجرور في قوله (ومن البقر... الخ للاهتمام ببيان ذلك فأراد بهذا شد ذهن السامع وصولا إلي قوله (ذلك حزيناهم ببغيهم)

اشاره الي أنه تعالي حرم عليهم ما حرم جزاء علي ما ارتكبوا من مخالفات وسبحانه وتعالى صادق في كل بلاغ عنه فقال تعالي (وانا لصادقون) اشاره الي أن ما تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه كله صدق

ثالثا

بينت النصوص أن الإسلام هو الجامع لجميع مراحل الأديان والتدين

فذكرت النصوص ما حرم الله علي بني إسرائيل عقوبه لهم فدل هذا علي أن اخبار القران بأمور لايعلمها الا علماء بني إسرائيل وايضا لبيان ان مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القران يعني أنه تم وضع تلك الاغلال و القيود التي فرضت علي بني إسرائيل كما قال تعالي في موضع آخر (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنه وفي الاخره انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاه الذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والإنجيل يأمرهم بـ المعروف وينهاهم عن المنكر ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصره واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون)

فما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاخبار عن ما حرم الله في الأمم السابقه هي من اخبار الغيوب وذلك مما لايقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه وقد جعلها الله علامات نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقته المكتوبه في التوراه والإنجيل ولهذا قال بعد الاخبار عن ما حرمه علي بني إسرائيل (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمه واسعه ولايرد بأسه عن القوم المجرمين)

فالمكذبون المراد بهم في هذا الحكم هم اليهود والنصاري وأهل مكه

وتكذيبهم هو النبوه والرساله فيقول لنبيه صلي الله عليه وسلم إذا حصل التكذيب من هولاء فعليك الاستمرار بـ الدعوه الي الله ولا تتوقف و عليك مخاطبه الناس بأسلوب الترغيب والترهيب وابتدا بأسلوب الترغيب (ربكم ذو رحمه واسعه)

بأن رحمته واسعه تعم الكافر والمومن والمحسن والمسي فهو رب العالمين

وايضا فإن رحمته تعالي تسع الناس جميعا فعليكم المسارعه الي الأخذ بأسباب رحمته وأن أساسها ومادتها تصديق النبي صلى الله عليه وسلم والايمان بما جاء به من ربه فقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم رحمه للعالمين ليس حكرا علي فئه

وان عليكم أن لا تغتفر بامهال الله لكم وعدم معاقبتكم بالعذاب فلا يكون الاتكال علي رحمه الله وترك الأعمال كما يفعل البعض يريد الجنه وهو لا يصلي ويقول رحمه الله واسعه

فرحمه الله واسعه ولكنه تعالي شديد العقاب فلا تغفروا بامهال الله فإن بأسه وعذابه اذا حل بقوم فإنه لا توجد قوه قادره علي رد بأس الله

فالايه فيها ارشاد وتربيه للداعيه بأن عليه استعمال الخطاب الموزون في إطار الترغيب والترهيب لتاتي الكلمه الطيبه ثمارها فالتوازن في الرجاء والخوف من أهم قواعد التربيه في الإسلام لحمايه العبد من الوقوع في مرمي سهام الشيطان حيث أن اخطر ما تعرضت له الامه الاسلاميه هو تسرب انحرافات المرجئه فهذه الشبهه استحكمت علي نفوس الكثيرون بسبب قولهم انه لا تضر المعاصي مع الايمان وقالوا ان من قال لا إله إلا الله لم تضره الكبائر أن يعملها فاول شبهه غزت عقيدته الايمان هي شبهه المرجئه وقد بين ابن القيم في مدارج السالكين كيف أن الشيطان يفسد علي العبد دينه بأن يفتح له باب الإرجاء حتي يوقعه في الكبائر ويزين له فعلها ويحسنها في عينه حتي ينسلخ صاحبها عن الدين كما تنسل الشعره من العجين وفعلا انتشر الفكر الارجائي وكان عاملا مشجعا علي ارتكاب الكبائر والتهوين من شأنها وفي المقابل وجدنا من اصابه التشدد في الدين لدرجه التطرف فذلك كله خارج عن مفهوم الدين والتدين الذي يقوم علي الوسطيه والاعتدال

القسم الرابع

أن من عظمه القران الكريم ومعجزاته التي تويد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به هو من عند الله هو هذه الايه الكريمه

(سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولاء ابائنا ولا حرمنا من شي كذلك كذب الذين من قبلهم حتي ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا أن تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فله الحجه البالغه فلو شاء لهداكم اجمعين)

الأمر الأول

أن الايه ورد فيه كسر حجاب الغيب المتعلق بالمستقبل فقال تعالي مخبرا عن رده فعل المشركين بعدما أبطلت النصوص كل الحجج (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولاء ابائنا ولا حرمنا من شي)

وهذا فيه اظهار في مقام الاظمار لزياده تفضيح أحوالهم فاخبار الله عما سيقولونه اطلاقا علي ماتكنه نفوسهم من تبرير حجه الجبر وهذه هي معجزه القران الاخبار بالغيب

الأمر الثاني

أن شبهه دعوي الجبر هي المبرر الأخير الذي سيلجأ إليها المشركين بالزعم أن الإنسان مجبر علي أفعاله ولا اختيار له في شي منها وأن كل ما ينسب إليه من الأفعال فهي تعود إلي مشئيه الله فالايه تبين أن عقيدته الجبر تقوم علي

١

نفي الاراده والاختيار عن الإنسان

٢

انه غير مسؤول عن أفعاله

الأمر الثالث

(الرد القرآني علي هذه الشبهه)

يفضح الله حقيقه ومقاصد هولاء بأنهم يتذرعون بالقدر ليلقوا عن أنفسهم مسؤوليه الشرك والضلال يتخذون من القدر حجه بأنهم فعلوا ما فعلوا بمشيئه الله فهم يقولون ذلك في معرض محاوله افحام الرسول صلى الله عليه وسلم وابطال حكمه عليهم بالضلاله

فأرادوا الاحتجاج بالقدر لتبرير ما هم عليه من ضلال ولهذا يواجهه القران هذه الشبهه في الخطوه الاولي الي الدليل التاريخي يقول انظروا الي صفحات التاريخ لتشهدوا كيف أن التكذيب يقود الي العناد والاعتزاز بالقوه فهذه طبيعه أهل الإجرام والكفر والعصيان ان يلجأوا الي تبرير إجرامهم بالاحتجاج بالقدر فقال تعالي (كذلك كذب الذين من قبلهم)

وإليس اول من احتج بالقدر فقال تعالي (قال ربي بما اغويتني لازينن لهم)

وكل المكذبين سلكوا طريق الشيطان الرجيم لتبرير ما هم عليه من الشرك والضلال فهذه الشبهه أدت بهم الي الضلال فاتبعوا ما املت عليهم ظنونهم واوهمهم الفاسده حتي تفاجأوا بعذاب الله (حتي ذاقوا باسنا)

اي وقعوا في غفله حتي تجرعوا مراره الهلاك نتيجه العناد فقد كان بمقدورهم أن يؤمنوا ويصدقوا ولكنهم اتخذوا من القدر ذريعه لاتباع اهوهم واحاله المكذبين الي دليل الحدث التاريخي لقراءه السنن الالهيه في اهلاك المكذبين تبين لقارئ الدليل التاريخي ان هنالك أسباب للهدى وهنالك أسباب الضلال الأسلوب فيه إيقاظ الغافلين بتحريك المشاعر وهز النفوس فالله قد جعل هدايه البيان مقدمه للهدايه الخاصه فمن قبل بهدايه البيان وفقه الله قال تعالي في موضع آخر (فما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدى)

فناسب هذا مجئ الايه بعد قوله تعالي (ولايرد بأسه عن القوم المجرمين)

فهذا التهديد وذاك يراد منه اخراج السامع من غفله هذه الشبهه بأخذ العبر والدروس من الأمم السابقه قبل فوات ا لاوان يقول الحق أنه لو كانت حجه هولاء صحيحه لدفع عن الأمم السابقه العذاب فهي حجه فاسده

٢

الخطوه الثانيه تأتي النصوص بالاستفهام (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا)

اي أن هولاء بنوا عقيدتهم علي الظنون والأوهام فلا دليل علي ما يقولونه سوي الاعتقاد الفاسد فالاستفهام مقصود منها الافحام والتهكم فلايظن بالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أن يطلبوا العلم من المشركين كيف وهو يعارضهم ويصفهم بالجهل والضلال ويظهر التهكم (فتخرجوه لنا)

وكانه شي مخبو وسبقه التعبير (عندكم) والعنديه تدل علي المكان المخفي وهذا القول يستعمل للتهكم يقول لهم أن مشيئه الله أمر غيبي لا وسيله لأحد أن يعلمه فمن اين لكم أن تحيطوا بعلم اراده الله ومشيئته فالله قد جعل للهدايه أسباب وجعل للضلال أسباب فالاول من عطاؤه ورحمته تعالي وتوابعها والثاني من المنع والاضلال وتوابعها فمن قبل بهدايه الله شرح صدره ووفقه لما يحب ويرضى وأما من رفض القبول بها اضله الله

ولهذا لم يترك لهم المجال للرد علي السؤال بل يرد عليهم الرسول (أن تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون)

ليبان ان صاحب الهوية يبحث عن مبرر لما يريد فتاتي الشبهه العارضه فيزاد تعلقا بها حتي تصبح عقيدته راسخه وان كانت مخالفه لعقله وفطرته ولا دليل له عليها إلا اتباع الهوي فهو لاء المشركون لاحجه لهم الا التقليد الأعمى للاباء والأجداد وهم من أجل هذه الدعوي الواهيه مصرّون علي شركهم اتباعا لاهواء نفوسهم) فقال تعالي مخبرا عن دعواهم (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علي امه وانا علي آثارهم مهتدون كذلك ما أرسلنا في قريه من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا علي امه وانا علي آثارهم مقتدون قالوا أو لو جئناكم باهدي مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) اقتباس من كتاب تزكيه النفس الجزء (٢)

٣

تصحيح منهج الفكر والنظر لمساله القضاء والقدر لأن منشأ الضلال لدي هولاء يعود إلي عدم التفريق بين الاراده الكونيه والاراده الشرعيه فالاراده الكونيه لاتدخل في إطار التكليف وهي التي كان بها القدر ونظامه أما الاراده الشرعيه فهي التي اناط بها المكلف وبها ثوابه وعقابه لأنها تتعلق بأفعال العباد واختيارهم فقال تعالي (قل فله الحجه البالغه فلو شاء لهداكم اجمعين)

فانت في حياتك اذا اعتدي عليك أحد الناس أو قتل أحد أبناءك فإنك لن تعفوا عن المجرم ولن تقول قضاء وقدر فلا بد للمذنب أن يعاقب

والله تعالي قد اختص الإنسان بخصائص ووظائف واغدى عليه بالنعم وسخر له المخلوقات ووهبه العقل ليميز طريق الخير من طريق وزوداه بإمكانيات فكريه وقدرات بدنيه ليكون خليفه في الأرض يعمرها بالعمل الصالح وقد شاءت حكمه الله أن يجعل النفس البشريه قابله للتوجه للخير أو الشر فاودع فيها صفات متقابله وخصها بالاوصاف والاحوال المتقلبه اذا امسك بزمام نفسه ووجهها الي طريق الخير نالت السعاده والفلاح وإذا اتبع نفسه خاب وخسر وقد احترام الحق العقل والاراده الانسانيه فلم يجبر أحد علي اختيار طريق الخير بل ترك للإنسان الحريه في الاختيار وأقام عليه الحجه بالعلم وإرسال الرسل الوحي الذي جعله وسيله الهدايه ودليل العمل و التعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها فأرسل الرسل ليبينوا للناس فيهلك من هلك عن بينه ويحييا من حي عن بينه وجعل الإنسان بهذه المعرفه علي بينه من أمره وفعله في الشده والرخاء والعسر واليسر كما جعله أمام مسؤوليته عما يفعل بعد أن منحه حريه الاختيار وهذه المسؤوليه فرع تلك الحريه ودليلها فهو تعالي جعل الإنسان مميز علي سائر المخلوقات فلم يجعله مجبورا في حركته وهذا الفرق بين الإنسان وغيره من المخلوقات أن الإنسان حر ولذلك فهو سوف يحاسب علي أفعاله اما بقيه المخلوقات فهي مجبوره ولذلك فهي لاتحاسب

القسم الخامس

بعد أن ذكر الحق أن اعراض المشركين واحتجاجهم بالقدر مبينا أن ذلك هو كراهيه الحق فجدل هولاء لايهدف الي إحقاق الحق وانما لأجل اظهار قوه الجدل ولهذا تأتي الايه بعدها بقوله تعالي (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بايتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون)

الايه تهدف إلي كشف عناد هولاء بالباطل وان الباعث والمحرك هو للتمسك بالشبهات هو سفه النفس وخبثها و خستها فقال تعالي (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا)

اي أخبر هولاء أن يحضروا الادله والشهود علي ادعاءتهم أن التشريعات والقوانين التي اطلقوها علي الحرث والا

انعام والشبهات التي جعلوها مبررا لما هم فيه الضلال بأن الله أمر بهذا وقدر عليهم الضلال والحال أنهم لاشهود لهم ولا اداله لديهم سواء التقليد الأعمى

فأراد بهذا تثبيت عقيدته التوحيد في النفوس وابطال دعاوهم حيث فهم من الايه أنه لاجحه لهم هم اذا لم يحضروا الادله فإن دعوتهم باطله وان أحضروا شهودهم فإن ذلك كذبا منهم ولهذا يقول الحق لنبيه (فإن شهدوا فلا تشهد معهم)

وهنا قد يقول قائل كيف يطلب منهم إحضار الشهود ثم يومر بعد الشهاده معهم ؟

أن الايه تهدف إلي بيان أن النجاه من الشبهات انما يكون بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله والحرص علي العلم النافع من أهله فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه الشاهد علي صدق الرسول فقال تعالي (قل اي شي اكبر شهاده قل الله شهيد ببني وبينكم واوحى الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون أن مع الله الهه اخري قل لا اشهد إنما هو إله واحد وأنبي بري مما تشركون) لأن الافتتان بالشبهات تنشأ من نقص المعلومه أو من سوء الفهم والإدراك ومن النقل الكاذب ومن هوي متبع اي أنه ينشأ من قله العلم فيري بدعته هو الحق فالعقل اذا لم يسترشد بالشرع القويم ولم يستجيب لنداء الفطره فإنه يضل. يضطرب ويرمي في خضم اتجاهات متناقضه ويصبح أسيرا لهوي النفس الاماره بالسوء والقلب المشحون بالشبهات والأهواء فقد اجتمع في هولاء فساد اعتقاد الباطل و التكلم به والعمل بخلاف العلم الصحيح فما يقولونه هو شهاده زور وبهتان وافتراء بدون دليل فقال تعالي (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بايتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون)

وهذا فيه الآتي

١

فلا ضابط لهؤلاء فهم مرضي اجتمعت فيهم داء الشبهات العقلية والشهوات حيث أن حيدان هولاء عن مذهب الحق والميل مع الهوي الحيواني اوقعهم في سكر الضلاله نتيجه الزيغ ومن زاغ حسنت عنده السنيه وساءت عنده الحسنه وهذا دفعهم للتكذيب بالايات عنادا واستكبارا ولهذا كثر منهم النزاع بالجهل وذلك اعماه عن الحق فطريقه وعر يصعب عليه الخروج من ما هو فيه ولهذا فهو لايتورع أن يشهد كذبا وزورا وبهتان فهو يصعب عليه السير في طريق الحق(ولاتباع أهواء الذين كذبوا بايتنا)

٢

ذكرت النصوص أن اتباع الهوى اقتران بالتكذيب بالايات واليوم الآخر والشرك بمساواه الخالق بالمخلوق وذلك بعباده الأصنام وسن القوانين والتشريعات ونسبها الي الله اي التشريع وفق الأهواء فمرصهم ناتج عن شبهه تستمد مادتها من شبهه عقليه وشهوه نفسيه لانه إنما يصدر عن من كان غارق في الشك والتردد وفقدان العزيمه وهذا إنما يكون عن من فقدان الشعور بالمسؤولية عن أعماله فلو أيقن أنه سوف يحاسب علي أعماله وأقواله لما تجرء علي الشهاده الزور والتكذيب بالايات ومساواه الخالق بالمخلوق ولهذا ترسخت الشبهه ووجدت طريقها إلى القلب لأن عابد الهوي يريد أن يلي رغبات ذاته ومعبوده فهو واقع تحت ضغط نزواته التي تلح عليه بتلبيه رغباته ولهذا فإنه يجادل عن اصنامه بكل ما أوتي من قوه وهو في الحقيقه انما يعبد هواه فيدخل نفق مظلم لا يخرج منه ولا تعقد له عزيمه فهو يكون مطيه الشيطان ولهذا عندما ترد الشبهات الي عقله فإنه يكون لها تأثير لأنها موافقه لهوي النفس فلو لم تكن كذلك فإن النفس سوف تدفعها وتجاهلها فقبول النفس لها كان السند المويد لها والباعث و المحرك علي التكلم بالباطل واعتقاده والعمل به

٣

تبين النصوص أنه لا يمكن قبول شهادته من يساوي بالله غيره من الأوثان ومن يكفر باليوم الآخر ومن كان عابدا لهواه فإن هؤلاء قد اجتمع فيهم فساد العلم والاعتقاد وفساد القصد والارادة فما يقولونه صادر عن الأهواء المتقلبه التي شكلت عقولهم وصاغت أفكارهم إذ لا طريق لصالح القلب وسلامته الا باتقاء الشبهات خشيه الوقوع فيها وهذا إنما يكون عن مومن موحد بالله يشعر براقبه الله وأنه سوف يحاسب علي أعماله وأقواله فهو مسؤول عن تصرفاته فزمام أموره تابعه لقياده منهج الله وهذا لا يكون إلا ممن عرف ربه الواحد القهار معرفه حب وإجلال وتعظيم وعرف نفسه بضعفها وافتقارها لربها وهو حريص علي تزكيه نفسه علي الدوام وتطهيرها من الاوساخ

القسم السادس

بعد ذكر أحوال وأوصاف المكذبين وماهم عليه من الفساد تأتي النصوص باستئناف انتقل فيه من ابطال تحريم ما ادعوه كذبا أن الله حرمه الي دعوتهم الي معرفه ماهي المحرمات التي حرمها الله والوصايا العشر التي وصي الله بها عباده بما أوحى لرسله أن يبلغوا عنه وصاياه الي عباده فقال تعالي (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم

اولا

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم) فيه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المقول (قل) باستدعاء الأسماع (تعالوا) بعد موقف الأشهاد ورفض ما يقررونه من المحرمات تأتي الآيات متضمنه المحرمات التي حرمها الله تعالي علي الناس بواسطه رسله الذين ارسلهم من ادم الي بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعمل كلمه (تعالوا) فيه الآتي

المبحث الاول

توجيههم الي ما يجب عليهم اتباعه من شرع الله إذا أرادوا صيانه أنفسهم وحمايتها من الانحطاط فيقول لهم أن ذلك يكون باتباع منهج الله لا ما تمليه عليكم اهوائكم ورغباتكم الخسيسه فتضعوا لأنفسكم قوانين تحرمون فيها أمور ا علي أنفسكم وتحللون أمورا وأشياء ولهذا استعمل كلمه (تعالوا) لبيان

ان المقام مقام تعليه وتزكيه النفوس وإصلاحها وتنقيه الاوعيه القليه والذهنية والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي حيث أن أستخدم هذه الكلمه تدل أنهم في انحطاط يحتاجون الي من يرفعهم من السفول الذي هم فيه يأخذ بأيديهم ويرفعهم عاليا لأن الإنسان مشدود بين قوتي جذب قوه جذب ارضيه تشده نحو السفول والانحطاط الي أسفل السافلين وقوه جذب ترفعه الي الاعلي نحو السماء لتصل الروح بخالقها حيث يكون تطهير الإنسان من ادران الأرض لأن كلمه تعالوا كان يقولها من يقف علي ربوه مكان مرتفع ليسمع صوته فيدعوا الناس إليه فهم يصعدون من مكان منخفض الي مكان مرتفع فالنداء بها تعني أن هنالك موضوع مهما يتطلب حضور الأسماع و العقول ليعملوا ويفهموا ما يدعوهم اليه فهو يطلب حضور الافهام فدل هذا أن المشركين كانوا في أعراض وكان هناك قوه تضطهرهم وتشدهم نحو السفول نتيجة فساد تصوراتهم واوعيه العلم لديهم والانحطاط الذي وصلوا إليه مع أنهم يدعون أن ماهم عليه هو دين الله الذي انزله علي ابراهيم واسماعيل

ولهذا جاء النداء (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

التعريض باولئك الذين شرعوا مالم يأذن به الله بأنهم في جهل وبعد عن المنهج الرباني فهم اموات غارقون في ظلمات الجهل والشرك والظلم والفساد يقول لهم إذا أردتم الخروج من هذه الظلمات الي انوار الله ومن حاله الموت الي الحياه فعليكم الاستجابة لما يدعوكم إليه الله ورسول الكريم ففي هذا المنهج الحياه والسلامه فقال

تعالى (تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم)

والتلاوه تعنى القراءه والتدبر والتأمل والوقوف علي مدلولات النصوص بالتمعن وايضا فإن الحق سبحانه وتعالى قد ذكر في موضع آخر أنه تعالى ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل أن يقوم بتعليم المسلمين آياته فهم امه اميه لاتعرف القراءه والكتابه ولاتعرف الكثير من أمور الأديان فقال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسول منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة... الخ

فكانت التلاوه اداه البلاغ وتعليم الناس وتربيتهم وإرشادهم فالدعوه لاقبالهم يعنى مع مدراكهم وحواسهم وعقولهم وقلوبهم

فقال بعدها (ما حرم) وما موصوله بمعنى الذي اي الذي حرم عليكم ربكم وهي تشمل معنى الوصيه في قوله (لكم وصاكم به) فالوصيه أعم من التحريم لأن كل تحريم وصيه من الله الي عباده وليس كل وصيه تحريم لماذا ؟

لأن الوصيه تشمل الأوامر والنواهي تشمل التحليل والتحريم والنصوص جمعت الوصيه بترك المحرمات وفعل المامورات

فالمعنى تعالوا اتل ما نهاكم ربكم عنه وما امركم به ولهذا جاء الأمر (لاتشركوا به شيئاً) نهي ثم عطف عليه أمر (وبالوالدين إحساناً) وكذلك جاءت الأوامر اوفوا الكيل والميزان بالقسط... واذا قلتم فاعدلوا...وبعهد الله اوفوا.....

ومعلوم أنه يجوز عطف الأوامر علي النواهي لأنها تفسير لها باعتبار لوزامها فالنهي عن الشيء يفسر بالأمر بضده و التحريم تعنى المنع والمحرم الشيء الممنوع منه أما بتسخير الهي أو قهري أو من جهة مشرع يرسم حدود الحلال والحرام

الأمر الثاني

أن النجاه والسلامه تكون باجتنب ما حرم الله ورسوله واتباع منهج الله فهو طريق السعاده الذي يلبي احتياجات الروح والجسد ولهذا استعمل لفظ الربوبيه (ما حرم ربكم عليكم)

فهذه الوصايا هي قواعد الدين الاسلامي الذي سوف يكون اعاده بناء المجتمع المسلم بناء يليق بمنزله الإنسان ومكانته في هذا الكون ودوره في حمل امانه الخلافه علي الارض فهذا البناء يحتاح الي أساس قوي محكم والي حفظ هذه القوه ودوام الحميه لإخراج المواد الفاسده

واستعمل اسم الرب اشاره أن هذا من ربكم الذي خلقكم المربي الذي أنزل التشريعات لأجل تربيه عباده وأحكامه فيها صلاحكم وتطهيركم من اوساخ الفكر الجاهلي

وقد تضمنت النصوص ثلاث ايات فيها عشر وصايا الايه الاولى تضمنت خمس وصايا فقال تعالى (الا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولاتقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وايهم ولانقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)

١/عدم الشرك ٢/الإحسان للوالدين ٣/حمايه حقوق الطفل والابناء من أن تنتهك من قبل الآباء بازاحه كل المخاوف ٤/تنظيف المجتمع من الفاحشه الظاهره والباطنه ٥/حمايه النفس من الاتلاف أو القتل ٦/حفظ حقوق الضعفاء ٧/الامانه والعدل في التعامل ٨/العدل في الشهاده ٩/الوفاء بالعهود والمواثيق ١٠/السير علي صراط الله المستقيم)

فهذه القواعد هي قوام حياه الانسان وسعادته أفراد وجماعه ودول وبها يكون اصلاح الاسره الانسانيه كمقدمه لإصلاح المجتمع والدول والعالم الإنساني برمته ولهذا ورد فيه مايفيد علي عموميه الرساله فقال تعالى (ماحرم ربكم عليكم) فيها الآتي

المفهوم الاول

دعوه لإصلاح الاسره الإنسانية كمقدمه لإصلاح المجتمعات البشريه كلها من خلال هذه الوصايا ولهذا جاءت باضافه الربوبيه الي المخاطبين أنه تعالى ربهم ومالكهم هو الذي اوصاهم بما في هذه الوصايا من الأوامر و النواهي وهذا فيه اشعار برعايته وعنايته سبحانه وتعالى للانسانيه بهذه الوصايا

فالتحريم من أهم الضمانات التي تودي الي الاستقرار في المجتمع بكافه اشكاله وهي ضوابط باعنه لأداء الواجبات

وفيه أيضا تذكيرهم بربوبيته لما كان من علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الي الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم للاعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجله قبل الاطلاع فاقرارهم ب الله من جهه ربوبيته اسبق علي اقرارهم به من جهه الوهيته ولما كان التوكل والاستعانة به فيهم أكثر من العباده والانابه وانما بعث الله الرسل بدعوه الناس الي عبادته وحده لاشريك له الذي هو المقصود المستلزم للاقرار بربوبيته فكان هذا اقوي في ايضاح حرمه مانهاهم عنه اشد انتهاء ثم فسر ذلك بقوله (الا تشركوا به شئيا) فحدد لهم القاعده الاساسيه التي ينطلقون منها في كل حركه أو قول أو فعل

المفهوم الثاني

ان الإسلام يقدر حريه الإنسان وإرادته ولهذا أضاف الوصايا للرب اشعارا بربوبيته سبحانه وتعالى فأراد بهذا أن تغزو عقيدته التوحيد أعماق النفس الداخليه فلا يكون الايمان مجرد حاله انفعال يزول بزوال المؤثر بل إيمانا ثابتا تكون عقيدته التوحيد تودي الي استسلام العبد لربه طوعيه برضا واختيار فيخضع أردته لارداه الله وهذا يعني أن يحرق كل ما في نفسه من أصنام وأوهام الجاهليه وتمحو تصوراتها وهذا يعني أن الإنسان أصبح حرا في اختياره غير خاضع لما بداخله من أصنام الأهواء والانانيه فالتوحيد لا يكون إلا بعد التخليه للأصنام من داخل الإنسان وبعد تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي عندها يكون المحل قابلا لاستقبال انوار الله التي تضي له الطريق الذي يحتاجه في رحله سفره الي الله والدار الآخرة ولهذا ابتدأت النصوص (الا تشركوا به شئيا)

أن اللازم لمن اراد النجاه والسلامه اعاده تصحيح أساس بناءه وأحكامه قبل الشروع في التكليف والأوامر و النواهي والحقوق والواجبات حتي لاينهار البناء فالجاهل هو الذي يرفع بناءه دون احكام الأساس وهكذا مبني يكون عرضه للانهييار في أي لحظه فلا يصمد امام العواصف ولهذا ابتداء الحق بذكر اهم شي في بناء الإنسان و النظام والدول وهو التوحيد فعلي أساسها يكون ترتيب الحقوق والواجبات والولاء والبراء والتشريعات وهذا إنما يكون بمعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده وطاعته

المبحث الثاني

كما أن الوصايا ابتدأت بالدعوه الي توحيد الله باعتبارها الأساس الذي تقوم به حياه الانسان أفراد وجماعه ودول وعطفت عليه بقيه الوصايا التي تمثل القواعد الأساسية لبناء الإنسان والدول والمجتمعات واخبرنا الله أنه ينبثق عنها كافه النظريات والقواعد الفرعيه والجزئيات واللوائح والقوانين والمبادئ والقيم وهذه القواعد ترتبط ب التوحيد فقال تعالى (الا تشركوا به شئيا) فنفي الشرك جاء فيه تنكير (شئيا) أي كل شرك سواء كان عبادته أصنام أو أهواء أو بشر مملك أو قوانين ارضيه أو جن أو ملائكه أو كوكب أو نجوم أو ماشبهه ذلك فهذا التنكير يستغرق

كل الأصنام وسبق ذلك ا بالتالي فإن عطف بقيه الوصايا علي التوحيد يهدف إلي الاتي

الأمر الأول

أن طريقه عرض الاسلام ودين الله للناس وتطبيقه جاء فيه ربط جميع الأحكام الجزئيات والفروع والكيليات مع بعضها البعض فمن المعيب أن يعرض قيم ومبادئ الاسلام علي انها افكار مبعثره أو جزئيات وتفاريق مختلفه بل مرتبطه ببعضها البعض وباصلها الاعتقادي وأساسها الذي ينظمها التوحيد ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (لا تشركوا به شيئاً) فابتداءً بالنهي عن الشرك لأن اصلاح الاعتقاد هو مفتاح الإصلاح في الدنيا والآخرة قال ابن تيميه رحمه الله فالتوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الالهيه لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله لا يعبد إلا إياه ولا يتوكل الا عليه ولا يولي الا له ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لأجله وبذلك يتضمن إثبات ما أثبت تعالي لنفسه من الأسماء والصفات فهذه هي دعوه جميع الأنبياء

والجاهلي المخاطب بالايه كان يفهم ماذا تعني كلمه لا اله الا الله وماذا يعني ولا تشركوا به شيئاً فليس المراد بـ التوحيد الاعتراف بأن الله خالق العالم فهم لم يكونوا ينكرون هذه الحقيقه ولكن التوحيد تعني أن تكون حياتك كلها لله فلا تعمل اي شي الا وفق ما يرضا الله وان تخرج من قلبك كل ما سواه تعالي

فهذه هي القاعده الاولي التي تقوم علي أساسها كل المحرمات والنواهي هي قاعده انطلاق المسلم في الكون عقيدته راسخه في القلب ثابتة مستقره وتترجم ذلك الأعمال بانها مرتبطه بهذه القاعده فهذا التذكير المستمر في القران بالأساس الذي تقوم عليه عقيدته التوحيد هو الأصل الذي يرتبط به ضمير الإنسان لتخضع أروته لاراده الله طواعيه لتكون عقيدته التوحيد مستقره في أعماق النفس البشريه مستقره في عبادته الله في كل شؤون الحياه فهذه الدعوه هي التي حملها جميع الرسل قال تعالي في موضع آخر (ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول (لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شي)

فمشميه الله الشرعيه عبادتهم لها منفيه لانه تعالي نهاهم عن ذلك علي السن الرسل وكذلك فإن مشيئته الكونيه هي تمكنهم من ذلك قدرا فلا حجه لهم فيها فقد جعل للنار أهل وأنصار من الشياطين والكفره وفي ذلك الحجه البالغه القاطعه فهذه هي دعوه جميع الرسل والأنبياء للناس وان اختلفت شرائعهم فالمشرك خالف ما أراده الله تعالي منه من توحيدهِ ولا يشرك به شيئاً والوصايا في الايه الاولي هي

الأمر الثاني

التنبيه الي حق الله علي الإنسان وهو معرفته ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فهذا الأصل الذي تقوم عقيدته المومن والهدف من وجوده فلا يكون النجاه ولا تقبل الأعمال الا بالتوحيد فهو الرب الخالق والمنعم الذي لاتعد نعمه ولا تحصي وعطفت علي ذلك بقيه الوصايا كلها تتصل بالتوحيد اتصالاً وثقياً وهذا يهدف إلي لفت الإنتباه بأن الإسلام ليس عقيدته توحيد تعمل في القلب ونفس الإنسان فقط ولا تتعدي النفس للمجتمع يقول لك الله ليس الأمر كذلك فالإسلام يحتاج الي مجتمع مسلم ودوله تحكم بالقران فالتوحيد لابد أن يعمل أثره في الحياه فهو المسؤول عن تنظيم المجتمع واعاده خلقه من جديد علي الصورة التي يرضاها الله رب العالمين فالإسلام ليس دين طقوس بل دين ودوله عبادته وعمل روح وسياسه ايمان واقتصاد يتدخل في العلاقات الاسريه والزواج والطلاق والاقتصاد والبنوك والسياسية والعلاقات الدوليه والدبلوماسيه يضع دستوراً لهذا كله من خلال القواعد الأساسية والكلية التي سماها وصايا وترك للعقل الاجتهاد في الفروع والجزئيات لكن كلا من الكليات والجزئيات والفروع مرتبطه ببعضها وباصلها الاعتقادي وأساسها الذي ينظمها التوحيد ولهذا عطف علي الأمر بـ التوحيد بقيه الوصايا

التي تضع النظام الذي يوجد مفهوم المجتمع العادل الذي يوجده الإنسان الصالح بما يحقق السعاده للفرد والمجتمع

وهذا يتضح من خلال الوقوف علي الوصايا العشر

الأمر الثالث

يقول لنا الحق أن التأثر بالشريعة الحقه إنما يكون بذلك التغيير الذي يعبر عن حدوث التحول في حياه الانسان نتيجته معرفته حق ربه عليه وما يترتب علي ذلك من معرفه حقوق بني جنسه حسب مراتبهم فيكون قادرا علي استعمال ملكات العدل والإحسان والرحمه في محلها ولهذا بعد ذكر حق الله علي الناس بعدم الشرك به تأتي الايه مبينه الوصيه الثانيه (وبالوالدين إحسانا) والإحسان فوق العدل لأن العدل تعني إعطاء كل ذي حق حقه أما الا حسان فهو أن يعطي أكثر مما أخذ

فالايات تتحدث عن حقوق الآباء علي الأبناء حيث نجد أنها تربط هذا الحق بحق الله تعالي فحث علي حفظ حق الوالدين فقال تعالي في موضع آخر (وقضي ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) اي قضي أن تحسنوا الي الوالدين كما قضي بعبادته وحده لا شريك له وقال في موضع آخر (أن أشكر لي ولوالديك الي المصير)

وهذا أمر الله به علي جميع الأمم فقد قال تعالي (واذا اخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا)

فانظر الي عظمه المنهج الرباني كيف أنه يصون حق الوالدين ويحفظ تماسك الاسره من خلال قواعد قانونيه تمثل قوه وسند للضعفاء من نزوات النفوس المريضة فجعل الأبناء أمام الوالدين اذلاء يحفظون فضل الوالدين ق ال القرطبي الاحسان للوالدين برهما وحفظهما وصيانتها وامتنال أمرهما وازاله الرق عنهما وترك السلطنه عليهما

بعكس المجتمع الغربي الذي تنعدم فيه الانسانيه رغم تشدقهم بحقوق الإنسان فانهم اذا اصبح أحد الوالدين كبيرا في السن رموه في دار العجزه وللأسف انتقلت هذه الأفكار والخواطر الشيطانيه الي بعض المجتمعات الإسلاميه تقليدا للغرب وهو ما يجب الإنتباه له ف الله ابتداء بحقه ثم ذكر حق الوالدين قبل أن يذكر اي حق اخر نظرا لأهميه هذا الحق ولهذا جاءت بعد ذكر حق ونصب (إحسانا) علي المصديه وناصبه فعل من لفظه تقدير ذلك:

واحسنوا بالوالدين إحسانا فالتنكير يعني التعظيم الاحسان للوالدين في القول والفعل والحال والباء (بالوالدين) اي يكون اللطف والإحسان المبالغ فيه بحيث لايجد منك والديك الا الاحسان ولايشعران في قلوبهما منك الا الا حسان

المساله الثانيه

أن الأمر بالاحسان للوالدين جاء مقرون بالأمر بعدم الشرك بالله وهذا لأن الاحسان هو شكر علي سابق احسان ولما كان الله قد أحسن للناس في الایجاد وغيرها من النعم علي غير سابق عمل من العبد ولأن الله يرحم ويعطف وينعم علي مخلوقاته وهو الغني عنهم وهم الفقراء والمحتاجين اليه تعالي وكذلك فإن الوالدين يعطفان علي ابنتهما ويرحمانه وهما في غني عنه وهو محتاج إليهما وكذلك فإن الله يحسن علي الناس ولايطلب الجزء والودان يبالفان في الإحسان دون تحصيل الجزء

ولهذا قرن الحق ذكرهما بذكره فلما أمر بالعباده أمر بالاحسان إليهما شكرا لهما علي ما احسانهم لك فأنت لا يمكنك رد ما فعلوا معك وتعليق الأمر بذكر الوالدين المشتق من الولاده إيذانا بتعليقها في الحكم بمستحقات والديه سواء كان مومنين أو كافرين بارين أو فاجرین محسنين أو مسئين وجعل سخط الرب من سخطهما ورضي الرب من رضاهما الا اذا طلب منك الشرك فلا تطعهما ومع ذلك أمر الله بالاحسان إليهما فقال تعالي (وصاحبهما في الدنيا معروفا)

فالشرك لايمنع من صله الرحم وقد جعل الاسلام صله الرحم دليل الايمان فحق الاسره والارحام من المسائل التي

حرص الإسلام علي سلامه الرابطه الاسريه والحفاظ عليها وجعلها مرتبطه بالتوحيد لغرض حمايه الضمير الإ
نساني فجعل بر الوالدين مقدم علي التطوع بالعباده والمسلم يبر والديه حتي بعد موتهما

الوصيه الثالثه

يتضمن الوصيه الثالثه (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم)

المساله الاولى

فالنصوص تهدف إلي اصلاح الأحوال الاجتماعيه التي افسدتها الجاهليه فالإسلام دين الانسانيه وكتابها الذي كان
به اخراج البشريه من الهمجيه والتوحش ولك أن تنظر كيف كانت حال الإنسان قبل نزول القران فهم في جفاف
العواطف وقساواه القلوب تصور لنا الآيات فساد أخلاقهم والدتهم في صوره تدلنا علي مبلغ انحطاطهم فهم كانوا
يعدون البنات ويقتلون ابناهم خوف الفقر فناسب هذا مجئ الايه بعد تناول حقوق الوالدين أن يذكر حقوق الا
بناء فقال تعالي (ولا تقتلوا أولادكم)

توقفوا عن هذا الفعل القبيح فالايه تبين فساد قوه الغضب لدي هولاء فقد وصل بهم الحال الي قتل الأبناء بأن
هذا يعود إلي مساوئ الفكر الجاهلي فقتل فلاذاه الاكباد قتل اولادك يذكرهم بالعاطفه

المساله الثانيه

فذكر العله الباعته علي ذلك السلوك المذموم فقال تعالي (من املاق)

والاملاق الفقر والمملق هو الذي اخراج ما بيده فلم يبقي له شي وكلمه من هنا تفيد حصول فقر الآباء بينما في
ايه أخري قال تعالي (خشيه املاق) يعني أنه متوقع الحصول ولهذا نلاحظ الفرق في التعقيب بالايتمان فهناك
ابتداءً بذكر رزق الأبناء فقال نحن نرزقهم وإياكم

واما هنا فابتدات بذكر أنه تعالي متكفل يرزقكم اي الآباء وبرزق الأبناء فقال تعالي (نحن نرزقكم واياهم)

للنهي عن قتل الأبناء يقول لهم الحق أن الفقر ليس مبررا داعيا لقتل الأبناءوعليكم أن تدركوا انني الرزق لكم
ولهم

وقد حشد الحق جمله من الموثرات لتنقيه العقول والافهام من ركام الفكر الجاهلي أهمها العدول في الخطاب من
الغيبه التي جري عليها الكلام قبلها (ما حرم ربكم عليكم) الي التكلم بضمير (نرزقكم)

حتي كانه أقحم كلامه بنفسه في أثناء كلام الرسول الذي امره ربه يقول للناس ما أمره من الوصايا فكلم الناس
بنفسه اهتمام منه تعالي ورحمه بالابناء فهو تعالي ارحم بعباده من الوالدين ولهذا ذكر العلاج بان الله هو الرزق
فعليكم الاطمئنان والنقه ب الله فهو يرزق الكبير والصغير ومتكفل يرزقه وهو يبسط الرزق

وهذا التظمن يهدف إلي وجوب الاعتماد علي الله في طلب الرزق من جهه ومن جهه اخرى الحث علي صله الرحم
وبناء الاسره المتناسكه التي تظهر اهتمام الاسلام وعنايته البالغه بالاسره ولهذا تأتي الإرشادات والتوجيهات
للعنايه ببعض الارحام في مرتبه الي الوالدين كالبنتين والبنات فأمر برحمه الأبناء وحرمة ود البنات حيث كان من
عاده الكفار قتل أولادهم وود البنات خوف الفقر والعار فأنزل الله هذه الآيات لتربيته الناس وعلاج الداء الخبيث
الذي استحوذ علي عقول الناس انزل الآيات لاعاده انسانيه الإنسان التي فقدها بهمجيه وتوحش الجاهليه ولهذا
نجد أن الايات القرانيه والاحاديث النبويه الشريفه تحث علي الرحمه بالبنتين والبنات في إطار نقل المجتمع من ح
اله التوحش الي الانسانيه يأخذ بأيديهم يشجعهم علي الرحمه بالابناء فقد ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عال ثلاث بنات فادبهن ورحمهن واحسن اليهن فله الجنة) وعن عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له ثلاث بنات وصبر عليهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار) وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم تدركه ابنتان فيحسن صحبتها الا ادخلته الجنة) وعن ابن عباس أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ولدت له ابنة فلم يندها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها (يعني الذكر) ادخله الله بها الجنة) كما أن من القواعد الأخلاقية التي ارستها الشريعة الاسلاميه في نفوس المسلمين هي أن صله الرحم تزيد الرزق وتكثر المال وهذا جوهر التطمئن الورد في قوله تعالى (نحن نرزقكم وإياهم) فالإسلام قد حث علي صله الرحم ورتب عليها نتائج عظيمه لامثيل لها في كل النظريات والمذاهب الفكرية الاخلاقيه المعاصره ولا القديمه حيث نجد أنه اعتمد اسلوب الترغيب لصله الرحم كما أسلفنا وكذلك نجد التنفير من قطع الرحم فقاطع الرحم لا يدخل ولا يقبل الله عمل قاطع الرحم

الوصيه الرابعه

(ولانقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن)

النهى في صيغته جاء عاما مجملا عن جميع انواع الفواحش وهي تطلق علي المعاصي لكن الايه تشير الي التحذير من إفساد في صفه الوجود لا في أصله فقال تعالى (ولا تقربوا) نهى عن القيام بمقدمات ذلك ما ظهر منها وما بطن ولهذا تحذير من اعتداء وفساد في القوه الشهوانيه لأن قوله (ولا تقربوا)

يعني أن هنالك قوه جاذبيه وإغراء جالبه للفواحش في هذا الموضع من المحبه والاراده فهذا الحب يغريه بالجره نتيجه المغريات التي زينتها الشهوه (الزنا)

ولهذا جاء النهي عن مجرد الاقتراب منها سدا للذرائع ومقاومه جاذبيه الاغراء التي تضعف الاراده بالعفه والتقوي ب السر والعلن نهى عن القرب منها وعن ملاساتها لأن المقدمات تودي الي الفعل لأن القرب منها يعني الضعف أمام الشهوه

فنحن نعلم أن اي شي يمر بثلاث مراحل إدراك ووجدان ونزوع والإسلام لا يحاسب العبد علي الإدراك والواجدان ا لا إذا انتقل ذلك إلي النزوع فأنت لو دخلت حديقته فرأيت مافيه من ثمار فلا بد أنك تدرك مافيه من جمال ومن الطبيعي أن تجد وجدانا بحب ذلك فهل تحاسب علي ذلك لا ولكن إذا تحول الواجدان الي نزوع بأن قمت بقطف ثمره منها وانت لا تملكها فإنك سوف تحاسب علي ذلك

أما إذا رأيت امراه فمن الطبيعي أنك تدرك مافيه من جمال ونحوه من خلال النظره الاولي التي هي لك وهنا اذا قمت بمحاولة اعاده النظر إليها ظاهرا أو بالخفاء فإن هذا غير مسموح في الشريعه وانت محاسب علي ذلك فالإس لام ينهي عن هذه المقدمات وعن الاقتراب منها فقال تعالى (ما ظهر منها وما بطن)فالايه تنقل لنا صورته عن انحطاط أهل الجاهليه الذين كانوا يزنون سرا وعلانيه فهذه الوصيه مع ما قبلها حمايه الاسره

وربط الضمير الإنساني براقبه الله حيث يكمن الخطر في حاله انفصال المراقبه عن النفس في وقت ما الي انتشار الرذيله في المجتمع.

وايضا فإن الإسلام يهدف إلي اقتلاع البواعث المحركه للجريمه

يراد أن ينعم المجتمع بالاطمئنان ولهذا جاء التوجيه بالامتناع عن الجريمه سرا وعلانيه لأن البعض قد يتوقف عن ارتكابها بالظاهر ولم يحترز عنها في الباطن ولهذا يحمي الضمير الإنساني فلا يهجنس الا بخير وان يراقب الله في كل حركه ففي ذلك صيانه المشاعر من النزوع الي الجريمه فهو يقضي علي البواعث ويعتني بالحواس ويهذبها ويحمي الملكات والجوراح

فلا يكون احتراز الجريمه خوف مذمه الناس فيتركها في الظاهر فإذا وجد فرصه في الخفاء ارتكب الجريمة فإن هذا يكون في حكم عابد الهوي والناس لان عنده خوف مذمه الناس أعظم وقعا علي نفسه من عذاب الله تعالي فا لإسلام حرص علي اقتلاع جذور الجاهليه واعاده تشكيل العقول والافهام وفقا للصوره التي يريد ها الله فلا يكون ترك الجريمه خوف العيب بل خوف الله تعالي فالمسلم عندما يترك فعلها فإنه يتركها ظاهرا وباطنا اي أنه تركها احتراما وطاعته وتعظيمها لأمر الله تعالي فهو يعبد الله بذلك

الوصيه الخامسه

(ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)

فالجاهلي كان لايتورع عن القتل لاتافه الأسباب ولهذا جاء النهي عن القتل إلا بالحق وذلك في حاله الدفاع الشرعي عن النفس أو لمن حكم عليه بالقتل لحديث لايجل دم امرئ مسلم الا باحدي ثلاث النفس بالنفس والعيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعه)

والايه فيها تأكيد حرمة النفس ايان كانت فهي لها حمايه وصيانه من الاعتداء فمن اعتدي علي النفس فقد اعتدي علي البشريه كلها

وهذا فيه النهي عن القتل وإسناد التحريم الي الله يهدف إلي بعث الخشبييه من الإقدام علي ارتكاب الجريمة فأراد بهذا غرس شناعه الجريمه باستشعار عظمه الله

الأمر الثاني

يأتي التعقيب علي ذلك بقوله (لكم وصاكم به لعلكم تعقلون)

اي أن جميع هذه المحرمات وصاكم الله بها الزاكم القيام بها ففي ذلك كمال العقل الإنساني لأنها تحرره من النزوات وتصون كرامه الانسان وحريةه فالعقل هو الذي يمتاز به الإنسان عن كل المخلوقات فالحيوان يمتاز علي الجماد بالادراك والإنسان يمتاز علي الحيوان بالعقل والتفكير بالنظر للمعلومات والربط بينها للوصول إلى معرفة أمر مجهول حيث إنه بالتفكير والعقل والنقل العلم يمتاز علي الحيوان

وبالتالي فإن سلوك الإنسان مرتبط بنفكيره واعتقاده ارتباطا وثيقا ويستقيم باسقامته ويعوج باعوجاجه ولهذا فإن الآيات ابتدأت لصيانه القوي العقليه المنطقيه للإنسان الايمان ه من الفساد وما يفسد ذلك هو الكفر والشرك ولذلك يوصف الكافر أنه لاتميز له فقال تعالي (لاتشركوا به شئيا) فالتوحيد هو الطريق للسعاده في الدراين ولا يكون النجاح ولاتقبل الأعمال الا به ولما كان من لوزام ومقتضي ذلك أن تحب في الله وتبغض في الله

فالروح الانسانيه كريمه الجوهر لأنها من عالم النور وقد اضافها الله اليه فقال تعالي (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

فقد حرص الإسلام علي تطهير الإنسان من الاوساخ التي تلتس هذه الروح بعد اتصالها بالبدن ولهذا أرسل الرسل واول هذه النجاسات هي الشرك

وأیضا حرص الإسلام علي حفظ النفس ولهذا نجد توجيه الخطاب بحفظ النسل فمنع قتل الاولاد لأن ذلك يؤدي الي قطع النسل وخراب العمران فالقتل قد يكون بعد الولاده او بعد التخليق من خلال العقاقير والاجاهضات وقد يكون بالامتناع عن التزاوج

بعدها نهي عن قطع النسل بقتل الاولاد بذكر ضمان الرزق بأن الله هو الرزق فعلي المومن أن يفرح بالمولود ويشكر

الله عليه وان يعق بأن الله سوف يرزقه

تأتي النصوص مبينه أن علي المومن أن يسعي لحفظ النوع عن طريق مشروع فعليه الابتعاد عن الزنا ومقدماته لانه بمثابة قتل للنفس لانه يكون سببا لوجودهم الغير مشروع وهذا أمر لا يختلف عن قتل الاولاد الذي نهى عنه في الايه قبلها ثم يأتي بعدها بتحريم العدوان علي النفس فتحرم إتلاف الموجود وعقب علي ذلك بقوله (لكم و صاكم به لعلمكم تعقلون)

والمراد بالعقل العلم الذي به يعقل ما يرضي الله تعالي والايات ورد فيها حمايه القوي الثلاثه للإنسان بدليل أنه تعالي قال (ولانقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن) وهذا متعلق بالزنا لأن الشرك من الفواحش وكذلك القتل من الفواحش فالقتل يشير إلي فساد قوي الغضب نتج عنها اعتداء فيه إتلاف الجسد الحامل للروح بينما الشرك إفساد للقلب والروح لأن الشرك والكفر تعني موت القلب (أو من كان ميتا فاحيناه)

والقلب هو محل الفهم فالعقل القلبي يعني فقدان البصيره بينما الزنا افساد صفه الموجود ولهذا لا يمكن القول (ولا تقربوا الفواحش الا بالحق..كما قيل في القتل لأن افساد صفه الموجود تعني إفساد المجتمع وهذا يعني موت المجتمع وموت القلب وموت الفطره فأراد بهذا أن السلامه لاتكون لاي امه الا بأن تقوم علي شرع قوييم يستند الي اعتقاد سليم وبرهان قوييم وفطره سليمه ولهذا استخدم اسم الاشاره (لكم و صاكم به)

اي كل ما ذكر من الأوامر والنواهي والتكاليف كل ذلك و صاكم به الرب لكي تعقلوا الوصايا في الدنيا والدين واستخدم اسم الاشاره (لكم) المستخدم للإشارة للبعيد ليغرس في الأذهان عظمه تلك الوصايا وما ترمي إليه من إصلاح الإنسان والمجتمع والدوله والانتقال به الي اعلي مراتب الكمال فقال تعالي (لعلمكم تعقلون)

ثانيا

تستمر النصوص في سرد الوصايا العشر فقال تعالي (ولانقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتي يبلغ أشده و اوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلمت فاعدلوا ولو كان ذا قربي وبعهد الله اوفوا ذلكم و صاكم به لعلمكم تذكرون)

وهذا فيه

الأمر الأول

احترام المالكه وحفظ الأموال ؛

وقد ابتدأ بالنهي عن الاقتراب من مال اليتيم وهذا اللفظ يطلق علي من فقد والده بمعني الناصر له الذي يحمي ماله ويرعاها فجعل مسئولية الحفاظ عليها حقا علي جميع الناس في المجتمع المسلم فقال تعالي (حتي يبلغ أشده) بمعني حتي يكون قادرا علي نصره نفسه فيكون قوي في البدن والعقل وقد جعل قوي البدن لغايه البلوغ وأما العقل فقال تعالي (وابتلوا اليتامي حتي إذا بلغوا النكاح فإن انستم منهم رشدا... الخ

الأمر الثاني

حرص الإسلام علي حمايه حقوق الضعفاء

ولهذا قرن الحق سبحانه وتعالى الايمان به بحمايه حقوق الضعفاء الذين لا قدره لهم علي دفع المعتدين لحقوقه فجعل المسؤوليه تقع علي عاتق جميع المسلمين وهذا فيه حفظ أموال الضعيف الغير قادر علي الدفاع عنها و التصرف بها الا بالتي فيها يحصل النفع لهذا الضعيف وهذا يعني أن علي الأوصياء أن يتحري النافع في أموال

اليتامى فينظر الي النافع والضرار وكذلك إذا وجد جهتين نفع عليه أن يقارن بينهما ليكون الأخذ بالانفع منهما ف التصرف في ماله لا يكون إلا بما يحقق النفع له والنهي عن الاقتراب من مال اليتيم لا يعني إباحه مال غيره ولا يعني أنه إذا بلغ سن النكاح والقدرة جاز اكل ماله وانما لانه بحاجة للحمايه فكان النهي اشد حيث استعمل كلمه و لا تقربوا اي نهى عن الأسباب المفضيه للتصرف بماله وعن مواطن الشبهات التي تتحول إلي مبررات لهواجس البعض واطماعهم للاستيلاء علي أموال الأيتام حتي يبلغ القدره التي يستغني بها عن الناصر اي القوه الماديه وقوه الفكر والرشد فكل مسلم مكلف بحمايه هذا الضعف وعندها سقط عن الامه الواجب الملحق علي عاتقها ب الحفاظ علي مال اليتيم وحقوقه

ومن هنا نجد تميز الاسلام في قواعده حيث جعل هذه الأخلاق الاجتماعيه مرتبطه بعقيده الاسلام والايان اي انها مسؤوليه انبثقت عن عقيدته صحيحه فليست مجرد إصلاحات جزئيه موضعيه ليست ميزات عارضه سطحيه لاتمس التكوين العقلي

والنفسى للامه ولا تصوغ وقيمها ومفاهيمها وموزانيها فتخلط عليها السبل

الوصيه السابعه:-

(واوفوا الكيل والميزان بالقسط)

الالتزام بالعدل في كل معامله فعليك أن تربطها باصلها العقائدي والاعتقادي ليسود المجتمع الاستقرار والثقه باقامه العدل في الأخذ والعطاء في كل المعاملات التجاريه فهو تعالي لم يكلف الإنسان فوق طاقاته في أداء الحقوق فعليك أن تبذل الجهد واستفراغ الوسع بالعدل في التعامل (لانكلف نفسا إلا وسعها)

أيضا هذا فيه أن القدر الذي امرت فيه بالقسط في المعاملات التجاريه والماليه يكون ببذل الجهد بأن تحرص علي العدل في الكيل والميزان فذكر أن من اخل بايفائه من غير قصد منه لذلك فلا حرج عليه لعدم قصده ولم يذكر عقوبه من تعمد الغش ونقص الميزان هنا لانه قد ذكره في سوره المطففين فقال تعالي (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا علي الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم)

الوصيه الثامنه

المسلم يشعر أنه مسؤول عن أقواله وأفعاله فهو ملزم بالعدل ليس في الحكم بل حتي في القول فقال تعالي (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي)

فالمسلم يشعر أنه في حضره الله في كل وقت ولهذا فإن هذا الشعور يكون باعنا علي التزام العدل في كل شي أن يكون كل فعل أو قول منه قائما علي ضابطا

ومناسبه الايه مع ما قبلها أنه لما أمر الله بالعدل في الكيل والميزان في المعاملات التجاريه والماليه فإن ذلك يعني وجود التعامل وحث الاسلام عليه وهو ما يعني أنه لا بد من وجود احتكاك أثناء التعامل وهنا تظهر حقيقه التأثير الحقيقي بالشريعه ألحقه والتي يظهر فيه حسن استخدام المسلم ملكاته العدل والإحسان والرحمه في أداء حقوق بني جنسه حسب مراتبهم ف الله أمر بالعدل في كل شي فالميزات التنظيمه تهدف إلي اشاعه العدل ونشر الخير و لأن التعامل يحتاج الي التخاطب والقول هو العامل الرئيسي لذلك لهذا أرادت الشريعه أن تقرر الأساس الذي يكون فيه التخاطب في كل تعامل لحفظ الحقوق فالعدل واجب في الأقوال كما الأفعال فقررت الايه أنه لا يجوز انتهاك قاعده العدل تحت اي موثر من محاباه أو قرابه أو اي صلته فقال تعالي (ولو كان ذا قربي) لأن التفرقه بين المستحقين أو تدخل هوي النفس يعني الخروج عن مبدأ العدل الي الظلم والجور فواجب العدل في كل قول وفعل وكل شي

الوصيه التاسعه

(وبعهد الله اوفوا)

الوفاء بالعهد يعني التزام القيام بما التزم به وعهد الله تعني شرائعه التي جاء بها القرآن بأن تكون حياتك كلها وفقا لمنهج الله تعالى وتقديم الجار والمجور علي عامله (وبعهد الله) للاهتمام بأمر العهد إيدانا بالمسؤولية المترتبة علي العهد من الوفاء به فهو شرط ضروري ويدخل في هذا العهود والمواثيق الدولية المبرمه بين الدول لأن جميع العهود منبثقه عن العهد الايماني

ولما كان الوفاء بالعهد ناشئا عن التزم يأمر يستوجب أن يكون عالما به باعتبار أن العهد اعلام بالشي أو الأمر الذي التزم به العبد إنما يكون متحقق بالعلم به فالله يقول (ولقد عهدنا الي ادم فنسي) نجد النصوص تختتم بقوله تعالى (لكم وصاكم به لعلكم تذكرون)

فالذكر ضد النسيان ومحل الذكر القلب لقوله تعالى (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) فالغفله في القلب والذكر بـ القلب وايضا لأن الفطره مغروس ومنقوش فيها ما ذكر جميعا فالإنسان إذا عقل تذكر لأن الوفاء بالعهد إنما يقدر عليه صاحب الهمة العاليه ونفس اشرف وقدره اعلي فإنه يقبل بنشاط علي حفظ عهده وفهمه وتدبره يأخذه بقوه وعزيمه لايتردد لا يخرج عن الإعلام التي ترسم له حدود الطريق ومعالمها فأخذ العهد بقوه وعزيمه وإصرار علي تنفيذها هي من صفات الموفون بعهودهم الذين يصلحون للمراتب العاليه وهذا إنما يكون باليقظه الدائمه

ثالثا

تبين النصوص حقيقه ان الإسلام بان التوحيد هو المسؤول عن تنظيم جميع شؤون الإنسان السياسيه والا قتصاديه والاجتماعيه والثقافيه وكل امر من الامور فهي مرتبطه باساسها الاعتقادي الذي يعبت اصولها وينظم مجراها ويحكم وضعها فهذا الأساس الذي اخرج امه الاسلام وصاغ حضارتها

ولهذا نجد أنه تعالى يقول (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

الايه تتضمن الوصيه العاشره حيث عطفها علي ما ذكر في الايات السابقه وما تقدم من وصايا واومر ونواهي وتوجيهات

فاشار الي أن ذلك الطريق المستوي الذي لا اعوجاج فيه هو طريق الله الذي يجب عليهم أن يسلكوه فأمر باتباع طريقه علي لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

فهو الطريق الذي نصبه تعالى لعباده والموصل إليه لأن الطرق التي يسلكها الناس متعدده ومتنوعه وكلها ليست موصله إليه سبحانه وتعالى وانما الطريق الموصل إليه هو الذي نصبه علي السن الرسل وجعله موصلا لعباده إليه وهذا إنما يكون بالتوحيد بأن تربط كل أمر وكل شأن باساسها الاعتقادي الذي يعبت اصولها وينظم مجراها ويحكم وضعها فهذا الأساس الذي اخرج امه الاسلام و صاغ حضارتها فلا يكون عرض الاسلام في صور افكار مبعثره أو جزئيات وتفاريق مختلفه بل مرتبط بها الحزئيات والفروع مرتبطه ببعضها وبالاصوال وجميع ما ذكر مرتبط بالتوحيد فالله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يبين لعباده الطريق المستقيم ولهذا أرسل الرسل ونصب الادله فمن سلكه كان علي صراط مستقيم

يقول لك أن سلكت هذه السبيل وقعت علي المقصود ويحذر الحق من الانحراف في الطريق حيث أن هنالك خطوط وسبل متعدده علي جانبي الطريق كلها ليست الطريق المستقيم وانما فيها الهلاك فقد ورد عن ابن مسعود قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين

ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس منها سبيل الا وعليه شيطان يدعوا إليه ثم قرأ (وان هذا صراطي مستقيما الخ فمشروع الاسلام الحق هو الوراثة لجميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإنسانية وكذلك تم دمج الانحراف الابليسي في كل صورته التاريخيه في قالب واحد وإن اختلفت أفكارهم وتصوراتهم وأفعالهم ... ولهذا فالسبل التي حذرنا الحق من الوقوع فيها تشمل الأهواء والبعد والنحل والملل كلها فمشروع الوسيطيه والا عدال الاسلام هو الصراط المستقيم الذي يصلك بمدرسه الخير وتهتدي بهدايه الانبياء

والملاحظ أن الايات ورد التعقيب فيها بالاولي (لعلكم تعقلون) وفي الثانيه (... لعلكم تذكرون.) وفي الثالثه (.. لعلكم تتقون)

أن الايات تضمنت بيان الوصايا الالهيه العشر التي اوصي بها جميع عباده علي السن الرسل وهذا بمناسبه إنكار الله علي المشركين الحديث مشافهه بدون حجاب فقال تعالي (ام كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا)

ثم أخبر بعدها بما أوحى الله الي رسله وخص بذلك ما أنزل علي ابراهيم ومن سبقه من الانبياء لأن المشركون كانوا يدعون أنهم علي دين إبراهيم وان ماهم عليه أمرهم الله به ولهذا جاء بنفي أن يكون ذلك وحيا من الله تعالي لرسله فقال تعالي (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه... الخ

فذكر المحرمات بالاشارة الي قواعد الثلاثه .. الخبث المادي (رجس) ثم المعنوي (الفسق) باربعه أصناف تدرج تحتها مايشابهه وذلك لأن التحريم في المسائل الاخلاقيه الناتجه عن الآفات كانت تراكميه كلما ظهرت افه في امه وشاعت ارسل الله رسولا يحمل الدواء والمرحله الي ابراهيم لم يكن فيها اكل المنخقه والنطحه ... وانما هذه امراض خبيعه ظهرت في مراحل لاحقه ولأنهم لم يكونوا يدعون اكلها أنها من الشريعه ثم ذكر التحريم اللاحق تاديبا علي بني إسرائيل فقال تعالي (وعلي الذين هادوا حرمانا... الخ

وهنا جاءت الآيات تبين الوصايا العشر التي جاءت بها الشرائع السماويه وقد شملت مجمل ما حمله الرسل كقواعد كليه والتي حملها ابراهيم عليه السلام الذي يدعون الانتساب إليه ولهذا نجد أنه جاء التعقيب في الاولي (لعلكم تعقلون)

فيها بيان أن الرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل والعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلا ولهذا لا يعد عاقلا الا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره فالمجنون الذي لا يفرق بين هذا وهذا قد يلقي نفسه في المهالك وقد يفر مما ينفعه

أما الثانيه فقد جاء التعقيب (لعلكم تذكرون)

أن هذه الوصايا تعرفها الفطره فما جاء به القرآن منقوش في فطره الإنسان وهو معلوم لها فهي مقطوره علي حب الخير وكراهيه الشر لكنها تصاب بالغفله عارضه نتيجته تعاقب الأجيال ولهذا فإن الذي يعقل يكون مستعدا للفهم ويستجيب لنداء الفطره فالإسلام دين الفطره

أما في الثالثه

فجاء التعقيب (لعلكم تتقون)

بعد بيان أن مشروع الاسلام هو مشروع الوسيطيه والاعتدال (الاسلام) هو الصراط المستقيم وهو المنهج الذي يصل الامه بموكب الانبياء والمرسلين وهو الطريق الذي سار عليه ابراهيم عليه السلام الذي كان المشركين يدعون أنهم علي دينه فالرسل جميعا متفقون في الدين الجامع للاصول الاعتقديه والعملية فالاعتقديه التوحيد واصوال الايمان الستة والعملية ماورد في هذه الثلاث الآيات وهذا البيان والعلم الحاصل بالعقل والتذكر لا فائده

منه إذا يحاط بالخشيہ وقطع الرغبه فمن علم ولم يخشي الله لافايده لعلمه

ابتدأت آيات هذا القسم بقوله تعالى

(ثم اتينا موسى الكتاب تماما علي الذي احسن وتفصيلا لكل شي وهدى ورحمه لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)

اولا

وان ما يشد الإنتباه هو ابتداء الآيه بالعطف باداء العطف (ثم)

حيث أنها تفيد الترتيب مع التراخي في اللغة وهو ما أحدث اشكال لدي المفسرون لأنها وردت بعد الآيات الثلاث المشتملة علي الوصايا العشر التي وصي الله بها عباده واختتم بالوصيه العاشره (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وحيث أن الكثيرون عرفوا الصراط بأنه الاسلام فقالوا كيف يكون عطف انزال التوراه علي ما ذكر مع أن التوراه من حيث الترتيب الزمني يسبق القران ؟

وهذا القصور في فهم النصوص منشاه يعود إلي اساءه الربط بين النصوص حيث أنه لو تأملنا النصوص نجد أنها وردت في إطار الحوار مع المشركين الذين حرّموا بعض الانعام والحرث

وادعوا أنهم علي دين إبراهيم وان ذلك التحريم في شريعته إبراهيم وان الله أمر بها ..

ولهذا جاءت النصوص لازاله هذه الشبهات التي طالما استمدت قوتها في قلوب الناس من الدعايه الإعلاميه التي روج لها كفار قريش بين القبائل بأن الله فرضها وأمر بها فحرمتها تعود إلي تحريم الله لها علي لسان إبراهيم فقد جعلوا لها ولاصنامهم قوه تستمد من محبه العرب لابراهيم ودينه ولذلك نجد أن النصوص القرآنية جاءت تفند كل تلك المزاعم وتنفي أن تكون ديننا إنزاله الله علي ابراهيم اوغيره من الأنبياء الذين ارسلهم الله لامه العرب امثال هود وصالح وشعيب فقال تعالى (نبئوني بعلم أن كنتم صادقين) (ام كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى...الخ

ثم أمر نبيه أن يخبر هولاء بنفي أن يكون ما حرّموا من الانعام والحرث قد انزله علي رسله الذين ارسلهم لامه العرب الذي كان آخرهم اسماعيل عليه السلام فقال تعالى (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه الا أن يكون....الخ

فذكر لهم قواعد التحريم للاطعمه بانها تقوم علي ثلاث قواعد تحريم شرعي يعود إلي حمايه الإنسان من الأضرار الناجمة عن تناول تلك الاطعمه التي تفسد الجسد فقال تعالى (فإنه رجس) وتحريم شرعي يعود إلي مافيه من أضرار علي روح الانسان فقال تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) واما التحريم الثالث فهو لايعود الي الطعام و الشراب من حيث الصلاحيه وانما منبع التحريم عدوان وبغي الناس ولهذا فإن هذا النوع من التحريم هو تحريم عقابي تأديبي فقال تعالى (وعلي الذين هادوا حرّمنا...الخ

وبهذا كان اخبار اهل مكة قواعد التحريم الثلاث للاطعمه من حيث العله التي اوجبتها كما أوضحنا ومن المهم هنا بيان مساله في غايه الاهميه بشأن التحريم المتعلق بالضرار فإن هذا لايعني أن عدم اكتشاف الخبث في نوع من الطعام يسقط الحكم الذي ورد النص بتحريمه فليس الأمر كذلك لأن الله اعلم ما ينفع الإنسان وما يضره وما

لدي الإنسان من علم فهو نسبي الدلالة أما علم الوحي فهو قطعي

وبعد سرد الحجج والشبهات التي حاول المشركون مجابته الاسلام وافحام القرآن لهم تأتي النصوص مبينه أن الرسل كلهم متفقون في الدين الجامع للاصوال الاعتقادية والعملية فالاعتقادية التوحيد واصوال الايمان الستة و العملية ماورد في هذه الآيات الثلاث فقال تعالي (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم.. الخ

فذكر أن هذه الوصايا العشر هي قواعد اساسيه عملتيه حملها الرسل جميعا وهي المنهج الرباني الذي قامت عليه مدرسه الخير مدرسه الانبياء ومن اهتدى بهديهم فهذه هي أبواه المنهج الذي ينتسب إليه مواكب الانبياء فالإسلام هو مشروع الوسيطيه والاعتدال الذي جمع فيه جميع صور الأديان والتدين في مراحل الانسانيه ومن أطلق هذا الاسم علينا هو ابراهيم عليه السلام فامه العرب انفصلت عن بني إسرائيل ولم تحظي بالكتاب السماويه كما هو حال بني إسرائيل وانقطعت عنها المعارف الدينيه منذ عهد اسماعيل ولهذا يقول لهم أن هذه القواعد العشره هي الوصايا التي حملها ابراهيم عليه السلام واسماعيل وكل الانبياء باعتبارها قواعد كليه انبثقت عنها سائر القواعد الأخري فيها مجمل الأوامر والنواهي والتكاليف والمعالم التي تدلك علي الطريق المستقيم الموصل الي الله تعالي فهذه الوصايا هي ما وصاكم الله بها علي لسان ابراهيم واسماعيل وكل الرسل والأنبياء وهو طريق المسلمين وما سواه هو طريق الكفر والشرك والشيطان فأراد بقوله (هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

أن الإسلام هو دين إبراهيم كما ذكر الله تعالي في موضع آخر (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل... الخ والله قد أزم المسلمين باتباع مله إبراهيم فهو تعالي يقول (أن ابراهيم كان امه قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتبيناه وهديناه الي صراط مستقيم..... الي قوله تعالي (ثم اوحينا اليك أن اتبع مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالي (ومن احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع مله ابراهيم حنيفا) فدين ابراهيم مائل عن كل صراط غير مستقيم من اديان اهل الانحراف كالمشركين واليهود والنصاري

ولهذا عطف علي ذلك ببيان ما أنزل علي بني إسرائيل من التوراه باعتبار أن الرسل والكتب السماويه استمرت في النزول علي بني إسرائيل بعد ابراهيم في حين انقطعت عن العرب بعد اسماعيل فجاء العطف هنا (ثم اتينا موسى الكتاب تماما علي الذي احسن وتفصيلا لكل شي وهدى ورحمه لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) عطف علي جملة (تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم... الخ معلما عطف (قل لا اجد فيما أوحى الي محرما علي طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فإنه رجس او فسقا أهل لغير الله به.... الخ وعطف عليها (وعلي الذين هادوا حرمانا... الخ ومناسبه هذا العطف لان المشركين لما كذبوا رساله الاسلام زعموا أنهم علي دين ابراهيم وكانوا ينظرون إلي اليهود أنهم أهل علم وكتاب وموسي مشهور فيهم فقد أخبرنا الله بهذا في بدايه السوره عن ذلك بأنهم يعرفون ما أنزل علي موسي (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله علي بشر من شي قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسي نورا.... الخ

وعلي هذا يكون المراد بالايه تمهيد لبيان ان الاسلام هو المشروع الرباني الوراثة لجميع مراحل الديانات والتدين في مراحل الانسانيه فقال تعالي (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وعلي هذا فليس المراد التاريخي الزماني بالعطف وانما عطف الخبر علي الخبر فأراد بهذا العطف التحريض علي اتباع القرآن فكان التذكير بكتاب موسي تمهيدا لهذا الغرض

الأمر الثاني

أن العطف (ثم اتينا موسى الكتاب تماما علي الذي احسن وتفصيلا لكل شي وهدى ورحمه لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)

بعد قوله تعالي (وهذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

يهدف إلي بيان أن الكمال الإنساني إنما يكون بالمنهج الرباني فالإيات تناقش إثبات قضيه النبوه والرساله وحاجه الناس لها ليحصل كمال النفوس الذي إنما يتحقق بما في المنهج الرباني الذي يكون اتصال الروح بخالقها فتكريم الإنسان إنما هو بالروح والتسويه بيد الخالق وبالعلم

ولهذا فإن استقامه الإنسان علي منهج الله هو الذي يحفظ هذا التكريم فالابتعاد عن المنهج والخروج عنه يعني الفضيحه وانكشاف العوره كما أخبرنا الله في قصه ادم ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي المنهج الذي يده له علي طريق الله المستقيم ليحذر الانحراف خاصه وأن الحق سبحانه وتعالى لم يجعل ادم مكلف بنقل التكاليف لأولاده جيلا بعد جيل بل من رحمته تعالي بالبشر أنه جعل لذلك وسيله ارسال الرسل الذين ارسلهم مزودين بالكتاب ليبينوا للناس احكام الشريعة والأوامر والنواهي والتكاليف ويضع لهم معالم الطريق للوصول إلي الله وإصلاح ما في الارض ما فساد وانحراف عن طريق الله نتيجة المعركه بين الحق والباطل حيث أن البشريه بدأت موحده ثم إن الشيطان اغواءهم فهو قد توعد بني آدم بالاغواء والوقوف لهم في الطريق المستقيم فقال تعالي (لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

ولذلك فإن هذه السبل المتعدده والمتنوعه والتي تدعي الانتساب الي الرسل والأنبياء ماهي الا نتيجته الافرازات الناتجه عن اغواء الشيطان حيث أن المتأمل لمسيره البشريه يجد أن الحضارات تبدأ وفق مراد الله ولكن نتيجته تعاقب الأجيال فإن أتباع الأنبياء يصلون الي مرحله الكمال ثم بعد ذلك يبدوان في الانحدار والهبوط والانتكاسه ولذلك فإن هذا الطريق الذي سلكه الإتياع للرشل يعني أنهم صاروا عاملين للشيطان ولهذا عندما قال إبراهيم (ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين)

فعندما يحصل انحراف عن منهج الله فإن الله يستبدل عنهم قياده جديده لحمل رأيه الهدايه فإبراهيم عليه السلام م واسماعيل بنوا الكعبه لأجل عباده الله وحده لا شريك له

ولأجل أن تكون المكان الذي تنطلق منه رساله الاسلام الرساله العالميه التي هي وريث كل مراحل الديانات و التدين في الحضارة الإنسانية

الامر الثالث

تبيين النصوص الحكمه من اختيار الرسول الخاتم من امه العرب ومن نسل اسماعيل الذين تم فصلهم عن بني إسرائيل من قبل إبراهيم نفسه ولهذا جاء العطف للإشاره ماترتب علي فصل بني اسماعيل عن بني إسرائيل من انقطاعهم عن بني اسحاق فأخبرنا الله أن من ضمن ذلك أن بني اسماعيل لم يكن لهم نصيب من شريعه التوراه ولم يرثوا مع اسحاق وهكذا كان هجرهم من كل قرابه معهم أو رابطه أخري حيث أنهم قد انصرفوا عن دين وملة إبراهيم الحنيفه واحاطوا بالكعبه اصناما ولم يعدوا علي دين إبراهيم فالإيات السابقه قد بينت أن ما حرموا من أشياء وزعموا أنها شريعه إبراهيم هي محض كذب وافتراء وهذا يعود إلي انقطاع الوحي والكتب عنهم حيث جعل الله القياده بعد إبراهيم لبني إسرائيل ولم يحظي بنوا اسماعيل بشي من ذلك وهذا له حكمه الهييه ولهذا أخبرنا الله أنه اتي موسى التوراه والتمام حال من الكتاب اي أنه يشير إلي اكتمال ذلك بما تلقى بني إسرائيل من الصلاح الذي هو بقيه ما تلقوه من أسلافهم من صلاح من بعد إبراهيم واسحاق ويعقوب فالتوراه مكمله لصلاحهم وأنه جاء فيها تفاصيل كل التعاليم وفيه بيان طريق الهدايه الي البيان الذي يحملهم الي الخير والصلاح والسعاده ويحملهم علي الإيمان بقاء الله والتصديق باليوم الآخر لأن العلم يوجب الخشيه للإشاره الي اهميه الجد والا جتهاد في حمل الامانه من خلال العلم والعمل والشعور بالمسؤولية لأن بعد الكمال النقضان والانحدار والهبوط والانتكاسه وهو ما يقتضي المراجعه والتقييم للنظام والتشريعات والقوانين في الحكم لاي حضاره دينيه هل هي

موافقه للمنهج ام لا وهذا يعني المراقبه علي الدوام لمنع اصابه الحضاره بالشيخوخة التي تحدث الانتكاسه فالا نحراف يبدأ تدريجيا وعندها تسلب القيادة وتسلم الخلافة لامة أخري ولهذا ذكر الله أنه بعد انحراف بني إسرائيل عن التوراه انتقلت القيادة الي امه الاسلام وصار القران هو المنهج الرباني الذي يحقق مراد الله وبالتالي فإن قراءه المطلب الرباني إنما يكون من القرآن

فأراد الله بهذا أن يبين لنا أن فصل امه العرب عن بني ابراهيم فلم يكن لها نصيب من شريعه التوراه له حكمه وهذا لأن دورها في نيل النبوه بعد الجميع فالله أراد لها أن تحمل امانه قياده العالم كله بالبركات ولتزيل عنهم ما هم فيه من جاهليه فقد انزل الله عليهم الكتاب الكامل الذي به يكون إخراجهم من الظلمات ويكون اصلاح البشريه كما قال تعالي (مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء علي الناس) فحرمان امه العرب من العلوم الدينيه وفصلها عن بني إسرائيل علي يد ابراهيم هو لأن الله اختصها بدور مهم بحمل رايه الهدايه للعالم أجمع ولذلك قال تعالي بعد بيان منزله القران (أن تقولوا إنما انزل الكتاب علي طا ئفتين من قبلنا وانا كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا الخ

فجاء التحذير من السير في طريق المغضوب عليهم و الضالين ثم ذكر بعدها أن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم هو طريق ابراهيم عليه السلام

ثانيا

قوله تعالي

(وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما انزل الكتاب علي طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينه من ربكم وهدى ورحمه فمن اظلم ممن كذب بأيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)

المبحث الأول

جاء فيه افتتاح الجملة باسم الاشاره (وهذا) وجعل الكتاب الذي حقه أن يكون مفعول انزلناه مبتداً

والغرض من هذا كله الاهتمام بالكتاب القران وشد الإنتباه الي الأخذ بما جاء فأراد بهذا أن يكون استقبال ما فيه بـ القبول بقوه وعزيمه وهمه قويه وجد واجتهاد واستخدم كلمه (انزلناه) اي أنه منزل من الله العليم الخبير الحكيم الذي تستمد منه سائر العلوم وتستخرج منه البركات من أخذ به نال السعاده فأراد بهذا :-

إقناعهم بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم وأفكاره وما يدعوهم إليه وكسب ثقتهم فهذه هي المرحله الاولي لكل داعيه

فيقول لهم الحق أن القرآن الكريم ذو البركات انزله الله لتربيتكم واصلاحكم لتكونوا اهلا لحمل امانه الخلافة وإص لاح البشريه كلها وهو كتاب عظيم ولهذا جاء التفريع بالأمر باتباعه علي كونه منزلا من عند الله وكونه مباركا طاهرا لانه من اتصف بهذه الأوصاف لا يتردد أحد في اتباعه

لأن هذا فيه إثبات أنه من عند الله وليس عائدا لموهبه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نابع من ذكائه أو من شعوره الدقيق بل هو منزل من الله

فالآيات تناقش قضيه الرساله والنبوه بأنها تعيش في نطاق البيئه التي تشهد لها والحجه التي تؤكد لها لا في إطارها البشري الذي وضعه لها فإن حصل منهم الاقتناع فأمنوا بأن الرسول مرسل من الله كان القبول بما جاء به بعد ذلك اسهل لانه صار محل ثقة عندهم ومحل الصدق الذي لا يرتاب

ولهذا فإن اسم الاشارة فيه توجيه الأنظار إليه لكي يتدبروا آياته يرغب لهم به فقد أرسل الله الرسول صلى الله عليه وسلم وانزل القرآن رحمه منه تعالى وزوده بالاداله فعين المنهج هو المعجزه فما عليكم الا ان تفتحوا عليه بعقولكم وافكاركم بقناعه تودي الي اتباعه طواعيه لا قسرا والاتباع يطلق علي العمل بما فيه والكلام في معرض الدعوه للإيمان ب الله ومحبه وعبادته وتوحيده وطاعته والايمان بالرسول والتصديق بالرسالة واليوم الآخر و الجنة والنار والقضاء والقدر... ولهذا فإن قوله فاتبعوه :تعني أن تجعلوه إماما في كل حركه وعمل وقول فقال تعالى (فاتبعوا و اتقوا لعلكم ترحمون)

المبحث الثاني

أن النصوص ورد فيها تعليق طلب رحمه الله علي الأمر باتباع القرآن وتقوي الله فقال تعالى (فاتبعوا و اتقوا لعلكم ترحمون)

اي أنه جعل مناط الرحمه التي يطلبها العباد والتي تعني ما يرجوه العباد (الرجاء) مقرونا باتباع القرآن وخوف الله...ومعلوم أن اتباع القرآن يعني التعبير عن حب الله تعالى لقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ومن هنا نفهم ان عباده الله تقوم علي ثلاثه امور (الحب والخوف والرجاء)

فمن عبد الله بالحب وحده فهو بذلك غير مومن ومن عبد الله بالخوف وحده فهو كما قال السلف حروروي ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو رجائي

ولهذا فإن غياب واحده من هذه الأمور تعني الابتعاد عن الطريق المستقيم فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلوان إليه بمعل خوفك ورجاءك وحبك لله فإذا خلا القلب من أحدها فسدت البقيه واذا ضعفت أحدها حصل ضعف الايمان فالخوف بمثابة السواط الذي يمنع الرحاله عن الانحراف في الطريق والرجاء يعني حسن الظن ب الله يمددها بالنشاط فلا تتردد والمحبه هي التي تمدك بالشوق فتكون المحرك الباعث علي الاستمرار ولهذا جعل مناط الرحمه الذي هو مطلوب العباد مقرونا بالحب والخوف لأن الجزء من جنس العمل فمن أتقن واحسن الإبتاع وخوف الله ورجاءه نال المطلوب فهذه هي الأسباب الموصلة للغايه

المبحث الثالث

تبين النصوص انتقال القيادة الدينيه وحمل امانه الخلافه من بني إسرائيل الي امه العرب علي العالم أجمع فهذا هو السر في فصل امه العرب عن بقيه بني ابراهيم من قبل ابراهيم الذي أخبرنا الله أنه جعل الامامه في ذريته ولهذا فقد كان ذلك الفصل لبني اسماعيل الذين لم ينالوا نصيبا من شريعته التوراه لحكمه وهو أنه جعل دورهم في آخر الزمان ولهذا كان العطف (ثم اتينا موسى الكتاب... الخ

علي قوله (وهذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق... الخ

لبيان انه بعد ابراهيم جعلت القيادة الدينيه في بني اسحاق ومن بعده يعقوب ويوسف حتي وصلت إلي الكمال بانزال التوراه...وبعد ذلك كان التحول في قراءه المطلب الرباني الي القرآن فقال تعالى (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلكم ترحمون)

فأشارت الايه الي فضل القرآن المجيد وسر اختيار امه العرب لحمل الرساله الاخيره في هذه الفتره الزمنيه تحديدا في قياده العالم فامه العرب متخلفه وتجهل العلوم ولذلك

قال تعالى (أن تقولوا إنما انزل الكتاب علي طائفتين من قبلنا وان كنت عن دراستهم لغافلين)

اي لقطع الأعدار فلا يكون الاحتجاج بما هم فيه من الجهل نتيجة انقطاع الوحي عن امه العرب نتيجة فصلهم عن بقيه بني ابراهيم فلم يكن لهم نصيب من شريعته التوراه والإنجيل فقطع عذر الاحتجاج بفصلهم عن بني إسرائيل وانهم لم يكلفوا بما جاء في التوراه والإنجيل فالايه تشير الي حقيقه ما كانت عليه امه العرب من الجهل فلا علم حيث سرت إليهم الوثنيه من وثنيه الرومان علي يد عمرو بن لحي بعد أن فشا فيهم الجهل وانقطعت عن بلادهم اثار النبوه لتقادم عهد اسماعيل عليه السلام فوجدت الوثنيه من عقولهم و قلوبهم

مرعي خصييا فملك مواطن الإذعان من عقولهم وتغللت الي مقر الواجدان من قلوبهم ومهد لها الجهل سبيلا الي ذلك الاحتلال الذي أفسد معتقداتهم وعلي توالي الأعوام رسخت في أعماق شعورهم رسوخا جعلهم في ذلك الجهل وفساد الاخلاق كما ذكرت النصوص من قتل الأبناء والزنا وشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله فذلك الا نحطاط الأخلاقي الذي تصوره الآيات يعني أن دور هذا الكتاب متعدد فاول هذه المهام هو ازاله ما هم فيه من توحش وتخلف وإعدادهم وتاديبهم ليكونوا اهلا في قياده العالم ولهذا استعمل لفظ (انزلناه) اي انزله من اللوح المحفوظ الي السماء الدنيا وهذا فيه الاشاره الي زمان نزوله الذي جعله الله مباركا وهو ليله القدر لأن نزوله بعد ذلك كان منجما واشاره الي ما في القران من بركه عند تلاوته حيث يتنزل الملائكه مع نزول البركه والرحمة عند حلقه الذكر والذي به كان تربيته المجتمع المسلم فأحدث ذلك الانقلاب العجيب في واقع العرب سري اثاره في الأ مم الأخرى فكانت معجزه القران الكلمه البيانيه هي المعجزه الخالده التي أحدثت هذا التغيير حيث أنها بعد أن جعلتهم أناس ارشدتهم الي الاخلاق الفاضله فقد جمع القران بين كونه عين المنهج فهو أيضا المعجزه ولهذا كان انتقال النصوص الي قطع الأعدار وابطال حجه عدم الانذار بانه قد سقطت الأعدار بنزول القران الذي فيه تفصيلا لكل شي يقول لهم أن اختصاص امه العرب بالرساله الاخيره هو تكريم من الله تعالي فهو بلسانكم فلا غموض فيه فقد كان فصل امه العرب عن بقيه بني ابراهيم لكي تأخذ دورها في نيل النبوه والرساله التي اختصها الله بها لقياده العالم

و بالقران الذي جمع بين المنهج والمعجزه التي تتناسب مع انتقال البشريه من مرحله طفوله النوع البشري وعهد بلوغه أشده واستكمال خصائصه التي ميزه الله بها علي كثير من خلقه فكانت المعجزه البيانيه هي الكلمه المناسبه للتخاطب مع العالم أجمع وهذا يوجب عليكم المسارعه في الايمان فلا تقعوا فيما وقع فيه بني اسرائيل اليهود والنصارى فلا عذر لكم فقال تعالي (أو تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكننا اهدي منهم) فاي كتاب تنتظرون بعد هذا الكتاب الكامل الذي تكفل بإصلاح البشريه كلها وهو كتاب للناس كافه وفيه اصلاح الامم كلها فلا عذر لكم فقال تعالي (فقد جاءكم بينه من ربكم وهدى ورحمه فمن اظلم ممن كذب بأيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)

فما المراد بالبينه هنا ؟هل المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ام القران الكريم ام كلاهما ؟

انه من خلال امعان النظر في الايه نجد أنها وردت في إطار ازاله ما يمنع الناس من الإيمان فالايه توحى أن هنالك ثمة شبهات حاول الكفار إثارتها حول موضوع النبي صلى الله عليه وسلم وحول رساله حاولوا القاء الريبه في النفوس الضعيفه لتحمل علي الاضطراب وعدم التصديق ومن هذه الشبهات التي اثارها المشركون التي ظنوا أنها يمكن أن تهدم دعائم الدعوه الي الاسلام هو اعتراضهم علي نزول القران منجم وايضا أنه لم يأتي بالخوراق كما جاء الرسل والأنبياء من قبل فقد اتخذوا من ذلك سلاحا لتنفير الناس اتخذه سلاحا نفسيا للتشكيك بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران لمنع الناس من مجرد الاستماع للنبي والتقليل من شأنه حتي لا يهتم به ولا يلتفت إليه فتظل ثقه العامه به مفقوده ويهربون منه فهذا السلاح هو ما يلجأ إليه اتباع الشيطان في كل زمان فهم يلجأون الي استخدام هذا السلاح لتحطيم مكانه الانبياء والدعاه حتي لا يسمع لهم العوام ولهذا جاء ت النصوص بأسلوب الحوار بهدف ايقاف محاوله هولاء التشكيك بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقران وازاحه الشبهات الباطله من خلال دعوتهم الي التفكير الهادي والعميق في القران وما فيه فهو معجزه واضحه لا لبس فيه فهو بلغتهم ويعجزون أن ياتوا بمثله فالقران هو البينه التي تعيش في إطارها المعجزه التي تؤكد صدق القران أنه منزل من

عند الله فلا عذر لكم فرساله الاسلام للعالم أجمع الي قيام الساعة فهو غير مرتبط بزمن معين أن رساله الاسلام مرتبطه بتحويلات خطيره في واقع البشريه أنها الحد الفاصل بين مرحله طفوله النوع البشري وعهد بلوغه أشده فجميع الرسل كانوا تمهيدا لرساله الاسلام الذي يكون فيه كمال البشريه حيث أن بعثه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول بعثت انا والساعه كهاتين وأشار للسبابه و (التي تليها)

ولهذا كان القرآن هو المعجزه وهو عين المنهج الذي فيه بيان طريق الهدايه الذي فيه الاهتداء الي الغايه التي خلق الانسان من أجلها وفيه الرحمه لمن انقاد لما فيه وإصلاح العالم وكذلك فإن مجئ النبي صلى الله عليه وسلم ب القرآن بينه بحد ذاته تدل علي صدقه كونه امي لايقرا ولا يكتب ولم يجلس لاهل العلم وبالتالي فإن ذلك يدل علي دحض مزاعم وأوهام وظنون أهل الكفر

وبعد اقامه الحجه عليهم وازاله الشبهات التي حاولوا إثارتها لمنع الناس من الاستماع للرسول صلى الله عليه وسلم والي دعوه التوحيد ترسم لنا الآيات رده فعل الكفار فقال تعالي وصفا ذلك (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) لتطلعنا علي حال المعاندون والمكابرون في كل زمان ومكان فإنهم عندما يعجزون عن الرد الشرعي والمناهض لما حواه الدليل الذي يظهر لهم الحقيقه فإنهم يلجأون الي التكذيب بها واخفاءها علي الآخرين من خ لال اظهار عدم الاهتمام بما بقول النبي أو الداعيه والتعالي فهذه الافه تجعله يصعر وجهه الي الجبهه الأخرى عندما يسمع الحقيقه بقصد اظهار أن ما يقوله النبي وما جاء به لاقيمه له ولايستحق الاهتمام كما تفعل الإبل المريضة تصدق اي تميل بجسمه ولاتستقيم ولهذا يأتي وصف ذلك الفعل بأنه اشد انواع الظلم فقد ظلم فيه نفسه وظلم غيره بأن منعهم بذلك السلوك القبح من الإقبال علي الحق والقبول به فجمع بين أمرين التكذيب وصد غيره من خلال تصعير الوجه حيث أن ذلك يدفع العوام الي اتباعه فاظهار التقليل من قيمه الآيات أمام العوام اشد من مجرد التكذيب لانه اجتمع فيه الضلال لنفسه والاضلال لغيره فتلك الحركه (وصدق عنها)

فاستخدمه حركه تصعير الوجه للتعبير عن كراهيه الحق ولتنفير الناس عنه وهذا إنما يصدر عن من له سيطره وقوه تأثير علي الناس فهم من يملكون سلطه القرار الذين بهم يكون صلاح الناس أو فسادهم وهم صنفان أما العلماء الذين لهم القياده الدينيه (الفتوي) أو من يملكون السلطه القدرية لأن العوام يتأثرون بهم ولهذا يأتي التهديد (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)

أن هذا الفعل لاينتقص مو قدر النبي والداعيه وانما تعود أضراره علي الذين يتعالون عن آيات الله بأنه سوف يعاقبهم والسين فيها تأكيد العقاب فهو تعالي يحذر من الاستهزاء والتعالي عن آيات الله

فالمطلوب منك الوقوف علي آيات الله وتديرها وفهم ما فيها تقف وتتفكر بهدوء واتزان واطمئنان تقبل ما أمر الله واختار لك عليك أن تجعلك غريزه الحب تابعه لما يحب الله وغريزه البغض تابعه لما يكره الله ويبغض لأن الإ نسان قد يكره شئيا وهو خيرا له وقد يحب شئيا وهو شرا له

ثالثا

فالآيات تعطينا أيضا صورته كامله عن أساليب الكفار في كل زمان من دعوه الحق وبالذات اولئك الذين يكون لهم تأثير علي العوام لأنهم يرون أن الحق الذي يدعوههم إليه الدعاه يمتل خطرا علي ما لهم من نفوذ وسيطره علي العوام ولهذا فإنهم يحاولون تحويل الحوار من القضايا المطروحه للنقاش الي حوار حول الأشخاص والذوات من خلال التقليل من قدر الداعيه واتباعه أو غيرها من الأمور وهو أسلوب يهدف إلي تحويل دفة الحوار بعيدا عن القضية الاساسيه المطروحه وذلك هروبا من الدلائل والبراهين الموكده صدق ما يدعوههم إليه الانبياء فنحن نعلم كيف أن فرعون بعد أن عجز عن مجابهه حجه موسي قام بمحاولة صرف أنظار الناس عن الحجه القاطعه الي مناقشه فقر موسي ملابسه الرثه واستعلي بالذهب فقال تعالي في سوره الزخرف (فلولا القي عليه اسوره من

ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه)

وهكذا فإن المعاندون والمكابرون يخافون أن يتأثر الإتياع بالحجه والدليل ولأن الانبياء كانوا يندرون الناس العذاب اذا لم يؤمنوا بالله ورسله ولهذا فإن رده فعلهم أنهم كانوا يقولون للرسول لست صادق في دعوتك حتي تنزل العذاب علينا ويستمررون في التعنت خوفا علي مصالحهم وهذا ما يعمي أبصارهم ولذلك يقول تعالي بعدها (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفذ نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون)

الأمر الأول

تشير اليه الي استمرار المشركين في العناد والتعنت بعد أن تناولت النصوص الجدل معهم لغرض إقناعهم بما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان وبعد بيان سر اختيار امه العرب لحمل رساله الاسلام في هذه الفتره الزمنيه تحديدا والعالم في فساد عقائدي وانحلال أخلاقي وفيه ما فيه فآخبرنا أن هذا الاختيار فيه شرف لامه العرب بهذا الاختيار كونها مكلفه بحمل رايه الهدايه للعالم أجمع في مرحله الرشد الإنساني والتي كانت المعجزه هي القران اي المعجزه الفكرية البيانيه البلاغيه فالايه تبين من خلال هذه الأسئلة مفاصد العناد و الشقاق والتنازع بالباطل يقول لامبرر لهؤلاء ولهذا تأتي الاسئله لبيان ماهم فيه من الانحراف فطلب هؤلاء الخوراق والمعجزات الماديه ليس لنقص البيئه أو غموضها بل نتيجة العناد ومن كان هذا حاله فإنه لا يستجيب للحق لماذا ؟

لانه يعاني من داء التفسير العقلي المادي للأشياء والأحداث

فطلب الخوراق والمعجزات الماديه ناتج عن قراءه التاريخ بمعزل عن الديانات لانه لو كان قراءه التاريخ القراءه الشرعيه بربط الوعي عن الديانه كتنزيل شرعي وفهم عاقبه الخروج عن المطلب الرباني والنظر لموقف المعاندون والمكابرون من الأمم لتبين لهم أن سنه الله تعالي هو أن يكون استئصال المكذبين بعد مجى الخارقه والمعجزه الماديه ولهذا فإنه لو استجيب لطلبكم فلم تؤمنوا فإن مصيركم الهلاك والدمار ولهذا فإن الاسئله تضع التشخيص السليم لما يعاني هؤلاء من أمراض بأنه يعود إلي العناد والقراءه الماديه للأشياء فهذا الداء هو الذي يقف وراء خروج هؤلاء عن شرف حمل رايه الخلافه التي اختص الله بها امه الاسلام في اخر الزمان

فأراد بهذه الاسئله أن يلفت انتباه المخاطبين الي خطوره هذه المرحله كونها مرحله تحول في حياه البشريه ف البعته والرساله المحمديه هي اول علامات الساعه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (بعثت انا والساعه كهاتين) حيث أن بعته النبي صلى الله عليه وسلم تعني ختم الرسالات فلا نبي فالاصل أن مجى هذه العلامات أن يكون دافعا للقراءه الواعيه لهذه التحولات ودافعا الي التفكير العميق في المساله واستشعار الامه مسؤوليتها في حمل امانه الخلافه في مرحله الرشد الإنساني في رده علي طلبهم الخوراق والمعجزات الماديه يقول لهم عليكم إدراك ابعاد الرساله الاخيره والتي تمتد الي قيام الساعه ومحاولة التحبيب لهم بما يدعوهم إليه من خلال اظهار اشفاقه عليهم من عواقب هذا الجحود والكفر والعناد يقول لهم أن نهايه المعجزه الماديه اذا لم يؤمن الناس أن يكون بعدها عذاب الاستئصال فهذه سنه الله ولان رساله الاسلام تمتد الي قيام الساعه فالمعجزه البيانيه الفكرية التي جسدها القران تمثل أحد الخلود المناسبه لهذه المرحله مرحله الرشد الإنساني وان المعجزه الماديه لاتلبث أن تفقد قيمتها وقدرتها علي التأثير لأنها تزوال بزوال الأجيال التي عاصرتها فقد كانت مناسبه لطفوله البشريه وتميزها ومراقتها لأن التجسيد المادي اول مدركات العقل ولهذا فإن المعجزه الفكرية البيانيه البلاغيه معجزات الرساله الاخيره الخاتمه متلائمه مع مرحله الرشد الإنساني لأنها متجرده عن ظرف الزمان والمكان والقدرة علي التنزيل حسب الظروف والاحوال هي اعلي مدركات العقل فرساله الاسلام هي للبشريه كلها ومعجزتها الي الناس كافة في كل زمان ومكان وهذا ما تميزت به الرساله الاخيره فما الذي أعاق هؤلاء من الإيمان الا العناد والتعنت

الأمر الثاني

الايه تناقش قضيه اليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب فالاسئله التي ابتدأت بها تهدف إلي تصوير مشهد مجئ الملائكه والحديث عن وقوف الناس في ساحه الحشر والحساب ومجي الرب للفصل بين العباد والعذاب واهواله فقال تعالى (هل ينظرون أن تأتيهم الملائكه أو يأتي ربك) وهذا إنما يكون يوم القيامة كما قال تعالى في موضع آخر (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقال تعالى في موضع آخر (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكه) فالأتيان لا يكون إلا في يوم القيامة فالدعوه للإيمان باليوم الآخر من النقاط الاساسيه التي أمر الحق نبيه أن يحدث الناس عنها ليكون حافزا للإيمان فهو حديث من تذوق الآيات لانه حديث ينقله الرسول للناس عن ربه يهدف أن يكون نصب أعينهم العذاب مائلا أمامهم يرون الجنه والنار بنعيم الاولي وجحيم الثانيه انه حديث ينقله النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو يعرف تلك الأهوال وشدتها والباعث لهذا كله اشفاقه علي قومه من هذا العذاب ومن هذا اليوم الذي سيكون فيه الجزء والعقاب حديث من يملك المعرفه عما يحدثهم به لأنه من أمور الغيب التي لاوسيله لها إلا الوحي الذي ينقله الرسول الناصح والمشفق علي قومه من الهلاك ولهذا يقول لهم أن عليكم أن تتخذوا وقايه تقيكم من الهلاك فانظروا الي النهايه للحياه فهي تنتهي بكم أما الي الجنه او النار ليكون ذلك حافزا للمسارعه الي الايمان والأعمال الصالحه عندما ينظرون إلي الاضطراب والخلل فيشعرون أن ذلك خطرا يهدد المجتمع بالفناء اذا انتشر الفساد فلا نجاه لهم إلا بالإيمان والعمل الصالح

الأمر الثالث

يتوجه الحق سبحانه وتعالى بالاستفهام الانكاري للتحذير من الوقوع في مصيده التسوييف والاغترار بالدنيا بعد أن بينت النصوص مسيره الحياه الانسانيه في الأرض من ادم الي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم التي هي آخر الرسالات وهي أول علامه علي قيام الساعة التي هي نهايه العالم وبعدها يكون المستقبل وقد أخبرنا الله ورسوله ان هنالك علامات كبري للساعه كما ورد في الحديث عن أبي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعه حتي تطلع الشمس من مغربها) وفي لفظ فإذا طلعت وراءها الناس ... فلا ينفع نفسا إيمانها لم تكن امنتم من قبل

وحديث اخر ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن امنتم من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا... طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابه)

فهذه العلامات الكبري فقال تعالى (أو يأتي بعض آيات ربك)

عطفا علي قوله (هل ينظرون أن تأتيهم الملائكه أو يأتي ربك)

وهذا فيه الآتي

المساله الاولي

(ما مناسبه العطف بينهما)

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يحث الناس علي الإيمان فهو أمر متعلق بالغيب فلا ينتفع به إلا في حاله التصديق بالغيب ويوم القيامة وصفت بأنها يوم جزء والايمان بها غيب فإذا شاهدها الإنسان انتفي شرط الغيب ولهذا لايقبل الايمان في بعد حصول البعث والنشور لانه لم يعد غيب و وعطف عليها العلامات الكبري للساعه لأنها مانعه من الإيمان لمن لم يؤمن من قبل اي أن الكافر إذا انشا ايمان بومئذ لايقبل منه فقال تعالى (لاينفع نفسا إيمانها لم تكن امنتم من قبل) لانه لم يعد الايمان غيبا

المساله الثانيه

أن الحث علي الإيمان بالغيب واليوم الآخر مقرونا بالعمل الصالح لانه هو الحرز الذي يحذر العاقبه الصائر لها يحفظها من سوء المصير وهذا إنما يكون قبل قيام الساعة وقبل ظهور العلامات الكبرى لانه لم يبق للإيمان معني وايضا فإن الجزء إنما يكون مرتبطا بالاختيار للطاعة أما إذا كان اضطرارا فلا فائده منه فقد ورد في الحديث جفت الاقلام ورفعت الصحف اذا طلعت الشمس من مغربها فلا ينفع الكافر الايمان حينها لانه ايمان المضطر الذي شاهد الغائب الذي لم يعد غائبا وبالتالي فلا معني للإيمان لانه لا يكون إلا في حاله التصديق بالغيب

المساله الثالثه

ان الإيمان لابد أن يكون مقرونا بالعمل الصالح ولهذا تبين النصوص إن المومن المقصر لا يقبل منه عمل صالح بعد ظهور العلامات الكبرى أو قيام الساعه مثلما أن الكافر لا يقبل إيمانه فعطف عليها (أو كسبت في إيمانها خيرا) اي لا يقبل منها كسب صالح اذا لم يكن كسبه من قبل الا ما كان خيرا موجودا من قبل

المساله الرابعه

أن اللازم علي المومن النهوض وترك الخمول والجمود والتسويق عليه أن يدرك المسؤوليه الملقاه علي عاتقه فلا يتقاعس عن القيام بدوره فالمرحله في غايه الخطوره لانه مثلما أنه تم جمع قوالب الأديان كلها في الإسلام فقد جمعت كل صور الكفر والشرك والدجل في صورته واحده فذكر القران المستقبل وأحداثه والتي منها العلامات الكبرى للساعه واليوم الآخر وعواقب ذلك فإن هذه الاخبار تهدف إلي اطلعنا علي المستقبل و رؤوي مستقبلية نتجنب من خلالها كل تقصير يجعلنا عرضه للهلاك فهي تطرح علينا عداه اسئله ماذا أعدنا لها ؟ وماهو الرصيد و السلاح الذي ينفع في هذه المواقف وان سبيل النجاه من هذا المستقبل يكمن بالإيمان الخالص مقرونا بالعمل الصالح ليكون باعنا علي الإسراع في البذل والعمل الصالح وتدرك الإنسان نفسه قبل فوات الاوان وان اول خطوه علي طريق تجاوز مخاطر ذلك المستقبل هو تنميه جوانب الخير الايجابيه ومحاصره جوانب السلبيه فعلي المسلم قبل الإقدام في أي عمل أن ينظر هل هذا الفعل صالح ومن اعمال الخير ام هو شر ينظر إلي مشروعيه الفعل فإن كان صالحا اقدم عليه وإن كان شرا تركه

الأمر الرابع

ان الإيمان الحقيقي بالامور الغيب هو ذلك الايمان باليقين الجازم ولهذا يأتي تذييل ماسبق قوله تعالى (قل انتظروا انا منتظرون)

فالاخبار عن الغيب فيه التدريب علي رؤيه النتائج من خلال حصول المقدمات وإظهار قوه التصديق باليقين لأن الذي يرتكب المعصيه فإنه أما أن يكون غير مومن بالعقاب باليقين أو أن فعله عائدا الي التهاون الناتج عن زياده الرجاء والطمع برحمه الله من دون عمل فناسب مجئ هذه الجملة بعد قوله (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)

فالذي مستقين أنه لو ارتكب المعصيه أنه سوف يعاقب لو أمن بذلك باليقين الجازم فإنه لن يرتكب المعصيه وكذلك فإن المومن. باليقين الذي يقوم إيمانه علي التوازن بين الخوف والرجاء لن يتهاون عن الأعمال وسوف يسارع الي العمل الصالح وتنميه جوانب الخير ولهذا يأتي التعقيب (قل انتظروا انا منتظرون)

فهذا قول الواثق بالله ووعده ووعيده يقول لهم أنتم تنتظرون القوراع ونحن نتظر ما وعدنا الله من الجنه ونعيمها فلا يصاب باليأس لانه واثق بنصر الله فهو متوكلا علي الله واثق بوعد

فنظره المومن تختلف عن نظره الكافر لامور الغيب ذلك أن نظره المومن للاخبار التي تتحدث عن الغيب وأشراط الساعه الصغري والكبرى يعني أن إيمانه يقتضي القراءه الواعيه لهذه الاخبار فيكون واثقا بوعد الله فلا يضعف

أمام قوه الباطل يري المحن أنها تدريب ومقدمات توصله الي نتيجه وهي النصر ولهذا يستمر بالدعوه بعزيمه قويه وهمه عاليه وقلب مفعم بالنشاط والحيوية لاتساوره الاحزان والشكوك فلا يقعد عن حمل المهمه وإصلاح ما أفسد من أحوال الأمم فهذا القول المأمور به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكه حيث كان يعاني واتباعه ا لاضطهاد والإهانة والتعذيب والتنكيل علي يد المشركين لكنه لم يضعف ولم يهادن لانه واثقا ب الله ثابتا علي الحق لايتزعزع

الأمر الخامس

أن النصوص تهدف إلي إدراك ابعاد رساله الاسلام الرساله الخاتم التي تعد أول علامه علي الساعه لقول النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت والساعه كهاتين)

وهذا يقتضي منا أن نفقه هذه التحولات في حياه البشريه بالقراءه الواعيه لهذه العلامات يريد منا أن نستشعر مسؤوليتنا ونصطحب بوصله الوحي لمواجهه التحديات التي ترافق تلك التحديات حيث أن مسيره الدجل اجتمعت في قالب واحد لغرض هدم بناء مدرسه الخير من خلال وضع البرامج والخطط التي تهدف إلي تفكيك عري الاتصال بين جماعه المومنين ومجموعاتها المتداخلة والفصل المتعمد بين التاريخ والديانات ولهذا فإن عصبه المشروع الابليسي يبدوان في تمزيق الامه وسلب قرارها و صرفها عن مسارها الصحيح وتفريقها فقد ورد في الحديث (تدعي عليكم الأمم كما تتداعي الاكله لقصعتها)

وهذا يعني الرغبه في تقسيم الامه وتمزيقها وقد شاهدنا كيف صار حال الامه عندما ابتعدت عن منهج الله فقد أصابها الذل والوهن وكلف الامه أنها فقدت قياده العالم فالتفرق والاختلاف يعود إلي ما حذرنا الله منه عندما أمرنا أن نبتعد عن خطوات الشيطان الموديه الي الفرقه والتنازع التي أفسدت الأمم الأخري وأمرنا أن نحتمي من ذلك بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وأن نعمل علي اعاده اللحمة الشرعيه بالمنهج سواء في العباده أو المعاملات أو في قراءه التاريخ عبر مراحل البشريه وتطورها أو داخل الجماعه الاسلاميه ف الله سبحانه وتعالى يقول (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ... الخ وقال تعالي (و لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) لأن الاختلاف يعني الضعف وانتقال القياده وتصير الامه تابعه بعدما كانت قائده للعالم وهذا ما حصل ولهذا قال تعالي (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي إنما أمرهم الي الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

فأراد بهذا

المساله الاولى

التحذير من طريق الانقسام الذي سلكه اليهود والنصاري الذين انحرفوا عن الطريق المستقيم الي فرق وجماعات متناحره صاغت النظريات القائمه علي العصبية والقوميات ومحاولة تطويع الدين لأجل المصالح الضيقه فهذا الأفعال تعود إلي سياسات الشيطان لتوجيه الناس نمو مسارات وخطوط معوجه بعيده عن الطريق المستقيم و القران عندما يكشف الداء يضع المسلم أمام مسؤوليته للمساعده في الوقايه من الوقوع في الداء قبل حصوله ف الوقايه خيرا من العلاج وكذلك يدلك التشخيص السليم للداء علي الدواء ولهذا يفهم من الايه أن البدع والتقليد وفصل التاريخ عن الديانة من عوامل الانقسام المنهي عنه الذي ورد فيه الحكم الإلهي أنهم خارجون عن شرف الا نتساب للرسول صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام فقال تعالي (لست منهم في شي)

يعني أن هولاء فقدوا الهويه الاسلاميه وهو ما يقتضي منا للحيلولة دون الوقوع في هذا الداء أن نهتم بتربيته الأ جيال علي الهوايه الاسلاميه

المساله الثانيه

انه للمحافظة علي الهويه الاسلاميه فإن اللازم علينا اتخاذ إجراءات وقائيه لسد الثغرات التي يتسلل منها الأعداء الي كيان الامه فعند قراءه أي أمر او شان تاريخي لأعمال المفكرين والمثقفين لابد أن نربط ذلك بربط الدين كتنزيل شرعي وعلي التاريخ كحياه مجتمعات ننظر الي موقفه من الدين والمطلب الرباني فاذا كانت موافقه له بـ الدليل الشرعي أخذنا به فالدين أمرنا بالاجتماع والاتئلاف أمرنا بتربيته الجماهير علي ما يجمع شملهم ويوجد وحدتهم تحصيلا وابقاء ليحمل الجميع علي ترصيص الصفوف وتوحيد الكلمه ونفي التنازع والاختلاف ونهي عن التفرق والاختلاف فقد حث القران علي تربيته الجماهير علي ما يجمع ويضم ولهذا فالاخوه الاسلاميه فوق كل العصبية ايان كانت اسمها مذهبيه أو طائفية أو مناطقيه فلا بد من تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي ليكون المسلم رافضا لكل شرع أو وضع ليست الحاكميه فيه لله تعالي لابد من الرفض والتبرء من جميع العصبية وكل ما خالف منهج الله من اللحظه الاولي وقبل الخوض فيها فمن اتبع عصبية أو دعا إليها فقد خلع عن عنقه شاره الانتماء وعن قلبه وجسده لباس الولاء للمله والامه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس منا من دعا الي عصبية وليس منا من قاتل علي عصبية وليس منا من مات علي عصبية)

المساله الثالثه

حرص الإسلام علي تربيته الجماهير علي الولاء وصدق الانتماء وترسيخ مفاهيم الامه الربانيه علما وعملا وحكما وممارسه وتطبيق

فقال تعالي (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي) اعلان براءه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل من يقوم بتمزيق الامه ومنهجها ولأن عصبه المشروع الابليسي اتخذوا الاختلاف وسيله لهدم امه الاسلام فالاختلاف لايعبر عن هويه الامه الاسلاميه وانما هو فيروس خبيث انتقل الي الامه عن طريق العدوي من اليهود والنصارى لأن الاختلاف الذي وقعت فيه الامه اليوم يعود إلي تقليد الغرب الذين جعلوا المسلم في مقعد التلميذ وهم في مقعد المعلم فحصلت الهزيمة الفكرية وبهذا سقط من الامه قرارها السياسي والفكري تحولت الهويه الاسلاميه الي الهويه القومي والمناطقية والمذهبية ونتج عن ذلك الانقسام والاقتنال وتحول الانتماء للفكره الي انتماء للأشخاص والذوات وذلك من عوامل التخلف والخيال الذي تعيشه الامه وفقدان الهويه عند الأجيال الناشئة التي أصيبت بالهزيمة الفكرية والإحباط والتشاوم الناتج عن الابتعاد عن المنهج الرباني الذي استبدال بتراث الكفر وثقافته حيث صار المسلم يري نفسه أقل شأنا من الكفار نتيجة الانبهار بالحضاره الماديه وهنا فقد المسلم كرامته وعندها نسب التخلف باطلا الي الاسلام والاسلام منه بري وترتب علي ذلك فقدان الأجيال المومنه نتيجة الإفراط والتفريط الناتج عن الكم الهائل من المولفات والكتب التي نسبت للإسلام والعاملين في الحقل الاسلامي وهي في أغلبها مناهج تمزيق الامه وبعيده عن الإسلام بعد المشرق والمغرب فنحن بحاجة إلي تطهير المناهج من الأفكار والنظريات الخبيثه التي تهدم دعائم الاجتماع في الامه ولهذا جاء الحكم الرباني بأن الذين يشقون الصف ويختلقون البدع التي ليست من الدين هولاء لأصله تجمعهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالاسلام فهم خارجون عن شرف الانتساب للإسلام فمن أراد أن يكون متصلا بالرسول صلى الله عليه وسلم ومنتسبا للإسلام فعليه اتباع كتاب الله والاقتراء برسوله صلى الله عليه وسلم ليكون له دوام التسلسل وعدم الانقطاع أما الذين يخالفون مافي القران الكريم والسنة النبويه فإنهم لأصله تجمعهم بالرسول الكريم وبالاسلام وان الله متولي الحرب معهم وسوف يحاسبهم علي ذلك يوم القيامه ويخبرهم بما ابتدعوا من بدع والشبهات التي اضلوا بها الناس

المساله الثالثه

أن اللازم لصيانه الامه من الهلاك نبذ التعصب بكافه اشكاله فاللازم رد راي كل الذين يظنون براءه غيرهم الضلال ويتعصبون لآراءهم أو آراء بعض العلماء بقولهم من خالف قول مشايخنا فهو ضل فنحن اليوم بحاجة الي اعاده النظر في صياغه المناهج الشرعيه وما يترتب عليها من مواقف تضر بالامه وإخطار تهدد بنزع من الامه عزتها

وكرامتها بالدين عندما ألصقت به افكار وأفعال لاتمت الي الاسلام بصله ولا يعبر عنه نحن بحاجة الي الشجاعه الا
دبيه التي جعلنا نضع كل كتاب ومرقوم في غربال الشرع الإسلامي فما كان موافقا لمنهج الله كتابه وسنته
الصحيحه

فهو تراث لنا وما كان مخالفا لمنهج الله وسنه رسوله فلا حاجه لنا به لأنه اداه اختلاف ومساله الموافقه لمنهج الله
يعني أن يتفق معه في الدلالة اللفظية والمعنويه والمفهوم بأن نحسن التنزيل بعيدا عن الخلط لمدلولات النصوص
وأحوالها وظروفها اذا أردنا أن نخرج من عنق ازمه الانقسام والاختلاف الذي تعيشه امه الاسلام اليوم علي كل
جماعه أن تضع نفسه في ميزان الحق تعيد تقييم أحوالها لتري موقعها من النبي صلى الله عليه وسلم هل هي تابعه
لما جاء به حقيقه ام أن عقيدتها قائمه علي الأهواء والبدع والضلاله والعصبيه عليها أن تدرك أنها سوف تعود إلي
الله ويحاسبها علي أعمالها فهو سبحانه وتعالى يقول (إنما أمرهم الي الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

بعد أن أعلن الحق براهه نبيه صلى الله عليه وسلم من الذين تفرقوا واختلّفوا وصاروا شيعا واحزيا لانهم فرحوا
بما انتموا إليه من الانتماء للأحزاب والعصبيات التي خلعت عنهم الانتماء للإسلام ولهذا يأتي النص مبينا أنه تعالي
متكفل برد كل من يسعي لتمزيق الامه لأن من لم يصدق في الانتماء والولاء ممارسه وقولا وعملا فعليه أن ينتظر
فشل المسير وذهاب الريح والدوله ف الله يقول في موضع آخر (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا أن
الله مع الصابرين) فهو قد خان امانه العلم وأمانه الحكم والمراد بهذا الحث علي محاسبه النفس في الحفاظ علي
وحده الامه والتحذير من العصبيه

الأمر السادس

لما اختتمت الايه السابقه بذكر الحساب والعقاب تأتي النصوص بذكر طبيعه الجزء فقال تعالي

(من جاء بالحسنه فله عشر أمثالها ومن جاء بالسئيه فلا يجزي الا مثلها وهم لا يظلمون)

والمراد بهذا :-

اثاره الاحاسيس والمشاعر للابتعاد عن كل ما يمزق الامه بإخراج من النفس كل ما يبعث علي الاختلاف والتعصب
للرأي لأن الحاله النفسيه المحاطه بالاعجاب والاغترار بما لديهم من آراء أو أفعال ينتج عنها نشوه الفرح المذموم
فهو تعالي يقول (كل حزب بما لديهم فرحون)

فالازمه تعود إلي الفرح المذموم وهذا يولد الخطاء في تحليل المعلومات فيتوهم أنه علي الصواب ويتعصب لما
هو فيه تحت تأثير نشوه الفرح

ولهذا تتوجه النصوص بهذا الايه الي حث المومن بأن يجعل مرضات الله نصب عينه في كل عمل فيكون ساعيا
في عمله مريدا مرضاه الله في إصلاح أحوال المجتمع بقطع الرغبه الشخصيه بكف الاذاء فلا يصدر عنه افكار أو
أعمال او اقوال تخالف منهج الله فهو يحاسب نفسه علي كل ما يصدر عنه

ينظر أن الرصيد الحقيقي الذي ينفعه ليس الشهره ولا الجاه والسلطان ولا المال وانما الحسنات التي تضاعف الي
عشر أمثالها وقد ذكر في موضع آخر أنها تضاعف الي سبعمائه

مبينا أن الذي يرتكب المعصيه سوف يجازي بمثلها وهذا من عدل الله تعالي فهو تعالي لا يظلم أحد كما قال تعالي
في موضع آخر (وكفي بنا حاسبين)

فعليك الاطمئنان فهو تعالي لا يهضم الحقوق ولا يظلم مثقال ذره

القسم الأخير

آيات هذا القسم هي توجيهات اختتمت بها السورة التي موضوعها الأصلي هو جدال المشركين حول فساد معتقداتهم وبيان قبح تصوراتهم ونفي صلتها بإبراهيم كونهم كانوا يزعمون أنهم علي دين إبراهيم وتدعوهم الي التوحيد ومعرفة الله ومحبه وعبادته وطاعته والغايه من الوجود الإنساني علي الارض وسر اختيار الله لأمه العرب لحمل رأيه الهدايه في مرحله الرشد الإنساني ولهذا نجد أنها أكثر سورته ذكرت فيها كلمه قل وهو ما اختتمت به السورة بهذه التوجيهات التي تمثل ملخص لجميع ما ذكر في سورة الانعام فقال تعالى

(قل انني هداني ربي الي صراط مستقيم ديننا قيما مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازره وزر أخرى ثم الي ربكم مرجعكم فينثبكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم أن ريك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

فهذه التوجيهات تضمنت الآتي

اولا

الأمر باظهار واعلان نعمه الله عليه وعلي امه الاسلام بنعمه الايمان كما قال تعالى (واما بنعمه ريك فحدث) فقد امره الحق هنا أن يخبر الناس بما أنعم الله عليه من الهدايه الي طريق الله المستقيم الذي سار عليه الانبياء كلهم خصوصا أمام الحنفيه ابراهيم الخليل فهو الطريق الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف فقال تعالى (قل أنني هداني ربي الي صراط مستقيم)

فالاعلان المأمور به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس يوحى بالشكر لله علي نعمه الاسلام صادرا عن مشاعر العارف بالنعمه والواثق بالصله الهاديه فهي صله الربوبيه المهيمنه وان في ذلك عنايته تعالى فوصفه بأنه (دينا قيما)

اي قائما وثابتا فهذا هو الدين المعبر الذي يجب الانقياد له فهو. الدين الذي لا اعوجاج فيه فقال تعالى (مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

يظهر فيه اتباعه لمه ابراهيم لانه تعالى قال في موضع آخر (ثم اوحينا اليك أن اتبع مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

فهو اب الامه المسلمه الذي سماها بهذا الاسم وهذا فيه الاشاره الي التسلسل الأبوي الشرعي اي أبواه المنهج واقامه العهد

وفي الايه ايماء الي أن الهدايه توفيق من الله وان العبد بحاجه الي اعانه الله والسداد والفوز والنجاح

ثانيا

تبين الآيات اهميه ثبات الاستقامة في القلب مهما احدثت بك الأخطار والأزمات وهذا لا يكون إلا بتوحيد الربوبيه والالوهيه والعبودية بالتجرد الكامل والمطلق لله بأن تكون حياتك كلها وعبادتك واقوالك ومماتك لله رب العالمين فمنتهي كمال الاستقامه أن يكون الإنسان كله لله وحده وان يبتغي بحياته وجه الله وان يضحي بنفسه لله تعالى بحيث يكون كل وجوده لأجل الله فقال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له

وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

يقول لنا الحق هذه هي روح الاستقامه الحقيقه علي الطريق المستقيم التي تغلب الشهوات والملذات النفسانيه عندما يكون هواك تابعا لمراد الله تعالى وهذا يتطلب إحراق الاصنام التي بداخلنا فلا تميل الا الي الله تعالى وحده لا شريك له فلا تستبقي لنفسك حقا فيكون كل ماحولك كأنهم قد ماتوا نكون بين يدي الله كأننا موتي فلا بد أن يطرأ الموت علي حياتنا الماديه لتكون حياتنا كلها لله فهذه الاستقامه التي تجلب الموت علي حياه يعيشتها الإنسان لنفسه ويستبدلها بحياه يعيشتها لله تعالى

وهذا لا يتحقق الا بالتجرد الكامل لله والإخلاص الصادق في كل حركه وقول وفعل في الحياه من الصلاه والنسك اي الشعائر التعبدية وكذلك الحياه الواقعيه بالمحيا والممات فأنا أن عشت فإن حياتي لله كلها لا استبقي منها شي فقد بعث نفسي لله وان مت فإنني اموت لله فذكر التوحيد المطلق والعبودية الكامله التي تجمع الصلاه والنحر و الحياه والممات بأنها خالصه لله رب العالمين

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه أن يكون الإذعان والخضوع لله تعالى قائما علي التعظيم والاجلال والمحبه ولهذا نجد أنه قال (الله رب العالمين)

فذكر الرب والاله لبيان انه تعالى المرابي الحاكم علي العالمين

فهذا ناتج عن المحبه لله تعالى والشعور بالافتقار الي الله والحاجه اليه فذكر أنه الرب اي من له صفات التأثير و العطاء وأنه الغني ونحن الفقراء اليه وذكر لفظ الجلاله لبيان ان له سبحانه وتعالى الجلال والجمال وبالتالي فهو وحده من يستحق العباده والعبودية لا شريك له

الأمر الثالث

أن الإذعان والخضوع لله تعالى لا يتحقق إلا بالاستسلام الكامل لله عن علم بحيث لا تستبقي لنفسك حقا ولا لما كنت عليه من الجاهليه والحياه الماديه شئيا لأن المشركون كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فامر الله نبيه أن يخالفهم عما هم فيه وأمره وهو أمر كل مسلم أن يستحضر حقيقه أنه مملوك لله تعالى وحده لا شريك له ولهذا خص بالذكر الصلاه والنحر لأنهما فيهما دليل القرب والتواضع بالقلب واللسان والجوراج حيث فيهما الركوع و السجود والخشوع والنحر فيه اخراج المحبوب ببذل ماتحبه النفس ومن اخلص فيهما استلزم إخلاصه في سائر الافعال والاقوال واتبع ذلك التجرد في المحيا والممات وهو مايعني أن الاستقامه الحقيقه علي الطريق المستقيم إنما تكون بأن تضع نفسك بين يدي الله بكليتك جسدا وعقلك وكل قوه وملكه في نفوسنا تعمل في سبيله تعالى فحياتنا وموتنا له وحده لا شريك له حتي تلاقي الله وانت علي هذه الاستقامه ولهذا يحقق الإذعان والخضوع لله تعالى و فقال تعالى (وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين)

الأمر الرابع

تبين النصوص أن مساله التشريع أمرا اختص الله به نفسه ولهذا نجد أن الله يأمر نبيه أن يخبر الناس ان هذه الدعوه التي يدعوهم إليها والتكاليف التي يخبرهم بها لم يأتي بها من عنده وإنما الله أمره أن يبلغهم به فلم يتدع ذلك من تلقاء نفسه فقال تعالى (وبذلك أمرت) وان امتثال عقيدته التوحيد الخالصه أمر حتمي لا مفر منه ولهذا

أعلن أنه أول من انقاد لذلك فقال تعالى (وانا اول المسلمين)

ثالثا

لماذا خص النبي نفسه أنه أول المسلمين فقال تعالى (وانا اول المسلمين) وما المراد به هنا وما علاقته بالآيات السابقة عليه واللاحقه بعدها؟ وهذا يتضح من خلال الآتي

المبحث الأول

(معني الاسلام)

ان الإسلام يعني في اللغة التسليم والانقياد وفي معني المسلم في اللغة هنالك قولان

١:-

يطلق علي المخلص لله في العباده من قولهم قد سلم هذا الشيء لفلان. اذا اخلص له

٢

المسلم بمعني المستسلم لأمر الله كقوله تعاليشان ابراهيم (اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين)

اي استسلمت لأمره تعالى .. فالإسلام عباره عن التسليم والاذعان والاستسلام والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وهو اعم من معني الايمان في هذا المقام لانه يشمل القلب والجوراح

وهنا قد يقول قائل ما الفرق بين الإسلام والإيمان باعتبار أن الآيات وردت في معرض بيان اثار الاستقامه الحقيقيه وهذا لا يكون إلا من مومن خالص وكيف نعرف أن اللفظه يراد بها الاسلام أو الايمان ؟

ان المتامل لنصوص القران يجد أن معني الاسلام في الشرع قد ورد استعمال هذه الكلمه منها ماهو علي سبيل التردف مع كلمه الايمان ومنها علي سبيل الاختلاف ومنها علي سبيل التداخل

وامثله ذلك نبينها بالآتي

الترداف:-

قال تعالى (فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

وقال تعالى (ياقوم إن كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)

أما الاختلاف :-

كما قال تعالى (قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا)

ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط بالإسلام والاستسلام ظاهرا باللسان و الجوراح

أما التداخل :-

وهذا واضح من الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل اي الأعمال افضل فقال الرسول صلى الله عليه

وسلم الاسلام فقيل اي الاسلام افضل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (الايمن)

المبحث الثاني

ان المراد بهذا في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أول من انقاد واستسلم بالظاهر والباطن بالتجرد لله من أمته فقال تعالي (وبذلك أمرت وانا اول المسلمين)

واريد بهذا الاتي

الدرس الاول

انه لإحداث التغيير والتحول في المجتمعات لابد من أن يبادر القائد الي ترجمه المبادئ والقيم التي تحملها الأفكار والنظريات

محل الدعوه من الداعيه بحيث يكون تجسيدها علي أرض الواقع فهذه الوسيله من أدق الوسائل واهمها في عمليه التغيير وتنميه الاخلاق الفاضله في المجتمعات توجيه السلوك نحو الرأي العام الفاضل الذي يكون فيه الصلاح والاستقامة للإنسان ولهذا تعطينا النصوص القدوه الحسنه (الرسول صلى الله عليه وسلم) لنقتدي به في الاستسلام لأمر الله والانقياد لتوجيهاته

بأنه اول من بادر الي تنفيذ أمر الله دون تردد فقال تعالي (وبذلك أمرت وانا اول المسلمين)

الدرس الثاني :-

تبين النصوص اهميه التجريد للتوحيد والاستقامة علي الطريق المستقيم وأنها تستوجب الاستسلام لأمر الله وإخراج الكبر والغرور من النفس وهذا يعني التواضع والقرب من الله تعالي ولذلك خص بالذكر الصلاه والنحر و الحياه والممات وهو ما يعني الحرص علي الموت علي الاسلام كما قال تعالي (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وائتم مسلمون)

وذلك بأن تكون حياتك كلها لله فهذه هي الاستقامه الصادقه

المبحث الثالث

انه تعالي يقول بعدها (قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب نفس الا عليها ولا تزر وازره وزر أخرى)

وهذا فيه الاتي

الأمر الاول

يقول لك الحق أن من اثار الاستقامه الحقيقه الصادقه اذا بلغ فيها الإنسان في محبه الله تلك الدرجه التي يضع فيها نفسه وماله وكل حياته لله تعالي لا لنفسه

اي أنه يعيش لله ويموت لله فإن هذا يعني حصول القرب من الله تعالي ولهذا خص ذكر الصلاه والنحر والحياه و الممات بالاستسلام لبيان انه اخراج من قلبه الانانيه وكل شيء لغير الله فإن هذا يولد القرب من الله وعندها يرزق الانوار الالهيه التي يتخذ من قلبه المفعم بالحب الخالد لله قوه تجعله لايبالي بالالام والأحزان طالما أنها في سبيل الله لأنه يريد نيل مرضات يري أن كيانه كله لم يخلق الا لطاعه الله فيعيش في جنبه الفردوس وهو في الدنيا

وينظر للدنيا وما فيها انها لاتساوي شيئا عندها يجد القرب من الله تعالى هو القوه الحقيقيه ولهذا قال تعالى

(قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء)

انه يتعجب من اولئك الذين يكون منهم الاستعلاء بالجاه والسلطان والمال والقوه والانصار فيقول كيف اطلب ربا غير الله يحكمني ويدبر امري وينصرني ويقدم لي العون من المخلوقات التي خلقها الله تعالى

فإن هذا لايليق بمن عرف الله وإدراك أنه تعالى له دعوه الحق وهو تعالى المدبر للكون كله والمالك والمتصرف به فجميع المخلوقات داخله تحت ربوبيته فهو تعالى وحده لاشريك له الذي يجب الانقياد له والاستعانة به والتوكل عليه

لانه القوي فالجميع في قبضته فجميع من في الكون من ارض وسماء وما فيهن ملكه وهو المدبر لها

الأمر الثاني

أن من اثار الاستقامه الحقيقيه الصادقه النظره الشامله التي تتجاوز نظره الكافر ذات الافاق الضيقه فنظره الكافر لاتتجاوز من حوله من بني البشر وعناصر القوه ولهذا فإنه إذا فقد المال أو الجاه والسلطان فإنه ينهار ويضعف فلا يصمد امام العواصف أما المومن فنظرته للكون والوجود كله وكل ما فيه من كائنات أنها تحظي برعايه الله وربوبيته ولهذا فهو يستعلي ب الله وبالتوكل عليه فهو الانس في الوحشه فكيف يطلب عون البشر من كان معه الرب مالك البشر وخالقهم

الأمر الثالث

اهميه التدريب علي الاخلاق الفاضله التي تستلزمها عقيدته التوحيد ولهذا فإن هذه التوجيهات للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه لتربيته المومنين فالرسول صلى الله عليه وسلم كان أول من أسلم لله رب العالمين ولهذا فإن هذا الموقف الذي يعلن رفضه لكل الأولياء غير الله فهو يعتمد علي الله تعالى ورعايته وعنايته فلايبالي بما سواه ويتعجب من اولئك الذين يهددونه بقوه أهل الكفر والشرك فيقول كيف لي ان اخافهم واطلب وليا غير الله إذا كانوا ومن في الأرض والكون مخلوقات الله وهو تعالى يتولي رعايتهم ف الله هو من له العباده وبه الاستعانه فلا يات كقوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)

المبحث الثاني

تبين النصوص أنه لاينال النجاه من الالام الا من باع نفسه لله تعالى واخلص في عبادته وتوكل عليه وسعي في نيل مرضاته يري أن كيانه كله لم يخلق الا لطاعه الله تعالى وان يتفاني في طاعه الله ثم يأتي بالحسنات الحقيقيه التي تتعلق بكل ملكه من ملكاته برغبه وشوق وارده وعزيمه وهمه عاليه يريد طاعه محبوبه لتكون أردته موافقه لاراده الله تعالى تماما فتنحصر لذاته كلها في طاعه الله يري أنها هي الرصيد الحقيقي فلا يشعر بالمشقه فيخشي ربه وتستولي عليه الرهبه العظيمه لله وجلاله فقال تعالى (ولا تكسب نفس الا عليها ولا تزر وزيه وزرا أخرى)

فالاستقامه الكامله هي تلك التي لايقطعها اي سبب ولايخل بها فراق الاحبه ولا مشقه الطريق ولا تفزع لفقدان شي لا يضرها اي ابتلاء بتاتا لأن المومن ينظر أنه لن ينفعه أحد يوم القيامه لاقرب ولا صديق فلن يحمل عنه ذنبه أحد شي أن ارتكب المعصيه وليس امامه إلا الصدق والإخلاص والوفاء بالعهد حتي يلقي ربه وهو ثابتا علي الحق فهذه هي الصله المتينه التي يجد فيها النجاه ساعه الوقوف بين يدي الله فقال تعالى (ثم الي ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) لبيان ان

كل انسان سوف يرجع إلي ربه وهو محاسب علي ما كسبه من طاعه أو معصيه فالايه فيها عرض حقيقه الكون

والإنسان فكل شي مخلوق وسوف يرجع إلي الله لكن الفرق بين الإنسان وسائر المخلوقات من حوله أن الكون مجبور لا اراده له أما الإنسان فهو مخلوق له اراده وحر الاختيار ولهذا فسوف يحاسب علي أعماله أما الكون فهو غير محاسب لانه لا ارده له فهو مجبور في حركته وقد جعله الله مسخرا للإنسان وجعل الإنسان سيذا علي الكون بأمر ربه فقال تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما اتاكم أن ريك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

اي أنه تعالى اختص الإنسان بخصائص وميزه علي سائر المخلوقات وجعل الكون وما فيها مسخرا للإنسان ليكون خليفه الله في الأرض ورتب علي هذه الارده والعلم المسؤوليه والحساب والعقاب وهو تعالى خلق الناس متفاوتون في المواهب والقدرات والخصائص التي ميز بها الإنسان علي غيره سواء في العقل أو الجسم وكذلك الرزق والقوه لغرض الامتحان والاختبار لأن ذلك عطاء الله فالمومن يشكر الله ام الكافر فهو يجحد النعمه وهو تعالى جعل الخلافه شرفا للإنسان فاذا خرج عن طاعه الله وأمره صار بلا شرف ولذلك فإن سنه الله أنه تعالى جعل للخلافه قانون فمن تكبر واغتر بما منحه الله من قوه وجاه فإن هذه القوه تكون معرضه لعقاب الله لأنها قوه بلا شرف فمن تأمل لتاريخ قيام الحضارات وسقوطها يجد أنه تعالى جعل للاستخلاف قانون وهو الالتزام بمنهج الله فمن تجبر ورفض القبول بمنهج الله اهلكه الله واستبدل به قوما آخرين وسقطت القوه التي كان ينظر أنها تمثل حصن يتحصن بها فهي أوهن من خيوط العنكبوت فقال تعالى (أن ريك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

وهذا فيه دعوه الي اتقاء غضب الله للترهيب وبنفس يرغب بالتوبه الصادقه وهذا الأسلوب من أهم وسائل بناء الخلق وتكوين السلوك الحميد فعلي مربى النئش الذي يريد أن يربي في الأجيال الاخلاق الفاضله أن يركز علي مبدأ الثواب والعقاب كلا في محله وموضعه ليكون الاعتدال في السلوك والايه تتحدث عن موضوع الاستخلاف في الأرض واهلاك المكذبين وفي ذلك الكثير من الدروس والعبر وهو ما تتحدث عنه سوره الاعراف

المراجع

١/ تفسير الظلال للسيد قطب

٢/ الجالين

٣/ تفسير ابن كثير

٤/ تفسير السعدي

٥/ تفسير الميسر

٦/ تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

٧/ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا

٨/ تفسير الالوسي

٩/ تفسير زهره التفاسير

١٠/ تفسير أوضح التفاسير

١١/ تفسير العز عز الدين بن عبد السلام

١٢/ تفسير الزمخشري

١٣/ القرطبي

١٤/ الطبري

١٥/ التفسير القرآني بالقران

١٦/ تفسير المراغي

١٧/ البيضاوي

١٨/ ابوالسعود

١٩/ محمد الامين الشنقيطي

٢٠/ تفسير روح البيان

٢١/ تفسير سعيد حوي

٢٢/ الشعرواي

٢٣/ تفسير ابن القيم

٢٤/ الفوائد لابن القيم

- ٢٥/درب السالكين لابن القيم
- ٢٦/تفسير ابن تيميه
- ٢٧/الزجاج
- ٢٨/فتح القدير
- ٢٩/الأسس والمنطلقات لابي بكر مشهور العدني
- ٣٠/الاعجاز العلمي للسيد قطب اعداد مجدي عبد المعطي
- ٣١/كتاب اغائه الله فان لابن القيم
- ٣٢/كتاب مفتاح دار السعاده ومنشور العلم والارده لابن القيم
- ٣٣/تفسير مراح لبيد لكشف معني القران المجيد
- ٣٤/كتاب اطيب النشر في تفسير الوصايا العشر لمرزوق الزهراني
- ٣٥/تفسير الخازن
- ٣٦/تفسير ابن عرفه
- ٣٧/تفسير ابن عطيه
- ٣٨/النفسير الموضوعي (٢+١) جامعه المدينة المنوره
- ٣٩/العقائد الإسلامية لابن باديس
- ٤٠/مجالس الذكر لابن باديس
- ٤١/صفوه التفاسير
- ٤٢/تناسق الدرر في ترتيب الآيات والسور
- ٤٣/تناسب الدرر في ترتيب الآيات والسور
- ٤٤/ماهيه العقل ومعناه للمحاسبي
- ٤٥/نظام الدرر في تناسب الآيات والسور
- ٤٦/تيسير التفسير للقطان
- ٤٧/فتح البيان في مقاصد القران /صديق خان
- ٤٨/فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد
- ٤٩/صحيح البخاري

٥٠/ صحیح مسلم

٥١/ شرح الباری

٥٢/ منهج الاسلام فی تزکیه النفس

٥٣/ الموسوعه القرانیه لابراهیم الابیاری